بسام العسلي

فن الحرب الإسلامي

في

عهود الخلفاء الراشدين والأمويين

عمليات الجبهات الشمالية والشرقية والبحرية

المجلد الأول

دار الفكر

فن الحرب الإسلامي

في

عهود الخلفاء الراشدين والامويين

عمليات الجبهات الشمالية والشرقية والبحرية

بسم الله الرحمن الرحيم

بسّام العسلي

فن الحرب الإسلامي

في

عهود الخلفاء الراشدين والامويين

المجلد الأول

عمليات الجبهات الشمالية والشرقية والبحرية

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

دار الفكر
بيروت
لبنان

المكاتب : البناية المركزية ـ هاتف : ٢٤٤٧٣٩ ـ ص.ب : ١١/٧٠٦١
المطابع والمعمل : حارة حريك ـ شارع عبد النور ـ هاتف : ٣٩٠٦٦٣ | ٨٣٨٢٠٢ | ٨٣٧٨٩٨
برقياً : فكسي ـ تلكس : ٤١٣٩٢ فكر FIKR 41392 LE

الإهداء

إلى المجاهد في سبيل الله

وقد اختار الجهاد نهجاً لحياته

وحمل من السلاح ما يسّره الله لحمله

ومضى مدافعاً عن الإسلام وأهله

تحت كل سماء، وفي أي بقعة من أرض الله

إلى أن مضى للقاء وجه ربه وقد أدى الأمانة

بسّام

بسم الله الرحمن الرحيم

المؤلف والكتاب

الوجيز في سيرة الكاتب:

بسام العسلي، من مواليد دمشق ١٩٢٩ ، تخرج من الكلية الحربية في حمص سنة ١٩٥٢ ، وأوفد إلى فرنسا حيث تخصص في أعمال المظليين (دورة مظلي، دورة مدرب مظلي، دورة مغاوير مظليين، دورة نقل جوي، دورة صيانة عتاد النقل الجوي) عاد بعدها إلى دمشق حيث تولى تدريب أول دورة رتباء مظليين، ثم قيادة سرية. وانتقل إلى مصر في عهد الوحدة (١٩٥٨ ـ ١٩٦١). حيث تولى قيادة الكتيبة ٧٦ جنود مظلات. وعمل في الكونغو تحت قيادة هيئة الأمم المتحدة إبان أزمة الكونغو (١٩٦٠). وعين ملحقاً عسكرياً في لندن (١٩٦٢ ـ ١٩٦٣) أحيل بعدها للمعاش وانصرف بعد ذلك للكتابة العسكرية.

آثار المؤلف

فقد صدر له حتى نهاية العام ١٩٨٧ ما زاد على ثمانين كتاباً (بين مؤلف ومترجم من اللغتين الفرنسية والانكليزية) وأكثر من أربعمائة بحث، علاوة على اشتراكه في الموسوعة العسكرية العربية وفي عدد من الأعمال الأخرى التي شملت:

- اعلام الجاسوسية العالمية ـ الذي صدر في سنة ١٩٦٥ (مترجم عن الفرنسية).
- المعارك الحاسمة في الحرب العالمية الثانية ـ الإدارة السياسية (مترجم عن الفرنسية).
- الحرب المباغتة (مترجم عن الانكليزية).

ـ مذكرات ليدل هارت. (مترجم عن الانكليزية).
ـ القدرة البحرية في البحر الأبيض المتوسط (مترجم عن الانكليزية).
ـ جيش العدوان الصهيوني.
ـ الحرب والحضارة.
ـ رجال ومواقف تحت راية الإسلام.
ـ الأيام الحاسمة في الحروب الصليبية.
ـ الثورة الجزائرية بالاشتراك مع العماد مصطفى طلاس.
ـ المذهب العسكري الألماني (تقديم العماد مصطفى طلاس).
ـ ستالين.
ـ خروتشوف.
ـ مجموعة مشاهير قادة الإسلام، وتضم ١٥ (خمسة عشر) كتاباً (عقبة بن نافع، موسى بن نصير، قتيبة بن مسلم الباهلي، سعد بن أبي وقاص، عمرو بن العاص، أبو عبيدة بن الجراح، خالد بن الوليد، معاوية بن أبي سفيان، صلاح الدين الأيوبي، المظفّر قطز، الظاهر بيبرس، عبد الرحمن الداخل، عبد الرحمن الناصر، الحاجب المنصور، المعتمد وابن تاشفين).

ـ مجموعة مشاهير الخلفاء والأمراء، تضم عشرة كتب (الصديق القائد، الفاروق القائد، ذو النورين القائد، الإمام القائد، عبد الملك القائد، المنصور القائد، الرشيد القائد، نور الدين القائد، الفاتح القائد، القانوني القائد).

ـ مجموعة جهاد شعب الجزائر، وتضم ١٥ (خمسة عشر) كتاباً هـي، (خير الديـن بربروس، الجزائر والحملات الصليبية، المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي، الأمير عبد القـادر الجزائـري، محمد المقـراني وثـورة سنـة ١٨٧١. الأمير خـالـد الهاشمـي الجزائري، عبد الحميد بن باديس، الصراع السياسي على نهج الثورة الجزائرية، الله أكبر وانطلقت ثورة الجزائر، جيش التحرير الوطني الجزائري، أيام جزائرية خالدة، المجاهدون الجزائريون، المجاهدة الجزائرية، الاستعمار الفرنسي في مواجهة الثورة الجزائرية، جبهة التحرير الوطني الجزائرية).

ـ مجموعة مشاهير قادة العالم، وتضمنت ١٥ كتاباً ـ هي: (الاسكندر المقدوني، هاني بعل، يوليوس قيصر، مارلبورو، فريدريك الكبير، بطرس الأكبر، جورج واشنطن، نابليون بونابرت، كوتوزوف، نيلسون، فون مولتكه، الماريشال بيجو، فوش، لودندورف، اللّنبي).

ـ مجموعة مشاهير قادة الحرب العالمية الثانية، (قيد الصدور وتضم تسعة كتب (غودريان، رومل، ويڤل، مونتغومري، جوكوف، فاسيليفسكي، ايزنهاور، ماك آرثر، جياب).

ـ المجلات الرئيسة التي تنشر للكاتب بصورة منتظمة. الفكر العسكري (دمشق) مجلة كلية الملك خالد العسكرية (الحرس الوطني ـ الرياض) الدفاع العربي (بيروت) درع الوطن (أبو ظبي). القدس (بيروت. ثم عمان حالياً). علاوة على عدد من المجلات بصورة غير منتظمة.

ـ موسوعة فن الحرب الإسلامي الذي نقدم له.

لقد قيل للمؤلف (بسام العسلي): «لقد أسرفت على نفسك إسرافاً كبيراً، وظلمتها ظلماً كبيراً، مذ ألزمت نفسك بنظام صارم لإنجاز ما أنجزته على امتداد ربع قرن ونيف من عمر الزمن». فرد على ذلك بقوله: **«لطالما رجوت الله ما عشت أن يسد بي ثغراً من ثغور المسلمين، وما أكثر هذه الثغور المفتوحة اليوم على العالم العربي ـ الإسلامي، فعسى الله أن يستجيب لما رجوت، ولما تمنيت».**

موسوعة فن الحرب الإسلامي.

فقد صدر كتاب (فن الحرب في عهود الخلفاء الراشدين والأمويين) بمجلديه الأول والثاني سنة ١٩٧٧م، واستقبلت المكتبات العربية ـ الإسلامية (والمكتبات العسكرية بخاصة) هذا الرفد الجديد للمعرفة بفن الحرب الإسلامي، بالترحاب، إذ سرعان ما نفدت الطبعة الأولى، وبدأ الطلب لتطوير هذا المشروع الضخم، واستجابت دار الفكر، فعهدت إلى المؤلف (بسام العسلي) لتطوير بحثه بحيث يغطي فن الحرب

الإسلامي حتى الأزمنة الحديثة، وكان لا بد من العمل الجاد والمستمر، إلى أن تم إنجاز العمل الموسوعي فشمل (فن الحرب في العصر العباسي) و (فن الحرب في أيام الحروب الصليبية القديمة) و (فن الحرب في العهد العثماني) وبهذه المجلدات الخمسة، صار بإمكان القارىء والباحث، العسكري والمدني، تلميذ التاريخ وأستاذه، أن يجد مرجعاً، سهل المتناول، سهل المأخذ، يقدم له المعرفة قدر المستطاع بتاريخ أمته، وبالأعمال القتالية التي عاشتها على امتداد أربعة عشر قرناً من عمر الزمن، هو تاريخ الأمة العربية الإسلامية منذ أن أضاءت الدنيا وأشرقت برسالة الإسلام وحتى اليوم.

لقد جاء (فن الحرب الإسلامي) بمجلداته الخمسة ليسد ثغرة في المكتبة العربية الإسلامية، إذ قد يكون من طبيعة الأمور، والأمة العربية الإسلامية تعيش مرحلة بناء مستقبلها أن تستند إلى قاعدة صلبة من المعرفة بأصالة مرتكزاتها، ومنعة منطلقاتها، وقوة مبادئها، وهذه المعرفة قد برهنت عبر التاريخ على صحتها وعلى قدرتها على التكيف مع كافة المستجدات وفق الثوابت والمتغيرات. فأما الثوابت فهي تلاحم المذهب العسكري الإسلامي مع العقيدة الدينية الإسلامية وأما المتغيرات فهي أساليب القتال وثقافة الأسلحة. ولعله من غير الطبيعي، ومن غير المنطقي إهمال هذا الإرث الثمين الذي دفع الأجداد حياتهم بسخاء وأهرقوا دماءهم بوفرة للمحافظة على تجربتهم التاريخية وإغنائها ورفدها باستمرار، ثم الإعراض عن خلاصة هذه التجربة وعطاءاتها الثرة، والبحث عن منطلقات لم تصمد كثيراً أمام تجربة التاريخ - تاريخ فن الحرب -.

لقد وضع الأجداد (فن الحرب الإسلامي) عندما انطلقوا للجهاد في سبيل الله. فكان للعرب المسلمين فضل تثبيت مبادىء هذا الفن، وتحديد معالم قواعده وأسسه. ثم جاءت الشعوب الإسلامية من كافة أرجاء الأرض، من ترك وعجم، بربر وكرد، فرس وصقالبة، آسيويين وأوروبيين وأفارقة، فأخذوا عن العرب المسلمين (فن الحرب الإسلامي) وعملوا على تطويره ورفده بكل ما هو جديد. وهكذا عالج (فن الحرب الإسلامي) جميع أنواع الحروب التقليدية: النظامية منها والثورية، وفي كافة العصور. وقد يذهل الإنسان العربي المسلم اليوم، لتلك العطاءات الرائعة، التي ميزت (فن الحرب

الإسلامي) في الأزمنة الحديثة باهتمام متعاظم على مستوى القارئ العربي وعلى مستوى القيادات العربية، وقد اعتبر ذلك من قبل بعض النقاد، بأنه هروب من واقع الحاضر المرير إل رحاب الماضي الزاهر، غير أن الحقيقة مناقضة لهذا التعليل الظاهري، فالأمة العربية ـ الإسلامية وقياداتها، إذ تصر إصراراً عنيداً على التمسك بالأصالة الذاتية، واذ تبذل كل جهد مستطاع، بل وأكثر مما هو مستطاع، للكشف عن الإرث الثمين الذي هو في يمين الأمة العربية الإسلامية وفي متناولها، فإنها تفعل ذلك عن وعي تام وإدراك كامل لما يتضمنه هذا الإرث من عطاءات خيرة يمكن لها مساعدة الأمة العربية الإسلامية للخروج من مأزقها الراهن. ولقد صدرت في العقود الماضية القريبة ـ لا في اللغة العربية وحدها وإنما في عدد من لغات العالم، دراسات وأبحاث كثيرة تعرضت لبعض ما تضمنه هذا الإرث العظيم، سواء خلال حقبة زمنية محددة (مثل الحروب الصليبية القديمة) أو من خلال بعض القادة أو المبادئ. ومن هنا ظهرت الحاجة لعمل موسوعي يمكن له إجراء مسح شامل لتاريخ (فن الحرب الإسلامي) والتركيز على أبرز معطياته ومرتكزاته، دونما إهمال لأهم تفاصيلة وأكثرها فائدة. فجاء هذا الجهد المتواضع على أمل أن يحقق بعض ما هو مطلوب. وإن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ودار الفكر التي دأبت منذ تأسيسها على طبع ونشر وتعميم هذا التراث في مختلف العلوم والفنون والتاريخ والتفسير والحديث النبوي الشريف ووضعه في متناول الجميع بأحدث إخراج وأبهى حلة تفخر أن تقدم اليوم للدارس والباحث والقارئ العربي هذه الموسوعة في فن الحرب الإسلامي في مجلدات خمسة إسهاماً منها في الكشف عن جوانب جديدة من تراث أمتنا الخالد وروعته.

والله من وراء القصد والله ولي التوفيق.

بيروت في يوم الخميس ١ رجب ١٤٠٨

الموافق ١٨ شباط / فبراير ١٩٨٨

الناشر

مقـدّمة

إن تاريخنا الحضاري غني بروائع العلم والأدب والفن أما تاريخنا العسكري فاكثر غنى واكثر عطاء لكل ما هو مفيد وخالد . بدأت العمل يحفزني أمل كبير في انجاز دراسة تعالج موضوع تطور فن الحرب في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين .

لقد تعودنا دراسة كل معركة من معاركنا بشكل منفصل – ندرس الوضع العام الذي سبقها ثم مسيرة العمليات ونخلص بالنتائج المستفادة . واذا حاولنا دراسة الرابطة بين معركة واخرى فمن قبيل المقارنة لا اكثر ..

بدأت الدراسة على هذه الصورة وانتقلت من معركة الى معركة مع متابعة مسيرة العملياَت وتطورها . ثم حملت المواقع على الخرائط وتابعت تطورها في اطارها الزمني وفق جدول توقيت الاحداث فظهرت لي لوحة لا أجمل ولا ابدع ..

– كانت معالم اللوحة الشاملة ، تضيع في الجزئيات وعندما وضعت الجزئيات في اطار زمني ومكاني ظهر الابداع ، كل الابداع .

جيوش قليلة تنطلق من الجزيرة العربية ، قليلة في عددها ، فقيرة في تسليحها ، قوية في ايمانها ، مؤمنة برسالتها ، تتحدى اقوى قوى العالم وتثبت انها على مستوى هذا التحدي فتزيل اعظم دولتين لهما امجادهما العسكرية وقواتهما الجرارة علاوة على امكاناتهما المادية الضخمة .

وتتطور هذه الجيوش في عددها ، وحجمها وتسليحها ، ويتطور تبعاً

لذلك تنظيمها القتالي واسلوبها الحربي . وتزداد ميادين القتال بعـــداً وتصبح ساحات العمليات واسعة غير محددة الا بخط الافق . ويتطلب ذلك ادارة للحرب وقيادة للقتال على مستوى عال من القدرة والكفاءة . وهنا تبرز شخصيات العمالقة من القـــادة الخلفاء أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والأمويين معاوية ومروان وعبدالملك وهشام وبقية القادة ..

– كان هؤلاء القـادة والقادة الاوائل منهم بصورة خاصة : يعتصمـون وراء رمال الجزيرة ، فيعلنون التعبئة . ويحشدون الجيوش . ويطلقونها الى اهدافها . ويرساون الامدادات ويتابعون مسيرة العمليات ويعملون على تحديد محاور ثقل الجهد الرئيسي واعطاء الافضليات ، ثم ينقلون القوى من جبهة الى جبهة ومن مسرح عمليات الى مسرح آخر ، ومن ميدان الى ميدان وفق مخطط بعيد عن الارتجال والعفوية وبشكل مثير للاعجاب .

– لقد كان ذلك اروع ما في الصورة الشاملة لتطور فن الحرب عند العرب . بعد أن رجعت الى الدراسة محاولاً نقل هذه اللوحة الاجمالية . كنت اعتزم التوقف عند المعارك الحاسمة فقط والانتقال فوق قممها .

فظهرت صورة اخرى فرضت عليّ الدخول في بعض الجزئيات . لقـــد كانت معركة اليرموك معركة حاسمة تبعتها عمليات فتوح سهلة نسبياً . وكانت هذه العمليات بمثابة شاهد على نجاح العرب المسلمين في تحقيق مبدأ استراتيجية الهجوم غير المباشر . وتكرر ذلك بعد معركة القادسية حيث اندفعت جيوش العرب المسلمين حتى احاطت بالهضبة الايرانية بعد سلسلة من المعارك القصيرة والحاسمة ، وكانت هذه العمليات بدورها شاهداً آخر على نجاح هذه القوات والجيوش في تحقيق مبدأ استراتيجية الهجوم غير المباشر . ولم يكن هناك سبيل لابراز معالم هذه الصورة الا باجراء مسح شامل لهذه المعارك .

– ثم ظهرت صورة ثالثة تبعها تطور جديد في فن الحرب . وهذه الصورة هي محاولة « بيزنطية » بالدرجة الاولى ، وبعض الدول المحيطة بالهضبة الفارسية

من جهة ثانية لتحريض جماهير الشعوب ضد العرب المسلمين ولتنظيم ثورة مضادة .

— عمل العرب المسلمون على اتباع اسلوب جديد في الردع ، يتلخص في محاولة القضاء على اوكار التآمر واشغال القوى المحركة للثورة المضادة عن طريق نقل المعركة اليها مع اتخاذ التدابير الوقائية من تحصين للثغور وتنظيم للصوائف والشواتي ، ثم كان بعد ذلك تطور فن الحرب في البحر وارتباطه بالمخطط العام للعمليات .

— كنت قد وضعت في البداية حجماً محدداً للكتاب بحيث يتوافق مع روح العصر ومع رغبة القارىء في انهاء الموضوع الذي يدرسه خلال فترة قصيرة ، فعمدت الى التركيز والى استخدام الجداول مع محاولة الاختصار قدر المستطاع ، اختصاراً لا يفقد الموضوع فائدته وجماله ، ولا يصل الى الضياع في متاهة الجزئيات . وكان لا بد من التركيز على بعض النقاط وتكرارها من أجل ابرازها وظهرت المشكلة الجديدة ، مشكلة الحجم الذي تضاعف عما كان قد حدد له في المخطط الاساسي للكتاب .

— ومشكلة اخرى : الري ، قومس . مرو الروذ ، مرو الشاهجان ، مكران . الديبل ، سجون جيحون . اصطخر . شيرين ، وغيرها من الاسماء الكثيرة ، بعضها لمدن سادت ثم بادت وبعضها لاقاليم تغير اسمها مع مرور الزمن . وكان من المحتم البحث في عدد من المراجع والمخططات القديمـــة ، لايضاح الصورة . وقد فرض ذلك ايضاً حجماً اضافياً لم يكن في الحسبان ولم يكن بالمستطاع اسقاط بعض المواد على حساب المواد الاخرى فكان لا بد من اعادة التوازن وعدم الانسياق مع اغراء الموضوع في كل مرحلة من المراحل .

— ومضى عام ونيف من التفرغ الكامل والجهد المستمر والدراسة المضنية وكان ذلك كله يضيع بسرعة امام لذة الفائدة والمتعة اللتين تتضمنهما مـــادة البحث .

– ان بناء الحاضر ، والمستقبل على جذور ثابتة يفرض العودة لاحياء هذا التراث الخالد في ثوب يتوافق مع روح العصر .

– وان مادة التاريخ مادة جافة في حد ذاتها ، وحاولت تبديد جفافهـا وقسوتها بطرح بعض اللوحات القتالية الرائعة والاستشهاد ببعض ما تضمنه ادب الحرب من شعر وقصة قصيرة .

واخيراً ،

انتهى قسم من الدراسة في عمليات الجبهتين الشمالية والشرقية والعمليات البحرية ، راجياً أن أكون قد حققت بعضاً مما صبوت اليه وان يكون هـذا الكتاب رافداً يرفد معارفنا ...

بسام العسلي

القسم الأول

الفصل الأول

فن الحرب في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين

(إنْ تَنْصُروا الله يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أقْدامَكُم)

صدق الله العظيم

١ ـ ما هو فن الحرب ؟
٢ ـ تاريخ فن الحرب .
٣ ـ ضرورة دراسة تاريخ فن الحرب .
٤ ـ فن الحرب عند العرب المسلمين .
٥ ـ التعبئة وحشد القوات .
٦ ـ تحديد الهدف من الحرب .
٧ ـ اعطاء الافضلية لمسارح العمليات .

٨ ـ تحديد الافضليات على الجبهة .
٩ ـ تنسيق التعاون بين الجبهات.
١٠ ـ القوات الاحتياطية .
١١ ـ عزل ميدان المعركة .
١٢ ـ الانتقال من الهجوم الدفاعي .
الى الهجوم الوقائي .
١٣ ـ التطور في اسلوب القتال .
١٤ ـ التنظيم للمعركة :
أ ـ وضع نظام التسلسل العسكري .
ب ـ التنظيم للقتال .
ج ـ الحرب النفسية .
١٥ ـ مناطق الحشد والمعسكرات .
١٦ ـ جمع المعلومات :
أ ـ الجاسوسية .
ب ـ دراسة الارض .
ج ـ المحافظة على السر .
د ـ المسالح وعملها .
هـ ـ الحرس .
١٧ ـ المسير .
أ ـ الطلائع . ب ـ المؤخرة . ج ـ الاجناب .
١٨ ـ الجندي في الجيش العربي الاسلامي .
١٩ ـ قصة المعركة .
٢٠ ـ اقامة علاقات اجتماعية جديدة .

فن الحرب
في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين

١ ـ ما هو فن الحرب في المفهوم الحديث ؟

فن الحرب هو مجموعة المعارف المتعلقة بالصراع المسلح الهادف لتحقيق ما عجزت الوسائل السلمية عن تحقيقه ، وتقسم مجموعة هذه المعارف ، نظرياً ، الى ثلاثة فروع : ١ ـ الاستراتيجية . ٢ ـ فن العمليات . ٣ ـ التكتيك او التعبئة .

آ ـ الاستراتيجية ـ وهي التي تعالج انواع العمليات الحربية واساليبها . الوسائل الضرورية لانجاح هذه العمليات ، دراسة العدو وقواته وامكاناته ، تحديد اتجاه الضربة الرئيسية والضربات الثانوية ، محاور تحرك القوات ومناطق زجها في القتال ، اعداد القوات المسلحة واختيار الاساليب المتوافقة مع انواع العمليات الحربية واشكالها ، ثم تنسيق ذلك كله ووضع مخطط متكامل يحقق الهدف .

ب ـ فن الحرب ـ ويعالج : تحديد فكرة العملية او العمليات ، ووضع المخططات اللازمة لاستخدام القوى وحشد الامكانات الضرورية لتنفيذ فكرة العملية ، وتحديد الاساليب الخاصة باستخدام التشكيلات المقاتلة الكبرى وقيادتها ثم تنظيم التعاون بين القوى المختلفة والاسلحة المتنوعة التي تشترك في العملية لتحقيق الهدف الاستراتيجي ، سواء كان تحقيق هذا الهدف يتم على جبهة واحدة او على عدد من الجبهات ، وعلى محور واحد من الجبهة او عدد من المحاور .

ج – التكتياك – وهو تحديد فكرة العملية واسلوب تنظيمها وطريقة تنفيذها وفق مخطط العمليات ، تنظيم التعاون بين الاسلحة والقوى المشتركة في المعركة ويقسم هذا الفرع بدوره إلى تكتياك عام وتكتيك خاص ويعالج الأول الاسس العامة لصنوف الاسلحة المختلفة بينما يعالج الثاني عمل كل سلاح من الاسلحة وكل قوة من القوى المشتركة في المعركة .

٢ – تاريخ فن الحرب :

ان فن الحرب المعاصر قد تطور عبر التاريخ منذ الأزمنة السحيقة ، وهو لم يصل الى ما انتهى اليه الا بعد تجارب كثيرة ومريرة خاضتها الشعوب وهي تتطور صعداً في سلم الرقي والحضارة .

– وان الادراك العميق لفن الحرب المعاصر يفرض بالضرورة دراسة قوانين تطور هذا الفن ، وتشمل هذه الدراسة تاريخ اساليب الصراع المسلح وتطورها مع الزمن .

– لقد تطور فن الحرب منذ القدم وفق خط بياني متصاعد ، كما تطور في الوقت ذاته في اتساعه وشموله من البسيط الى المعقد وتوافقت هذه التطورات مع تطور المجتمعات فكانت ذات ابعاد مزدوجة عمودية وأفقية وذلك بسبب تزايد الاسلحة من جهة وتزايد حجم القوات المسلحة وتضاعف اعدادها من جهة اخرى . وحملت كل مرحلة من مراحل التطور في اعماقها الرواسب الايجابية والاسس الثابتة التي انضجتها تجارب المرحلة السابقة لها .

٣ – ضرورة دراسة تاريخ فن الحرب :

– من الصعب ادراك الصورة المعاصرة لفن الحرب – ان لم يكن من المستحيل – دون الرجوع الى تاريخ تطور هذا الفن حتى وصل الى حالته الراهنة من الشمول والتعقيد .

– ولقد تطورت المجتمعات تطوراً كبيراً ، وكان فن الحرب سباقاً في هذه التطورات لا تابعاً لها . وكان له دور كبير في اغناء التطورات الحضارية ونشأ عن ذلك تلك التفاعلات العميقة التي انضجت عالمنا المعاصر .

وقد يكون من الخطأ الكبير الاكتفاء بما وصل اليه فن الحرب في عالمنا دون معرفة الجذور العميقة التي غذت هذا الفن ورفدته بالحياة حتى اصبح شجرة خالدة اصلها ثابت وفرعها في السماء .

– لقد تطور فن الحرب ، ولكن الانسان صانع هذا التطور هو الانسان ذاته ، باحاسيسه وانفعالاته ، بارادته وتصميمه ، بضعفه ووهنه ، بعقله الجبار الذي يصنع الاحداث ويطورها . ومن هنا تظهر اهمية دراسة تاريخ فن الحرب وتتعاظم يوماً بعد يوم .

٤ – فن الحرب عند العرب المسلمين :

– أسهم العرب المسلمون اسهاماً كبيراً في تطوير فن الحرب ، وقد يكون دورهم في تطوير هذا الفن أكثر اهمية مما أحدثوه من تطور في مختلف المجالات الاجتماعية من ادب وفن وعلم .

– بدأت الفتوحات الاسلامية في السنة الثالثة عشرة للهجرة (٦٣٤ ميلادية) وقبل مضي أقل من مائة سنة كانت الجيوش الاسلامية قد أزالت اكبر دولتين عرفهما العالم القديم « فارس وبيزنطة » وكانت قوات المسلمين تنتشر من حدود فرنسا واسبانيا غرباً الى الصين شرقاً مع فرض السيطرة على البحر الابيض المتوسط .

– لقد خاضت القوات العربية الاسلامية سلسلة من الحروب الصعبة في ظروف غير متكافئة ، ورغم ذلك استطاعت هذه القوات انتزاع النصر بعد النصر حتى امكن لها انجاز ما حققته .

وقد رافق هذه السلسلة من العمليات انتصارات ونجاحات كبيرة كما

تخللتها هزائم وانتكاسات وكان الثمن في ذلك كله سيولاً من الدماء ومجموعات ضخمة من الاضحيات والشهداء .

ـ ولم تكن هذه العمليات عشوائية ، بل كانت وفق مخططات محكمة دقيقة وضعها القادة ، وقام على تنفيذها مقاتلون لم يشهد التاريخ لهم نظيراً في صلابتهم وصمودهم وايمانهم بالهدف الذي يقاتلون من أجله .

ـ وكانت هذه التجارب التي خاضها العرب المسلمون وما احدثوه من تطور مصدراً هاماً من المصادر التي ساعدت الغرب في انطلاقته وتطوره كما كان لها دور حاسم في تطور الشرق ، رغم كل انكار لهذا الدور وما لقيه من جحود .

٥ ـ التعبئة وحشد القوات :

١ ـ طبق الرسول القائد مبدأ الحرب الشعبية في جميع حروبه وغزواته فكان يستنفر كافة القوى ويحشد كافة الامكانات للمعركة .

ـ وعندما تولى ابو بكر الصديق الخلافة وقامت حروب الردة ، عمل الخليفة ابو بكر على استنفار كل القوى التي امكن له حشدها حتى انتهت حروب الردة باسلام من أسلم وقتل من بقي على ارتداده واعتمد في ذلك بالدرجة الأولى على الانصار والمهاجرين .

ـ ثم بدأت عمليات الفتوح على الجبهتين الشمالية والشرقية . فارسل الخليفة ابو بكر رسالة الى اليمن وكافة الاقاليم يستنفرهم للحرب وجاء في هذه الرسالة :

(لقد استنفرنا المسلمين الى جهاد الروم بالشام وقد سارعوا الى ذلك فسارعوا عباد الله الى ما سارعوا اليه . فانكم الى احدى الحسنيين اما الشهادة واما الفتح) (١) .

ـ وهكذا كانت الدعوة « للناس ، كل الناس » وكل قادر على استخدام

---

(١) تهذيب ابن عساكر ١٢٩/١ .

السلاح او الاسهام بالمجهود الحربي من نساء ورجال صغاراً وكباراً . إلا ان عملية الإستنفار كانت طواعية وغير الزامية .

٢ — تطورت معارك الجبهة الشرقية ، ووجد قائدا الجبهة « خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة الشيباني » ان الطاقة البشرية لديهما لا تستطيع تلبية متطلبات المعركة والقيام بالواجبات المحددة لها . فكتبا الى الخليفة ابي بكر يلتمسان دعمه فاجاب الخليفة :

(استنفرا من قاتل اهل الردة ومن ثبت على الاسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يغزونَّ معكم احد ارتد حتى ارى رأيي) (١) .

وهكذا أذن الخليفة ابو بكر باستنفار كل القوى . وحشد كل الامكانات مستثنياً من ذلك اهل الردة ، تأديباً لهم . واشعارهم بفداحة الجرم الذي ارتكبوه . وكانت هذه العقوبة رادعة في الواقع وتركت آثاراً كبيرة في نفوس المرتدين لا سيما عندما كانوا يشهدون الانتصارات الرائعة التي كان يحققها المسلمون يوماً بعد يوم وهم محرومون من شرف الاسهام بها .

٣ — وعندما انتهى الامر لعمر بن الخطاب . وبلغه عزم يزدجرد على حشد كل طاقاته ضد المسلمين . سمح للمرتدين بالقتال مع المسلمين ولكنه لم يسند اليهم ادواراً قيادية وكتب الى الاقاليم يستنفرها :

(لا تدعوا احداً له سلاح او فرس او نجدة او رأي الا انتخبتموه ثم وجهتموه الي — والعجل العجل) (٢) .

وهكذا اصبح الخليفة عمر يستنفر جميع المقاتلين وبصورة خاصة منهم الفرسان والقادرين على ممارسة ادوار قيادية . ثم انتقل بعد ذلك من الاستنفار الطوعي الى التجنيد الالزامي . فكتب الى المثنى

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٨٤ .

(٢) تاريخ الطبري ٤/٨٢ .

(لا تدعوا في ربيعة ولا مضر ولا حلفائهم احداً من اهل النجدات ولا فارساً الا اجتلبتموه فان جاء طائعاً ـ والا حشرتموه) (١) .

٤ ـ وفي ايام الخليفة عمر توسع مجال الخدمة ، فبدأ بتسجيل المقاتلين . وابدال من يريد ذلك . وتطوع عدد كبير من المسلمين فشكل منهم جيش البدال للتعويض عن خسائر المقاتلين في اليرموك . ثم اصبح التطوع في الجيش والاحتراف فيه يسير جنباً الى جنب مع نظام التعبئة العامة

٥ ـ نتيجة لتوسع الفتوحات لا سيما ايام الأمويين ، لم يعد امر الحرب متروكاً للعرب وحدهم بل اصبح بامكان كل من يشهر اسلامه الاشتراك في الحرب الى جانب المسلمين دونما تمييز ، كما اصبح باستطاعة غير المسلمين ، ان يقاتلوا في صفوف المسلمين فتسقط عنهم الجزية . وقد جاء في وثيقة الصلح بين اهل اذربيجان مع عتبة بن فرقد وفي كثير من وثائق الصلح مع المسلمين الفقرة التالية :

(ومن حشر منهم في سنة ـ وضع عنه جزاء تلك السنة) ـ الطبري٤.

ـ وفي غزوة السوس ـ الجبهة الشرقية ـ انضمت قوات القائد الفارسي « سياه » الى المسلمين . ولاحظ ابو موسى الاشعري عدم حماسة سياه وجنده في القتال فاستدعاه وسأله عن سبب تلك الظاهرة ، فعلم منه ان السبب هو عدم معاملتهم كالمسلمين . فكتب الى الخليفة عمر الذي اجابه :

(الحقهم على قدر البلاء في افضل العطاء ـ واكثر شيء أخذه احد من العرب) (٢) .

٦ ـ على الرغم من دخول العناصر غير العربية في جيش المسلمين باعداد كبيرة ، وعلى الرغم من وصول بعض هذه العناصر الى مراكز قيادية مثل

---

(١) تاريخ الطبري ٨٢/٤ .

(٢) تاريخ الطبري ٢١٨/٤ .

طارق بن زياد فقد استطاع الامويون الحفاظ على التوازن في الجيش . وجعل المراكز القيادية في يد العرب المسلمين . وبقي نظام التعبئة يعتمد بالدرجة الاولى على العنصر العربي المسلم لا سيما في المعارك الحاسمة وفي الاسلحة البحرية وتنظيم الصوائف والشواتي لغزو بلاد الروم .

في فن الحرب – الاستراتيجية :

٦ – تحديد الهدف من الحرب !

– كان الهدف السياسي هو نشر الاسلام . ولهذا كان يسبق كل معركة اتصالات الغرض منها تحقيق هذا الهدف . وكانت هذه الاتصالات تتكرر في اطار من الظروف السلمية ثم في مناخ من الحرب النفسية فاذا فشلت كل الوسائل كانت الحرب هي الوسيلة النهائية لتحقيق ما عجزت الوسائل السلمية عن تحقيقه .

– وكان القادة قبل المعركة يعرضون على خصومهم اختيار واحدة من ثلاث :

١ – الاسلام . ٢ – الجزية . ٣ – الحرب .

– ولم تكن الجزية في الواقع اكثر من وسيلة لخلق مجال للتماس والاحتكاك الدائم بهدف نشر الدين الاسلامي على المدى الطويل . ولا أدل على ذلك من الكلمة المأثورة :

(ان الله بعث محمداً هادياً لا جابياً) (١) .

٧ – اعطاء الافضلية لمسارح العمليات :

– عندما توفي الرسول الاعظم ، اضطربت الجزيرة العربية . وقام المرتدون اعتقاداً منهم بتوفر الفرصة للقضاء على الدين الاسلامي ، وتصدى الخليفة الأول لمجابهة هذا الموقف منذ ساعاته الأولى . فقاد بنفسه اولى العمليات ضد المرتدين .

---

(١) مراجعة بحث عدالة الحروب الاسلامية – في هذا الكتاب .

ولم يهمل بقية المسارح فوجه اسامة بن زيد الى الشام ووجه المثنى الى العراق . وكرس السنة الأولى وهي السنة الحادية عشرة للهجرة من اجل القضاء على المرتدين وعندما تمت عملية اعادة توحيد الجزيرة واصبح بالامكان الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة وجه ثقل العمليات الى الجبهتين الشمالية والشرقية في وقت واحد . وعندما تعثرت العمليات ، ونظراً لعدم توفر الامكانات اللازمة لدعم الجبهتين في وقت واحد ، تم نقل محور ثقل الهجوم الى الجبهة الشمالية ووجهت اليها كافة قوى الدعم واعطيت الجبهة الشرقية اهمية ثانوية . وكان الحافز لذلك هو تقدير اهمية الموقع الاستراتيجي للمسرح الأول . وصدرت اوامر أبي بكر للتخفيف من الجبهة الشرقية لدعم الجبهة الشمالية ، وجاء امر أبي بكر الى خالد بن الوليد الذي كان قائداً للجبهة الشرقية :

(سر بنصف القوة التي معك لامداد اخوانك بالشام – والعجل . العجل . ووالله لقرية من قرى الشام يفتحها الله على المسلمين احب الي من رستاق عظيم من رساتيق العراق) (١) .

– استغرقت عملية الشام السنة الثالثة عشرة للهجرة – كانت الجبهة الشرقية خلالها في حالة جمود تقريباً – وعندما انتهت معركة اليرموك ، تم توفي الخليفة ابو بكر الصديق وعرف الخليفة الثاني عمر بن الخطاب انه اصبح بالمستطاع تحويل محور ثقل الهجوم الى الجبهة الشرقية ، أمر بدعم الجبهة الشرقية وتوجيه القعقاع بن عمرو وهاشم بن عتبة وفي الوقت ذاته حول كافة القوى لدعم الجبهة الشرقية ، وكان في كتاب عمر الى أبي عبيده بن الجراح في الشام :

(اصرف جند العراق الى العراق) (٢) .

– وعندما انتهت معركة العراق ، وانطلقت القوات داخل اقاليم فارس تم العمل في الجبهة الشرقية على ثلاثة محاور : المحور الشمالي والمحور الأوسط

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ١٤٧/١ – والرستاق : الريف دون المدينة .

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ١٥٥/١ .

والمحور الجنوبي -. وقد اعطي المحور الشمالي الافضلية الأولى بسبب اهميته الاستراتيجية كطريق إلى آسيا الوسطى والشمالية .

– وعندما انتهت معركة الشام ، تم تحويل مركز ثقل الهجوم الى الجبهة الغربية وارسلت اليها قوات الدعم من الجزيرة العربية والشام واعطيت الجبهة الغربية الافضلية الأولى في مخطط العمليات .

– عندما تولى عثمان بن عفان خلافة المسلمين . كانت القوات الاسلامية قد احاطت بالهضبة الايرانية ، وكانت الجبهة الشمالية قد استقرت وبقي خطر بيزنطة يتهددها . فتم تركيز الجهد على محور العمليات الغربية مع التركيز على بناء القوة البحرية بهدف تأمين الاتصال بين الدول الاسلامية الواقعة على البحر من جهة وبهدف السيطرة على البحر وحرمان بيزنطة من مجالها الحيوي وقدرتها القتالية .

– وانتهى الامر الى الأمويين ، وكانت عملياتهم باستمرار تسير وفق مخطط الافضلية لمسارح العمليات . فعندما اغارت بيزنطة على حدود الشام ولم يكن باستطاعة معاوية التفرغ لها . عقد صلحاً مع بيزنطة واعطى الافضلية للمقاومات التي هددت حكمه وعندما فرغ من ذلك تحول الى الجبهة الشمالية فقاد الصوائف والشواتي ونظمها حتى وصلت في بعض غزواتها القسطنطينية وحاصرتها فترة طويلة .

– وعندما تمردت فارس اعطيت الافضلية الأولى ، وتم التركيز ايام عبد الملك والحجاج حتى وصلت القوات حدود الصين واحتلت أجزاء كبيرة من شمال آسيا . وعندما استقرت الامور اعطيت الجبهة الغربية الافضلية فكانت عمليات فتح اسبانيا .

– لقد كان الخليفة هو القائد الاعلى للقوات المسلحة ، وكان هو الذي يحدد اهمية مسارح العمليات واعطاءها الافضليات يعاونه في ذلك مجلس الشورى . ولقد كان تحديد مسارح العمليات واعطاءها الافضليات وتحديد الامكانات

اللازمة لنجاح هذه العمليات وتنسيق التعاون بين مختلف المسارح من اول العوامل التي حققت للمسلمين انتصاراتهم في معاركهم الحاسمة .

٨ ـ تحديد الافضليات على الجبهة :

اذا انتقلنا في دراستنا من المخطط العام لمسارح العمليات ، وطالعنا مخططات كل جبهة تصبح الصورة اكثر وضوحاً وهذا هو الخليفة الثاني عمر بن الخطاب بعد معركة اليرموك يكتب لقائده ابي عبيده بن الجراح في هذا الموضوع :

١ ـ أما بعد فابدأوا بدمشق فانهدوا لها فانها حصن الشام وبيت مملكتهم .

٢ ـ واشغلوا عنكم اهل فحل بخيل تكون بازائهم في نحورهم واهل فلسطين واهل حمص .

٣ ـ فان فتحها الله قبل دمشق فذاك الذي نحب .

٤ ـ وان تأخر فتحها حتى يفتح الله دمشق ، فلينزل بدمشق من يمسك بها ودعوها وانطلق انت وسائر الامراء حتى تغيروا على فحل .

٥ ـ فان فتحوها فانصرف انت وخالد الى حمص .

٦ ـ ودع شرحبيل وعمرو واخلهما بالاردن وفلسطين .

٧ ـ وأمير كل بلد عن الجند والناس حتى يخرجوا من امارته (١) .

ـ وهكذا حدد قائد الأمة الاهداف المتعاقبة واعطى لكل هدف الاولية التي يستحقها وفق تأثيره على المخطط العام ودوره فيها .

* * *

ـ ثم ان قائد الأمة يحدد خطورة المعركة بالنسبة لمسرح العمليات ، والنتائج التي تنجم عنها ، وما يجب عمله فيها .

ـ ارسل عمر بن الخطاب الى قائده في العراق سعد بن ابي وقاص رسالة

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٥٧٠ .

يرد فيها على رسالة سعد التي اعلمه فيها بتأخر قدوم الفرس الى القادسية ويسأله عما يجب عليه عمله ، فيقول ابن الخطاب :

١ ــ الزم مكانك لا تبرحه .
٢ ــ فاذا احسوك أنغضتهم ورموك بجمعهم فوحدهم وجدهم .
٣ ــ فاذا انتم صبرتم لعدوكم واحتسبتم لقتاله ونويتم الامانة رجوت أن تنصروا عليهم .
٤ ــ ثم لا يجتمع لكم مثلهم ابداً ، إلا ان يجتمعوا وليست معهم قلوبهم(١).

ــ وقد جاءت مسيرة العمليات ووقعة القادسة وما اعقبها مصداقاً أكد اهمية هذه المعركة وصحة تقدير ابن الخطاب لها .

٩ ــ تنسيق التعاون بين الجبهات :

آ ــ بعد احتلال سوريا بقي أبو عبيـــده بن الجراح في حمص وخالد بن الوليد في قنسرين . واتصل اهل الجزيزة بهرقل وطلبوا دعمه فطلب منهـــم التوجه الى حمص . وارسل هرقـــل قوات من الروم الى حمص . وتوفرت المعلومات عند الخليفة عمر بن الخطاب . وكانت معركة القادسية قد انتهت واصبح بامكانه تقديم دعم للجبهة الشمالية فكتب الى سعد بن ابي وقاص :

١ ــ اندب الناس مع القعقاع بن عمرو ، وسرحهم من يومهم الذي يأتيك فيه كتابي الى حمص ــ فان ابا عبيده قد احيط به وتقدم اليهم في الجد والحث(٢) .
٢ ــ سرح سهيل بن عدي الى الجزيرة في الجند وليأت الرقة فان اهـــل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على اهل حمص .
٣ ــ سرح عبدالله بن عتبان الى نصيبين فان اهل قرقيساء لهم سلف ثم لينغضا حران والرها « ليقاتل اهلها » .

---

(١) تاريخ الطبري ٤٩١/٣ .
(٢) تاريخ الطبري ١٩٥/٤ .

٤ ـ سرح الوليد بن عقبه على عرب الجزيرة من ربيع وتنوخ .

٥ ـ سرح عياضاً فان كان قتال ـ فقد جعلت امرهم جميعاً الى عياض بن غنم .

وتحركت هذه المجموعات القتالية لاهدافها . ولما بلغ اهل الجزيرة تحرك القوات من الجبهة الشرقية . هربوا دونما قتال ولم يتمكنوا من ارسال مقاتليهم ضد ابي عبيده ، واستطاع أبو عبيده بذلك تحقيق نصر حاسم على جيش الروم .

١٠ ـ القوات الاحتياطية :

ـ عندما يضع القائد مخططه للعمليات . فانه يضع كافة الاحتمالات الممكنة. الا أنه قد تحدث في المعركة تطورات غير متوقعة . ولهذا كان قادة العرب المسلمين يحتفظون بقوة احتياطية لمجابهة المواقف الطارئة .

ـ قال خالد بن الوليد الى ابي عبيده بن الجراح اثناء التنظيم لمعركة اليرموك .

(رأيت ان يجلس سعيد بن زيد مجلسك هذا ويقف من ورائه وبحذائه مائتان او ثلاثمائة يكونون للناس ردءاً) (١)

ـ وتم تنفيذ اقتراح ابن الوليد وقامت هذه القوة بتنفيذ الواجبات التالية :

آ ـ سد الثغرة ـ استطاع الروم تحطيم الاجنحة في معركة اليرموك واندفعوا الى عمق ترتيب قتال جيش المسلمين فكانت أول قوة تتصدى لسد الثغرة هي قوة سعيد بن زيد :

(لما نظر سعيد بن زيد الى الروم ، وخافها ، اقتحم الى الأرض وجثى على ركبتيه حتى اذا دنوا منه طعن برايته اول رجل من القوم ثم ثار في وجوههم . واخد يقاتل ... وكان من اعظم الناس ثباتاً (٢) .

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ١٦٤/١ .

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ١٦٨/١ .

كان لصمود القوة الاحتياطية دور كبير في المعركة ، فقد ساعد صمودها على تحويل الموقف . ونجح الفرسان بقيادة خالد بن الوليد وقيس بن هبيرة على مجابهة القوات التي وصلت حتى معسكر النساء ثم بدأ الفرسان بالهجوم المضاد وهنا جاء مراسل من ابي عبيده يكلف القوة الاحتياطية بواجب ثان .

ب ـ الهجوم المضاد :

عندما تحطمت حدة هجوم العدو أمام سلسلة المقاومات المنسقة بالعمق بدأ خالد بن الوليد بهجومه المضاد . ووصل المراسل الى سعيد بن زيد يأمره بالقيام بالهجوم المضاد ، وكان الأمر كالتالي : **(شد عليهم) .** واندفعت القوة الاحتياطية تعمل مع الفرسان بتنسيق تام حتى امكن طرد الروم من مواقع المسلمين واستمرت المطاردة حتى أعيد الروم الى معسكرهم .

ـ حافظ القادة باستمرار على هذا المبدأ ، فكانوا يحتفظون بقوة احتياطية تحت تصرف القائد لمجابهة الطوارىء غير المتوقعة .

ـ وعندما توسعت ميادين القتال وفتحت الشام والعراق وتوغل المسلمون في فارس وبدأت الفتوحات في الجبهة الغربية مصر ، اصدر الخليفة عمر اوامره بتخصيص قوة احتياطية من الفرسان في كل اقليم ، واجبهم التحرك فوراً لدعم كل طارىء في الجبهة او دعم الجبهات الاخرى وذلك كمقدمة ريثما يتم ارسال قوات دعم اكبر .

(كان عمر اتخذ في كل مصر على قدره خيولاً من فضول أموال المسلمين عدة لكون ان كان فكان بالكوفة من ذلك أربعة آلاف فارس) (١) .

ـ وتابع القادة بعد ذلك والخلفاء تنفيذ هذا المبدأ حتى اصبح عاماً وشاملاً في كافة المعارك وفي كافة الاقاليم .

---

(١) تاريخ الطبري ٥١/٤ .

١١ ـ عزل ميدان المعركة :

١ ـ عندما بدأ الخليفة ابو بكر الصديق باستنفار القوات لحرب الروم والفرس ارسل خالد بن سعيد الى تبوك بمهمة عزل مناطق الحشد ومحاور التقدم وأمره ان يكون (**ردءاً للمسلمين**) . وعندما فشل في هذا الواجب وتجاوزه قام عكرمة ابن ابي جهل بهذا الواجب .

ـ وعندما وجه الخليفة عمر قائده سعد بن ابي وقاص الى القادسية اوصاه بقوله :

(ابعث الى فرج الهند « الأيله ـ مكان البصرة حالياً » رجلاً ترضاه يكون بحياله ـ ويكون ردءاً لك من شيء ان اتاك من تلك التخوم) (١) .

فوجه سعد بن ابي وقاص خمسمائة فارس تحت قيادة المغيرة بن شعبة .

٢ ـ بعد فتح جلولاء وصلت رسالة الى سعد بن ابي وقاص من الخليفة جاء فيها :

(... سرح القعقاع بن عمرو في آثار القوم حتى ينزلوا بحلوان فيكونوا ردءاً للمسلمين ..) (٢)

٣ ـ وكان الخليفة عمر قد وجه خالد بن الوليد لفتح العراق من الجنوب وعياض بن غنم لفتحها من الشمال . وحدد لهما « الحيرة » نقطة التقاء واوصاهما

(اذا اجتمعتما بالحيرة وقد فضضتما مسالح فارس ، وامنتما أن يؤتى المسلمون من خلفهم فليكن احدكما ردءاً للمسلمين ولصاحبه بالحيرة ، وليقتحم الآخر على عدو الله وعدوكم من اهل فارس دارهم ومستقر عزهم « المدائن » (٣) .

---

(١) تاريخ الطبري ٨٢/٤ .
(٢) تاريخ الطبري ١٨٥/٤ .
(٣) تاريخ الطبري ٤/٤ .

١٢ ـ الانتقال من الهجوم الدفاعي الى الهجوم الوقائي :

ـ تطورت الخطة العامة للعمليات في الجيوش الاسلامية تبعاً للموقف وبتأثير العوامل التالية :

١ ـ الحصول على قواعد متقدمة .
٢ ـ تزايد القدرة البشرية القتالية .
٣ ـ توفر الامكانات المادية التي تساعد على زج قوات كبرى وحشد جيوش عديدة .
٤ ـ اكتساب خبرات قتالية على مستوى المقاتلين وعلى مستوى « الكادرات القيادية » . وقد ارتبطت هذه التطورات بمراحل زمنية محددة .

ـ انطلقت الجيوش العربية الاسلامية من الجزيرة بقوات لا تتجاوز العشرة آلاف وكانت مهمة هذه القوات تنحصر في تشكيل ستارة وقائية والدخول مع الفرس والروم بمعارك هدفها :

١ ـ تحطيم هيبة الروم والفرس في نفوس العرب .
٢ ـ تحطيم الروح المعنوية لقوات العدو بمعارك قصيرة ومحدودة .
٣ ـ اكتساب خبرات قتالية .
٤ ـ التمهيد لتطوير العمليات واكتساب قواعد متقدمة .

وهكذا خرج خالد بن الوليد الى العراق ، وخالد بن سعيد الى الشام .
عندما تم تحقيق المرحلة الأولى بنجاح تم الانتقال الى المرحلة الثانية التي انتهت بمعركتي القادسية واليرموك .

ـ في المرحلة الثانية تم تطوير المعارك ، وزج قوات اكبر ، وقد وصلت قوات جيوش العرب المسلمين في المعركتين حتى حدود الثلاثين الفاً . وامكن خلال هذه المرحلة تحطيم كفة التوازن في القوى لصالح المسلمين على الرغم من ان نسبة التفوق كانت قبل المعركتين تعادل واحد الى عشرة تقريباً لصالح الروم والفرس .

– عندما امكن للعرب المسلمين تحطيم هذا التوازن . اصبح بامكانهم الانتقال الى مرحلة اكثر تطوراً . واتسعت امامهم ميادين القتال واصبح أفق المعركة رحباً يحتاج الى قوات كبيرة . ولهذا كانت القوات في هذه المرحلة تتجاوز المائة الف على مسرح العمليات الواحد في كل جبهة من الجبهات . وقد استمر هذا التطور في تصاعد حتى نهاية عهد الامويين .

– تبعاً لهذه التطورات – تطورات اساليب القتال – وتطور نظام حشد القوات وزجها في المعركة ، مع ما تبع ذلك من تطورات في انظمة الخدمة في الميدان وفي اسلوب عمل القوات وتحركها فوق ميدان المعركة . ولتصبح هذه الصورة اكثر وضوحاً من مطالعة اوامر القتال وتعليماته بالدرجة الأولى ثم من متابعة مسيرة العمليات بعد ذلك .

١٣ – التطور في اسلوب القتال :

كتب ابو بكر الصديق الى أبي عبيدة بن الجراح عندما بلغه تقدم جيوش الروم وانضمام اهل دمشق لهم ما يلي :

(بث خيولك في القرى والسواد . وضيق عليهم بقطع الميرة والمادة ، ولا تحاصرن المدائن حتى يأتيك امري) (١)

وعندما دعمه بقوات كافية كتب له :

(فان ناهضوك فانهد لهم واستعن بالله عليهم فانه ليس يأتيهم مدد الا امددناك بمثلهم او ضعفيهم .

وعندما عين الخليفة عمر ابن مسعود الثقفي لحرب العراق بعد تسيير خالد الى الشام كتب له :

(اسمع واطع من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم – وأشركهم في الأمر

---

(١) الواقدي – فتوح الشام ١/٤٢ .

ولا تجبين مسرعاً – فانها الحرب ، ولا يصلح لها الا الرجل المكيث الذي يعرف الفرصة والكف)(١) .

– من الواضح ان اسلوب الحذر ، وعدم الدخول في معارك حاسمة كبرى كان الطابع المميز للمرحلة الأولى . ولهذا تميزت حروبهم ومعاركهم بالقصر والحسم ومحاولة تدمير اكبر كتلة من قوات العدو باتباع اسلوب المباغتة والضرب بعنف وقسوة وابادة اكبر قوة للخصم .

– اما في المراحل المتقدمة فقد اصبح الطابع الهجومي هو الواضح . فنطالع في رسالة الخليفة عمر بعد فتح المدائن سنة ١٦ هـ. بعدما بلغه بتجمع الفرس في جلولاء بقيادة مهران وتجمع اهل الموصل بتكريت تحت قيادة « الانطاق » الأمر التالي :

(سرح هاشم بن عتبة الى جلولاء في اثني عشر الفاً واجعل على مقدمتة القعقاع بن عمرو وعلى ميمنته سعد بن مالك وعلى ميسرتـه عمرو بن مالك ابن عتبة واجعل على ساقته عمرو بن مرة الجهني)(٢) .

وسار هاشم بن عتبه وفتح جلولاء. ثم اتبع الخليفة عمر رسالته السابقة بالرسالة التالية :

(ان فتح الله عليكم جلولاء – فسرح القعقاع بن عمرو في آثار القوم حتّى ينزلوا بحلوان فيكون ردءاً للمسلمين ويحرز الله لكم سواركم)(٣) .

وتوجه القعقاع فطارد قوات العدو حتّى خانقين ، وهزم التجمع الذي كان يقوده مهران ، وقتل مهران وفتحت حلوان سنة ١٦ هـ.

– ورجع هاشم بن عتبه من جلولاء الى المدائن بعد فتحها ، وبلغ عمرأن

---

(١) مقدمة ابن خلدون ١٣٥ .

(٢) تاريخ الطبري ١٧٩/٤ .

(٣) تاريخ الطبري ١٨٥/٤ .

ابن الهرمزان يقود تجمعاً للهجوم على جيش المسلمين فكتب الخليفة عمر الى قائده سعد بن ابي وقاص بتوجيه جيش الى ماسبذان لتدمير التجمع وجاء في الرسالة :

(... ابعث اليهم ضرار بن الخطاب في جند واجعل على مقدمته ابن الهذيل الاسدي وعلى مجنبتيه عبد الله بن وهب الراسبي والمضارب العجلي) (١)

— وانطلق ضرار بجيشه ، فدمر تجمع الفرس وقتل الهرمزان ، وفتح ماسبذان .

— وتستمر بعد ذلك اعمال المطاردة وتصفية المقاومات حتى تنتهي عمليات فتح الشام والعراق وتنتقل العمليات الى فارس ومصر ، وخلال هذه المرحلة كانت قيسارية آخر موقع استمر في المقاومة ، وقد ازعج بقاءها الخليفة عمر فكتب الى يزيد بن أبي سفيان :

(اما بعد — فقد وليتك اجناد الشام كله ، اخرج فعسكر بالمسلمين ثم سر الى قيسارية فانزل عليها ثم لا تفارقها حتى يفتحها الله عليك فانه لا ينبغي افتتاح ما اقتحم من ارض الشام على مقام اهل قيسارية فيها وهم عدوكم والى جانبكم ، وانه لا يزال قيصر طامعاً في الشام ما بقي فيها احد من اهل طاعته منيعاً) (٢) .

— وهنا تبرز ايضاً وبشكل واضح ارادة تحطيم جميع الروابط التي كانت تصل دولة الروم مع الشام ودولة فارس مع العراق . وعندما انتهت هذه العملية بدأت مرحلة تصفية دولتي الروم وفارس ذاتهما .

---

(١) تاريخ الطبري ١٨٧/٤ .

(٢) فتوح الشام — الواقدي ٢٥٠ — وفي رواية الطبري ان عمر كتب الى يزيد بن ابي سفيان أن يسرح اخاه معاوية على قيسارية وانه فتحها سنة ١٥ هـ. وهو الرواية الأكثر صحة . وذكر الطبري ان يزيد بن ابي سفيان توفي في طاعون عمواس فلما انتهى مصابه الى عمر ، عين اخاه معاوية بن ابي سفيان على جند الشام وخراجها .

ان هذا المخطط الذي يوافق بين الهدف والامكانات ويطبق السياسة المرحلية لتحقيق التوازن بين معادلة الهدف ـ الامكانات . هو من الميزات الكبرى للعقل الاستراتيجي والفكر الاستراتيجي ايام الفتوحات الاسلامية . وهو عامل اساسي فيما حققه العرب المسلمون من انتصارات ـ .

١٤ ـ التنظيم للمعركة :

ـ كان العرب قبل الاسلام يجيدون ـ بطبيعة حياتهم ـ قتال الاغارة ، والهجوم المباغت ، والانسحاب بسرعة ، وتنفيذ اعمالهم القتالية بهجمات حاسمة . وقد كان هذا الاسلوب يتوافق مع اعدادهم القتالية المحدودة ومع طبيعة مسارح عملياتهم . وكان العرب في دولتي الغساسنة والمناذرة يجيدون اساليب الهجوم المتطورة واعمال الدفاع واستخدام الاسلحة الاجماعية كالمنجنيق والمدرعة ـ وكذلك كان عرب اليمن ايضاً ـ وعندما جاء الاسلام وبدأت الفتوحات الاسلامية ظهرت ضرورة لاجراء تطورات في فنون القتال .

ـ لقد تطور مسرح العمليات ، فلم يعد أفق المعركة محصوراً بحدود قطعة أرض من الجزيرة .

ـ وتطور حجم القوات المقاتلة فلم يعد يقتصر على أفراد قبيلة أو مقاتلي مجموعة قبائل متحالفة ، وأصبح الجيش يضم مقاتلين من جميع الأقطار وكل القبائل .

ـ وتطورت طبيعة الخصم ، فلم يعد العرب يجابهون بعضهم بعضاً بل اصبحوا بعد الاسلام في مجابهة تحدي اكبر دولتين عرفتهما العالم القديم .

ـ وكانت أول ظاهرة عبرت عن هذا التطور هي تنظيم مناطق تجمع ومناطق حشد القوات وتنظيم الجيش في هذه المناطق ضمن تنظيمات قتالية « كراديس » . وكانت ثاني الظواهر تحرك القوات العربية الإسلامية على عدد من المحاور ثم جاءت الظاهرة الثالثة في تطوير فن القتال ذاته .

أ – وضع نظام التسلسل العسكري :

يعلل ابن خلدون ظاهرة تنظيم التسلسل العسكري في الجيوش العربية الاسلامية بما يلي :

(لما كثرت الجنود الكثرة البالغة ، وحشروا من قاصية النواحي استدعى ذلك ان يجهل بعضهم بعضاً اذ اختلطوا في مجال الحرب واعتوروا مع عدوهم الطعن والضرب فيخشى من تدافعهم فيما بينهم لاجل النكراء وجهل بعضهم لبعض فلذلك كانوا يقسمون العساكر جموعاً ، ويضمون المتعارفين بعضهم لبعض وكانوا يقسمون الجيوش والعساكر اقساماً يسمونها كراديس ويسوون في كل كردوس صفوفه) (١) .

وهكذا يقصر ابن خلدون اهداف التنظيم على ضرورة تعارف جند المسلمين وعدم اصطدام بعضهم ببعض . لكن هناك اسباب اخرى تظهر لتكمل هذه الاسباب .

– كانت بداية ظهور الكراديس في معركة اليرموك ، ثم في معركة القادسية.

– وكانت بداية التقسيم العشري ووضع نظام التسلسل في منطقة الحشد « في شراف » قبل التوجه الى القادسية .

وتظهر ضرورة التنظيم من زاوية اخرى في كلمات خالد بن الوليد عندما عقد مؤتمر القادة فقال لهم :

(لا يجوز ان نقابل القوم على تعبية ونحن على تساند) .

ولهذا فان ضرورة مجابهة تنظيم العدو بتنظيم مماثل هي سبب ثان من اسباب ظهور التنظيم في الجيوش العربية الاسلامية .

واما السبب الثالث فهو ضرورة احكام القيادة وتمكين القائد من السيطرة

---

(١) الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر لمؤلفه عبدالرحمن ابن خلدون المغربي– مقدمة ابن خلدون ص ١٣٣ .

على جنوده . وتظهر هذه الضرورة في كلمات الخليفة ابن الخطاب عندما أوصى سعد بن ابي وقاص فقال له وصيته الشهيرة :

(عشر الناس وعرف بهم ... الخ) (١) .

وهكذا فان عوامل ضرورة التنظيم كانت كالتالي :

١ – ضرورة احكام القيادة وتحقيق مبدأ السيطرة على المقاتلين مما يساعد على سهولة الاتصال بهم ومراقبتهم وتوجيههم .

٢ – ضرورة مجابهة تنظيم العدو بتنظيم مماثل .

٣ – ضرورة تعارف الجند في الوحدات ولا سيما انهم اصبحوا من اقطار مختلفة واقاليم متباعدة .

ب – التنظيم للقتال :

(ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص)

– صدق الله العظيم –

– كانت هذه الآية هي بداية التنظيم العسكري في الاسلام واستخدام نظام التنسيق في الهجوم . وكان العرب قبل الاسلام يعرفون الكر والفر ثم تطور نظام النسق الى نظام الكراديس . وأصبح الجيش يقسم الى قلب وجناحين او اربعة اجنحة ومؤخرة . وكان الفرسان يتخذون تنظيمهم القتالي على الاجنحة او امام الانساق الأولى او خلفها تبعاً للموقف . ويذكر ابن خلدون هذا التطور بايجاز :

(كانت الحرب أول الاسلام كله زحفاً وكان العرب انما يعرفون الكر والفر لكن حملهم على ذلك أول الاسلام أمران – احدهمـــا ان أعداءهم كانوا يقاتلونهم زحفاً فيضطرون الى مقاتلهتم بمثل قتالهم – الثاني انهم كانوا مستميتين في جهادهم لما رغبوا فيه من الصبر ولما رسخ فيهم من الايمان ، والزحف الى الاستماتة أقرب) (٢) .

---

(١) طالع تفاصيل التنظيم والتوصيات في معركة القادسية .

(٢) مقدمة ابن خلدون ١٣٣ .

– واقتصرت اعمال الكر والفر او الانقضاض الحاسم والانسحاب بسرعة على اعمال : ١ – الاستطلاع . ٢ – الهجمات المضادة . ٣ – المطاردة واستثمار النصر .

– بعد تنظيم الكراديس ، اصبح التنظيم للقتال يتمثل بالصورة التالية :

أ – الطليعة أو المقدمة « وهي من الفرسان الذين يندفعون حتّى مسافة النظر امام كتلة الجيش الضاربة » .

ب – الكتلة الرئيسية وهي تقسم الى قلب وجناحين او اكثر ، وتبتعد الاجنحة عن القلب احياناً حتّى مسافة الرؤيا ، ويتقدم حملة الرايات صفوف الكتلة الرئيسية ويكون حملة الاعلام والرايات من اقوى الفرسان واشجعهم .

قال الخليفة علي بن ابي طالب يوصي المقاتلين قبل معركة صفين :

(اقيموا راياتكم ولا تُميلوها ولا تجعلوها الا بايدي شجعانكم)

وقال ايضاً :

(قدموا الدارع وأخروا الحاسر ، والتووا على اطراف الرماح فانه اصون للاسنة) .

وفي معركة اليرموك اوصى ابو عبيدة جنده بقوله :

(لا تتركوا مصافكم – ولا تخطوا اليهم خطوة ولا تبدأوهم بالقتال ، وأشرعوا الرماح واستتروا بالدرق والزموا الصمت) (١) .

وقال معاذ بن جبل في المعركة ذاتها :

(اشرعوا الرماح – فاذا حملوا عليكم فامهلوهم حتّى اذا ركبوا اطراف الاسنة – فثبوا في وجوههم وثبة الأسد) (٢) .

---

(١) تهذيب ابن عساكر ١٦٢/١ .
(٢) تهذيب ابن عساكر ١٦٤/١ .

ج – الحرب النفسية :

– قال الرسول صلى الله عليه وسلم : **(نصرت بالرعب) .**

وانتقل الأمر الى الخلفاء الراشدين وبدأت اعمال الفتوح وكان ذلك سبباً في التوسع بتطبيق هذا المبدأ ، وذلك للتعويض عن عدد قلة المسلمين بالمقارنة مع خصومهم . وقد اتبعت لذلك وسائل مختلفة :

١ – الصدق في القول والتصميم على تحقيق الهدف – كان صدق القادة المسلمين في انذارهم لخصومهم بالمصير الذي سينتهي اليه امرهم اذا حاربوا المسلمين وتنفيذهم لوعيدهم بدقة من الاسباب التي احبطت ارادة القتال لدى خصوم المسلمين وذلك لمجرد وصولهم نذير او وعيد . وكان التصميم على تحقيق الهدف من الاسباب التي وضعت المسلمين في موقف الذي « لا يُغلب » .

٢ – الشجاعة في الحرب – وكانت ارادة المسلمين للقتال وعدم انحرافهم عن هدفهم والاندفاع الى الموت دونما تردد لتحقيق هذا الهدف من الاسباب التي كانت تحبط ارادة القتال لدى خصوم المسلمين .

ذكر الطرطوسي حول هذا الموضوع :

(ان من اسباب التغلب في الحروب ان تفضل عدة الفرسان المشاهير من الشجعان في احد الجانبين على عدتهم في الجانب الآخر – مثل ان يكون احد الجانبين فيه عشرة او عشرون من الشجعان المشاهير وفي الجانب الآخر ثمانية او ستة عشر – فالجانب الزائد ولو بواحد يكون له الغلب) (١) .

ولا حاجة للتنويه بما كان يحدثه ظهور نابليون ، ومونتغومري ، وروميل ، وايزنهاور من أثر معنوي في الاصدقاء والاعداء على حد سواء .

٣ – ابادة القادة منذ اللحظات الاولى للقتال – كان العرب المسلمون في فتوحاتهم يستهدفون قتل قادة الخصم منذ اللحظات الأولى للقتال . وكان لذلك

(١) مقدمة ابن خلدون ص ١٣٥ – ويلحق بمعنى الغلب في الحروب – الشهرة والصيت .

انعكاسات نفسية سيئة في مسيرة المعركة التي يقتل فيها القائد وفي مسيرة العمليات التالية بحيث اصبح القادة يعرفون ان مصيرهم الحتمي هو القتل عند اصطدامهم بالمسلمين وكان خوف القادة ينعكس بدوره على المقاتلين .

٤ – **قتل الاسرى والقائهم في مواجهة العدو** – وكان خالد بن الوليد اول من استخدم هذا الاسلوب على نطاق واسع . وكان يستهدف الحصول على القادة بالدرجة الأولى او من لهم مكانة مرموقة وسمعة قتالية جيدة في صفوف اعدائه . وقد اوصى الخليفة عمر قائده سعد بن ابي وقاص بقوله :

(ولا تؤتي باسير ليس له عقد ، الا ضربت عنقه لترهب به عدو الله وعدوك) (١) .

٥ – **المطاردة الحاسمة في القتال** :– كانت المعارك الاسلامية التي تنتهي بانتصار المسلمين لا تترك الفرصة لهروب الاعداد الكبيرة حتى لا يشكلوا مقاومات جديدة . ولهذا كانت مجموعات الفرسان تنطلق مع تحول الموقف وظهور بواكير النصر الى تطويق ميدان المعركة وابادة مجموعات العدو . ونلاحظ وقوع الاعداد الضخمة من القتلى والتي تزيد اضعافاً وبمعدل مرتين او ثلاثة او اكثر عن عدد جيش المسلمين .

ان اسلوب الابادة هذا كان عاملاً من العوامل النفسية لاحباط ارادة القتال عند الخصم . وهو من ناحية اخرى ضرورة لتحطيم توازن القوى الذي لم يكن ابداً لصالح المسلمين في جميع معاركهم .

وهناك فارق كبير بين هذا الاسلوب ، وبين اسلوب التتار في التدمير .

١ – فالمسلمون لم يكونوا يستهدفون في اعمال الأبادة سوى المقاتلين الذين يحملون السلاح ضدهم .

٢ – وهم ايضاً لم يكونوا يقتحمون الحرب الا بعد استنزاف كافة الوسائل

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ١ /٤٠ .

السلمية . وعندما تصبح الحرب هي الوسيلة الحاسمة الوحيدة فان مظهر الحرب عند المسلمين يصل حتى اقصى ابعاده اتساعاً وشمولاً .

٣ ــ ان شواهد الحرب الحديثة ــ ولا سيما الحرب العالمية الثانية وما تبعها ــ قد اتبعت هذا الاسلوب ذاته على الرغم من اختلاف الوسائل واختلاف العامل الزمني .

٦ ــ مطاردة الخصوم واعداء المسلمين حيثما ذهبوا ــ اثناء فتح الجزيرة ارتحلت قبيلة اياد بن نزار الى بلاد الروم ، وعلم الوليد بن عقبه بذلك فارسل الى الخليفة عمر كتاباً يشرح له الموقف . وعند ذلك كتب الخليفة عمر الى هرقل ملك الروم الذي اضطر مرغماً على التخلي عن اياد وتوجيهها الى الشام وكان نص الرسالة :

(انه بلغني ان حياً من احياء العرب ترك دارنا واتى دارك فوالله لتخرجنه أو لننبذن الى النصارى ثم لنخرجنهم اليك) (١)

ان هذا الاسلوب قد حمل اعداء المسلمين على الشعور انه لا قبل لهم بلقاء المسلمين . وانه لا مفر لهم من التسليم لارادتهم والاذعان لنظامهم السياسي والاجتماعي . وكان هذا الاسلوب من الوسائل النفسية التي احبطت ارادة القتال لدى اعداء المسلمين .

١٥ ــ مناطق الحشد ــ والمعسكرات :

(اذا انتهيت الى زرود ــ فانزل بها ــ وتفرقوا فيما حولها) (٢) .

قالها عمر بن الخطاب الى قائده سعد بن ابي وقاص عندما وجهه الى العراق . وكانت زرود منطقة الحشد الأولى .

---

(١) تاريخ الطبري ١٩٨/٤ .

(٢) تاريخ الطبري ٤٨٥/٣ .

– الترتيبات التي كان يتخذها العرب المسلمون في مناطق الحشد :

١ – استطلاع منطقة الحشد « من قبل الرائدة – مفرزة الاستطلاع » .

٢ – التحرك اليها مع اتخاذ ترتيبات أمن المسير .

٣ – الانتشار في منطقة الحشد .

٤ – حفر خندق حول المعسكر .

٥ – ارسال عناصر الأمن وعناصر الحراسة وتوزيعها على اطراف المعسكر .

٦ – ارسال مفارز استطلاع حتى مسافات كافية ولا سيما على المحاور الخطرة.

٧ – اجراء التنظيم للقتال ، وتقسيم القوات الى تشكيلات مقاتلة(١) .

٨ – تنظيم الشؤون الادارية .

– وكانت هذه الاجراءات تطبق ايضاً في كل مرة يتم فيها توقف الجيش ، اما استعداداً للمعركة ، او للراحة ، او في انتظار تعليمات جديدة ، او الانتقال لمرحلة جديدة من مراحل القتال .

(كان من مذاهب الأول في حروبهم حفر الخنادق حول معسكرهم عندما يتقاربون للزحف حذراً من معرة البيات والهجوم على العسكر بالليل ووحشته – فكانوا يحفرون الخنادق على معسكرهم – اذا نزلوا وضربوا أبنيتهم « خيامهم » ويديرون الحفائر نطاقاً عليهم من جميع جهاتهم حرصاً ان يخالطهم العدو بالبيات) (٢) .

– وقال ابو بكر الصيرفي شاعر الاندلس في دروس الحرب :

خندق عليك اذا ضربت محلة : سيان تتبع ظافراً أو تتبع

والواد لا تعبره وانزل عنده : بين العدو وبين جيشك يقطع(٣)

---

(١) مخطط تنظيم القوات – ورسالة الخليفة عمر « ان عشر الناس ، وعرف عليهم » الخ . في معركة القادسية .

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ١٣٤ .

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ١٣٤ .

– وقد جاء في رسالة عبد الحميد الكاتب من الخليفة الاموي مروان بن محمد الى ابنه عبدالله ما يلي :

(اياك ان يكون منزلك الا في خندق – وحصن تامن به بيات عدوك وتستقيم فيه الى الحزم من مكيدتك اذا وُضِعَتْ الاثقال وحطت أبنية اهل المعسكر لم يمدد طنب ولم يرفع خباء ولم ينصب بناء حتّى تقطع لكل قائد ذرعاً معلوماً من الأرض بقدر اصحابه فيحتفروا عليهم خندقاً يطيفونه « أي يحيطونه » بعد ذلك بخنادق الحسك . « وهو نبات له شوك صلب » طارحين لها دون اشتجار الرماح ونصب الترسة .

– وهكذا يكون اول واجب لدى وصول الجند الى المعسكر هو خفر الخنادق واحاطتها بالمحطومات والاغصان الغليظة والنباتات الشائكة التي تعيق الاقتراب من المعسكر . ونظراً لأن هذه المرحلة من المراحل الخطرة بسبب انصراف الجند الى اعمال الحفر ، ووضع الاسلحة وتأمين الشؤون الادارية فقد نظمت الحراسة ودفعت مفارز المراقبة حتّى مسافة بعيدة لحماية الجند اثناء عملية النزول :

(فاذا اردت نزولاً ، أمرت صاحب الخيل التي وكلت بالناس فوقفت خيله منتحية عن معسكرك عدة لأمر ان غالك ومفزعاً لبديهة ان راعتك فقد أمنت بحمد الله وقوته فجأة عدوك . وعرفت موقعها من حرزك حتّى يأخذ الناس منازلهم وتوضع الأثقال في مواضعها ويأتيك خبر طلائعك ، وتخرج دبابتك « بمعنى دوريات » من معسكرك محيطين بعسكرك وعدة لك إن احتجت اليهم) (١)

– من المحتمل جداً قيام العدو بالاغارة ليلاً على معسكر الجند بهدف تحطيم روحهم المعنوية وايقاع الخسائر الكبيرة في وقت يكون فيه الجند مستسلمين

---

(١) رسالة مروان بن محمد الى ابنه عبدالله على لسان عبدالحميد الكاتب .

للراحة والنوم ، ومن اجل مجابهة مثل هذا الموقف ، كانت تخصص قوة احتياطية مكونة من مائة مقاتل ، تقف عند كل مدخل واجبها الاول هو مجابهة الطوارىء ومقابلة العدو واعطاء فرصة للمقاتلين من اجل الاستعداد وخوض المعركة . فاذا كان هجوم العدو كبيراً فان واجب المقاتلين هو التوقف عند حدود الخندق والتصدي لقوات العدو بالرماح والسهام وعدم استخدام السيوف وترك تصفية قوات العدو على عاتق قوة الطوارىء .

(فان ابتليت ببيات عدوك ... كنت له مستعداً ... وألا يتكلم أحد من جندك صوته بالتكبير مفرقاً في الاجلاب معلناً بالارهاب لاهل الناحية التي يقع بها العدو طارقاً ...

(مر جندك بالصمت – وقلة التلفت عند المصاولة ... وإلا يظهروا تكبيراً الا في الكرات والحملات وعند كل زلفة يزدلفونها ... فأما وهم وقوف فان ذلك من الفشل والجبن) ... (١)

– ونظراً للاثر النفسي الذي يحدثه الهجوم المباغت فانه يجب التزام الصمت وقمع محاولات الشغب وعدم الاستماع الى مثيري الفزع . وبما ان الجند في مثل هذه الحالات يتطلعون بابصارهم الى قائدهم فقد وجب على القائد الالتزام باقصى درجات الحزم وضبط النفس ، وعدم تغيير كل ما هو طبيعي مثل ايقاد الاضواء والانارة :

(واياك ان تخمد نار رواقك واذا وقع العدو في معسكرك فأججها ساعراً لها – وأوقدها حطباً جزلاً يعرف به أهل العسكر مكانك وموضع رفاقك فيسكن نافر قلوبهم ، ويقوى واهن قوتهم ، ويشتد منخذل ظهورهم ولا يرجمون بك الظنون) (٢)

ونتيجة لاحتمال قيام العدو بهجوم مباغت فقد وجب ان يكون المعسكر

---

(١) و (٢) رسالة عبد الحميد الكاتب .

محدود الانتشار ذا شكل دائري قدر المستطاع مما يسهل اعمال الحراسة والمراقبة :

(وليكن موضع انزاله اياهم – ضاماً لجماعتهم مستديراً بهم جامعاً لهم ولا يكون منبسطاً منتشراً متبدداً ينشق ذلك على اصحاب الاحراس وتكون فيه النهزة « الفرصة » للعدو والبعد عن المادة – ان طرق طارق في فجآت الليل) (١) .

– فاذا سارت الأمور مسيرة طبيعية ، ولم يتدخل العدو ، فانه يجب على القائد تحديد ساعة الرحيل للجميع بدقة حتى يستفيد الجند اقصى مدة ممكنة من فترة الراحة .

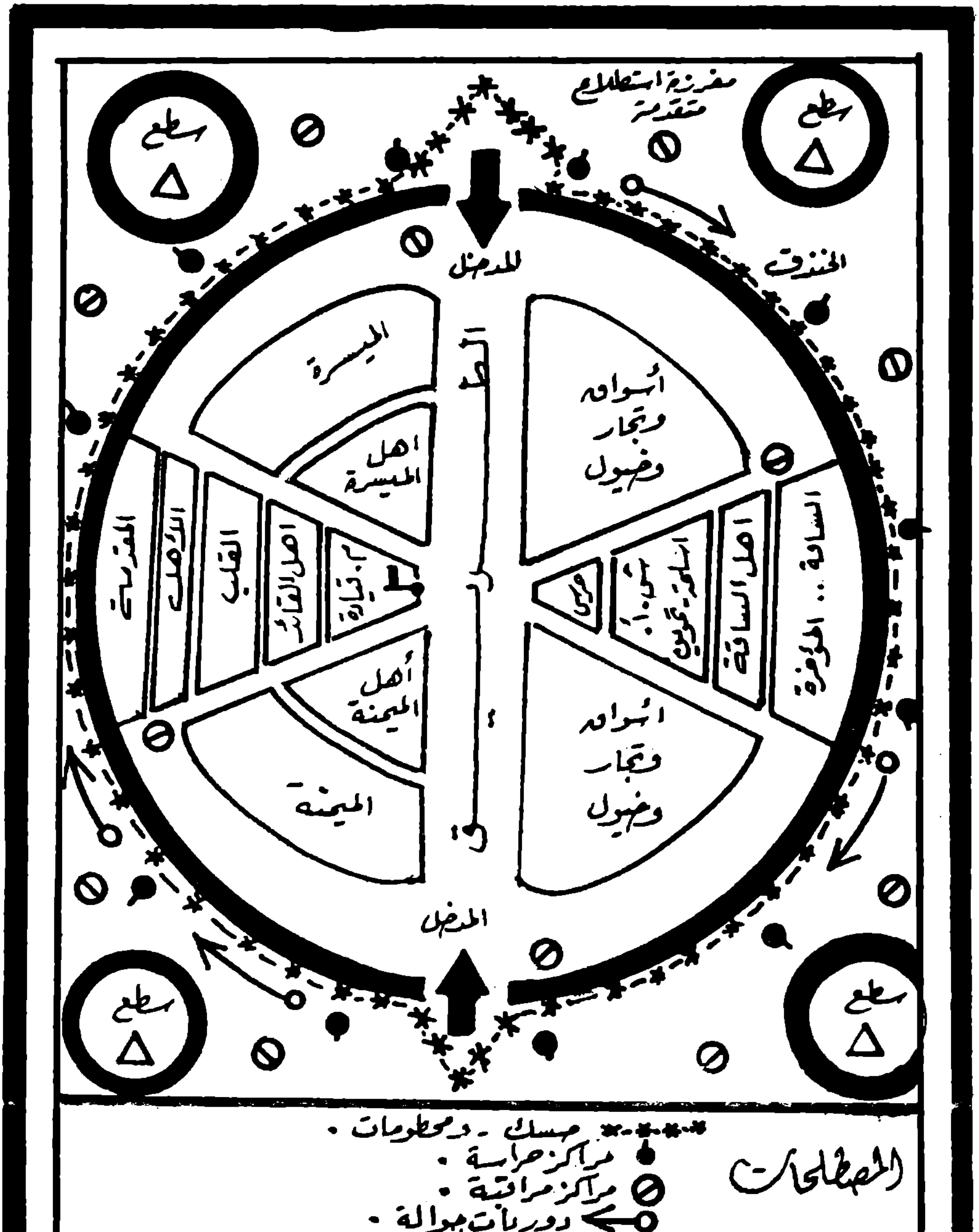
(ليكن رحيلك اباناً واحداً ووقتاً معلوماً لتخف المؤونة بذلك على جندك – ويعلموا أوان رحيلهم فيقوموا فيما يريدون من معالجة اطعمتهم واعلاف دوابهم وتسكن أفئدتهم الى الوقت الذي وقفوا عليه) (٢)

– ان ساعة الرحيل وساعة النزول هما من اخطر الأوقات التي يستهدفها العدو لتحقيق مباغتة بسبب انصراف الجند الى شؤونهم والاستعداد للمسير ولانصراف القادة لتعبئة قواتهم . ولهذا وجب اتخاذ الاحتياطات عند الرحيل بتخصيص وحدة معينة يقع عليها واجبات الحماية المباشرة :

(اياك ان تنادي برحيل من منزل تكون فيه حتى تأمر صاحب تعبئتك بالوقوف باصحابه على معسكرك ، آخذاً بفوهة جنبتيه ، باسلحتهم « لحراسة المداخل والمحاور الرئيسية » وذلك عدة لأمر ان حضر او مفاجأة من طليعة العدو ان رأت منكم نهزة اولمحت عندكم غرة ... ثم مر الناس بالرحيل وخيلك واقفة وأهبتك معدة وجنبتك واقية ، حتى اذا استقللتم من معسكركم وتوجهتم من منزلكم سرتم على تعبيتكم بسكون ريح وحملة وحسن دعة) (٣) .

---

(١) و (٢) و (٣) رسالة عبدالحميد الكاتب من الخليفة الأموي مروان بن محمد الى ابنه عبد الله



تنظيم معسكر المسلمين عند التوقف - وفي منطقة الحشد

١٦ – جمع المعلومات :

أ – الجاسوسية :-

كان العرب المسلمون يعتمدون في جميع معلوماتهم عن العدو على اربعة عناصر :

١ – عناصر الاستطلاع ومفارز الاستطلاع .

٢ – الجواسيس « وكانوا يطلقون عليهم اسم العيون ، أو عيون القائد » .

٣ – الانصار .

٤ – الأسرى .

– وكان القادة على اختلاف مراتبهم يبذلون اهتماماً كبيراً في جمع المعلومات عن العدو والأرض ووحداتهم الخاصة . وكان قائد المسالح هو المسؤول الأول عن جمع المعلومات . وكثيراً ما كان القائد ذاته يباشر اعمال جمع المعلومات او استجواب الاسرى واجراء عملية التقاطع بين المعلومات . والتأكد من صحتها . ثم توزع هذه المعلومات باسرع ما يمكن . وكان القادة بدورهم يتبادلون المعلومات فيما بينهم . ويرسل موجز عن هذه المعلومات الى الخليفة ونتيجة لتجمع المعلومات من مصادر مختلفة عند الخليفة يصبح باستطاعته اتخاذ القرار المناسب فيرسله على شكل اوامر الى قادته . وعندما تكون المعلومات المتوفرة عند الخليفة او القائد منقوصة او غير كاملة فانه كان يبعث الى قادته لاستكمالها ، اويرسل الى قادة آخرين من جبهة ثانية – اذا كان مصدر المعلومات يتعلق بجبهاتهم – فتصله المعلومات وتتوضح صورة الموقف بشكل كامل .

– اوصى عمر الخليفة قائده سعد بن ابي وقاص :

(اذا وطئت ارض العدو – فاذك العيون بينك وبينهم ، ولا يخف عليك امرهم وليكن عندك من العرب او من اهل الأرض من تطمئن الى نصحه

وصدقه . فان الكذوب لا ينفعك خبره وان صدقك في بعضه ـ والغاش عين عليك وليس عيناً لك) (١)

ـ وعندما وجه مروان بن محمد ابنه عبدالله لحرب الضحاك بن قيس الشيباني ارسل اليه رسالة بواسطة عبد الحميد الكاتب جاء فيها :

(اذك عيونك على عدوك متطلعاً لعلم احوالهم التي يتقلبون فيها ومنازلهم التي هم بها ومطامعهم التي قد مدوا اعناقهم نحوها وأي الأمور أدعى لهم إلى الصلح وأقودها لرضاهم الى العافية) (٢) .

ـ وأوصى مروان ابنه بشأن علاقة الجواسيس بعضهم ببعض :

(واحذر ان يعرف بعض عيونك بعضاً ، فانك لا تأمن تواطؤهم عليك وممالأتهم عدوك واجتماعهم عـــلى غشك وتطابقهم على كذبك ... وان يورط بعضهم بعضاً عند عدوك فاحكم امرهم فانهم رأس مكيدتك وقوام تدبيرك وعليهم مدار حربك) .

ـ اما بشأن علاقة الجواسيس ، واسلوب عملهم فاننا نطالع :

(احذر ان يُعرف الجواسيس في عسكرك ، او يشار اليهم بالاصابع ـ وليكن منزلهم على كاتب رسائلك وأمين سرك ويكون هو الموجه لهم والمدخل عليك من أردت مشافهته منهم) ...

(... واعلم أن لعدوك في عسكرك عيوناً راصدة وجواسيس كامنة وأنه لن يقع رأيه عن مكيدتك بمثل ما تكايده به . وسيحتال لك كاحتيالك له فاحذر أن يشهر رجل من جواسيسك في عسكرك فيبلغ ذلك عدوك ويعرف موضعه فيعد له المراصد فان ظفر به فأظهر عقوبته ، كسر ذلك ثقات عيونك وخذلهم عن تطلب الاخبار من معادنها واستقصائها من عيونها حتى يعميروا

---

(١) العقد الفريد ١/٤٠ .

(٢) رسالة مروان بن محمد لابنه عبدالله وضعها عبدالحميد الكاتب .

الى اخذها مما عرض من غير الثقة ولا المعاينة لقطاً لها بالاخبار الكاذبة والاحاديث المرجفة) (١) .

– وللجواسيس معاملة خاصة ، فيجب ان تؤخذ معلوماتهم بعين الحذر ، كما يجب ان يعاملوا هم ايضاً بالحذر ، وذلك لخطورة النتائج المترتبة على المعلومات التي يحصلون عليها او التي يقدمونها وما يتبع ذلك من قرارات – واجراءات :

(اعلم ان جواسيسك وعيونك ربما صدقوك وربما غشوك وربما كانوا لك وعليك فنصحوا لك وغشوا عدوك أو غشوك ونصحوا عدوك وكثيراً ما يصدقونك ويصدقونه – فلا تبدرن منك فرطة عقوبة الى احد منهم ، واستنزل نصائحهم بالمياحة والمناله – « أي بالعطاء والانفاق » وابسط من آمالهم فيك من غير أن ترى احداً منهم انك اخذت من قوله أخذ العامل به والمتبع له) .

(احفظ من عيونك وجواسيسك ما يأتونك به من اخبار) (٢) .

– وقد يحمل الجاسوس معلومات خاطئة اما نتيجة لتقادم الزمن عليها وحدوث احداث مستجدة ، واما لتغيير يحدثه العدو – وهنا يجب ان يدرك القائد الحافز لذلك والسبب – وألا ينحي باللائمة على جاسوسه .

(اياك ومعاقبة احد منهم على خبر ان اتاك به فاتهمته فيه أو سوأت به ظناً وأتاك غيره بخلافه أو أن تكذبه فيه فترده عليه ولعله أن يكون قد محضك النصيحة وصدقك الخبر وكذلك أو ل » فسر – وفهم » أو خرج جاسوسك الأول متقدماً قبل وصول هذا من عند عدوك وقد أبرموا لك امراً وحاولوا لك مكيدة وأرادوا منك غرة فازدلفوا اليك في الاهبة ثم انتقض بهم رأيهم ... واجعلهم « اي جواسيسك » أوثق من تقدر عليه وآمن من تكن

---

(١) و (٢) رسالة مروان بن محمد الى ابنه عبدالله .

الى ناحيته ، ليكون ما يبرم عدوك في كل يوم وليلة عندك ان استطعت ذلك. فتنقض عليهم برأيك وتدبيرك ما أبرموا – وتأتيهم من حيث أمنوا – وتأخذ لهم أهبة ما عليه أقدموا وتستعد لهم بمثل ما حذروا) .

ب – دراسة الأرض :

(قَتَلَتْ ارضٌ جاهلها وقَتَلَ ارضاً عالمها) .

قالها خالد بن الوليد وهو يتحدث الى عمرو بن عبد المسيح بعد معركة بادقي فاجابه عمرو :

(النملة اعلم ما في بيتها من الجمل بما في بيت النملة) (١) .

وكتب الخليفة عمر بن الخطاب الى سعد بن ابي وقاص عندما نزل في القادسية :

(صف لي منازل المسلمين والبلد الذي بينكم وبين المدائن صفة كأني أنظر اليها – واجعلني من امركم على الجلية) (٢) .

كما أوصاه ايضاً عدم زج قواته بالقتال قبل دراسة الارض دراسة دقيقة فقال له :

(لا تعاجلهم المناجزة ما لم يستكرهك قتال حتى تبصر عورة عدوك ومقاتله وتعرف الارض كلها كمعرفة اهلها فتصنع بعدوك كصنعه بك) (٣) .

ج – المحافظة على السر :

(انظر كيف تكون – واضبط لسانك ولا تفشين سرك فان صاحب السر

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٣٦٣ .
(٢) تاريخ الطبري ٤/٨٩ .
(٣) العقد الفريد ١/٤٠ .

ما ضبطه متحصن لا يؤتى من وجه يكرهه واذا ضيعه كان بمضيعة) (١) .

من وصية الخليفة عمر الى أبي عبيد الثقفي عندما وجهه الى العراق :

(اذا قدم عليك رسل عدوك – فاكرمهم – واقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به ولا تبقيهم فيروا حالك ويعلموا علمك وانزلهم في ثروة عسكرك . وامنع من قبلك بمحادثتهم – وكن انت المتولي لكلامهم).

(لا تجعل سرك كعلانيتك فيختلط امرك) (٢) .

من وصية الخليفة أبي بكر الى يزيد بن ابي سفيان .

د – « المسالح » وعملها(٣) :

– المسالح هي نقاط المراقبة المتقدمة من حيث دورها وواجبات افرادها . وكان يتم توزيع هذه النقاط في حالات التوقف او عند حدود العدو .

وكانت مهمة المسالح : مراقبة العدو ، الانذار ، الانسحاب في الوقت المناسب والانضمام الى الكتلة الرئيسية او الى الجيش .

(بعد تحرك خالد للشام قام الفرس بتنظيم هجوم لطرد المسلمين فشعرجند المسالح واعلموا المثنى بن حارثة – فخرج المثنى من الحيرة نحوهم – وضم اليه المسالح (٤) **.**

– وكان يتم انتقاء افضل العناصر واشجع المقاتلين وخيرة القادة لتنفيذ واجبات المراقبة .

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٤٥٤ .

(٢) التاريخ الكامل لابن الاثير ٢/٢٧٦ .

(٣) المسلحة : القوم الذين يحفظون الثغور من العدو وسموا مسلحة لانهم يكونون ذوو سلاح او لانهم يسكنون المسلحة ، والمرقب فيه اقوام يرقبون العدو لئلا يطرقهم على غفلة فاذا رأوه اعلموا اصحابهم ليتأهبوا للقتال . تهذيب ابن عساكر ١/١٤٧ .

(٤) تاريخ الطبري ٣ / ٤٠٩ .

ـ عندما ذهب خالد الى الشام ، خرج المثنى لوداعه حتى قراقر ثم عاد فنظم المسالح ووضع بها افضل القادة واشجعهم . « المرجع ذاته »

ـ وكانت نقاط المراقبة هذه ترتبط بقيادة واحدة . وكان عليها قائد يماثل عمله عمل رئيس الاستخبارات او قائد الاستطلاع وهو من اركان القيادة .

ـ عندما توجه المثنى بن حارثة الى المدينة بهدف مقابلة الخليفة عمر وشرح الموقف له خلف على المسلمين بشير بن الخصاصية ووضع مكانه في المسالح سعيد بن مرة العجلي(١) ويكون بذلك قائد الاستطلاع في المرتبة الثالثة من تسلسل القيادة في الجيش .

ـ ونتيجة للاهمية الكبرى التي تقوم بها مراكز المراقبة في امداد الجيش بالمعلومات وانذاره في الوقت المناسب فانها كانت الهدف الأول من اهداف القتال :

(فاذا اجتمعتما بالحيرة وقد فضضتما مسالح فارس وأمنتما ان يؤتى المسلمون من خلفهم فليكن احدكما ردءاً للمسلمين ولصاحبه بالحيرة وليقتحم الآخر على عدو الله وعدوكم من اهل فارس دارهم المدائن) (٢) .

ـ من توصيات الخليفة عمر الى خالد بن الوليد وعياض بن غنم عندما وجههما لفتح العراق :

واوصى الخليفة عمر سعد بن ابي وقاص التوقف في القادسية وعدم تجاوزها ودفع المسالح الى الامام :

(.. فاذا انتهيت الى القادسية ـ فتكون مسالحك على انقابها ـ ويكون الناس بين الحجر والمدر ـ على حافات الحجر ـ وحافات المدر) .
بمعنى يكون معسكر المسلمين على اطراف العراق وسهوله وتكون المسالح في نقاط المراقبة المتقدمة .

---

(١) تاريخ الطبري ٤١٣/٣ والتاريخ الكامل لابن الاثير ٢٧٦/٢ .
(٢) تاريخ الطبري ٥٤/٢ .

هـ ـ الحرس :

(أذك أحراسك على عسكرك ـ وتيقظ من البيات جهدك) (١)

(اسهر بالليل في أصحابك تأتك الأخبار وتكشف عنك الأستار ـ أكثر حرسك وبددهم في عسكرك ـ وأكثر مفاجأتهم في محارسهم بغير علم منهم بك ـ فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن أدبه ـ وعاقبه في غير إراط . واعقب بينهم بالليل ـ واجعل النوبة الأولى اطول من الأخيرة ـ فانها أيسرها لقربها من النهار ولا تخف من عقوبة المستحق ولا تلجن فيها ولا تسرع اليها) (٢) .

ـ تلك هي بعض التوصيات التي كانت بداية تنظيم الحرس في معسكر المسلمين . وقد كان للحرس دور هام نظراً لما يقوم به من حماية مباشرة للجند خلال فترة راحتهم وهي الراحة التي كانوا بحاجة شديدة لها خلال ايامهم التي اتصلت فيها الحروب والمعارك .

ـ كانت تنظم الحراسة في معسكر المسلمين عند التوقف او اثناء القتال على النحو التالي :

١ ـ تقوم الرائدة باستطلاع المعسكر ، وتعمل على احتلاله حتى تصل القوة الرئيسية .

٢ ـ تنطلق الرائدة عند وصول القوات الى نقاط مراقبة متقدمة بهدف حماية المعسكر اثناء النزول ، وتحقيق أمن القوات ضد كل هجوم مباغت .

٣ ـ تقوم كل كتيبة كردوس بتعيين قوة « طوارىء » تدفعها الى مسافة متوسطة لتحقيق الأمن « وتكون هذه القوة بالتناوب بين الكراديس » .

٤ ـ تقوم كل كتيبة بتعيين الحرس الخاص بها ، وتضعه تحت تصرف قائد

---

(١) العقد الفريد ١/٤ من وصية عمر الخليفة الى قائده سعد بن ابي وقاص .

(٢) الكامل في التاريخ لابن الاثير ٢٧٦/٢ من وصية الخليفة ابو بكر الصديق الى قائده يزيد بن ابي سفيان عندما وجهه إلى الشام .

الحرس الذي يقوم بتنظيم المحارس والارتباط فيما بينها وتكون هذه المحارس متصلة بالنظر ، وتمر عليها دوريات للتفقد .

٥ – توضع امام مداخل المعسكر قوة احتياطية مكونة من مائة مقاتل مهمتها حماية مداخل المعسكر من كل تدخل مباغت ، ويقع عليها واجب مجابهة العدو اذا تسلل الى المعسكر او قام بهجوم مباغت .

وتتضح هذه الصورة من خلال رسالة مروان بن محمد الى ابنه عبدالله عندما وجهه للقتال :

(ليخرج في كل ليلة قائداً في أصحابه او عدة منهم ان كانوا كثيراً على غلوة أو غلوتين من عسكرك[1] منتبذاً عنك محيطاً بمنزلك ذاكية أحراسه ، قلقة التردد مفرطة الحذر معدة للروع متأهبة للقتال آخذة على اطراف العسكر ونواحيه متفرقين في اختلافهم كردوساً كردوساً) [2]

(واجعل ذلك بين قوادك وأهل عسكرك نوباً معروفة وحصصاً مفروضة ، لا تُعر « بمعنى لا تستثني » منها مزدلفاً منك بمودة ولا تتحامل فيه على احد بموجدة) .

أي لا تجعل هذا الواجب بمثابة عقوبة ولا تستثنى منه احد من المقربين اليك .
اما بشأن حماية مداخل المعسكر فكانت تنظم كالتالي :

(اجعل لمعسكرك بابين » – قد وكلت بحفظ كل باب منهما رجلاً من قوادك في مائة رجل من اصحابه فاذا فرغ من الخندق كان ذانك القائدان بمن معهما من اصحابهما أهل ذلك المركز وموضع تلك الخيول – وكانوا هم البوابين والأحراس لذينك الموضعين قد كفوهما وضبطوهما ، وأعفوا من اعمال المعسكر ومكروهه غيرهما) [3] .

---

(١) الغلوة : ابعد مرمى السهم وتعادل ثلاثمائة ذراع .

(٢) و (٣) رسالة عبدالحميد الكاتب – في جمهرة رسائل العرب ٢/٥٠٨ و ٢/٥١٤ و ٢/٥٢٢.

أما بشأن الحرس المباشر واهميته في معسكر المسلمين فنطالع الفقرة التالية :

(اعلم ان مواضع الاحراس من معسكرك ، ومكانه من جندك بحيث الغناء عنهم والرد عليهم والحفظ لهم والكلاءة لمن بغتهم طارقاً أو أرادهم مخاتلاً ، ومراصدها ـ المنسل منها والآبق من أرقائهم وأعبدهم ـ وحفظها من العيون والجواسيس من عدوهم) .

وفي هذه الفقرات حددت مهمة الحرس كالتالي :

١ ـ وضع الحرس في اماكن محددة يستطيعون ممارسة المراقبة وتؤمن لهم الحماية .

٢ ـ تكون هذه المحارس على اتصال فيما بينها ومع قائد الحرس .

٣ ـ الحذر من تسلل العدو او خداعه .

٤ ـ عدم السماح لاحد بمغادرة المعسكر او الدخول اليه .

٥ ـ الحذر من جواسيس العدو .

ـ ونظراً لأهمية الواجب الذي يضطلع به الحرس ، فقد وضعت شروط معينة لانتقاء قائد الحرس :

(« مر قائد الجيش » فليول على حرسه رجلاً ركيناً مجرباً جريء الاقدام ذاكي الصرامة ـ جلد الجوارح بصيراً بمواضع أحراسه .

١٧ ـ المسير :

(ترفق بالمسلمين في مسيرهم ـ ولا تجشمهم مسيراً يتعبهم ، ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم ، والسفر لم ينقص من قوتهم فانهم سائرون الى عدو مقيم حامي الأنفس والكراع).

(أقم بمن معك في كل جمعة يوماً وليلة حتى تكون لهم راحة يحيون فيها انفسهم ويرمون اسلحتهم وامتعتهم [1]).

---

(١) العقد الفريد ١/٤٠ .

– من وصية الخليفة عمر الى سعد بن ابي وقاص . وتظهر من خلال الكلمات القليلة المعطيات التالية :

آ – ان المسير هو مرحلة للتقرب من العدو ، والدخول في المعركة ، ولهذا يجب الا يستنزف المسير قوة المقاتلين بحيث يلقاهم العدو وهم في جهد لا يمكنهم من القتال بقوة وعناد لا سيما وان العدو مقيم في ارضه لم ينله من التعب شيئاً وهو الى ذلك يختار ميدان القتال ويعرف الارض التي سيقاتل فوقها .

ب – تحديد فترة راحة اسبوعية بهدف توفير الراحة الجسمية والنفسية للمقاتلين ، فيزول عنهم خلال هذه الراحة توتر القتال ، فيضعون اسلحتهم وينصرفون الى شؤونهم الشخصية .

– ونظراً لان المسير الى القتال هو مرحلة من مراحل الحرب يحتمل الالتقاء خلالها مع قوات العدو في كل وقت فانه من الضروري ان تكون القوات على استعداد دائم للقتال وان يكون تشكيلها للمسير مساعداً على الانتشار والانتقال الى تنظيم القتال بأسرع ما يمكن مع توفر شروط الحيطة المطلقة حتى لا تباغت القوات بهجوم غادر . وقد نظم رتل المسير في القوات العربية الاسلامية الى مقدمة « طلائع » ، واجناب ، ومؤخرة « ساقة » . وكانت القوات الرئيسية والشؤون الادارية توضع في وسط هذا الترتيب بحيث تحيط بها قوات الحماية من كل اطرافها . وقد أوصى الخليفة الاموي مروان بن محمد ابنه عبد الله بتنظيم المسير فكتب له :

(اذا كنت من عدوك على مسافة دانية . فتأهب أهبة المناجز – وكتب خيولك « كتائب » وإياك والمسير الا في مقدمة وميمنة وميسرة وساقة – قد شهروا الأسلحة ونشروا البنود والاعلام – ... عرف جندك مراكزهم ، سائرين تحت ألويتهم ، قد أخذوا اهبة القتال – واستعدوا للقاء ، ملتجئين إلى مواقفهم ، عارفين بمواضعهم في مسيرهم ومعسكرهم ، وليكن ترحلهم

وتنزلهم على راياتهم واعلامهم ومراكزهم ، قد عرف كل قائد منهم اصحابه مواقفهم من الميمنة والميسرة والقلب والساقة والطليعة ، لازمين لها ، حتى تكون عساكرك في كل منها تصل اليه ، ومسافة تجتازها كأنها عسكر واحد في اجتماعاتها على العدو واخذها بالحزم) (١) .

آ ـ الطلائع (٢) « كتيبة الاستطلاع المتقدمة» :

ـ كان الجيش اثناء التحرك يقسم الى طلائع ، ومقدمات ، واجناب ، ومؤخرة . وتتحرك الكتلة الرئيسية في وسط هذه التشكيلات . اما الشؤون الادارية فكانت تسير قبل المؤخرة وتقوم على حراستها المؤخرة ، الساقة .

ـ اسلوب عمل مفرزة الاستطلاع :

كانت مفرزة الاستطلاع تتقدم مسافة كافية عن الرتل المتحرك ، بمهمة :

١ ـ تأمين الرتل ضد مباغتات العدو .

٢ ـ ازالة المقاومات الصغرى .

٣ ـ اعطاء القوة الرئيسية الفرصة المناسبة للتدخل اذا كان هجوم العدو بقوات كبيرة .

ـ اوصى الخليفة عمر قائده أبا عبيده بن الجراح عندما وجهه الى الشام ، وكان مما قاله له :

(لا تنزل جندك منزلاً قبل أن تستريده لهم وتعلم كيف مأتاه) (٣) .

ـ كما اوصى سعد بن ابي وقاص قبل القادسية :

(وليكن منك عند دنوك من ارض العدو ان تكثر الطلائع وتبث السرايا بينك وبينهم فتقطع السرايا امدادهم ومرافقهم ـ وتتبع الطلائع عوراتهم (٤)

---

(١) رسالة مروان بن محمد الى ابنه عبدالله ارسلها عبدالحميد الكاتب .

(٢) مخطط تحرك القوات ـ طالع وقعة القادسية .

(٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر ١٥١/١ ـ وفتوح الشام للواقدي ٨٦ .

(٤) العقد الفريد لابن عبد ربه ٤٠/١ .

- وكانت عناصر الاستطلاع تنتقـــل من نقطة مراقبة الى نقطة مراقبـــة ويصف مقاتل عمل مفرزة الاستطلاع عند تقدم المسلمين الى عذيب الهيجانات قبل القادسية :

(وصلنا عذيب الهيجانات في وجه الصبح - وخرج زهرة بن الحوية لازالة مسالح الفرس - وكانت العذيب مسلحاً من مسالحهم ازاله الحوية قبل وصول القوات) .

وكانت المفرزة تتوقف حتّى تلحق بها القوة الرئيسية عند مشاهدة قوة كبرى للعدو :

(كنا في سرعان الخيل - وشاهدنا اناساً بين الابراج والشرفات فتوقفنا حتّى تلاحق بنا كثف الجماعة) (١)

- ونظراً لأهمية الدور الذي تضطلع به مفارز الاستطلاع فقد كان يتّم انتقاء المقاتلين امهرهم والقادة أذكاهم وأقدرهم على تقدير المواقف ومعالجتها كما كانوا يجهزون بافضل الاسلحة والخيول .

- أوصى الخليفة عمر قائده سعد :

(اختر للطلائع اهل الرأي والبأس من اصحابك ، وتخير لهم سوابق الخيل فان لقوا عدواً كان اول ما تلقاهم القوة من رأيك) (٢) .

- وقال ابو بكر الصيرفي حول اختيار عناصر الطليعة :

(واجعل من الطلاع أهل شهامة : للصدق فيهم شيمة لا تخدع) (٣)

ان الطلائع هي القوة التّي تجابه العدو ، وتتلقى الصدمة المباشرة ولهذا كانت باستمرار موضع عناية القائد ، فكان يتدخل لاختيار عناصرها ويقوم بتفتيشهم شخصياً وكثيراً ما كان يسير معهم . وكان القائد يحرص على تجريد المقدمة من

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٤١٤ .

(٢) العقد الفريد ١/٤٠ .

(٣) مقدمة ابن خلدون ١٣٤ .

كل ما يثقلها من عتاد ومتاع . ويظهر ذلك واضحاً من وصية مروان بن محمد الخليفة الاموي عندما وجه ابنه عبدالله للقتال فارسل له رسالة كتبها له عبد الحميد الكاتب وجاء فيها :

(واياك ان تدخل فيهم احداً بشفاعة او تحتمله على هوادة أو تقدمه لأثرة ... أو أن يكون مع أحد منهم بغل نفل « زيادة لا حاجة له » او فضل من ظهر أو ثقل فادح – فتشتد عليهم مؤونة انفسهم ويدخلهم كلال السآمة فيما يعالجون من اثقالهم ويشتغلون به عن عدوهم ان دهمهم منه رائع أو فجأهم منه طليعة) (١) .

– وأوصاه ايضاً :

(تقدم في طلائعك فانها أول مكيدتك ورأس حربك ودعامة أمرك ، فانتخب لها من كل قادة وصحابة رجالاً ذوي نجدة وبأس وصرامة وخبرة ، حماة كفاة ، قد صلوا بالحرب وتذاوقوا سجالها وشربوا مراراً كؤوسها ... ثم انتقهم على عينك ... واعرض كراعهم « خيولهم » بنفسك واياك أن تقبل من دوابهم الا إناث الخيول ... فانها اسرع طلباً وانجى مهرباً ، وألين معطفاً وأبعد في اللحوق غاية وأصبر في معترك الابطال اقداماً) .

– أما اذا اراد القائد عدم السير في المقدمة ووجد أن وجوده مع الاجناب او القوة الرئيسية هو الافضل فان عليه الحذر في انتقاء قائد الطلائع :

(اعلم ان الطلائع حصون المسلمين وعيونهم وهم أول مكيدتك – ... فانتخب للولاية عليهم رجلاً بعيد الصوت – مشهور الاسم ... ظاهر الفضل ... نبيه الذكر .. له في العدو وقعات معروفات وايام طوال وصولات متقدمات .. قد عرفت نكايته وحذرت شوكته وهيب صوته) (٢) .

---

(١) – و – (٢) رسالة مروان على لسان عبد الحميد الكاتب

ب ـ المؤخرة « الساقة » :

لا تقل الساقة في اهميتها عن الطليعة ودور الساقة والطليعة متشابه كما أن دورهما الوظيفي متماثل ، فالواجب الملقى عليهما هو حماية القوات الرئيسية . وتزداد اهمية الساقة عند التوغل في بلاد العدو أو اثناء الانسحاب من موقع الى موقع أو اثناء التراجع بعد هجوم فاشل ، ففي مثل هذه المواقف يحاول العدو مباغتة القوات وضربها من الخلف وتحطيم ذيلها الاداري الذي يتبعها عادة . ومن اجل ذلك كانت عناية العرب المسلمين بالساقة كبيراً .

ـ تولى ابو عبيده بن الجراح قيادة الساقة عندما بدأ الانسحاب في اتجاه اليرموك . وحدثت معركة كبيرة عند ما خرج اهل دمشق لمطاردة القوات المنسحبة ، ولولا تدخل خالد بن الوليد وضرار بن الازور مع قوة الفرسان في الوقت المناسب لأصيبت قوة المسلمين بكارثة أكيدة(١) .

عند الانسحاب من الجولان الى اليرموك ، عقد مؤتمر حضره سفيان بن حرب واقترح فيه التحرك الى اليرموك ، ووضع خالد على المؤخرة « الساقة » :

(اجعلوا خالداً بن الوليد أمير الخيل ، ومروه بالوقوف فيما بين المعسكرين فانه سيكون لرحيل العسكر وقت السحر اصوات عالية تحدث لعدوّكم فيكم طمعاً ، فان أقبلوا يريدون ذلك ، لقيتهم الخيول فكفتها ، وإن كانت للخيول جولة ـ دافعت عنها الرماة) (٢) .

واصى مروان بن محمد ابنه عبدالله في رسالة عبدالحميد الكاتب بما يلي :

(اجعل على ساقتك أوثق اهل عسكرك في نفسك صرامة ونفاذاً ورضاً في العامة ... ثم اكنف معه الجمع وايده بالقوة . وقوة بالظهر ، ومره بالعطف على ذوي الضعف من جندك ومن أزحفت به دابّته ، وأصابته نكبة من مرض

(١) فتوح الشام ـ الواقدي ١/٥٠ .

(٢) تهذيب ابن عساكر ١/١٦٣ .

..أو رجلة أو آفة من غير ان يأذن لاحد منهم في التنحي عن عسكره او التخلف بعد ترحله الا لمجهود سقماً او لمطروق بآفة جائحة) .

ـ ان الساقة تسير في مؤخرة الجيش ، والجند خلال المسيرة المضنية واثناء المعارك المتصلة ، يصابون بالامراض والجراح التي تعيقهم عن متابعة المسير بالسرعة التي يسير فيها الرتل ومن واجب قائد الساقة اعطاء تعليماته لمساعدة مثل هؤلاء من اجل اللحاق بقواتهم ، إلا ان هناك احتمال ان يتسلل الى القوات جواسيس العــدو وعناصر استطلاعه ويغتنمون فرصة المسير للتظاهر بالمرض والتخلف عن الرتل والالتحاق بقياداتهم لاعلامها عن تحركات المسلمين واخبارهم ولهذا كانت الأوامر صارمة في عدم السماح لاحد بالتخلف عن المؤخرة ، عدم ترك احد وراء المؤخرة . فاذا كان مريضاً حقاً تم الحاقه بقطعته واذا كان دخيلاً على المعسكر لم يتمكن من مغادرته . ونظراً لهذه الاهمية ، فقد كان يتم تنظيم قوة احتياطية صغيرة تتبع المؤخرة ، واجبها الاول هو جمع المتخلفين والحاقهم بقطعاتهم وتقديم المساعدة لهم مع البقاء على اتصال مع المؤخرة حتى لا تؤخذ هذه القوة بالمباغتة فيقضى عليها .

(اجعل خلف ساقتك رجلاً من وجوه قوادك ـ جليداً ـــــ ماضياً عفيفاً صارماً ـ شهم الرأي شديد الحذر شكيم القوة ... في خمسين فارساً من خيلك ، يحشر اليك جندك ـ ويلحق بك من يتخلف عنك) (١) .

٧ ـ قوة الاجناب :

قوة الاجناب ، من عناصر أمن رتل المسير ايضاً ، وواجباتها مماثلة لواجبات المقدمة والمؤخرة ، وتكون من القوات الخفيفة المستعدة لمجابهة الطوارىء .

-- تبقى قوة الاجناب في مواقعها لحماية الرتل عند ظهور قوة خفيفة تستطيع

(١) وصية مروان بن محمد الخليفة الاموي الى ابنه عبدالله في رسالة عبدالحميد الكاتب .

المقدمة ازالتها وحدها . اما اذا اصطدمت المقدمة والمؤخرة بقوات كبيرة وتبين ان هذه القوات هي كتلة العدو الرئيسية وليست طلائعاً له تحولت هذه الاجناب من تنظيم الرتل الى تنظيم النسق واصبحت اجنحة للمقدمة والمؤخرة وتتدخل القوات الرئيسية للمعركة وتتابع الاجنحة عملية التطويق حتى تتمكن من الاحاطة بالعدو وتدميره .

– نتيجة لاجراءات الامن المتخذة يصبح أمر مباغتة قوات المسلمين صعباً ، ويكون لديهم وقت كاف لدخول معاركهم بروح معنوية عالية وتنظيم جيد واستعداد للقتال . ويصف مروان بن محمد هذا الموقف بالكلمات التالية :

فاذا اتخذت هذه الاجراءات كنت :

(« متشزناً في حربك » « أي مستعداً لها » آخذاً بالحزم في سوء الظن معداً للحذر ، محترساً من الغرة ، كأنك في سيرك كله ونزولك اجمع مواقف لعدوك رأي عين تنتظر حملاتهم وتتخوف كراتهم معداً أقوى مكايدك وأرهب عتادك) .

١٨ – الجندي في الجيش العربي الاسلامي :

كان للجندي العربي في الجيش مكانة سامية وذلك نظراً للواجب الثقيل الملقى عليه في حمل رسالة الامة الى كل مكان فوق سطح الكرة الارضية ، ونظراً لقلة عدد العرب المسلمين بالنسبة لمجموع القوى التي كان عليهم مجابهتها فقد كان الجندي عنصراً عزيزاً على قيادته وجيشه ، تحرص القادة على مختلف المستويات من اجل حمايته والحفاظ عليه . وها هو الخليفة عمر يوصي قادته في اكثر رسائله :

(لا ترسل طليعة ولا سرية في وجه تتخوف فيه غلبة او ضيعة أو نكاية) (١)

– بمعنى لا ترسل سرية او قوة في اتجاه يحتمل ان تقابل فيه قوة اكبر او

---

(١) العقد الفريد ١/٤٠ .

تقع في كمين او تتيه في شعاب الارض . ثم يشدد الخليفة عمر في تعلمياته بشأن توجيه القوات والحفاظ عليها فيقول لابي عبيده بن الجراح :

(لاتقدم المسلمين الى هلكة رجاء غنيمة – واياك والقاء المسلمين في الهلكة... ولا تبعث سرية الا في كثف من الناس) (١)

– وعندما علم الخليفة عمر بخروج العلاء الحضرمي على غير ارادة منه لغزو فارس . وعرف انهم سيجابهون الفناء المحتم كتب الى عتبه بن غزوان :

(ان العلاء الحضرمي قد حمل جنداً من المسلمين فأقطعهم اهل فارس وعصاني وأظنه لم يرد الله بذلك – فخشيت عليهم الا ينصروا وان يغلبوا او ينشبوا « يؤسروا » فاندب اليهم الناس ، واضممهم اليهم قبل ان يجتاحوا) (٢) .

– واسرع عتبه بن غزوان بجيشه ، فأنقذ جند العلاء الحضرمي بعد ان كان الفرس قد احاطوا بهم ولم يبق لهم من مصير سوى الفناء المحتم .

– وكان السبب في منع ركوب البحر ايام الخليفة عمر هو خوفه على جند المسلمين من الغرق والتهلكة .

– لكن هذا الحرص على حياة المسلمين لم يكن يتجاوز حدود الأبوة . ولم يكن الا في حدود تنفيذ الواجب . فكتب الخليفة عمر الى ابي موسى الاشعري وقد عينه لولاية البصرة :

(عُدْ مرضى المسلمين – واشهد جنائزهم – افتح بابك لهم وباشر أمرهم بنفسك) (٣) .

(لا تغفل عن اهل عسكرك فتفسده – ولا تجسس عليهم فتفضحهم – ولا تكشف الناس عن اسرارهم – واكتف منهم بعلانيتهم) (٤) .

---

(١) تاريخ الطبري ٥٤/٤ .

(٢) تاريخ الطبري ٢١٣/٤ .

(٣) العقد الفريد ٢٨/١ والبيان والتبيين ١٥٥/٢ .

(٤) التاريخ الكامل لابن الاثير ٢٧٦/٢ .

ان هذه المعاملة الابوية وهذا الحرص يقف عند عدم انتهاك الحدود . فاذا انتهكت حدود الله فان اقامة الحد هو الجزاء الحتمي والعادل الذي يطبق على الجميع ، لا فرق بين جندي وقائد ، وأسوتهم في ذلك رسول الله عندما قال :

(والله لو ان فاطمة بنت رسول الله سرقت لأقمت الحد) «قطعت يدها» .

وبما ان الجندي هو الذي يحمل رسالة الامة ، وهو الذي يمثلها في وجه العدو فقد كتب الخليفة عمر الى سعد بن ابي وقاص :

(ان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم) (١)

وكتب في رسالة أخرى :

(أخف الفساق واجعلهم يداً يداً ورجلاً رجلاً) (٢) .

بمعنى كبل ايديهم وارجلهم بالاغلال والقيود عقوبة لهم .

– والانضباط في الجيش العربي الاسلامي قاس ، لا هوادة فيه فالخليفة يتمتع بسلطة دينية دنيوية تفرض طاعته فرضاً . « أطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم » . وهذا الانضباط الطوعي المتلاحم مع العقيدة التي يقاتل الجيش من اجلها عامة شاملة لا تستثني احداً صغيراً أو كبيراً رئيساً او مرؤوساً .

– يشعر الخليفة عمر أن بقاء خالد بن الوليد في قيادة الجند اصبح غير مرغوب فيه ، فيرسل أمراً بعزله ، فيتقبل ابن الوليد الأمر بالطاعة والرضى وهو الذي دانت له الامصار وخضعت له الجيوش فيقاتل تحت راية ابي عبيده جندياً مخلصاً لرسالة أمته .

– ويعلم الخليفة عمر أن خالد بن الوليد أهدى الاشعث بن قيس عشرة

---

(١) العقد الفريد ١/٤٠ .

(٢) التاريخ الكامل لابن الاثير ٢/٢٧٦ .

آلاف درهم فيرسل من يحقق معه على مشهد من المسلمين ويعقله بعمامته .

– ويعلم الخليفة عمر أن حذيفة اليمان قد تزوج بامرأة اجنبية من اهل فارس بعد فتح المدائن فارسل له :

(بلغني انك تزوجت امرأة من اهل المدائن من اهل الكتاب فطلقها) .

فكتب الى الخليفة :

– ألا افعل حتى تخبرني أحلال ام حرام ، وما اردت من ذلك ، فاجابه الخليفة :

(لا بل حلال ولكن في نساء الاعاجم خلابة ، بمعنى الخدعة والغدر ، فان اقبلتم عليهن غلبنكم على نسائكم) (١) .

– ويتشدد الخليفة الأموي مروان بن محمد بشأن الانضباط فيوصي ابنه :

(فوض الى امراء اجنادك وقواد خيلك أمور اصحابهم والأخذ على قافية ايديهم رياضة منك لهم على السمع والطاعة لامرائهم والاتباع لامرهم والوقوف عند نهيهم – واعلم ان في استخفافهم بقوادهم وتضييعهم أمر رؤسائهم دخولاً للضياع على اعمالك واستخفافاً بأمرك الذي يأتمرون به (٢)

١٩ – قصة المعركة :

– اصبح بالامكان بعدما سبق ذكره تصوير قصة المعركة :

– يحاول الخليفة تجنب الحرب وتحقيق الهدف بالوسائل السلمية فيرسل الوفود ويبعث الكتب من أجل نشر رسالة الاسلام . متبعاً في ذلك قوله تعالى :

(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)

وعندما تصبح الحرب امراً حتمياً ، يستنفر القوات ويوجهها الى مناطق الحشد .

---

(١) تاريخ الطبري ١٤٧/٤ .

(٢) رسالة مروان بن محمد لابنه عبدالله .

– تتخذ في مناطق الحشد اعمال التنظيم مع اتخاذ اجراءات الامن .

– تنطلق الجيوش على محاور مختلفة محققة الاتصال فيما بينها بواسطة المراسلين

– يبقى سيل المعلومات مستمراً في الوصول الى القائد ، من اعلى عن طريق الخليفة او من الجوار بواسطة قادة الجيوش وحكام الاقاليم وعن طريق الجواسيس وعناصر الاستطلاع والانصار . وفي الوقت ذاته يحاول القائد الحصول على المعلومات بواسطة الاستطلاع الشخصي .

– نتيجة لتوفر المعلومات يقدر القائد موقفه ويحدد أفضل المواقع لمجابهة العدو وافضل تنظيم يقاتله به وهو في الوقت ذاته لا يتخلى عن سلاح الحرب النفسية ومحاولة تحقيق الهدف بالوسائل السلمية :

(اعلم أن أحسن مكيدتك ... ما نلت الظفر فيه بحزم الروية لا بالقتل واخطار التلف ..) (١) .

– فاذا كان العدو متفوقاً يحاول القائد عزل ميدان المعركة ، وتحطيم ارادة القتال عند الخصم بقطع الامداد عنه وحرمانه من الشؤون الادارية والتموين . ويكتب الى الخليفة الذي يرسل له الدعم ، ويعمل على فتح جبهة ثانية يشاغل العدو بها كما فعل الخليفة عمر عندما ارسل قوات من العراق الى الجزيرة لفتح جبهة في بلاد الروم واشغالهم بانفسهم عن حرب ابي عبيده في حمص وحرمانهم من دعم السكان الموالين لهم .

– ويتابع القائد استطلاعه للارض وجمع المعلومات عن العدو متمثلا بقول الرسول الاعظم واقوال العرب القدماء :

(الحرب خدعة ...) (ورب حيلة انفع من قبيلة) .

– والقائد خلال ذلك يتابع مراقبة جنده محافظة منه على روحهم المعنوية وارادتهم القتالية ، ويعين القادة الاكفاء لقيادتهم :

---

(١) من وصية مروان بن محمد لابنه عبدالله في رسالة عبد الحميد الكاتب .

– اوصى الخليفة عمر قائده سعد بن ابي وقاص :

(اجعل امر السرايا الى اهل الجهاد والصبر على الجلاد – ولا تخص بها احداً بهوى فتضيع رأيك وأمرك اكثر مما حابيت به اهل خاصتك) .

– واوصى الخليفة الاموي مروان بن محمد ابنه عبدالله في رسالة عبد الحميد الكاتب :

(ول شرطتك وأهل عسكرك اوثق قوادك عندك واظهرهم نصيحة وانفذهم بصيرة في طاعتك واقواهم شكيمة في امرك وامضاهم صريمة واصوفهم عفافاً . واجزأهم غناء وأصحهم ضميراً وأرضاهم في العامة ديناً وأحمدهم عند الجماعة خلقاً واعطفهم على كافتهم رأفة واحسنهم لهم نظراً وأشدهم في دين الله وحقه صلابة ... وليكن عالماً بمراكز الجنود ، بصيراً بتقدم المنازل ، مجرباً ذا رأي وتجربة وحزم في المكيدة ، له نباهة في الذكر وصيت في الولاية ، معروف البيت مشهور الحسب ، وتقدم اليه في ضبط معسكره واذكاء أحراسه في أثناء ليله ونهاره ثم حذره ان يكون منه اذن لجنده في الانتشار والاضطراب والتقدم لطلائعك فتصاب لهم غرة يجتريء بها عدوك عليك ويسرع اقداماً اليك ويكسر من أياد جندك ويوهن من قوتهم ، فان اصابة عدوك الرجل الواحد من جندك وعبيدك مطمع لهم فيك مقولهم على شحذ اتباعهم وتصغيرهم امرك . (١)

(ولا يكونن فيه افراط في التضييق عليهم والحصر لهم فيمنعهم أزله ويشملهم ضنكه ويسوء عليه حالهم وتشتد به المؤونة عليهم وتخبث له ظنونهم ...) .

– وتنتهي عمليات الاستطلاع ويتحدد ميزان المعركة وينزل جيش المسلمين

---

(١) العقد الفريد ١/٤٠ .

ضمن اجراءات أمن مشددة ويحتل مواقعه الهجومية ولا يسمح للعدو ان يجتذبه الى ميدان يختاره هو ، بل يفرض عليه ميدان القتال فرضاً مع الاخذ بعاملين :

١ ــ امكان تحطيم توازن القوى وجعله لصالح المسلمين .

٢ ــ الا يكون ميدان القتال معزولاً عن القواعد الخلفية وقواعد الامداد :

(اقم مكانك حتى ينغض الله لك عدوك واعلم ان لها ما بعدها فان منحك الله ادبارهم فلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليهم عاصمتهم ومستقر عزهم (المدائن) .. (١)

(فاذا لقيتم العدو او احداً منهم .. فابدؤوهم بالشد والضرب واياكم والمناظرة لجموعهم) (٢) .

ــ ويحاول العدو خداع المسلمين مستخدماً كافة الوسائل ويحبط قادة المسلمين محاولات الخداع بفضل اساليب الحذر التي يطبقونها بشدة وبفضل سيل المعلومات الذي يبقى مستمراً .

(إنك تقدم على أرض المكر والخديعة والخيانة والجبرية ، تقدم على قوم قد جرؤوا على الشر فعلموه وتناسوا الخير فجهلوه) (٣) .

(إعلم فيما لديك أنك تقدم على أمة عددهم كثير وعدتهم فاضلة وبأسهم شديد) (٤) .

ــ وعندما يفشل العدو ، في تحطيم إرادة قتال المسلمين يتقدم اليهم ، فتستقبله سهام ــ مهرة الرماة ــ لتحطيم حدة هجوم العدو .

---

(١) انغض رأسه : حركه اسفاً وذلة . نزع : كف وتوقف ، الطبري ٤/٩٠ .

(٢) المناظرة : الامهال والتريث ومنه قول عمرو بن كلثوم :

ابا هند فلا تعجل علينا وانظر نخبرك اليقينا .

تاريخ الطبري ٣/٤٩٠ .

(٣) من وصية الخليفة عمر الى قائده ابا عبيد الثقفي عندما وجهه الى العراق ، تاريخ الطبري ٣/٤٥٤ .

(٤) تاريخ الطبري ٣ / ٤٩١ .

ـ ثم تستقبله رماح الجند وقد اجادوا استخدام الارض واستندوا اليها . وتبدأ المعركة ويصمد المسلمون لخصومهم ، ويتابع القادة استطلاع نقاط الضعف حتى يبصروا بها ، ويهاجموا العدو من مقتله . ويبدأ الموقف بالتحول لصالح المسلمين ، فتندفع مجموعات من الفرسان لقطع طريق الانسحاب على العدو وتدميره بحيث لا يستطيع النجاة الا القليل .

ويندفع الجيش لمتابعة تحقيق الهدف الذي حدد له ، سواء كان هذا الهدف احتلال مدينة او الوصول الى خط معين .

ـ واذا اعتصم العدو بقلعة ، يعمل القائد على عزله وحرمانه من موارده الحياتية ، حتى تحين اللحظة التي يراها القائد مناسبة للانقضاض على العدو وتدميره داخل تحصيناته .

ـ واذا حاول انصار العدو دعمه . وجه القائد قوة لتدمير هؤلاء الانصار وحرمان العدو من دعمهم له .

ـ ثم يعيد القائد تنظيم قواته استعداداً لمتابعة المرحلة التالية . ويقسم الغنائم فيرسل أربعة اخماسها الى المقاتلين ويوجه الخمس الى بيت الله .

ـ ويطوف القائد لتفقد قواته ومعرفة روحهم المعنوية فيراهم كما يجب :

(كانوا يدوون بالقرآن اذا جن الليل دوي النحل وهم آساد الناس لايشبههم الأسود ولم يفضل من مضى منهم من بقي إلا بفضل الشهادة اذا لم يكتب لهم) (١) .

ـ لكن هناك بعض من ارتكب اخطاء . ولا بد من حدوث اخطاء صغيرة او كبيرة والا كان ذلك مخالفاً لمسيرة الحياة الطبيعية فيعمل القادة على فرض العقوبات وفق الحدود وضمن الصلاحيات المحددة لهم :

---

(١) من رسالة سعد بن ابي وقاص الى الخليفة عمر بعد معركة القادسية ، الطبري ٤/١٤٤ .

(اوعز الى القواد ان لا يقدم احد منهم على عقوبة احد من اصحابه ـ الا عقوبة تأديب وتقويم ميل وتثقيف أود ... أما عقوبة تبلغ تلف المهج او اقامة حد في قطع او افراط في ضرب او أخذ مال فلا يلين ذلك من جندك غيرك أو صاحب شرطتك وبأمرك وعن رأيك وأذنك ...)

ـ من وصية مروان بن محمد الخليفة الاموي الى ابنه عبد الله في رسالة عبد الحميد الكاتب .

ـ وينتقل القائد من نصر إلى نصر ، في الوقت الذي يكون فيه أقرانه على المحاور الاخرى يحققون انتصارات مماثلة ويعمل الخليفة على تنسيق التعاون فيما بينها ، وتحويل مركز ثقل العمليات من جبهة الى جبهة اخرى ، ومن محور الى محور في الجبهة ذاتها حتى يحقق المسلمون نصرهم .

ـ وينصرف القادة لمتابعة البناء الاجتماعي وتغيير البنية الطبقية في سلم وهدوء بعيداً عن الاحقاد المدمرة ، عملاً بوصية عمر الخليفة بن الخطاب في وصيته الى أبي موسى الاشعري :

(انه لم يزل للناس وجوه ، يرفعون حوائجهم فاكرم من قبلك من وجوه الناس ، وحسب المسلم الضعيف من العدل انه ينصف في الحكم وفي القسم) (١) .

٢٠ ـ اقامة علاقات اجتماعية جديدة :

ـ لقد اندلعت نيران الحرب بين المسلمين وخصومهم بسبب فشل الوسائل السلمية ، وبقي تحقيق السلم هو الهدف الاساسي الذي تستهدفه الحرب في كل مرحلة من مراحلها ، سلم دائم يقوم بنيانه على أسس ثابتة وقواعد واضحة .

ان اول هذه الاسس هي تحقيق العدالة بين القوة الحاكمة والقوة المحكومة ،

---

(١) تاريخ الطبري ٥/١٨ .

بين قوة الفتح وقوة الشعوب التي فتحت بلادها . وقد رسم الخليفة أبـــو بكر الصديق المعالم الأولى لهذه العلاقة عندما اوصى :

(اوصيكم بعشر فاحفظوها عني – لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخـــاً كبيراً ولا تتلفوا نخلاً ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً الا لأكله . وسوف تمرون باقوام قد فرغوا انفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا انفسهم له) (١) .

– ويسير الخليفة عمر على النهج ذاته فيوصي قائده سعد بن ابي وقاص :

(نخ منازلهم « منازل الجند » عن قرى أهل الصلح والذمة ، فلا يدخلها من أصحابك الا من تثق بدينه ولا يرزأ احد من اهلها شيئاً ... فان لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها فما صبروا لكم فتولوهم صبراً ولا تستنصروا على أهل الحرب بظلم اهل الصلح ..) (٢)

– البلواء واحدة المسلمون ابتلوا بالوفاء لعهدهم واهل البلاد ابتلوا بالصبر على ما اتفق عليه .

– ولا تستنصروا على اهل الحرب .. بظلم اهل الصلح ..

ويحدد الخليفة عمر واجب ولاة المسلمين في الاقاليم التي فتحها المسلمـون عندما كتب الى اهل البصرة بتعيين ابو موسى الاشعري :

(... لقد بعثت ابا موسى اميراً عليكم – ليأخذ لضعيفكم من قويكـــم وليقاتل بكم عدوكم وليدفع عن ذمتكم وليحصي لكم فيأكم ثم ليقسمه بينكم ولينقي لكم طرقكم) (٣)

---

(١) تهذيب ابن عساكر ١/١١٧ .

(٢) العقد الفريد ١/٤٠ .

(٣) تأريخ الطبري ٤/٢٠٧ .

ثم يكتب الخليفة عمر الى معاوية بن ابي سفيان عندما كان قاضياً في الشام اثناء ولاية اخيه يزيد :

(اذا تقدم اليك الخصمان – فعليك بالبينة العادلة او اليمين القاطعة :

١ – أدن الضعيف حتى يشتد قلبه وينبسط لسانه .

٢ – تعهد الغريب فانك ان لم تتعهده ترك حقه ورجع الى اهله وانما ضيع حقه من لم يرْفق به .

٣ – آس بين الناس في لحظك وطرفك .

٤ – وعليك بالصلح بين الناس ما لم يستبن لك فضل العطاء » (١)

– ثم تتوضح الرؤيا وتظهر معالم المجتمع وما به من علاقات متشابكة فيرسل الخليفة عمر رسالة الى ابي موسى الاشعري يتضمنها توصياته من اجل تحقيق العدالة في المجتمع الجديد (٢) وقد اصبحت هذه الرسالة مرجعاً ودستوراً لعدالة القضاء .

– عندما اجتاحت الجيوش الاسلامية بلاد الشام والعراق ، هرب كثير من اصحاب الاراضي وزراعها . واستولى المسلمون عليها . وقامت هناك مشكلة من يمتلك الارض . ومن يزرعها . وأراد المسلمون استملاك الاراضي المفتوحة بالحرب ، واستشير الخليفة عمر في ذلك فكانت اجابته :

(... أجعل الجزية عليهم قدر طاقتهم فقسمها بين المسلمين « أي الجزية » ويكونون عمار الارض ، فهم اعلم بها واقوى عليها ولا سبيل لك عليهم (٣)

وفي رسالة اخرى :

(أقر اهلها على ان يؤدوا الجزية الى المسلمين ويكونوا عمار الارض) (٤).

---

(١) البيان والتبيين ٧٥/٢ – العقد الفريد ٢٧/١ – الخراج لابي يوسف ص ١٤٠ .

(٢) يمكن مطالعة نص هذه الرسالة في الكامل للمبرد ٩/١ والبيان والتبيين ٢٤/٢ والعقد الفريد ٢٧/١ وكتاب الخراج لابي موسى ص ١٤٠ .

(٣) كتاب الخراج لابي يوسف ١١٧ .

(٤) فتوح الشام – الواقدي ص ١٢٤ .

ـ لقد تميزت نصوص المعاهدات التي عقدت بين قادة جند المسلمين وبين اصحاب البلاد المفتوحة بوضوحها وتحديد العلاقة بين الطرفين على اسس ثابتة ، واستهداف الحق والعدالة في بنيان المجتمع الجديد وكان ذلك سبباً رئيسياً في استقرار الامر بيد المسلمين .

ـ اما علاقة المسلمين فيما بينهم فقد عالجها الحكم الاسلامي بازالة الفوارق بين المسلمين : « لا فضل لعربي على اعجمي ولا ابيض على اسود الا بالتقوى ». وقد حاول بعض الناس اثارة العصبية الجاهلية فكتب الخليفة عمر الى ابي موسى الاشعري :

(بلغ امير المؤمنين أن ضبة تدعو لضبة ـ وأني والله ما أعلم ان ضبة ساق الله بها خيراً قط ولا منع بها من سوء قط فاذا جاءك كتابي فانتهكهم عقوبة حتى يتفرقوا ان لم يفقهوا ..) .

وكتب ايضاً :

(اذا كانت بين القبائل نائرة (١) ـ وتداعوا يا لفلان ، فانما تلك نجوى الشيطان ـ فاضربهم بالسيف حتى يفيؤوا الى أمر الله وتكون دعوتهم الى الله والاسلام) (٢) .

ـ وهكذا كانت دعامة المجتمع الجديد تستند الى قواعد ثلاث : وحدة بين العرب المسلمين ، ومساواة بين المسلمين من العرب وغير العرب ، وعدالة بين الحكم الاسلامي ومن شملهم حكم الاسلام .

---

(١) نائره : عداوة وبغضاء .

(٢) البيان والتبيين ٢/١٥٥ والعقد الفريد ١/٢٨ .



القسم الأول

الفصل الثاني
عمليات الجبهة الشمالية

(وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) ..

صدق الله العظيم

سورة القصص – « الآية ٥ »

١ – الشام قبل الاسلام .
٢ – الموقف عشية فتح المسلمين للشام
٣ – الاغارات الاستطلاعية .
٤ – المرحلة الأولى من الهجوم .
٥ – بواكير النصر .
٦ – الخليفة يوجه ابن الوليد الى الشام .
٧ – معركة بيت لهيا .

٨ - معركة مرج الصفر .
٩ - موقعة اجنادين (٢٨ جماد اول سنة ١٣ هـ)
١٠ - معركة اليرموك (١٢ رجب سنة ١٣ هـ)
١١ - فتح دمشق (- رجب سنة ١٤ هـ)
١٢ - يوم فحل .
١٣ - يوم مرج الروم .
١٤ - الدروس المستفادة .

١ ـ الشام ـ قبل الاسلام

المقصود هنا ببلاد الشام ـ سوريا في حدودها الراهنة ـ اما العراق فكانت تعرف باسم ديار بكر او بلاد الرافدين او ما بين النهرين .

ـ كانت بلاد الشام مهد حضارات متعاقبة ، والحضارة هي رقي وتطور لما فيه خير الانسان والمجتمع . وبما ان تاريخ الحضارة هو لبنات شيدت بعضها فوق بعض فانه يستحيل ادراك الابعاد الحضارية في سموها واتساعها ومعرفة دور كل امة من الامم في بنائها دون الرجوع الى تاريخها السحيق ودراسة جذورها العميقة .

ـ كانت حضارات العالم القديم حضارات عسكرية ، الا ان الفتوحات العسكرية بدورها فتحت المجال رحباً أمام الفكر المبدع للانطلاق ومهدت السبل التي توفر للانسان المستقبل الافضل ، والتطور الأمثل نحو بناء مجتمعات يسودها التنظيم ويخطط لها العقل .

ـ وكانت الشام ملتقى الحضارات القديمة ، فوق ارضها انتشرت الثقافة اليونانية . وفي قواعدها ومدنها تمركزت الحضارة الرومانية ، وفي فكرها ووجدانها عاشت الحضارة الفرعونية .

ـ وكانت الشام ، في حدودها الطبيعية مهد الديانات السماوية التي نظمت للانسان امور دنياه وحفزته الى تقديم ذاته لبناء صرح الانسانية .

ـ كان العنصر العربي ، عنصراً اساسياً ، في تاريخ الحضارة القديم ، تمثل في اعماق نفسه حضارة الامم التي سبقته في مضمار التقدم ، وقام بدور الزيادة في حمل التراث الفكري ، وتطويره ونقله الى الامم .

ـ لقد كانت الجزيرة العربية في تاريخها الطويل ، قلباً نابضاً يقذف الدم النقي موجة بعد موجة فيغذي بها اطراف الجزيرة . وهكذا نزحت اقوام وقبائل حاولت تشييد ممالك مستقلة بعد نزوحها من الجزيرة الى الشام وبلاد الرافدين فكانت تصطدم بقوى اكبر منها فتصارعها وتصطرع معها فتكبر وتشيخ وعندئذ يقذف القلب موجة جديدة تحمل دم الشباب فتحاول من جديد ، ومن خلال هذا الصراع ، كانت التفاعلات الفكرية والاجتماعية تتعاظم ، فتزدهر حضارة اكثر تطوراً مما سبقها .

ـ ان الجدول التالي يظهر الهجرات السامية التي نزحت من الجزيرة قبل الاسلام . كما ان الجدول رقم ٢ ، يظهر الشعوب الشرقية والغربية التي نزحت الى الوطن العربي واقامت حكماً لها فيه قبل الاسلام .

جدول رقم ١

القبائل العربية التي نزحت من الجزيرة العربية

دول داخلية اقامها العرب

	اسم الدولة	مدتها	مكانها وعاصمتها	موجز عنها
١	الاكاديون	٣٥٠٠–٢٢٥ ق.م	عاصمتها «آكاد» سهل شنعار ثم توسعت وشملت سوريا والعراق في حدودها	– انهارت على ايدي قبائل بربرية هبطت من الشمال . – اشهر ملوكهم صارغون الأول (٢٤٥٠ ق.م) .
٢	الدولة البابلية الأولى «العموريون»	٣٥٠٠–١٥٣١ ق.م	اطراف سهل شنعار عاصمتهم بابل	– اشهر ملوكهم حمورابي (١٧٢٨ – ١٦٨٦ ق.م) وحد سوريا والعراق . واشتهرت الدولة بقوانينها ونهضتها العمرانية . – دمرت بيد الكاشيين الذي هبط من ايران .
٣	الأشوريون	حوالي نهاية القرن الرابع ق.م – ٦١٢ ق.م	شيدوا مدينة آشور وكانت عاصمتهم نينوى في الشمال الشرقي للعراق	– اشهر ملوكهم «تغلات فلاصر الأول – ثم الثالث» . سيطروا على الأرامين والفينيقيين والعبرانيين ومصر . – دمرها تحالف الكلدانيين والميديين .
٤	الدولة البابلية الثانية «الكلدانيون»	٦١٢–٥٣٩ ق.م	عاصمتها بابل وراء الفرات بين النهرين	– اشهر ملوكهم بختنصر «نبوخذ نصر» الذي دمر دولة يهوذا وسبى اليهود . – دمرت الدولة على يد «قورش» مؤسس الدولة الساسانية الفارسية .
٥	المناذرة «اللخميون»	حوالي منتصف القرن الثاني –٦٣٢ للميلاد	الحيرة – قريباً من نهر الفرات	– ملكها ٢٥ ملكاً اكثرهم يحمل اسم المنذر . اشهر ملوكها المنذر الثالث اللخمي . والنعمان بن المنذر . – فتحها العرب المسلمون .

الدول العربية – في الشام

٦	« العموريون »	٢٥٠٠–١٧٠٠ ق.م تقريباً	ماري – عند التقاء الخابور بالفرات	– توسعت هذه المملكة حتى الخليج العربي على امتداد الفرات . – دمرها حمورابي « البابليون » .
٧	« الكنعانيون »	٢٥٠٠–١١٠٠ ق.م	يبوس « القدس » بيت شان « بيسان » عكو « عكا » جبرون « الخليل »	– كانت كل مدينة وما يحيط بها دولة مستقلة . فكانت هناك ايضاً ممالك مؤاب وعمون في شرق الاردن . – دمرها واحرقها العبرانيون .
٨	« الفينيقيون » وهم قدم من الكنعانيين	٢٥٠٠–٣٣٢ ق.م	اوغاريت « رأس شمرة » جبيل ، صيدا ، صور ، قرطاجة	– ازدهرت الدولة حضارياً وكان لها اسطولها . واصبحت قوة تهدد روما . – دمرها الاسكندر المقدوني ٣٣٢ م.
٩	الآراميون	١٥٠٠–٧٣٢ ق.م	مملكة حماه مملكة دمشق مملكة ارام حتى الخابور مملكة ارباض	– كانت مجموعة ممالك ، الا انها كانت تتحد عند الخطر – دمرها الأشوريون .
١٠	الأنباط	٥٠٠ ق.م – ١٠٦ م.	البتراء : في منتصف المسافة بين ايلات والبحر الميت	– استوطنت في منطقة الاردن . اشهر ملوكها الحارث الثالث الذي دمر الجيش اليهودي قرب اللد . ضمت دمشق وحوران حتى البحر الاحمر . – دمرها الرومان .
١١	التدمريون	الألف الثاني قبل – ٢٧٠ م الميلاد	تدمر ، في قلب الصحراء من بادية الشام	– اشهر ملوكها « اذينة الثاني » ثم الملكة « زنوبيا » . – دمرها الرومان واخذوا ملكتها اسيرة الى روما .
١٢	الغساسنة « آل جفنة »	منتصف القرن الثاني – ٦٣٢ م. للميلاد .	بصرى ودمشق	– اشهر ملوكها الحارث بن جبله . امتدت سلطته من الرصافة حتى خليج العقبة . وآخر زعمائهم جبله بن الايهم . – فتحها العرب المسلمون .

جدول رقم ٢

شعوب شرقية نزحت الى الوطن العربي

١	السومريون و الأكاديون	قبائل آسيوية ، غير سامية وغير آرية ، نزحت في الألف الرابع ق .م. استوطنت سهل شنعار ما بين بغداد حالياً والبصرة ، وبين دجله والفرات وعلى اطرافهما . اشتهروا بزراعة واستصلاح الاراضي ، وشيدوا مدناً منها – اور – رورك – ولآكاش – وتيبور . ثم نافسهم الأكاديون واستولوا على مدنهم ، وانصهروا في بوتقة سكان البلاد من الساميين .
٢	الحوريون و الميثانيون	قبائل آسيوية ، غير سامية وغير آرية ، نزحت في الألف الثالث ق .م. اسس الحوريون مملكة امتدت بين جبال زاغروس ونهر الخابور . عاصمتهم حوري « أورفه حالياً » . اسس المتانيون مملكتهم بين الخابور والفرات – ضعفت دولتهم بسبب وقوعها بين ثلاث دول قوية : الآشوريون شرقاً ، والحثيون شمالا ، والمصريون جنوباً . سيطر عليهم الآشوريون وذابوا في محيط الآراميين .
٣	الحثيون	قبائل آرية ، يرجع نزوحهم في الألف الثاني ق .م. سيطروا على غرب تركيا ، ومنطقة لواء اسكندرون ثم اخذوا يوسمون سيطرتهم فاصطدموا مع المصريين في موقعة قادش عام ١٢٩٤ ق .م. انتهت بعقد صلح بين رعمسيس الثاني زملك الحثين « ختوسيل » عام ١٢٨٠ ق .م. وحددت « قادش » على خط عرض مدينة حمص تقريباً فاصلا لا يتجاوزه الحثيون . استولى الآشوريون على مدنهم وانصهر الحثيون بالسكان .
٤	الفرس	استولى قورش ، مؤسس الدولة الفارسية الأولى – الاخمينية ، على بابل عام ٥٣٩ ق .م. ووصلت قواته ساحل البحر الابيض المتوسط . وقام ابنه قمبيز باحتلال مصر عام ٥٢٥ ق .م. وانتهت هذه الاسرة باستيلاء الاسكندر على سوريا ومصر وايران حتى حدود الصين عام ٣٢٣ ق .م. ثم قامت الاسرة الفارسية الثانية « الفرتيون » حتى ٢٢٢٦ م . وجاءت الدولة الفارسية الثالثة الساسانية التي جعلت من دجله والفرات حدوداً لها مع الروم .

شعوب غربية اقامت حكماً لها في الوطن العربي

٥	اليونان ٣٢٣ ق .م ٦٤ ق .م	هاجم الاسكندر المقدوني ، آسيا الصغرى وانتزعها من يد الفرس بعد معركة ايسوس قرب اسكندرون ، وتابع تقدمه حتى انهى احتلال سوريا ولبنان ومصر ، ثم زحف شرقاً فاستولى على ايران ووصل افغانستان وتركستان الحالية ، ثم عاد الى بابل وتوفي بها . وقامت الدولة السلوقية التي كانت عاصمتها انطاكية ، والتي حكمها سلوقس ، وبقيت الدولة السلوقية حتى جاء الرومان .
٦	الرومان ٦٤ ق .م ٦٣٢ م	احتل بومبيوس سوريا سنة ٦٤ ق . م. واما مصر فقد احتلها اوكتانيوس عام ٣١ ق .م. وعندما جاء الامبراطور قسطنطين ٣٠٦ – ٣٣٧ م قسم المملكة الى قسمين شرقي عاصمته البوسفور « القسطنطينية » وترك حكمها لابنه الأكبر اركاديوس في عام ٣٩٥ م. وعرف هذا القسم باسم الامبراطورية الرومانية الشرقية ، البيزنطية ، واطلق عليها العرب اسم « الروم » .

• لم يذكر في هذا الجدول العبرانيين الذين اخذوا هذا الاسم بعد نزوحهم من مصر – وبقائهم في سيناء فترة اربعين عاماً ثم عبورهم الاردن . ولم يعرف التاريخ لهم دور حضاري سوى ما قاموا به من تدمير وتخريب لمدن الكنعانيين – ولم يعرف لهم دولة باستثناء فترة حكم الملك داوود ١٠٠٤ – ٩٦٣ ق .م وسليمان ٩٦٣ –٩٢٣ – ثم سقطت الدولة بعد ذلك في يد البابليين الذين قاموا بسبي اليهود الى بابل .

– ان مطالعة الجداول السابقة تظهر ان قلب الجزيرة العربية كان يدفع موجة جديدة كل الف عام تقريباً .

– ان هذه الموجات البدوية تمكث فترة حتى تكتسب الحضارة ممن سبقها ثم لا تلبث ان تبدأ في اقامة دولة جديدة لها ميزات الدولة التي سبقتها الا انها اكثر طموحاً منها .

– اذا درست اسباب انهيار هذه الدول السامية ، يظهر بوضوح ان الانقسام الداخلي والتمزق والفردية هي العوامل الاساسية في انهيارها .

– لقد كانت الدول السامية تحاول باستمرار ان تحكم نفسها بتأثير نزعاتها الاستقلالية ، وعندما كانت تجد ذاتها مرغمة على الخضوع ، فان هذا الخضوع يأخذ الطابع المرحلي ، ثم لا تلبث هذه الدول ان تغتنم اول فرصة لاثبات وجودها وانتزاع استقلالها .

– افادت الدول السامية من احتكاكها بالحضارات المتطورة ، فظهر لون جديد من الحضارة يحمل صفات اهل البلاد الاصلية .

– نقل اليونان معهم حضارتهم الهيلينية ، وامتزج اليونان بالسكان فتحولت الاسكندرية وانطاكية الى مراكز اشعاعية للعلوم والآداب والفنون وعرفت هذه الحضارة باسم الحضارة الهيلينبسية ، وقد رافق ذلك نهضة عمرانية ضخمة لا زالت آثارها شواهد على اسهام العنصر العربي السامي بسموه وتفوقه . كما ان الفلسفة اليونانية ، تركت رواسب عميقة في الفكر العربي ، مما جعل هذا هذا الفكر قادراً على التطوير والابداع عندما تتاح له الفرصة المناسبة وجاءت هذه الفرصة بظهور الاسلام .

– ان قدرة العرب الساميين على صهر الهجرات النازحة اليها في بوتقتها ، وارغام الكتل الاقوى منها على احترام ارادتها ما هو الا دليل على اصالتها وقدرتها على الصمود في وجه التيارات القوية :

– عندما جاء الاسلام كانت القوى المسيطرة على بلاد الشام ممثلة باتجاهين :

– اتجاه غربي ويمثله الروم – البيزنطيون .
– اتجاه شرقي يمثله الفرس – الساسانيون .
– دولة عربية الى جانب الروم – الغساسنة .
– دولة عربية الى جانب الفرس – المناذرة .

– كانت القوى الكبرى كالروم والفرس في حالة حرب مستمرة . وكان كل طرف يستهدف القضاء على الطرف الآخر . وحاولت هذه الكتل الكبرى الافادة من العرب ، وهم المقاتلون الاشداء ، للدفاع عن مصالحها ، فكون ذلك شرخاً عميقاً في صفوف العرب ، ونظراً للعلاقة الطويلة بين هذه الاطراف . فانه من الضروري شرح الموقف بين الروم والغساسنة ، وايضاح نوع العلاقة التي كانت قائمة بينهما .

الرومان – وفتوحاتهم :

– انطلقت قبائل بدوية من مواطنها في آسيا الوسطى وتجاوزت جبال الالب ، وانتشرت في جميع انحاء ايطاليا ، ثم استقرت منها قبيلة في اواسط ايطاليا ، وعرفت باسم الرومان نسبة الى المدينة التي شيدوها – روما – او اللاتين بالنسبة لمنطقة « لاتيوم » التي استقروا فيها . وقد صنف علماء الاجناس الرومان في مجموعة العرق « الهندي – الاوربي » او « الآري » .

– بدأت هذه القبائل في الاخذ باسباب الحضارة ، فاخذت تمارس الزراعة الى جانب تربية المواشي ، وشيدت الاكواخ المستديرة مقراً لسكناها ، ثم وجدت ان هذه الاكواخ لا توفر لها الحماية اللازمة ، فبدأت تشيد القلاع والحصون تحتمي بها عند الخطر ، ونظراً لوقوع روما بين سبعة تلال فقد افاد منها هؤلاء البدو وشيدوا الحصون التي هي نواة روما وكان ذلك في عام ٧٥٣ ق. م . وكان موقع السهل الجميل – سهل التيبر حيث شيدت روما فوقه – هو التربة التي ترعرعت فيها الحضارة الرومانية .

– تأثر الرومان منذ بداية حياتهم بالفينيقيين ، الا ان التأثير الأكبر جاء من اليونان الذين كانوا يحتلون الاقسام الجنوبية من ايطاليا ، والأتروساك الذين كانوا يقطنون شمال ايطاليا .

– اعتبر الرومان بناء روما ، بداية لتاريخهم . ويقسم هذا التاريخ الى ثلاثة اقسام :

– العهد الملكي : من ٧٥٣ – ٥٠٩ ق. م. ولم تكن حدود المملكة تتجاوز روما .

– العهد الجمهوري : من ٥٠٩ – ٣٢ ق. م . تم خلاله توحيد جزيرة ايطاليا .

– العهد الامبراطوري : من ٣٢ ق. م. – ٤٧٦ م. وخلاله تمت الفتوحات التالية :

١ – احتلال قرطاجة « بعد الحروب البونية التي استمرت اكثر من قرن (٢٦٤ – ١٤٦ ق. م) » نجح الرومان في قهر القائد الشهير « هانيبال ، او هانيبعل » ، والاستيلاء على اليونان وممتلكاتها .

٢ – احتلال مقدونيا واليونان – ١٤٨ ق. م – ووصلت القوات الرومانية حتى جبال طوروس .

٣ – احتلال سوريا – ٦٤ ق. م – على يد القائد « بومبيوس » الذي ازال الدولة السلوقية .

٤ – احتلال فرنسا وجنوب بريطانيا بقيادة « يوليوس قيصر » ٥٥ ق.م .

٥ – احتلال مصر سنة ٣١ ق.م. وبذلك اصبح البحر الابيض المتوسط بحيرة رومانية وخضعت شواطىء البحر بكاملها للرومان .

– في عام ٣٣٠ م نقل الامبراطور قسطنطين (٣٠٦ – ٣٣٧ م) عاصمته الى القسطنطينية بعد ان شيدها على البوسفور ، وذلك حتى يكون في مركز متوسط من الامبراطورية ، وبحيث يستطيع مجابهة خطر الفرس .

– في عام ٣٩٥ م قسم الامبراطور تيودوسيوس الامبراطورية الرومانية الشاسعة الى قسمين :

١ – القسم الشرقي وعاصمته القسطنطينية ، وعين ابنه الأكبر اركاديوس امبراطوراً عليها .

٢ – القسم الغربي وعاصمته روما ، وعين ابنه الثاني هونويوس امبراطوراً عليها .

– في عام ٤٧٦م تعرضت روما الغربية لهجوم القبائل الجرمانية البربرية ، وسقطت دولة روما ، وقامت على انقاضها دويلات بربرية . وقد اعتبر تاريخ سقوط روما نهاية العصور القديمة ، وبداية العصور الوسطى .

دولة الغساسنة :

– في منتصف القرن الثاني للميلاد ، قذفت الجزيرة العربية موجة جديدة من ابنائها الى الشام فتوجه قسم منهم الى أطراف الفرات واسسوا دولة الغساسنة . وتوجه القسم الثاني الى سوريا فاقاموا دولة المناذرة .

– ينتمي المناذرة الى قبيلة الأزد ، وقد استوطنوا في البداية جنوب سوريا ، ثم هاجموا بعد ان قويت إمارتهم قبائل الضجاعمة ، وقام اول ملك لهم – جفنة ابن عمر – فاسس دولتهم مستفيداً من ضعف الروم .

– وجد الروم ان من مصلحتهم دعم دولة الغساسنة للافادة من قوة محاربيها في قتالهم المستمر مع الفرس وحتى تكون هذه الدولة بمثابة مراكز دفاعية متقدمة تحتمي وراءها القوات الرومية .

– افاد الفرس من المناذرة – مثلما افاد الروم من الغساسنة – وكان لا بد من وقوع صدام بين ابناء العمومة من مناذرة وغساسنة بسبب انحياز كل طرف من العرب الى المعسكرين المتضادين . ووقعت معارك كان اشهرها تلك التي انتصر فيها الحارث بن جبله الغساني على المنذر الثالث وقتله ، واعتبر الروم

نصر الحارث نصراً لهم . فذهب بدعوة لزيارة القسطنطينية ، واستقبل فيها استقبال الفاتحين . وعاد الحارث بن جبله فوسع حدود مملكته حتى شملت بادية الشام من الرصافة شمالاً حتى خليج العقبة جنوباً .

العلاقة بين الروم – والعرب :

– كان الروم – قوة احتلال غريبة عن المنطقة – ولهذا كان لها اسلوبها المماثل لاسلوب كل قوة استعمارية .

١ – تحالف الروم في البداية مع الانباط ، وعندما انتهى دورهم تخلى الرومان عنهم واصبح دور الانباط ثانوياً .

٢ – دعم الرومان مملكة تدمر ، وكان أذينة الثاني وفياً لما لقيه من دعم فقاتل الى جانب الروم وعندما استطاع الفرس أسر الامبراطور الروماني « فاليريان » جمع أذينه جيشاً كبيراً وهاجم الفرس وانتصر عليهم . مما دفع الامبراطور الروماني الى تعيين اذينه قائداً عاماً للجيوش الرومانية في الشرق. الا ان الروم كانوا يخشون في الوقت ذاته تزايد القوة العربية ، فنظموا هجوماً دمروا به عاصمة تدمر ، واخذوا ملكتها زنوبيا اسيرة لروما عام ٢٧٠ م.

٣ – دعم الرومان الغساسنة . وكان هؤلاء اوفياء للدعم الذي تلقوه من الروم ، لكن تزايد قوة الغساسنة أدخل الخوف الى نفوس الروم فما كان منهم الا ان قبضوا على المنذر بن الحارث ونفوه الى صقليا .

الموقف عشية فتح المسلمين للشام :

– كانت الحرب بين الفرس والروم مستمرة ، وفي الفترة الاخيرة من حكم الدولتين ، انطلق كسرى على رأس جيش كبير واستطاع تدمير انطاكية واحتلال مدن الساحل في عام ٥٤٠ م ثم اعلنت الهدنة بين الطرفين في عام ٥٤٥ م .

– حاول الروم الانتقام لهزيمتهم فارسلوا جيشاً لاحتلال اليمن التي كانت تابعة للفرس ونجحوا في ذلك عام ٥٧٠ .

– قتل الامبراطور الروماني موريس على يد فوكاس . وخشي كسرى الثاني « بروز » قيام الامبراطور الجديد بهجوم جديد على فارس فوجه عدداً من قادته استطاعوا احتلال الرها وانطاكيه ودمشق والقدس سنة ٦١٤ م وحملوا الصليب ونقلوه الى المدائن ، وتابعت القوات الفارسية زحفها حتى وصلت الاسكندرية ومصر .

– عندما استتب الامر لهرقل بعد ذلك تصدى للفرس وزحف على رأس جيش فانتزع من الفرس ما كانوا قد فرضوا سيطرتهم عليه، ثم تابع الروم زحفهم حتى دجله حيث احتلوا دستكرد التي كان بها قصر الملك كسرى ثم تابعوا زحفهم في عام ٦٢٨ م في اتجاه عاصمة الفرس – المدائن – الا ان كسرى كان قد هرب منها .

– استنزفت هذه المعارك المستمرة قوة الروم ، واضعفت مكانتهم المعنوية في نفوس العرب ولم يعد الروم ، في انظارهم ، تلك القوة التي « لا تقهر » . واخذ التململ والتذمر يسود في اوساط جماهير البلاد التي يحكمها الروم .

– انهارت روما الغربية عام ٤٧٦م.على ايدي القبائل الجرمانية ، وكان لهذا الحدث دور حاسم في ضعف الامبراطورية الرومانية ، وعلى الرغم من مطالبة روما الشرقية بحقها في ارث روما الغربية ومحاولتها اعادة مجد الامبراطورية القديمة . الا ان هذه المحاولات كانت عقيمة غير مجدية . وقد انعكس ذلك دونما ريب على قدرة « بيزنطة » في الصمود امام زحف القبائل العربية .

– ترك اسلوب الغدر المستمر الذي اتبعه الروم مع زعماء العرب رواسب عميقة . وقد خلق ذلك شرخاً عميقاً وهوة سحيقة بين الروم والعرب وفقد الروم دعامة قوية من القبائل العربية المستوطنة في بلاد الشام .

– افاد العرب حضارياً من احتكاكهم بالروم والفرس ، وظهر ذلك بشكل واضح في المظاهر السياسية والتطورات الاقتصادية والبنية الاجتماعية والتطلعات الفكرية ، والمهارة الفنية ، مما جعل العرب على استعداد لاقامة دولة عربية متطورة .

التواقت بين بدر – وبين هزيمة الروم :

– انصرف الرسول الاعظم بعد الهجرة الى ترسيخ دعائم الدين ، وتعزيز مكانة المسلمين ، وتوحيد كلمة المؤمنين واعدادهم لحمل راية الاسلام . وفي السنة الثانية للهجرة وقعت غزوة بدر الكبرى ، وحقق المسلمون بنتيجتها اول نصر حاسم على المشركين . وفي هذا الوقت ذاته وقعت الحرب بين الفرس والروم – بين الوثنية والمسيحية – وانتصرت الوثنية وهزمت المسيحية ، واعتبر المشركون نصر الوثنية نصراً لهم ، فانطلقوا يهللون ويستبشرون ، في حين كان لذلك اصداء سيئة على المسلمين لانهم يعتبرون الروم « أهل الكتاب ». ونزلت الآية :

(الـم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيَغْلبُون في بضع سنين – لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) (الآيات ١ – ٥ من سورة الروم) .

– وفرح المؤمنون بهذه البشرى ، ولم تمض سوى سنوات سبع حتى عقد صلح الحديبية في الجزيرة ، ذلك الصلح الذي استهدف جمع شمل القبائل العربية وتوحيدها . وفي الوقت ذاته كان الروم يحققون نصرهم على الفرس الذين شغلتهم هجمات ملك الهند واحتلاله قطاعات من بلادهم . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فقد كان العامل الثاني في هزيمة الفرس هو انضمام قائد

جيوشهم (شهربراز) الى هرقل ملك الروم (١) .

وهكذا كانت القوى العربية تتحد وتتعاظم فوق رمال الجزيرة في حين كان التمزق والانحلال يفتك في كيان دولتي الاكاسرة والروم .

النبوءة :

اللهم لا عيش الا عيش الآخرة — فاغفر للانصار والمهاجره

قالها الرسول الاعظم وهو يشهد المسلمين يحفرون الخندق ، وكلهم مرهق الا ان الارهاق لم يضعف من العزيمة ، فاجابه المسلمون :

نحن الذين بايعوا محمداً — على الجهاد ما بقينا ابداً .

ويتابع الرسول اعمال الحفر وحمل التّراب ، مثله مثل كل واحد من المسلمين ، ويشهد محمد بن عبدالله « ص » حماسة المؤمنين فيرتجز شعر ابن رواحه ويردد مع المسلمين محمساً :

اللهم لولا انت ما اهتدينا — ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينة علينا — وثبت القلوب ان لاقينا
ان الالى قد بغوا علينا — وان ارادوا فتنة ابينا

— اعترضت صخرة كبيرة اعمال الحفر ، وتحدت معاول المسلمين ،

---

(١) جاء في التاريخ الكبير لابن عساكر ص ٨٣ — ج ١ . ان سبب انضمام (شهر براز) الى الروم هو ضيق كسرى من قائده بسبب الابطاء في معدل سرعة الهجوم وعدم تحقيق نصر سريع وحاسم على خصومه . لقد اتبع الروم في هذه الحرب اسلوب القتال التراجعي فكانوا ينسحبون من معقل الى معقل ومن حصن الى حصن ومن قلعة الى قلعة مما كان يعيق تقدم جيش شهربراز . ولم يدرك كسرى السبب — وظنه تهاوناً من قائد جيوشه فاوعز الى عظيم من قادته بقتل شهربراز وتولي القيادة مكانه . الا ان هذا « العظيم » كان على اطلاع تام بالموقف ، فكتب الى كسرى ممتدحاً شهربراز ، ملتمساً اعطاءه الفرصة لمتابعة هجومه ، شارحاً اسباب عدم سرعة الهجوم وكرر كسرى اوامره ثانية وثالثة . ولما ضاق ذرعاً ، اوعز الى شهربراز بقتل صاحبه « العظيم » . وعندما اراد شهربراز قتل صاحبه اطلعه هذا على الرسائل المتبادلة بينه وبين كسرى فما كان من شهربراز وصاحبه الا ان اتصلا بهرقل ملك الروم وانضما اليه ، ووقعت الهزيمة بقوات كسرى .

وامتنعت عليهم ، فاستنجد المسلمون بالرسول القائد ، وتقدم الرسول ، ورفع معوله وهوى به ، فانشطر ثلث الصخرة ، وانطلقت شرارة وضاءة ، هلل لها الرسول الاعظم وقال :

الله اكبر – اعطيت مفاتيح الشام – والله اني لابصر قصورها الحمر الساعة .

– وهوى المعول مرة ثانية ، وانشطر الثلث الثاني ، وهوت الصخرة وتطاير الشرر وارتفع صوت النبي العربي من جديد :

الله اكبر ، اعطيت مفاتيح فارس – واني والله لابصر قصر المدائن الابيض الآن .

– ثم جاءت الضربة الثالثة لتزيل كل اثر للصخرة ، ومع تطاير الشرر ارتفع صوت النبي :

الله اكبر – والله اني لأبصر ابواب صنعاء من مكاني الساعة (١) .

– ويصمت اصحاب النبي اجلالاً لهذه النبوءة ، انهم ما عرفوا في صاحبهم سوى الصدق في القول والعمل ، لكن اين موقفهم الآن من فارس والروم واليمن ، والمشركون يحيطون بهم من كل جانب ، وجيوش المشركين تزحف لإبادة هذه القوة المسلمة .

– وتنتهي معركة الخندق ، وينتقل المسلمون من نصر الى نصر حتى وحدوا الجزيرة في قيادة واحدة تحت راية الاسلام ، واصبح العرب في جزيرتهم : اعزاء بدينهم ، اقوياء بوحدتهم ، احراراً في مجتمعهم .

– انتقل الرسول الأعظم الى جوار ربه ، وتولى الخلافة الصديق . بعدما استتب الامر للمسلمين في الجزيرة ايام الرسول . وبقيت نبوءته في يوم الخندق ماثلة امام المسلمين ، كبذرة نبتة عاشت في كيان كل مسلم ووجدانه .

---

(١) الرسول العربي وفن الحرب – اللواء الركن مصطفى طلاس ص ١٩٩ – عن تاريخ الطبري ج ٢ – ص ٥٦٨ .

– وعندما توفي الرسول اصبح تحقيق النبوءة من واجب الصديق بهدف نشر الدعوة وحمل الرسالة الى الانسانية جمعاء .

٣ – الاغارات الاستطلاعية :

شعر الروم منذ بداية ظهور الدعوة الخطر الذي يتهددهم من وراء اجتماع العرب على كلمة الاسلام ، فاخذوا يحيكون المؤامرات ، ويحركون عملاءهم ، ويخططون للقضاء على جذوة الثورة الاسلامية ، الا ان لهيب الثورة كان في تأجج متصاعد ، فكان الرسول يقابل التحديات بتحديات اكبر وأخذ ينتقل من مواقع الدفاع الى مواقع الهجوم ، فارسل أربعة غزوات حتى حدود الشام ثم قاد بنفسه الغزوة الخامسة التي عرفت باسم غزوة تبوك (انظر الجدول المرفق)

– وعرف ابو بكر الصديق الذي رافق هذه الاحداث جميعاً ، النتائج التي انتهت اليها والتي كان من اهمها :

١ – رفع الروح المعنوية للمسلمين مقابل احباط القوة المعنوية للروم خاصة والمشركين عامة .

٢ – نقل المسلمين من مواقع الدفاع الى مواقع الهجوم ، وترسيخ مبـدأ (الهجوم اقوى وسائل الدفاع) .

٣ – جمع المعلومات عن الروم والأكاسرة وتوفر حصالة دقيقة عن الاوضاع في بلاد الشام .

٤ – تكوين خبرات قتالية ، واكساب المقاتلين الصلابة اللازمة للحرب .

٥ – تنظيم مواقع متقدمة عند حدود بلاد الشام تصلح كقاعدة للانطلاق بهجمات اكبر .

٦ – دراسة الارض ومعرفة ميزاتها للتقدم والحشد والهجوم .

٧ – الاتصال بالقبائل العربية المتواجدة منذ زمن طويل فوق أرض الشام ، ودعوتها للاسلام وتنظيمها كقوة احتياطية تساعد المسلمين وتناصرهم وتوفر لهم المعلومات الضرورية .

الغزوات الاستطلاعية – قبل فتح الشام

	اسم الغزوة	تاريخها	قادتها	ميزان القوى	ملاحظات
١	دومة الجندل	السنة الرابعة للهجرة وهي اول غزوات ديار الشام	عبدالرحمن بن عوف	٧٠٠ رجل من المسلمين لم يقابلهم احد من المشركين	وجه عبد الرحمن بن عوف الدعوة الى اهل دومة الجندل للدخول في الاسلام ومكث فيها ثلاثة ايام بعد ان فر المشركون من لقاء قوة المسلمين
٢	ذات اطلاح		كعب بن عمير الغفاري	قوة المسلمين ١٥ رجلا فقط مقابل اعداد ضخمة من المشركين	ابيدت قوة الاغارة باستثناء رجل واحد حمل جراحه حتى وصل المدينة واخبر النبي الذي رغب تجريد حملة كبيرة للانتقام . الا ان الاخبار وصلته بفرار المشركين فعدل عن خطته .
٣	غزوة مؤته	السنة الثامنة للهجرة	على التسلسل القيادي ١ – زيد بن حارثه ٢ – جعفر بن ابي طالب ٣ – عبدالله بن رواحة ٤ – ترك للمسلمين اختيار الخلف فيما اذا قتل الثلاثة فتم انتخاب خالد بن الوليد	ثلاثة آلاف مقاتل مسلم مقابل عشرين الفاً نصفهم من الروم ونصفهم من لخم وجذام وبلقين وبلي ونسبة تفوق الروم سبعة مقابل واحد .	اشتبك المسلمون بمعركة ضارية قتل فيها القادة ، وعندما تولى خالد بن الوليد القيادة اعاد تنظيم قوته ونظم المؤخرة للقيام باعمال الاعاقة وسحب قوته . قتل من المسلمين اثني عشرة . مقابل اعداد اكبر من المشركين .

٤	غزوة ذات السلاسل		عمرو بن العاص	ثلاثمائة مقاتل من المسلمين – قوة دعم لحقت بعمرو مكونة من الفي مقاتل وفيهم أبو بكر وعمر وجميعهم بقيادة أبي عبيدة بن الجراح	طارد المسلمون قوات المشركين المتفرقة بعد ان وصلهم الدعم ولم تحاول قوات المشركين التجمع للاشتباك بقوة المسلمين ، وفرضت الجزية على المجوس .
٥	غزوة تبوك او « غزوة العسرة »	السنة التاسعة للهجرة	الرسول الأعظم	جميع المسلمين وتقدرهم بعض المصادر بثلاثين الفاً ومعهم عشرة آلاف راحلة	كان الروم قد حشدوا قواتهم في تبوك ولما بلغهم قدوم جيش الرسول تفرقوا وانسحبوا دون قتال وانتهت الغزوة بالصلح مع حاكم ايله«ايلات» ومع اهالي اذرح .
٦	غزوة يبنى وابل الزيت	السنة الحادية عشرة للهجرة	اسامة بن زيد	سبعمائة مقاتل من المسلمين	كان الرسول الأعظم قد عقدالراية لاسامة بن زيد قبل وفاته بايام ثلاثة وعندما توفي الرسول ، امر الصديق بتوجيه الغزوة التي انتهت باحراق يبنى وهرب اهل ابل الزيت علماً ان بعض الصحابة كان قد عارض بتوجيهها قبل الانتهاء من حروب الردة .

المراجع : ١ – التاريخ الكبير لابن عساكر .
٢ – فتوح الشام – الواقدى .

– ونتيجة لذلك فقد صمم الصديق على توجيه اسامة بن زيد للقيام بغزوة يبنى وابل الزيت بعد وفاة الرسول الاعظم مباشرة ، وذلك على الرغم من اعتراض بعض الصحابة وعلى رأسهم عمر بن الخطاب . وكان جواب الصديق على ابن الخطاب قوله :

(ثكلتك امك وعدمتك يا ابن الخطاب – استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرني ان انزعه – والذي لا اله الا هو ما رددت جيشاً وجهه رسول الله ولا حللت لواء عقده رسول الله (١) .

– بهذا التصميم ، وبهذا الايمان ، وبهذه المعرفة ، بدأ الصديق خلافته .

المرحلة الأولى من الهجوم :

– مؤتمر التعبئة –

– لم يكن الصديق يقرر امراً يتعلق بالمسلمين ومستقبلهم دون اخذ رأيهم وهو الذي شهد الرسول القائد ينزل عند رأي الصحابة اذا لم يكن في ذلك تشريع إلـهي ، ولهذا قرر توجيه الدعوة الى كبار الصحابة من انصار ومهاجرين لعقد مؤتمر يناقش فكرة غزو الشام التزاماً بالآية الكريمة « وأمرهم شورى بينهم » . وحضر المؤتمر علي بن ابي طالب ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن ابي وقاص ، وسعيد بن زيد ، وابو عبيده ابن الجراح ، وعمرو بن سعيد ، وخالد بن الوليد ، وطلحة والزبير وغيرهم . واستهل الصديق المؤتمر بقوله :

« حمداً لله ان جمع كلمتكم واصلح ذات بينكم وهداكم الى الاسلام ونفى عنكم الشيطان فليس يطمع ان تشركوا به ولا تتخذوا الهاً غيره ، فالعرب اليوم بنو أب وأم ، وقد رأيت ان استنفر المسلمين الى جهاد الروم بالشام

(١) ص ١٢٦ – ١٢٧ التاريخ الكبير لابن عساكر .

ليؤيد الله المسلمين ويجعل الله كلمته العليا مع ان للمسلمين في ذلك الحظ الاوفر لانه من هلك منهم هلك شهيداً وما عند الله خير للابرار ومن عاش عاش مدافعاً عن الدين مستوجباً على الله الثواب » .

– ووقف ابن الخطاب اول من وقف مؤيداً ومشجعاً ، وتابع بقية الصحابة تأييدهم ومبايعتهم الصديق على مخططه ، وجاء دور عبد الرحمن بن عوف فوقف يقول :

« يا خليفة رسول الله – انها الروم وبنو الاصفر – حدٌ حديدٌ وركن شديد ما أرى ان نقتحم عليهم اقتحاماً ، ولكن نبعث الخيل فتغير في قواصي ارضهم ثم ترجع اليك ، واذا فعلوا ذلك مراراً وأضروا بهم وغنموا من أداني ارضهم فقعدوا بذلك عن عدوهم ، ثم تبعث الى أراضي اليمن واقاصي ربيعة ومضر ، ثم تجمعهم جميعاً اليك ، ثم ان شئت بعد ذلك غزوتهم بنفسك وان شئت أغزيتهم » (١) .

– لقد تضمن حديث عبد الرحمن بن عوف اسساً ثابتة من اسس القتال :

١ – عدم الاستهانة بقوات الخصم وتقديرها بقوتها الحقيقية بعيداً عن العاطفة والارتجال .

٢ – ارسال الاغارات الاستطلاعية باستمرار لتأمين قاعدة انطلاق للهجوم واحباط روح القتال لدى العدو واضعاف روحه المعنوية ، علاوة على دراسة الارض وطبيعة السكان وقوة الخصم .

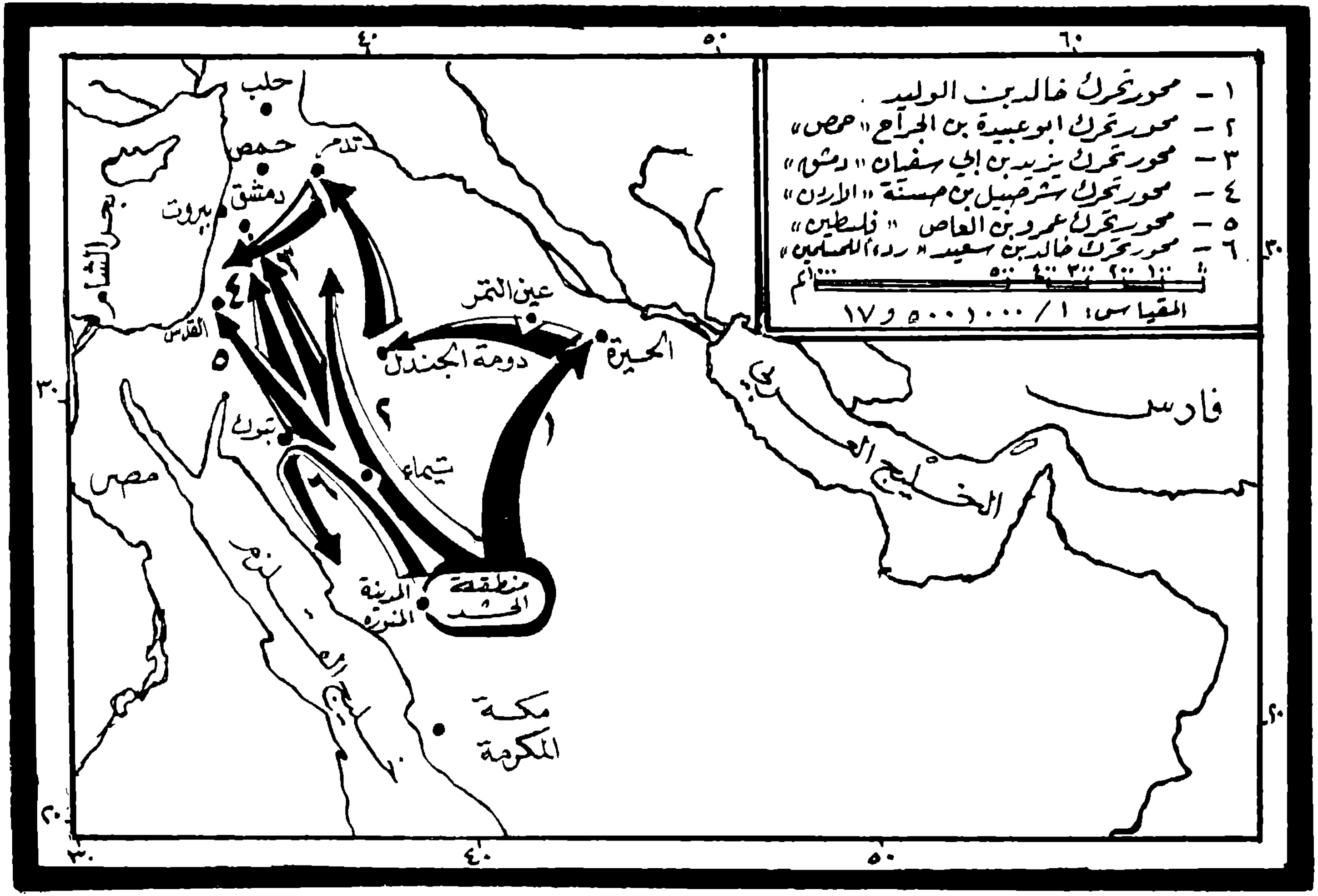
٣ – حشد القوات لتحقيق توازن في القوى واستنفار قبائل عرب الجزيرة واليمن جميعاً .

٤ – القيام بعد ذلك بالهجوم العام وقد توفرت له جميع اسباب النجاح .

نتيجة لاقرار فكرة غزو الروم والفرس ، والموافقة على التعبئة ، كتب ابو بكر

---

(١) تهذيب ابن عساكر ١ / ١٢٦ – ١٢٧



مخطط تحرك قوات المسلمين لفتح الشام ١٣ هـ - ٦٣٤ م

الصديق رسالة الى أهل اليمن يستنفرهم للجهاد ، وأوفد اليهم الصحابي أنس بن مالك ، كما أرسل مبعوثين عنه الى القبائل يعلمهم تصميمه ويطلب اليهم حشد طاقاتهم في المعركة .

عزل الجزيرة العربية :

– كان الصديق قد عقد راية لخالد بن الوليد وامره بالتوجه لقتال المرتدين بقوة ستة آلاف مقاتل ، وعندما انتهى خالد من واجبه المحدد له واخضع اهل اليمامة كلفه الصديق بالتوجه الى العراق لدعم المثنى بن حارثة الشيباني فيهـا واستلام قيادة العمليات في العراق . وفي الوقت ذاته ، تجمع المقاتلون في المدينة فعقد الراية لخالد بن سعيد بمهمة التوجه الى الشام .

– كان خالد بن سعيد بن العاص قد تمهل في البيعة لابي بكر الصديق ، والتقى بعد البيعة بكل من علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان فبادأهما بقوله :

(يا ابا الحسن – يا بني عبد مناف – غلبتم عليها ؟ – واجابه علي : أمغالبة ام خلافة ؟)

وهكذا لم يبايع خالد بن سعيد الابعد مضي شهرين ، وعندما عقد الخليفة ابو بكر الراية لخالد بن سعيد ، ثارت ثائرة ابن الخطاب واسرع اليه فقال له :

(أتؤمره وقد صنع ما صنع وقال ما قال ...)

وبعد فترة من التفكير اصدر ابو بكر اوامره بعزل خالد بن سعيد عن القيادة ووجهه الى تيماء حتى يكون ردءاً للمسلمين . وبذلك يكون

(اطاع عمر في بعض الامر وعصاه في بعض) (١)

– نزل خالد بن سعيد تيماء فتجمعت ضده قبائل بهراء وسليح وتنوخ وغسان وكلب وجذام ، فكتب خالد بن سعيد الى ابي بكر بذلك ، فكتب اليه ابو بكر :

---

(١) التاريخ الكامل لابن الاثير ٢/٢٧٥ .

(أقدم ولا تقتحمن واستنصر بالله ..)

فسار اليهم فلما دنا منهم تفرقوا . فنزل منزلهم وكتب الى أبي بكر فاجابه :

(اقدم ــ بحيث لا تؤتى من خلفك) (١)

تابع خالد بن سعيد تقدمه ، ونزل بين آبل وزيزاء والقسطل . فسار اليه بطريق يدعى « باهان » ووضع باهان مخططاً لعزل قوة المسلمين بفرض سيطرته على محاور التراجع ثم هاجمه ، وقتل عدد من المسلمين فيهم احد ابناء خالد بن سعيد . وهرب خالد مع من بقي معه من الجيش حتى وصل ذي المروة قرب المدينة . وخشي الخليفة الصديق ان تؤثر هذه الهزيمة على الروح المعنوية للمسلمين فاصدر اوامره الى خالد بن سعيد بالبقاء في « ذي المروة » وعدم مغادرتها ، وبقيت مع عكرمة بن ابي جهل قوة صغيرة قامت بحماية الانسحاب ، والتصدي للروم وحماية الجزيرة من تقدمهم .

التحدي :

ــ اغتر الروم بما احرزوه من نصر على خالد بن سعيد بن العاص ، واخذوا يفكرون بمتابعة الهجوم حتى يتم لهم تصفية الدين الاسلامي من الجزيرة العربية .

ــ عندما بلغت انباء الهزيمة الخليفة الصديق ، غضب لذلك ، وكانت طلائع القوات المستنفرة قد أخذت في الوصول الى المدينة ، وكان في قوات اليمن :

ــ قوات قبائل حمير وفي مقدمتها ذو الكلاع الحميري .

ــ قوات مذحج وفي مقدمتها قيس بن هبيره المرادي .

ــ قوات طيء وفي مقدمتها حارث بن سعيد الطائي .

ــ قبائل الازد وفي مقدمتها جندب بن عمرو الدوسي .

ــ قوات بني عبس وفي مقدمتها ميسرة بن مسروق العبسي .

ــ قوات بني كنانة وفي مقدمتها غيثم بن اسلم الكناني .

---

(١) تاريخ الطبري ٣٨٩/٣ .

– كان ابو بكر قد رد عمرو بن العاص الى عمله الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاه اياه من صدقات سعد هذيم وعذره وغيرهم قبل ذهابه الى عمان ، فلما عزم على توجيه الجيوش للشام ، كتب اليه يستشيره في تعيينه لقيادة جيش من جيوش الشام واجابه عمرو :

(اني سهم من سهام الاسلام وانت بعد الله الرامي بها والجامع لها ، فانظر اشدها واقساها) (١)

فاستدعاه الخليفة الصديق وامره بالحضور الى المدينة .

– وكان شرحبيل بن حسنة في جيش خالد بن الوليد الذي ذهب الى العراق . وحضر شرحبيل الى المدينة يحمل رسالة ابن الوليد ليعلمه بما حققه من انتصارات فاستبقاه عنده لتعيينه قائداً لجيش من الجيوش التي سيوجهها الى الشام .

– نظم ابو بكر الصديق القوات التي وصلت المدينة ووجهها على محاور مختلفة وبفواصل زمنية بحيث ينطلق كل جيش في اليوم التالي للجيش الذي سبقه .

– نظم الخليفة ابو بكر جيشاً من تسعة آلاف مقاتل ضم فيه اهل مكة والمدينة واسند قيادته الى يزيد بن ابي سفيان واوصاه ثم وجهه الى دمشق وكان معه ربيعة بن عامر كقائد ثان لهذا الجيش . وحدد الخليفة محور التحرك : تبوك ، البلقاء ، دمشق .

– نظم الخليفة جيشاً بقيادة عمرو بن العاص بمهمة فتح فلسطين ، واوصاه بقوله :

(اذا سرت بجيشك فلا تسر في الطريق التي سار فيها يزيد ... بل اسلك طريق ايلياء « القدس » حتى تنتهي الى فلسطين – وابعث عيونك يأتونك باخبار ابي عبيدة – فان كان ظافراً بعدوه فكن انت لقتال من في فلسطين .

---

(١) التاريخ الكامل لابن الاثير ٢/٢٧٨ .

وان كان يريد عسكراً فانفذ اليه جيشاً في اثر جيش – وقدم سهل بن عمرو وعكرمة بن ابي جهل والحارث بن هشام وسعيد بن خالد ..) (١)

– ودفع الخليفة جيشاً بقيادة شرحبيل بن حسنة بمهمة احتلال الاردن حتى بصرى ، والبقاء فيها بمهمة حماية قاعدة انطلاق جيوش المسلمين .

– وضم جيش ابو عبيدة بن الجراح افضل مقاتلي المسلمين من انصار ومهاجرين وحدد الخليفة له هدفه باحتلال مدينة حمص .

– تابع الخليفة الصديق حشد القوات ، وتجمعت لديه قوة فكلف معاوية ابن ابي سفيان بقيادتها لدعم اخيه يزيد واخذ من بقي مع خالد بن سعيد بعدأن كان شرحبيل قد اخذ قسماً كبيراً منها . وأذن الخليفة لخالد بن سعيد بدخول المدينة . وتقدم خالد بن سعيد راجياً الحاقه بجيش ابي عبيدة مقاتلاً في جيش المسلمين فأذن له .

٥ – بواكير النصر :

١ – جيش يزيد بن ابي سفيان – وصل جيش يزيد بن ابي سفيان الى تبوك واقام بها ثلاثة ايام ، وعندما اراد التحرك في اليوم الرابع وصلت طلائع جيش الروم ، ووضع يزيد مخططه لتدمير هذه الطلائع المكونة من عشرة آلاف مقاتل . فأخذ ربيعة بن عامر الف فارس وابتعد بهم وتابعت طلائع جيش الروم تقدمها ، وبدأت معركة ضارية مع جيش يزيد ، ثم انقضت قوة الكمين على المؤخرة ، وامكن بذلك ابادة قسم من هذه القوة التي كان يقودها البطاليق . وانتهت المعركة بسقوط ١٢٠٠ قتيل من الروم مقابل ١٢٠ قتيل من جيش يزيد(٢) .

– بدأت معركة القوات الرئيسية في اليوم التالي وصمد جيش يزيد وقاتل

---

(١) فتوح الشام – الواقدي ١/١٧ .
(٢) الواقدي /١/ .

المسلمون بعناد ، واستطاعوا مجابهة تحدي جيش الروم وكان لذلك دور حاسم في انتزاع النصر ، ثم وصلت قوات جيش شرحبيل بن حسنة وبذلك امكن تحويل الموقف لصالح المسلمين وامكن تمزيق جيش الروم وارغامه على الفرار .

– علم يزيد ان هناك تجمعاً للروم في« العربة » من ارض فلسطين فوجه اليهم أمامة الباهلي فهزمهم ، ثم تابع جيش يزيد تقدمه حتى « الداثن » (١) .

– كانت هذه المعارك هي اول معارك كبيرة يخوضها المسلمون ضد الروم بعد اغارة اسامة بن زيد .

– جمع يزيد الغنائم وارسلها مع شداد بن أوس الى المدينة وحمله رسالة الى الخليفة الصديق تشرح الموقف .

٢ – جيش ابو عبيدة بن الجراح – سار ابو عبيدة حتى وصل البلقاء ، وقاتله اهلها ، ونجح ابو عبيده في احباط المقاومة ، وطلب اهل البلقاء الصلح فعقد ابو عبيده معهم اتفاقية كانت اول عقد للصلح مع المسلمين (٢) .

٣ – جيش عمرو بن العاص – عندما وصل عمرو بن العاص الى فلسطين تقدم اليه عدي بن عامر من المسلمين وكان قد قدم الى الشام بتجارة له واعلم ابن العاص عن تقدم جيش كبير للروم يزيد على مائة الف فارس .

– نظم عمرو بن العاص قوة استطلاع من الف مقاتل ودفعها في اتجاه محور تقدم الروم ووضع على قيادتها عبدالله بن عمر بن الخطاب . وتقدمت هذه القوة واصطدمت بطليعة جيش الروم وحدثت معركة طاحنة اظهر فيها عبدالله بن عمر وعكرمة بن ابي جهل صموداً كبيراً وقيادة حازمة وامكن قتل قائد هذه القوة (٣) .

---

(١) الداثن : ناحية قرب غزة باعمال فلسطين /– هـ – معجم البلدان – ياقوت الحموي .

(٢) التاريخ الكامل لابن الاثير ٢/٢٨٠ .

(٣) لم يذكر الطبري هذا الجزء من المعركة ، ولعله كان اكثر حيطة من الواقدي فتجاهلها .

واستطاع عبدالله انتزاع النصر وتمزيق قوة العدو . وانتهت المعركة بسقوط ٦٠٠ قتيل من جيش الروم مقابل ٧ من المسلمين « الواقدي » .

– عادت قوة الاستطلاع ومعها بعض الاسرى فاستجوبهم عمرو ، وعلم منهم ان جيش العدو بقيادة روبيس وان قوته تقارب المائة الف .

– عرف عمرو ان خصمه روبيس سيحاول مباغتته بالهجوم فنظم قواته كالتالي :

– الميمنة بقيادة الضحاك بن قيس .

– الميسرة بقيادة سعيد بن خالد بن العاص .

– الساقة بقيادة أبي الدرداء .

– القلب بقيادته – عمرو بن العاص –

– ونظم عمرو بن العاص جيشه :

(لا يخرج سنان عن سنان ولا عنان عن عنان ولا ركاب عن ركاب – وهم كأنهم بنيان مرصوص وهم يقرؤون القرآن) (١) .

– قام جيش الروم بهجومه بعد ان كان عمرو بن العاص قد انهى استعداده للقتال . وصمد المسلمون ، ونجحوا في تحطيم حدة هجوم خصمهم ، وتصاعد الموقف ، واشتد القتال . وعندما شعر المسلمون بتمزق قوة جيش روبيس ، قاموا بهجومهم المضاد ونجحوا في تدمير العدو وارغامه على الفرار وترك ميدان المعركة وتابع الفرسان اعمال مطاردة القوات المنسحبة . وانتهت المعركة بسقوط ١٥,٠٠٠ قتيل من جيش الروم مقابل ١٣٠ من جيش المسلمين .

– ارسل عمرو بن العاص بعد المعركة رسالة يعلم فيها الخليفة الصديق بما حققه من نصر كما ارسل له الغنائم (٢) .

---

(١) الواقدي ٢٠/١ .

(٢) الطبري يذكر ان هذا الجيش كان سبعين الفاً . اما ابن الاثير فيذكر ان الجيش الذي ارسله هرقل الى عمرو كان يضم تسعين الفاً .

– ارسل عمرو بن العاص رسالة الى قائد جيش حمص ابي عبيدة يسأله فيها اذا كان في حاجة الى دعم ، وأعلم خالد ابا سعيد بمقتل ابنه الثاني في المعركة فطلب اذناً من ابي عبيده بالذهاب لرؤية مكان قتل ابنه والاخذ بثأره . وكتب ابو عبيدة رسالة حملها المراسل الذي رافق خالد بن سعيد جاء فيها :

(اما بعد – انما انت مأمور ، فان كان ابو بكر امرك ان تكون معنا فسر الينا ، وان كان امرك بالثبات في موضعك فاثبت)

– بقي عمرو في فلسطين ووصل المراسل وبرفقته خالد بن سعيد . وطلب خالد من عمر السماح له بمطاردة العدو وخرج معه ثلاثمائة مقاتل من بني حمير. ونجح خالد في مطاردة مؤخرة جيش الروم وقتل ٣٢٠ من جند العدو بما فيهم قاتل ابنه واستولت هذه القوة على رتل المواد التموينية وعادت الى مركز انطلاقها وانضمت الى جيش عمرو بن العاص

– انطلق ابو عبيدة بعد ذلك ويزيد بن ابي سفيان وشرحبيل بن حسنة لحصار بصرى . وحدثت بعض المعارك الثانوية . وعندما طالت فترة الحصار على بصرى ، عقد اهلها صلحاً مع المسلمين وكانت أول مدينة من مدن الشام تعقد الصلح مع المسلمين .

– انطلق ابو عبيدة بن الجراح في اتجاه هدفه حمص .
– وانطلق يزيد بن ابي سفيان في اتجاه هدفه دمشق .
– ورجع شرحبيل بن حسنة الى الاردن .
– وبقي عمرو بن العاص في فلسطين .

– كان هرقل في « ايلياء » القدس يشرف على الموقف بنفسه ، وعندما شهد توغل المسلمين وتوزعهم ، اصدر اوامره الى قواته بالتوجه لتدمير القوات العربية وضربها وهي متفرقة ، فوجه اخاه تذارق في تسعين الفاً ضد عمرو بن العاص ، ووجه جرجه بن توذر الى يزيد بن ابي سفيان ، وبعث القبقار بن نسطوس في ستين الفاً الى ابي عبيده ، وبعث الدراقص نحو شرحبيل .

– عندما شعر قادة جيوش المسلمين بتقدم جيوش الروم ، وعرفوا مخططهم ، اتصلوا فيما بينهم لدراسة الموقف ، واقترح عليهم عمرو بن العاص الاجتماع ومقابلة الخصم بقوة واحدة ، وكان مما كتبه لهم في رسائله :

(ان مثلكم لا يؤتى من قلة وانما يؤتى العشر آلاف من الذنوب فاحترسوا منها ...) . وتقرر الاجتماع بالجولان .

– كتب ابو عبيده بن الجراح الى الخليفة يشرح له تطورات الموقف ، فاجابه الخليفة :

(بث خيلك في القرى والسواد وضيق عليهم بقطع الميرة والمادة ولا تحاصرن المدائن حتى يأتيك أمري ..

فان ناهضوك فانهد لهم واستعن بالله عليهم فانه ليس يأتيهم مدد الا أمددناك بمثلهم أو ضعفيهم) (١) .

– اصدر الخليفة ابو بكر اوامره الى خالد بن الوليد للتوجه الى الشام ودعم القوات واستلام القيادة العامة وقال وهو يوجه كتابه الى ابن الوليد :

(والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد) .

ثم كتب الخليفة الى ابي عبيده بتعيين خالد بن الوليد :

(قد وليت خالداً قتال العدو بالشام ، فلا تخالفه ، واسمع له وأطع ، واني لم ابعثه عليك ان لا تكون خيراً منه ، ولكنني ظننت ان له فطنة في الحرب ليست لك . اراد الله بنا وبك خيراً والسلام) (٢) .

– وكتب خالد بن الوليد الى ابي عبيده عندما وصلته رسالة تعيينه :

(اتاني كتاب خليفة الله يأمرني بالسير الى الشام وبالقيام على جندها والتولي لأمرها – والله ما طلبت ذلك قط ولا أردته اذ وليته . فانت على حالك الذي

---

(١) الواقدي – فتوح الشام ٤٢/١ .

(٢) تاريخ الطبري ٣٩٠/٣ والكامل لابن الاثير ٢٨١/٢–٢٨٤ .

كنت عليه – لا نعصيك ولا نخالفك ولا نقطع دونك أمراً – فانت سيد المسلمين – لا ينكر فضلك ولا نستغني عن رأيك) .

٦ – الخليفة يوجه ابن الوليد الى الشام :

– امام زحف جيوش المسلمين الظافر ، ونتيجة لاستمرار وصول الامدادات من الجزيرة قرر هرقل الدخول في معركة حاسمة مع المسلمين واصدر اوامره بحشد قواته وتوجيهها نحو الجنوب ، وكان يشرف على تطورات الموقف وهو في ايلياء «القدس» .

– علم قادة المسلمين بأمر تحرك الروم ، فكتبوا الى الخليفة ابي بكر ، فارسل اليهم امدادات جديدة ، وانصرف خالد بن الوليد لتنظيم قواته من اجل التحرك الى الشام . واراد الاستئثار بأفضل المقاتلين مما اغضب المثنى بن حارثة ، فاعاد انتخاب قواته بما أرضى المثنى . وعندما أنهى استعداده غادر الحيرة ورافقه المثنى مودعاً الى قراقر .

– انطلق خالد بقوة خمسة آلاف فارس حتى عين التمر ، واغار بصورة مباغتة على اهلها فقتل المقاتلين وسبى غير المقاتلين واستولى على الممتلكات ووجه الغنائم والسبي الى المدينة وتابع تحركه في اتجاه سوى .

– المسافة بين قراقر وسوى خمسة ليال ، والطريق مجهول . اراد خالد السير عبر هذا المحور لتحقيق المباغتة . واستشار معاونيه ، ولم يوافقه أحد ، والتمس دليلاً يعرف الطريق ، فاقترحوا عليه رافع بن عميرة الطائي ، وقال رافع انه لم يعبر هذا المحور سوى مرة واحدة عندما كان طفلاً . وكان مما قاله له :

(انك لن تطيق ذلك بالخيل والانفال – ووالله ان الراكب المفرد يخافه على نفسه) .. واجابه خالد :

(ويحك ، انه لا بد لي من ذلك لاخرج من وراء جموع الروم لئلا تحبسني عن غياث المسلمين) (١) .

---

(١) التاريخ الكامل لابن الاثير ٢/٢٨٠ وتاريخ الطبري ٣/٤١٧ .

– امر خالد جنده بحمل ما يكفيهم من طعام ومياه لمدة خمسة ايام ، ثم أعطش الابل ورواها بعد ذلك مرتين ، ثم أمر بصر آذان الابل والشد على مشافرها لئلا تجتر ، ثم غادر خالد قراقر بمسيرته وعند انتهاء مرحلة اليوم الاول ذبحت عشر ابل ، ومزج ما تحتويه بطونها من المياه باللبن وسقيت الخيول . وتابعت القوة مسيرها ، وتكررت هذه العملية ذاتها بعد كل مرحلة من مراحل المسيرة . وعند اليوم الخامس وبعد انتهاء مرحلة المسيرة ، قيل لرافع وكان في عيونه رمد : ها قد وصلنا سوى . فاجابهم انظروا هل ترون شجرة عوسج كقعدة رجل . فقالوا ما نراها . فاجابهم : هلكتم والله اذاً وهلكت معكم . ثم الح عليهم وقال : ويحكم ابحثوا عن شجرة العوسج ، ووجدوا انها قطعت ولم يبق منها اكثر من بقية باقية . فقال لهم : احفروا ، فحفروا واستخرجو المياه فشربوا . وقال شاعر المسلمين :

لله عينا رافع أنى اهتدى فوز من قراقر الى سوى
خمساً اذا ما ساره الجيش بكى ما سارها قبلك انسي يرى

– اراد خالد الافادة من وصوله غير المتوقع للقيام بهجوم حاسم على قبائل « بهراء » فنظم اغارة مباغتة مع اول ضوء ونجح في ابادة مجموعات كبرى من « بهراء » وسبى غير المقاتلين وخرج ظافراً يحمل معه الأموال والغنائم والسبي . وكان القوم عندما باغتهم خالد بهجومه نياماً في حين كان بعضهم يشرب الخمر ومغنيهم القداح بن وائله ينشد :

الا عللاني قبل جيش ابي بكر لعل منايانا قريب ولا ندري
الا عللاني بالزجاج وكررا علي كميت اللون صافية تجري
الا عللاني من سلافة قهوة تسلي هموم النفس من جيد الخمر
أظن خيول المسلمين وخالداً ستطرقكم قبل الصباح مع العسر
فهل لكم في السير قبل قتالكم وقبل خروج المعصرات من الخدر

ويقال ان سيوف المسلمين أسالت دمه في الجفنة التي كان يشرب بها الخمر

وما من ريب ان هذه الصورة توضح الانهيار النفسي الذي اصيب فيه اعداء المسلمين عندما بلغهم وصول طلائع الجيش العربي الاسلامي « بلاد الشام » .

– تابع خالد بن الوليد مسيرته نحو الجنوب فوصل مرج راهط قرب دمشق. وقام بهجوم مباغت على قبائل غسان ، ونجح في تدمير المقاومة التي جابهته وحمل الغنائم والسبي وتحرك متابعاً مسيرته في اتجاه بصرى . وامكن له بذلك شق ثغرة بين القوات المرابطة بقيادة الحارث بن الايهم والتي كانت تعمل على قطع محور تحرك القوات الاسلامية بين جنوب دمشق وشمالها .

دراسة الموقف :

– عندما وصل خالد بن الوليد الى بصرى كانت جيوش المسلمين لا زالت متفرقة وبعض عناصرها قد تجاوزت دمشق وهي على طريق حمص . بينما كانت بقية الجيوش موزعة في الاقاليم المخصصة لها .

– توفرت المعلومات عن تحرك قوات الروم من الشمال على محورين :

١ – محور الساحل ، بقيادة تيودور اخو الملك « ويسميه العرب تذارق » وكانت وجهته فلسطين وقوته ٧٠,٠٠٠ .

٢ – محور الجهد الرئيسي وتتقدم عليه القوة الكبرى من انطاكية ، حمص ، بعلبك – دمشق وكان الهدف الواضح من مخطط الروم هو عزل جيش عمرو ابن العاص في فلسطين وتدميره ، ثم الاحاطة بقوات المسلمين وتدميرها بين المطرقة الجنوبية والسندان الشمالي .

– قرر خالد بن الوليد تجميع القوات بسرعة ، واصدر اوامره للالتقاء بالجولان وخرج مع قوة من الفرسان لسحب القوات المتوغلة في سهول دمشق والسهول الشمالية .

معركة بيت لهيا (١) :

– توفرت المعلومات لدى خالد بن الوليد عن وصول طلائع جيش الروم الى بيت لهيا بقيادة همذان بن وردان حاكم حمص ، فارسل قوة للاستطلاع بقيادة ضرار بن الازور ومعه خمسة آلاف فارس .

– اصطدمت قوة ضرار بطليعة جيش الروم ودارت رحى معركة طاحنة في ظروف غير متكافئة ، وقتل همذان بن وردان ، كما اصيب ضرار بن الازور بسهم في عضده ووقع اسيراً في قبضة الروم وتحول الموقف في غير صالح المسلمين ، واخذت قواتهم في التراجع . ولما شهد ذلك رافع بن عميرة الطائي دليل خالد بن الوليد اندفع مع قوة صغيرة وقاتل بعناد لايقاف تقدم جيش الروم ، وكان لهذا الموقف البطولي دوره في تحويل الموقف ، وعادت قوة المسلمين فنظمت صفوفها وانطلقت في هجومها المضاد ، ونجح الروم في تحطيم الهجوم المضاد وانتهت معركة اليوم الأول دونما نتيجة تذكر .

– علم خالد بن الوليد الموقف الذي تجابهه قوة ضرار ، وبأسر ضرار ، فنظم قوة قادها بنفسه وانطلق الى بيت لهيا .

– دارت معركة اليوم الثاني في ظروف مماثلة لمعركة اليوم الأول ، وامكن لخالد بن الوليد تحقيق انتصارات جزئية كان لها دور في تحطيم ارادة القتال عند الروم ، ووقع بعض الاسرى ، وتوفرت المعلومات من الانصار والاسرى عن توجيه ضرار بن الازور الى حمص مع قوة لحراسته مكونة من مائة مقاتل . فوجه خالد بن الوليد قوة مائة فارس انتخبهم بنفسه وعين لقيادتهم رافع بن عميره ورافقتهم خولة اخت ضرار ، وسارت هذه القوة عبر الطرق الجبلية حتى وصلت سلميه (٢) ، واستعلم عامر ، عن قوة الحراسة الموجهة الى حمص

---

(١) بيت لهيا : قرية في غوطة دمشق اختص اهلها بنحت الاصنام ، وهي بين حموريا وبرزه . معجم البلدان آ–ب .

(٢) كان اسمها المؤتفكة ويقال انه اصابها زلزال دمرها ولم يسلم منها سوى مائة – اعادوا تشييد المدينة فاطلق عليها اسم سلم مائة ودمجها العرب باسم « سلمية » .

فعلم انها لم تصل بعد فنصب كميناً واخذ ينتظر ولم تمض سوى فترة قصيرة حتى ظهرت قوة الحراشة ومعها ضرار بن الازور وباغتتها قوة الكمين وامكن لها تدميرها وانتزاع ضرار من قبضتها ثم عادت هذه القوة ، واثناء رجوعها التقت بمجموعات صغرى من الجند الذين رمى بهم خالد بن الوليد الى الهزيمة وارغمهم على ترك ميدان المعركة ، فهربوا في اتجاه حمص ، قاعدة عملياتهم ومركز انطلاق جيشهم ، فتلقتهم قوة رافع وابادت اعداداً كبيرة منهم .

معركة على ابواب دمشق «مرج الصفر» :

– نظم خالد بن الوليد عملية انسحاب القوات من الشمال في اتجاه الجولان، واراد قيادة المؤخرة ، الساقة . لكن ابا عبيدة اقترح قيادتها بنفسه وأقره خالد على ذلك .

– كان حاكم دمشق – بطرس – يراقب الموقف ، وعندما عرف بانسحاب جيش المسلمين اراد الانقضاض عليه من الخلف وتمزيقه . فانطلق بقوة ستة آلاف فارس وعشرة آلاف من جند المشاة .

– لحقت مقدمة جيش بطرس بمؤخرة المسلمين في مرج الصفر واشتبكت قوات الطرفين في معركة غير متكافئة . وانقض « بولص » اخو بطرس على الرتل الاداري وقاد النساء واحمال المواد التموينية وتوجه بها نحو دمشق .

– عرف سهل بن صباح ان نتيجة المعركة لن تكون في صالح ابي عبيدة فانطلق بسرعة الى المقدمة ، وشرح لخالد بن الوليد خطورة الموقف .

– اسرع خالد بن الوليد والفرسان لدعم معركة المؤخرة وتوجه فوراً بحركة التفاف واسعة وصل بها الى خلف المعسكر الذي اقامه بولص ونظم به الحراسة لحماية الغنائم والاسرى من المسلمين .

– كان في اسرى المسلمات : خولة بنت الازور ، وعفرة بنت غفار ، وام ابان بنت عتبه ، وسلمة بنت زراع ، ولبنى بنت حازم ، ومزروعة بنت عملوق وسلمة بنت النعمان .

– عندما توقف « بولص » برتل الغنائم وقفت خولة خطيبة بين المسلمات وطلبت اليهن الدفاع عن شرفهن وشرف العرب المسلمين عن طريق الاسهام في المعركة . ولما لم يكن لديهن سلاح ، حملن اعمدة الخيام وانطلقن في الجند قتلا وهن يرتجزن :

نحن بنـات تبـع وحمير ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وضربنا في القوم ليس ينـكر

لاننا في الحرب نـار تسعـر ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ اليوم تسقون العذاب الأكبر

– سقط عدد من جند الروم قتلى بيد النساء وانتزعت النساء السلاح وانطلقن الى القتال ، وقرر بولص القضاء عليهن ، وفي هذه الفترة الحرجة ظهر خالد وجنده واندفع ضرار لانقاذ اخته ، واندفع بقية الفرسان ، وقتلت خولة بولص وعاونها اخوها في ذلك ، وعندما تمت تصفية قوة الحراسة وهرب من استطاع الهرب توجه خالد الى جيش بطرس وباغته بهجومه من الخلف ، وامكن بعد معركة قصيرة وحاسمة تمزيق جيش دمشق ولم ينج من القتال سوى اعداد قليلة . واعيد تنظيم الجيش العربي الاسلامي واستمر في تحركه نحو الجولان .

التجمع في الجولان :

عندما تجمعت القوات بالجولان ، بقيت قوات جيش عمرو بن العاص في مجابهة جيش الروم الزاحف لمجابهته .

كان امام خالد بن الوليد موقف صعب ، فجيوش القوة الرئيسية للروم قد اعادت تجمعها عندما شهدت تجمع قوات العرب المسلمين وتوجهت نحوهم .

وكان عمرو بن العاص يجابه قوة كبيرة ، تستطيع تهديد مؤخرته ، وافاد خالد بن الوليد من الايقاع البطيء في سرعة تحرك خصمه فقرر تصفية الجيش الجنوبي الذي كان يقوده تيودور « تذارق » .

موقعة اجنادين :

– في ٢٨ جمادي الأول سنة ١٣ هـ – ٣٠ تموز ٦٣٤ م . وقعت معركة اجنادين . واجنادين موقع بين الرملة وبيت جبرين من فلسطين .

– عندما بدأ « تذارق » زحفه ، اضطر عمرو بن العاص الى الانسحاب عن بعض المواقع بعد ان كان قد احتل قسماً كبيراً من فلسطين وازال كافة مراكز المراقبة « المسالح » ودمر جميع الحاميات الصغرى ، واستمر في انسحابه حتى وصل اجنادين وهناك وصلت اليه قوات الجيوش العربية – الاسلامية بقيادة خالد بن الوليد .

– نظم خالد بن الوليد جيشه للمعركة على النحو التالي :

١ – الميمنة بقيادة عبد الرحمن بن ابي بكر .

٢ – الميسرة بقيادة سعيد بن عامر .

٣ – القلب بقيادة معاذ بن جبل .

٤ – الساقة بقيادة يزيد بن ابي سفيان .

– وقسم قوة الفرسان الى مجموعتين : مجموعة بقيادته ومجموعة بقيادة شرحبيل بن حسنه .

– حاول تذارق عندما شهد امدادات المسلمين ووصول قوات الدعم الدخول في مفاوضات على أمل حمل المسلمين الاكتفاء بالغنائم واعطائهم ما يحتاجونه من اموال وخيول واعادتهم الى الجزيرة ، ورفض خالد العرض المقدم اليه ، كما رفض قبول التحديات والتهديدات التي وجهها تذارق للمسلمين .

– بدأت المعركة عند فشل المفاوضات ، واستهدف المسلمون ابادة العناصر القيادية ، ونجح ضرار بن الازور بقتل حاكم طبريا منذ اللحظات الاولى لبداية القتال ، ثم قتل اصطفان حاكم عمان ، واشتدت المعركة ، وتزايد الموقف خطورة . وانتهت معركة اليوم الاول بسقوط ثلاثة آلاف من جند الروم فيهم

عشرة من القادة والحكام في الاقاليم منهم : دمر حاكم نوى ، وكوكب حاكم البلقاء ، ولاوي بن حنا ملك غزة .

– اراد تذارق نصب كمين لقتل خالد بن الوليد ، فطلب اليه التقدم للتفاوض معه في موقع حدده ، واستطاع خالد بن الوليد الحصول على المعلومات عن مكان الكمين وقوته ، فارسل في الليل عشرة من اشجع قادته ، وتمكنوا من قتل افراد قوة الكمين العشرة واحتلال مواضعهم ، وتقدم تذارق في اليوم التالي الى موضع الكمين وحده وهو يعتقد انه محاط بجنده ، وتقدم خالد – وبعد حوار قصير – امسك تذارق بخالد وطلب الى قوة الكمين الخروج لاخذه وانطلقت قوة الكمين فقتلت تذارق وحملت رأسه والقت به في مقدمة صفوف الخصم وبدأت على الفور معركة ، كانت فيها الروح المعنوية لدى الروم متدهورة بقدر ما كانت ارادة القتال والروح المعنوية للمسلمين عالية ، وامكن تمزيق جيش الروم وهربت فلوله من المعركة فتلقتها قوات الدعم التي كانت تتقدم من الجزيرة العربية . ولم ينج من جيش الروم سوى اعداد قليلة .

ميزان القوى بين جيش الروم وجيش العرب المسلمين في اجنادين		
جيش الروم	٧٠,٠٠٠ روم ١٠,٠٠٠ اهل البلاد	الفارق في ميزان القوى ١ الى ٢ في غير صالح المسلمين
جيش المسلمين	٤٠,٠٠٠	

معركة اليرموك ١٢ رجب ١٣ هـ – ١١ ايلول ٦٣٤ م.

التحرك من الجولان الى اليرموك :

– بعد تصفية جيش تذارق أصبح باستطاعة جيش ابن العاص الانضمام الى بقية قوات المسلمين دونما خوف من خطر التهديد بالتطويق من الخلف . وتجمعت القوات في الجولان .

– عندما عرف هرقل امر تدمير جيش تذارق وتجمع جيوش المسلمين

قرر مجابهة المسلمين بمعركة حاسمة ، فزج قواته وأمر جيوشه للقاء قوات العرب المسلمين .

— امام هذا الموقف عقد خالد بن الوليد مؤتمراً للقادة ، وطرح فيه الموقف للنقاش ، ومر أبو سفيان بن حرب فقال :

(ما كنت أظن أن أبقى حتى أرى أغلمة من قريش يذكرون أمر حربهم ويتذاكرون بما يكيدون به عدوهم في منزلي ولا يحضروني »(١)

وأدخل أبو سفيان بن حرب ، فجلس الى المؤتمرين وقال لهم :

(ان معسكركم هذا ليس بمعسكر — انني اخاف ان يأتيكم اهل فلسطين والأردن فيحولون بينكم وبين مددكم من المدينة فتكونوا بين عسكرهم فارتحلوا حتى تجعلوا اذرعات خلف اظهرهم فيأتيكم المدد والخبر ، واذا قبلتم رأيي فاجعلوا خالداً بن الوليد اميراً على الخيل ومروه بالوقوف بين المعسكرين وبين الخيل فانه سيكون لرحيل العسكر وقت السحر اصوات عالية تحدث لعدوكم فيكم طمعاً فان اقبلوا يريدون ذلك لقيتهم الخيـــول فكفتها وان كانت للخيول جولة دافعت عنها الرماة)(٢) .

نتيجة لدراسة الموقف تقرر الاخذ باقتراحات أبي سفيان بن حرب . ولا ريب ان تجربة خالد بن سعيد وهزيمته كانت ماثلة امام القادة . وصدرت التعليمات بتنظيم الانسحاب تحت حماية المؤخرة بقيادة خالد بن الوليـــد .

طبيعة ارض المعركة :

— نتيجة للهزيمة التي نزلت بجيش الروم في اجنادين ، اصدر هرقل اوامره الى قادته بعدم التوغل في مطاردة قوات العرب المسلمين . وقال لهم :

(انزلوا بالروم منزلاً واسع الطعن واسع المطرد ضيق المهرب)(٣) .

---

(١) و (٢) و (٣) تهذيب ابن عساكر ١٦١/١ .

ووقع اختيار قادة الروم على اليرموك ، وكان اختيارهم للموقع جيداً نظراً لما يتوفر فيه من ميزات دفاعية .

— تمركز جيش الروم في اليرموك والى يمينه نهر الاردن وبحيرة طبريا يحميان جناحه الايمن وبينه وبين المسلمين نهر اليرموك الذي يحمي جبهته اما جناحه الايسر فلا خطر من تطويقه نظراً لتفوق الروم العددي وقدرتهم على زج قوات من اليسار . كما ان قاعدتهم الخلفية مأمونة لاتصالها بقواعد الامداد والتموين في عمق بلاد الشام .

— تمركز جيش الروم في اليرموك فترة شهر كامل ، وهو يجمع المعلومات عن خصمه ويحاول ارهابهم بحرب نفسية عن طريق التظاهر بالغنى والقوة وجودة التسليح وكثرة العدد مقابل قوات محرومة من كل وسائل الترف ، ينقصها التسلح الجيد وهي في قوة عددية ضعيفة .

عندما نزل الروم في اليرموك ، درس عمروبن العاص طبيعة الارض وامكانية الافادة من ميزاتها وعندما شهد ميدان القتال محدداً ومحصوراً من اتجاهين قال :

(ابشروا حصرت الروم وقل ما جاء محصور بخير) (١) .

ميزان القوى — ومخططات الطرفين :

لم تكن قوى جيش الروم والمسلمين في اليرموك متعادلة وكان ميزان القوى كالتالي :

جيش الروم	جيش المسلمين	ميزان القوى	السلاح	ملاحظات (٢)
٢٤٠,٠٠٠	٣٨,٠٠٠	١/٦ تقريباً لصالح الروم	كان فرسان الروم ٨٠,٠٠٠ وكان فرسان المسلمين ١٠,٠٠٠ فتكون نسبة التفوق بالقوة الضاربة واحد لثمانية ١/٨ لصالح الروم	

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ١٧٢/١ .

(٢) هناك اختلاف في الارقام الا ان هناك شبه اتفاق على ان هذه الارقام اقرب ما تكون الى الدقة ، والاختلاف ناتج عن الفرق بين تحرك القوات من الجزيرة ، ثم وصول قوات الدعم بعد ذلك على موجات متتابعة .

– وهكذا كانت نسبة تفوق الروم واحد لستة في مجموع الجيش وواحد لثمانية في سلاح الفرسان .

– كان جيش الروم بطيء الحركة مثقلاً بذيله الاداري . اما جيش المسلمين فكان يتميز بالمرونة وخفة الحركة ويظهر ذلك واضحاً من خلال تقدمه الى اجنادين وقضائه على جيش تذارق والعودة الى الجولان ، ثم التحرك الى اليرموك قبل ان ينهي جيش الروم تحركه وحشد قواته .

– كانت الروح المعنوية لجيش الروم سيئة مما حفز القادة الى تقييد جندهم بالسلاسل خوفاً من الهرب ، فكانوا يقيدون كل عشرة بقيد واحد . وكانت الروح المعنوية للمسلمين في الذروة نتيجة لايمانهم بالهدف الذي يقاتلون من اجله ولثقتهم الكبرى بقادتهم ، ولشعورهم بالتلاحم . كما كان للانتصارات السابقة دور في تعزيز شعور الثقة بالنفس والقدرة على مجابهة الخصم .

– خلال توقف جيش الروم باليرموك ، درس خالد بن الوليد تنظيم قوات خصمه ووجد ان هناك ثغرة كبيرة في تنظيم قتال المسلمين وهي خوض المعركة بشكل مستقل ، بحيث ان كل جيش يخوض المعركة وحده وينسق القادة مواقفهم تبعاً للموقف ، واراد خالد صهر الجيش في تنظيم واحد فطلب الى قادة الجيوش عقد مؤتمر وحضر القادة : ابو عبيدة بن الجراح ، يزيد بن ابي سفيان ، شرحبيل ابن حسنه ، عمرو بن العاص ، ووقف ابن الوليد يحدثهم :

(ان هذا اليوم له ما بعده ، ولا تقاتلوا قوماً على نظام وتعبية وانتم متساندون فان ذلك لا يحل ولا ينبغي .

... انا ان رددناهم الى خندقهم اليوم لم نزل نردهم ... وان هزمونا لم نفلح بعدها ... فهلموا فلنتعاور الاماره .. فليكن بعضاً اليوم والآخر غداً ، والآخر بعد ذلك حتى تتأمروا كلكم – ودعوني اتأمر اليوم ..)(١)

---

(١) تاريخ الطبري ٣٩٤/٣ والتاريخ الكامل لابن الاثير ٢٨١/٢ .

– ووافق المؤتمرون على اقتراح خالد بن الوليد بالغاء نظام التساند واتباع نظام التعبئة .

– كان جيش الروم في اليرموك بقيـــادة تذارق فدفع مقدمة له بقيادة البطريق جرجيوس « جرجه » . اما جناحي الجيش فكانا بقيادة باهـــان والدراقص .

– نظم خالد بن الوليد جيشه فجعله ٣٨ كردوساً (١) وزعها كالتالي :

١٠ – عشرة كراديس في كل جناح من الجناحين الايمن والايسر .

١٨ – ثمانية عشر كردوساً في القلب .

– اختار خالد بن الوليد لقيادة الكراديس كبار قادته واشجعهم ممن صهرتهم تجارب الحرب امثال : القعقاع بن عمرو، وضرار بن الازور ، وعكرمة بن ابي جهل ، ومذعور بن عدي ، وعياض بن غنم ، وهاشم بن عتبه ، وزياد بن حنظله .

– وضع خالد المقدمة بقيادة قباث بن اشيم .

– كلف خالد بن الوليد لقيادة الميمنة شرحبيل بن حسنه وعمرو بن العاص.

– الميسرة بقيادة يزيد بن ابي سفيان .

– القلب بقيادة ابو عبيده بن الجراح .

– وضع معسكر النساء خلف التنظيم القتالي واسندت اليه واجبات :

١ – رعاية الجرحى .

٢ – عدم السماح لاحد بالتراجع .

– عندما انتهى التنظيم ، وتم الاستعداد للقتال ، وقف مقاتل ينظر جيش الروم وقال :

---

(١) كراديس جمع كردوس : وقد تكون محرفة من الكلمة الرومانية Kortis وتتراوح قوتها بين ٥٠٠ و ٦٠٠ مقاتل .

(ما اكثر الروم واقل المسلمين) فانتهره خالد بقوله :

(بل قل ما اكثر المسلمين واقل الروم – انما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان) (١) .

– عندما انتهى التنظيم لاحظ خالد بن الوليد قلة عدد فرسان المسلمين بالنسبة لخصمهم فقرر تعديل مخططه وتقدم من ابي عبيده وقال له :

(ان هؤلاء قد اقبلوا بعدة ولهم زجل وقرح وان لهم حدة لا يردها شيء وليست خيلي بالكثيرة ولا والله لاقامت خيلي لشدة خيلهم ورجالهم ابداً وقد رأيت ان افرق خيلي فأكون في احدى الخيلين وقيس بن هبيره في الخيل الاخرى ثم تقف خيلنا من وراء الميمنة والميسرة فاذا حمل الناس ثبت الله اقدامهم وان تكن الاخرى حملت خيولنا عليهم وهي حامية وتكون الاعداء قد انتهت شدتهم وتفرقت جماعتهم فاطلق الاعنة عند ذلك الى ان يظفرنا الله بهم ويجعل الدائرة عليهم وقد رأيت ان يجلس سعيد بن زيد مجلسك هذا ويقف من ورائه وبحذائه مائتان او ثلاثمائة يكونون للناس ردءاً) (٢) .

– واقر ابو عبيدة خالد على اقتراحه جاءت الخطة النهائية كالتالي :

– المشاة على ثلاثة انساق مهمتها تحطيم حدة هجوم العدو ويدعم كل نسق النسق الذي يتقدمه .

– قوة الفرسان على مجموعتين بواجب حماية الاجنحة وسد الثغرات ، وتتمركز خلف الاجنحة .

– تكوين قوة احتياطية واجبها دعم محور ثقل الهجوم ، وسد الثغرات ومجابهة الطوارىء والقيام بالهجوم المضاد .

---

(١) التاريخ الكامل لابن الاثير ٢/٢٨١ .

(٢) تهذيب ابن عساكر ١/١٦٤ .

– وقرر خالد بن الوليد في تعديل خطته مبدأين رئيسيين ؛ :

١ – فصل الفرسان عن المشاة وضرب كل طرف بمعزل عن دعم الطرف الآخر .

٢ – ترك العدو يتقدم حتى تتحطم قوة هجومه ثم يقوم الفرسان المسلمون بالهجوم المضاد .

– انهى خالد استعداده للمعركة بسرعة ، واستطاع القادة تفهم مبررات هذا التنظيم وعرف كل مقاتل الاسلوب الجديد للقتال . وكيفية خوض المعركة واصبح قادراً على مجابهة جيش الروم في كل وقت .

– اراد جيش الروم ان يبذل محاولة اخيرة لتجنب القتال ، وارسل يطلب وفداً لمفاوضته وجرت لقاءات تخللتها احاديث فيها الترغيب وفيها التهديد ، ومحاولة اخضاع المفاوضين لحرب نفسية ، الا ان ايمان المفاوضين وقادة المسلمين كان اقوى من التهديد ، كما كانت المغريات التي قدمت لهم دون مطامحهم في نشر الاسلام وازالة امبراطوريتي الروم والفرس .

الاستعداد للمعركة – وتنظيم التعاون :

– انصرف قادة جيوش الروم لتنظيم قواتهم ، وانطلق البطارقة يذكون الحماسة في صفوف المقاتلين ويحاولون رفع روحهم المعنوية ، ويطالبونهم الدفاع عن دينهم .

وفي الوقت ذاته كان قادة جيوش المسلمين يعيدون تنظيم قواتهم وفقاً للمخطط الموضوع ويتفقدون قواتهم ويثيرون حماستها للقتال ، فوقف معاذ بن جبل في ميمنة المسلمين يقول لهم :

(يا معشر المسلمين – ان اعداءكم قد تهيأوا للشدة ولا والله لا يردهم الا الصدق عند اللقاء والصبر عند القراع) .. ثم نزل عن فرسه وقال :

(من يريد فرساً يركبه ويقاتل عليه) .



نهر الأردن
بحيرة طبرية
نهر الرقاد
نهر العلان
حوران
فرسان
خالد بن الوليد

فوثب ابنه عبد الرحمن وكان غلاماً لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمـــره فقال :

(يا ابه – إني لأرجو الا يكون فارس اعظم غناء عن المسلمين مني فارساً – وانت يا ابه – راجلاً اعظم منك فارساً – الرجالة هم عظم المسلمين – فاذا رأوك حافظاً مترجلاً – صبروا ان شاء الله وحافظوا). فاجابه ابوه : **(وفقني الله واياك يا بني)** . وتابع معاذ بن جبل تجواله على قوات المسلمين وهو يردد :

(اللهم زلزل اقدامهم – وانزل علينا السكينة – وألزمنا كلمة التقوى ، وحبب الينا اللقاء ورضنا بالقضاء » (١) .

– انطلق ابو عبيده بن الجراح يتفقد قوات الاجنحة بصورة عامة وقوات القلب بصورة خاصة ووقف فيهم خطيباً يقول :

(عباد الله – انصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم – يا عباد الله – اصبروا فان الصبر منجاة من الكفر ومرضاة للرب ومدحضة للعار ، ولا تتركوا مصافكم – ولا تخطوا اليهم خطوة – ولا تبدأوهم بالقتال – وأشرعوا الرماح – واستتروا بالدرق – والزموا الصمت إلا من ذكر الله عز وجل في انفسكم حتى يتم امركم ان شاء الله) (٢) .

– وكان عمرو بن العاص يمر بالكراديس ويتفقدها ليعطيها تعليماتـــه ويقول لها :

(ايها المسلمون – غضوا الابصار – واجثوا على الركب – واشرعوا الرماح، فاذا حملوا عليكم فامهلوهم حتى اذا ركبوا اطراف الاسنة فثبوا في وجوههم وثبة الاسد – فوالذي يرضى الصدق ويثيب عليه ويمقت الكذب ، ويجزي بالاحسان احساناً ، لقد سمعت ان المسلمين سيفتحونها كفراً كفراً وقصراً

---

(١) و (٢) ص ١٦٢ – تاريخ ابن عساكر .

قصراً ، فلا يهولنكم جموعهم ولا عددهم فانكم لو صدقتموهم الحملة تطايروا تطاير اولاد الحجول) (١) .

– تطوع ابو سفيان بن حرب للقيام بجولة على صفوف المسلمين بهدف رفع روحهم المعنوية وهو الشيخ الطاعن في السن . فاذن ابو عبيده له بذلك . وسار ابو سفيان بين جموع المقاتلين وهو يخطب فيهم فيقول :

(يا معشر المسلمين ، انتم العرب وقد اصبحتم في دار العجم منقطعين عن الأصل تأثيراً من امير المؤمنين وامداداً لله ، وقد وقد اصبحتم والله بازاء علو كثير عدده شديد عليكم حتفه ، وقد وترتموهم في انفسهم وبلادهم ونسائهم ، والله لا ينجيكم من هؤلاء القوم اليوم ، ولا تبلغوا رضوان الله غداً . الا بصدق اللقاء والصبر في المواطن المكروهة ، الا انها سنة لازمة – وان الارض وراءكم ، بينكم وبين امير المؤمنين وجماعة المسلمين صحاري وبراري ليس لأحد فيها معقل ولا معقول الا الصبر ، ورجاء ما وعد الله – فهو خير معقول فامتنعوا بسيوفكم وتعاونوا بها ، ولتكن هي الحصون) (٢)

– ثم انطلق ابو سفيان وتبعه خالد الى معسكر النساء المسلمات وقد القيت امامه الحجارة وقال للنساء :

(لا يرجع اليكن احد من المسلمين الا رميتموه بهذه الحجارة – وقلن له – من يرجوكم بعد الفرار عن الاسلام واهله – وعن النساء وهن امام العدو) .

ثم قال لهن خالد :

(يا نساء المسلمين – اي رجل اقبل اليكن منهزماً فاقتلنه) (٣) .

---

(١) ص ١٦٣ – تاريخ إبن عساكر .

(٢) ص ١٦٢ – التاريخ الكبير لابن عساكر .

(٣) ص ١٦٣ – التاريخ الكبير لابن عساكر .

سير الاعمال القتالية :

– لم يكن الروم قد استوعبوا عمق جذور الدين الاسلامي في نفوس المقاتلين المسلمين ، ولا عرفوا ابعاد طموح القادة المسلمين ، فظنوا ان القضية ، ليست اكثر من قضية مادية دفعت الاعراب للقيام بالغزو على عاداتهم القديمة . ولهذا فانه ما ان انتظمت الصفوف حتى برز قائد جيوش الروم ماهان وطلب الاجتماع بخالد بن الوليد وعندما تم الالتقاء ابتدأ ماهان حديثه بقوله :

لقد علمت ان الذي اخرجكم من بلادكم غلاء السعر وضيق الامر بكم ، واني قد رأيت ان اعطي كل رجل منكم عشرة دنانير وراحلة ، تحمل حملها من الطعام والكسوة والادم « الجلود » فترجعون بها اهاليكم ونحن نعين لكم هذا في هذه المرة – فاذا كان من قابل بعثتم الينا فبعثنا اليكم بمثله ، وانا قد جئناكم ومعنا من الجيوش والعدد ما لا قبل لكم به) .

فقال له خالد :

(ما اخرجنا من بلادنا جوع ولا ضيق امر ولكنا معشر العرب نشرب الدماء فقيل لنا ان لا دم احلى من دم الروم ، فاقبلنا نهرق دماءكم ونشربها) .

وخرج خالد في اتجاه معسكره ، وعاد ماهان الى جنوده استعداداً لبدء المعركة .

– لم يدخل اليأس قلوب الروم ، فارادوا اتباع وسيلتهم التقليدية في التفريق والتجزئة وضرب العرب بعضهم ببعض فسيروا جبله بن الايهم الغساني ومعه قبائل لخم وجذام وبلقين وبلى وعاملة ، وهي من العرب المستعربة المنتسبة الى قضاعة وغسان . وقد حاول خالد بن الوليد والقادة المسلمين اكتساب هذه القبائل وضمها الى صفوف ابناء عمومتهم من العرب المسلمين ، الا ان جبله استمر في عناده ، وصمم على قتال جيوش المسلمين واراد خالد بن الوليد الحفاظ على قوة المسلمين من اجل المعركة الفاصلة مع الروم فاقترح تنفيذ ما يلي:

(القيام باغارة على جيش جبله بن الايهم ومن معه من جنود ارمينيا وقوتهم تقارب العشرين الفاً بقوة صغيرة ، فاذا امكن هذه القوة ايقاع الهزيمة بجبله وجنوده ، تكون قوة المسلمين قد بقيت سليمة وعلى استعداد للمعركة الفاصلة ، اما اذا هزمت فلايقال بان الهزيمة قد وقعت بجيش المسلمين مما قد يسيء الى روحهم المعنوية) .

– وافق ابن الجراح على مخطط خالد ، وتطوعت مجموعة – تقول بعض المصادر انها لا تزيد على سبعين رجلاً – وتقدم خالد بالمتطوعين الفرسان حتى معسكر جبلة بن الايهم ، وظن جبلة ان هذه المجموعة قد جاءت للمفاوضة ، الا ان قوة الاغارة اشهرت سيوفها وبدأت معركتها ، ولم تمض سوى فترة قصيرة حتى انجلى الموقف عن انتصار فرسان المسلمين وهزيمة جيش جبلة بن الايهم ، وكانت خسائر فرسان المسلمين قليلة زهيدة

– بدأ الروم هجومهم الرئيسي مع اول ضوء من يوم ١٢ رجب للسنة ١٣هـ. على النحو التالي :

– **معركة الجناح الايمن** – اندفع ماهان على رأس جيشه موجهاً الضربة الرئيسية الى الجناح الايمن للقيام بحركة استدارة واسعة وتطويق جيش المسلمين ، وتصدى جنود المشاة للهجوم وقاوموا زحف الروم مقاومة باسلة ، الا ان التفوق العددي للروم ساعدهم على ممارسة ضغط قوي اضطرت معه قوات الجناح الايمن ان تتراجع عن مواقعهــا في اتجاه القلب ، لكن ثبات الحجاج بن عبد يغوث في مواقعه اثار حمية قبائل حمير وحضرموت وخولان ، فعاودت هجومها والالتفاف حول بقية جنود الميمنة ، وانطلق ابو هريرة من اصحاب الرسول يقاتل بشجاعة ومعه مجموعة من الأزد فيثير الحماسة واستطاع المقاتلون تكوين حلقة احاطت بالمتسللين من الروم واستمر القتال بعناد وضراوة بعد ان اختلط مقاتلو جناح الميمنة بمقاتلي القلب .

– **معركة الجناح الايسر** – عندما اندفع ماهان في هجومه على جناح المسلمين الايمن اصدر اوامره الى قادته بالهجوم على الجناح الايسر للمسلمين لاحكام الطوق وعزل المسلمين . وطلب قناطر من جرجرين قائد جنود ارمينيا البدء بالهجوم ، الا أن جرجرين رفض البدء بالهجوم وطلب الى القناطر أن يبدأ هو بالهجوم ، وطال الجدل وكل يدعو الآخر للتقدم ، واخيراً اتفقا على الهجوم بصورة مشتركة ، واندفعت قوات الجيشين في مجابهة الجناح الايسر ، وصمد جنود المسلمين وتحطمت الموجات الاولى من جنود الروم أمام مواقع المسلمين ، وهنا ايضاً استطاع التفوق العددي ان يفرض وجوده فتراجع الجناح الايسر ، الا ان حملة الرايات والشجعان من المسلمين ثبتوا في مواقعهم يقاتلون ويقتلون واندفع الروم من الثغرة التي احدثوها ووصلوا الى ما وراء جنود المسلمين وفر بعض ممن لم تكن لهم طاقة على الصمود فاستقبلتهم النسوة وأرغمتهم على معاودة القتال .

– **معركة القوة الاحتياطية** – اختار سعيد بن زيد ثنية من ثنايا الأرض ، ووزع المقاتلين الذين بقيادته من افراد القوة الاحتياطية ، وكمنت هذه القوة بعد أن أجادت التمويه ، وعندما نجح الروم باختراق الجناحين الايمن والايسر وتقدمت قواتهم لتطويق المسلمين اندفع سعيد بن زيد وقوته الاحتياطية وقاتل بعناد وشجاعة واستطاعت هذه القوة الصغيرة الصمود بشجاعة أمام تفوق الروم ، وانضم يزيد بن ابي سفيان ومعه مجموعات من المقاتلين فدعموا القوة الاحتياطية وكذلك فعل شرحبيل بن حسنه واستمرت القوة الاحتياطية في تراجعها امام ضغط جيش الروم حتى كاد ينكشف قلب جيش المسلمين .

– **معركة الفرسان** – وقف خالد بن الوليد على رأس مجموعة من الفرسان خلف الجناح الايمن يرقب تطور المعركة ، ولما شاهد بعض فرسان الروم وقد نجحوا في اختراق ثغرة بين صفوف المسلمين انطلق للمعركة ونجح في ايقاف كل تقدم نحو القلب ، وفي هذه الفترة وصله مراسل من قيس بن هبيره قائد

مجموعة الفرسان المتمركزة خلف الجناح الايسر يعلمه فيها نجاح الروم في اختراق الجناج الايسر ، واندفع خالد لدعم قيس واستطاع الفرسان التصدي لفرسان الروم وكانت معركة ضارية سقط فيها من فرسان الروم ما يزيد على ستة آلاف فارس .

– **معركة النساء** – نجح فرسان الروم في اختراق الاجنحة وتراجع بعض المسلمين فانطلقت جموع النسوة ترميهم بالحجارة وتردعهم عن التراجع وتستثير حماستهم ، وهن يقلن باصوات تشق عنان السماء :

(اين اين عز الاسلام والامهات والأزواج) .

كانت ابنة ابن العاص تقود جموع النساء ، وتصرخ بالمتراجعين من المسلمين وهي تقول :

(قبح الله رجلاً يفر عن حليلته ، وقبح الله رجلاً يفر عن كريمته) .

فتنطلق معها اصوات المسلمات وهن ينشدن :

(والله لستم بعولتنا ان لم تمنعونا) .

ووصل فرسان الروم حتى معسكر النساء ، فانطلقت مجموعات النساء المؤمنات للقتال بالحجارة وانتزعن عمد الخيام يقاتلن بها فسقط عدد من جنود الروم حتى ان ام الحكيم بنت الحارثة بن هشام قتلت وحدها ستة فرسان من الروم .

– شهد ابو عبيده الموقف في تدهور فاستحث قادته على الصمود ، وشهد المسلمون استبسال النسوة ، واذا بالعباس بن سهل بن سعد الساعدي يثور بعد ان وصل في تراجعه حتى معسكر النساء فيصرخ :

يا هاربا عن نسوة ثنيات فعن قليل ما ترى سبات
ولاخطيئات ولا رصينات –

ويندفع مع مجموعة من المقاتلين فيستطيع تفريق مجموعات كبيرة من جنود الروم .

الهجوم المضاد :

– لاحظ قادة المسلمين ان حدة هجوم العدو قد تحطمت ، وان التعب قد نال من خصومهم فانطلقت الاصوات تستثير الهمم . فهذا صوت ابو سفيان ابن حرب يمسك راية ابنه ويقول بصوت ملجلج اهتزت له صفوف المسلمين :

(يا نصر الله اقترب – الثبات – الثبات – يا لمعشر المسلمين) .

وتجيبه اصوات المسلمين : لبيك اللهم لبيك .

– ويندفع فرسان المسلمين بقيادة خالد بن الوليد وقد اوشكت الشمس على المغيب للقيام بالهجوم المضاد وطرد جنود الروم ، وتبدأ مجموعات جنود المسلمين بالتلاحم والانتظام في صفوف متراصة لدعم الفرسان ، ويشاهد خالد بين الفرسان مقاتلاً اظهر من الصبر والشجاعة حداً كبيراً ، فيرغب بمعرفته ولم يكن هذا الفارس سوى خولة بنت الازور التي علمت بوقوع اخيها ضرار اسيراً بيد الروم فخرجت بحثاً عنه . ووعدها خالد ان يقدم كل عون . استمرت المعركة حتى ما بعد غروب الشمس ، الا ان الروم ارغموا في نهاية الامر على الانسحاب من معسكر المسلمين .

الكمين :

ما ان تم تطهير معسكر المسلمين من جنود الروم حتى انصرف القادة الى اعادة تنظيم قواتهم ومتابعة القتال ووضع خالد بن الوليد مخططه وبدأ تنفيذه على الفور :

– أمر خالد بن الوليد مفارز من جنوده باشعال النار الكبيرة على محور الطريق وحتى نهر اليرموك ، ووزع قواته على شكل كمين يحتل المرتفعات . ويمتد حتى اطراف وادي اليرموك ، ثم اندفع بقوة صغيرة الى داخل معسكر الروم على شكل اغارة مباغتة واشتباك مع فرسان الروم ثم تظاهر خالد بن الوليد بالفرار وتبعه فرسان الروم وبذلك فصل فرسان الروم عن جنود مشاتهم ، واخذ

الفرسان المسلمون ينطلقون من كمائنهم فيعملون في فرسان الروم تقتيلاً وابادة حتّى تم لهم القضاء على القسم الاكبر منهم ، ولاذت مجموعات صغيرة بالفرار على غير هدى .

– انطلق جنود المسلمين يقاتلون جنود الروم المقيدين بالسلاسل ، ويتّراجع المسلمون حسب المخطط الموضوع حتّى حافة الوادي ، وكان القضاء على واحد او اثنين من الجنود عند وصولهم حافة الوادي كافياً لاسقاط مجموعة العشرة بكاملهم في الوادي . واخذ جنود الروم يتساقطون مجموعة بعد اخرى حتّى سقط منهم في الوادي ثمانون الف قتيل . واخذت المجموعات الباقية تلوذ بالفرار .

عندما اشرقت شمس اليوم التالي ، كان الروم قد اخلوا ميدان القتال وانسحبوا على شكل مجموعات صغيرة .

– كان عدد الذين سقطوا في الوادي ثمانين الفاً ، وحمل الوادي منذ ذلك التاريخ اسم الواقوصة .

– اصدر خالد بن الوليد اوامره باعادة التنظيم ووجه مفارز صغرى لمطاردة فلول المنسحبين . وامكن قتل ٤٠,٠٠٠ من الروم خلال مرحلة الانسحاب .

وكانت نتيجة المعركة من القتلى :

١٢٠,٠٠٠ من جيش الروم .

٣,٠٠٠ من جيش المسلمين فيهم خيرة الصحابة من انصار ومهاجرين .

• • •

من ادب الحرب

القعقاع بن عمرو - واليرموك (١)

ألم ترنا على اليرموك فزنـــا   كما فزنا بأيـــام العـــراق
فتحنـــا قبلهـــا بصرى وكانت   محرمة الجناب لدى التـــلاقي
وعـــذراء المدائن قد فتحنـــا   ومرج الصفرين عـــلى العتاق
قتلنا من أقـــام لنـــا وفئنـــا   لهامهم بأسيـــاف رقـــاق
قتلنا الروم حتّى مـــا تســـاوى   على اليرموك معـــروق الوراق
فضضنـــا جمعهـــم لما استحالوا   على الواقوصة البتـــر الرقاق
غداة تّهافتـــوا فيها فصـــاروا   الى أمر يعضـــل بالـــذواق

التحرك من اليرموك الى دمشق :

- انتهت معركة اليرموك بفشل الروم ، وانتقل هرقل من القدس الى حمص ليتابع منها توجيه القوات ضد العرب المسلمين .

- توفرت الاخبار عند ابي عبيده بن الجراح عن تجمع الروم بفحل ، ووصول قوات دعم جديدة من حمص الى دمشق ، وكتب الى الخليفة ابي بكر يشرح الموقف ويطلب توجيهاته .

- بناء على أمر الخليفة أبي‌بكر ، استخلف ابو عبيده على اليرموك بشير بن كعب الحميري ، ووجه قوة قتالية لحصار الروم في فحل ونظم قوته للمسير .

- عندما وصلت قوات المسلمين الى دمشق ، دفع خالد بن الوليد بمجموعتين قتاليتين من الفرسان بمهمة عزل دمشق ومجابهة قوات الروم وقطع امداداتهم عن دمشق ، وكانتا كما يلي :

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ١/١٧٤

١ – المجموعة الاولى بقيادة ذي الكلاع – ما بين دمشق وحمص .

٢ – المجموعة الثانية بقيادة علقمة بن حكيم – ما بين دمشق وفلسطين .

– ثم قام خالد بن الوليد بتنظيم الحصار على دمشق كالتالي :

– قطاع الباب الشرقي بقيادة خالد بن الوليد .

– قطاع باب الجابية بقيادة ابي عبيدة بن الجراح .

– قطاع باب توما : بقيادة عمرو بن العاص .

– قطاع باب الفراديس بقيادة شرحبيل بن حسنة .

– قطاع الباب الصغير « كيسان » بقيادة يزيد بن ابي سفيان .

– ونظم خالد بن الوليد مجموعات مقاتلة من الفرسان بمهمة التجول باستمرار. والمرور على القطاعات وتقديم الدعم عند وقوع معركة في قطاع من القطاعات .

– كان الروم قد وعدوا اهل دمشق بتقديم الدعم ، فتمركز المقاتلون عند الاسوار ونظموا الدفاع عن المدينة ، ولما اطبقت قوات المسلمين ارسل حاكم دمشق طلباً الى الروم يستنجد بهم ، وارسل هرقل قوة من الفرسان ومعها امدادات لاهل دمشق وتصدت لها فرسان ذي الكلاع على بعد مسيرة يوم شمال دمشق ، ووقعت معركة قصيرة وحاسمة انتهت بهزيمة قوة الروم وفرار من استطاع الفرار في اتجاه حمص وغنم ذو الكلاع الامدادات التي كانت مع الروم .

الحصار – والقتال حول دمشق :

– لم يكن حاكم دمشق يتوقع استمرار الحصار ، لا سيما وقد اقبل الشتاء ، الا ان قوات المسلمين جابهت قسوة الطبيعة بصبر ، وصمدت لمقاومة الروم .

– نصب المسلمون المنجنيق ، واستمر الرمي والقتال من فوق الاسوار فترة (٧٠) يوماً . وحدثت خلالها بعض المعارك الدامية عندما قام حاكم دمشق بتنظيم اغارات مباغتة بقوات كبيرة على معسكر العرب المسلمين ، لكن العرب

المسلمين جابهوا هذه التحديات بعناد ، ونجحوا في الحاق الخسائر الفادحة بقوات هذه الاغارات ، حتّى اصيب جيش دمشق بالضعف والتخاذل لا سيما بعد أن طال أمد الحصار ولم تصل قوات دعم او امدادات الى اهل المدينة كما كان متوقعاً .

فتح دمشق – رجب سنة ١٤ هـ (١) :

– عندما كان جيش العرب المسلمين يحكم الحصار على دمشق ، كانت المفارز القتالية تنطلق لفتح القرى والمناطق المحيطة بدمشق . وهذا ما وضع جيش دمشق في عزلة تامة عن كل امكانات الدعم والامدادات .

– في ليل من ليالي شهر رجب سنة ١٤ هـ . احتفل اهل دمشق بمناسبة قدوم مولود لحاكم المدينة ، وكان خالد بن الوليد يراقب بيقظة وحذر كل تصرف لعدوه ، وكان قد اعد العدة واحضر التجهيزات الضرورية لتسلق الاسوار .

– ثم تقدم خالد بن الوليد مع منتصف الليل وبعدما عرف ان اهل المدينة ومقاتلوها قد انصرفوا عن المراقبة وشغلوا بامورهم فنصب السلالم والحبال وتساق حتّى وصل اعلى السور ولحق به بعض المقاتلين الاشداء امثال القعقاع بن عمرو ومذعوربن عدي ونجحت هذه القوة الصغيرة بفتح باب توما مع اول ضوء بفضل المساعدة التي لقيتها المسلمون من الانصار واندفع المسلمون وتصدى لهم الروم فقاتلوهم ، لكن المقاومة لم تلبث ان تمزقت امام موجات العرب المسلمين المندفعة باستمرار في اتجاه قلب المدينة .

– في تلك الفترة ، وعندما شعر اهل دمشق بالنهاية الحتمية تقدم حاكم دمشق وقادتها الى باب الجابية ، وطلبوا من ابي عبيدة بن الجراح عقد صلح

---

(١) يحمل كتاب الصلح بين أهل دمشق وبين خالد بن الوليد تاريخ شهر ربيع الآخر سنة ١٥ هـ . وهذا التاريخ هو غير تاريخ فتح دمشق . وانما وضع التاريخ في وقت لاحق بعد الفتح – وبعد موافقة الخليفة عمر على امضاء الصلح . فتوح البلدان – البلاذري – ١٢١ .

معهم . ووافق ابن الجراح ، وفتحت الابواب واندفعت موجات المقاتلين عبر دروب المدينة . وفي منتصف المدينة وعند المقسلاط ، او البريص ، وهو سوق النحاسين التقت قوات خالد بن الوليد التي دخلت دمشق حرباً وقوة ابي عبيدة التي دخلت دمشق سلماً . وتوقف القتال وتقرر تحكيم الخليفة عمر فوافق على عقد الصلح مع اهل دمشق .

- خلال فترة الحصار وصل كتاب الى ابي عبيدة من عمر بن الخطاب يعلمه بوفاة ابي بكر وينعيه للمسلمين ويعلمه بتوليه الخلافة . وكان نص الكتاب يتضمن عزل خالد بن الوليد وتولية ابي عبيدة القيادة العامة لكن أبا عبيدة كتم الأمر حتى تم فتح دمشق . ثم استمر في كتمانه حتى علم خالد بالأمر من الجماهير فجاء أبا عبيدة مستوضحاً واعلمه بحقيقة الامر ، وقبل خالد الامر بروح من الفروسية ونكران الذات .

- كان اول عمل قام به الخليفة عمر هو تنظيم جيش لدعم المقاتلين وتعويض الخسائر ، وارسله الى دمشق بعد ان كتب الى امراء الاقاليم وقادة الجيوش بابدال كل من يرغب . ولهذا سمي الجيش بجيش البدال .

- وكان اول عمل قام به أبو عبيدة بن الجراح هو تعويض جيش العراق واكماله من المقاتلين في جيش البدال وتوجيهه الى العراق بناء على امر الخليفة عمر من اجل دعم سعد بن ابي وقاص . وكان هذا الجيش بقيادة هاشم بن عتبة بن ابي وقاص ، ودفع هاشم ، القعقاع بن عمرو مقدمة له وتوجه الى القادسية .

- انصرف ابو عبيدة بن الجراح لتنظيم العلاقات العامة في المجتمع الجديد ، واقام في دمشق الفترة الضرورية لاعادة تنظيم الجيش ، وتنظيم شؤون دمشق ، ثم استخلف يزيد بن ابي سفيان على دمشق وانطلق مع بقية الجيوش الى فحل .

من ادب الحرب

القعقاع بن عمرو وفتح دمشق(١) :

اقمنا على داري سليمان اشهـــراً | بخالد روما قد حملنا بصارم (٢)
قصصنا الى الباب العراقي عنوة | فدان لنا مستسلماً كل قائم (٣)
اقول وقد دارت رحانا بدارهم | اقيموا لهم حر الورى بالغلاصم (٤)
فلما زأدنا في دمشق نحورهـــــم | وتدمر عضوا منهما بالاباهم (٥)

وقال ابو بجيد نافع بن الاسود :

فسائل بناسيطاس والروم حولـه | غداة دمشق والحروب بها تجري (٦)
ينبوك ان في الحروب مصالب | نسيل اذا جاش الاعاجم بالثغر (٧)
بقوم تراهم في الدهور اعـــزة | لهم عرض ما بين الفرائض والوتر (٨)
ابى الله الا ان عمرا بنا همـــوا | قوائم حرب لا تلين ولا تجري (٩)

---

(١) تهذيب ابن عساكر ١٠٦/١ .
(٢) داري سليمان – تدمر ودمشق – كانا دارين لسليمان بن داوود .
(٣) المعنى : توجهنا الى الباب الشرقي الذي يسار منه الى العراق وفتحناه عنوة .
(٤) الحديث موجه الى نساء العدو « اقيموا لهم حر الورى بالغلاصم » اجعلوا لرجالكم المداري به برأس حلقومهم لجبنهم او خوفهم من الحرب .
(٥) زأدنا : أفزعنا .
(٦) سيطاس : اسم قائد جند الروم في المعركة .
(٧) نسيل : نندفع كالسيل . اذا جاش الاعاجم بالثغر : اذا احتشدوا للقتال .
(٨) بمعنى يتصرفون برقاب اعدائهم كما يشاؤون . والفرائص : عصب الرقبة وشراينها .
(٩) أبى الله الا ان يبتليهم بعمر بن الخطاب للايذان بحرب مستمرة .

يوم فحل « بيسان » :

– انتهت معارك الجنوب ، وكانت معركة اليرموك الحاسمة بمثابة الضوء الاخضر لانطلاقة جيوش المسلمين نحو اهدافهم الجديدة ، وكانت هناك قوة كبرى قد تجمعت في فحل ووقع ابو عبيدة في حيرة من امره ، هل يبدأ بتصفية آخر جيوب المقاومة في الجنوب ام يندفع نحو الشمال لحصار دمشق ، وارسل الى الخليفة عمر يستشيره فارسل له الخليفة امر العمليات :

١ – اما بعد فابدؤوا بدمشق فانهدوا لها فانها حصن الشام وبيت مملكتهم .

٢ – واشغلوا عنكم اهل فحل بخيل تكون بإزائهم في نحورهم . واهل فلسطين واهل حمص .

٣ – فان فتحها الله قبل دمشق فذاك الذي نحب .

٤ – وان تأخر فتحها حتّى يفتح الله دمشق ، فلينزل بدمشق من يمسك بها ودعوها وانطلق انت وسائر الامراء حتّى تغيروا على فحل .

٥ – فان فتحها فانصرف انت وخالد الى حمص .

٦ – وأمير كل بلد على الجند حتّى يخرجوا من امارته (١) .

١ – لقد تضمن امر العمليات هذا تسلسل الواجبات المتتالية وافضلية كل واحد منها .

٢ – تحديد مسؤولية قيادة العمليات في الاقاليم بحيث تكون قوات الدعم المتقدمة الى جبهة من الجبهات تحت قيادة قائد الإقليم الذي تتم العمليات في ارضه .

– استناداً الى امر العمليات اصدر ابو عبيدة اوامره بتوجيه عشرة وحدات قتالية على قيادتها :

ابا الاعور السلمي ، عامر بن حثمه ، عمرو بن كليب ، عبد عمرو بن يزيد

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٥٧٠ .

ابن عامر الجرشي ، عمارة بن الصعق بن كعب ، صيفي بن علية بن شامل ، عمرو بن الحبيب بن عمرو ، لبدة بن عامر بن خثعمة ، بشر بن عصمة ، عمارة بن مخشي وهو القائد لهذه المجموعات . وتوجهت هذه القوة الى فحل(١)

– كانت قوة جيش الروم في فحل تقارب المائة الف مقاتل ، تسلل اكثرهم من حمص وانضمت اليهم القوى التي هزمت في المعارك السابقة كما التحقت بهم العناصر والقوى المضادة للعرب المسلمين .

– عندما وصلت القوة المقاتلة بقيادة عمارة بن مخشن ، جابهها جيش الروم بتفجير القنوات والمجاري المائية مما حول التربة الى سهل طيني يصعب على الفرسان التقدم فيه .

– توقف عمارة بن مخشي ، ووزع قواته لحصار فحل ولم يقتحمها نظراً للفارق العددي الكبير بالقوة ، وبسبب صعوبة التقدم في الاراضي الطينية.

– انتهت معركة دمشق بانتصار المسلمين . وكانت فحل لا تزال محاصرة . فاعاد ابو عبيدة بن الجراح تنظيم قواته على النحو التالي :

– **المقدمة بقيادة خالد بن الوليد .**
– **المجنبة اليمنى بقيادة ابي عبيدة بن الجراح .**
– **المجنبة اليسرى بقيادة عمرو بن العاص .**
– **قوة الفرسان بقيادة ضرار بن الأزور .**
– **قيادة مجموعات المشاة بقيادة عياض بن غنم .**
– **القيادة العامة لشرحبيل بن حسنة نظراً لان موقع المعركة هو في حدود المنطقة التابعة له .**

– ثم استخلف ابو عبيدة يزيد بن ابي سفيان في دمشق ، وانطلق بقوته في اتجاه الجنوب .

---

(١) تاريخ ابن جرير ١ – ٥.

– عندما وصلت القوات فحل ، استلم شرحبيل القيادة فوزع القوات وكانت المياه والوحل حاجزاً بين جيش الروم وقوات المسلمين .

– كتب شرحبيل بن حسنة الى الخليفة عمر يشرح له الموقف ، ويطلب توجيهاته ثم نظم اقامة القوات وامدادها . ووضع مخططاً لاستنفار القوات وبقاء قوة جاهزة باستمرار لمجابهة الطوارىء :

[وكان شرحبيل لا يبيت ولا يصبح الا على تعبئة] (١) .

– عندما طال مقام المسلمين ، ظن الروم ان باستطاعتهم تحقيق المباغتة والقيام بهجوم حاسم ليلي وقام سقلار بن مخراق ومعاونه نسطوس بالهجوم ، وتلقاهم المسلمون وهم على استعداد كامل لدخول المعركة نتيجة لاجراءات الامن والاستعداد الدائم الذي فرضه شرحبيل على قواته .

– بدأت المعركة ضارية منذ لحظاتها الأولى ، واظهر المسلمون عناداً رائعاً وتصميماً على انتزاع النصر رغم التفوق العددي الكبير الذي كان لصالح خصمهم . واستمرت المعركة بقية الليل والنهار كله ، وعندما اقبل الليل، ظهرت بواكير التحول في الموقف بسبب مقتل قادة الروم واندفع فرسان المسلمين يقتلون خصومهم الذين غرقوا في المياه والوحل . وتابع الفرسان يسوقونهم بالرماح سوقاً حتى الرداغ .

– كانت فحل اول موقع تم به حصار قوات الروم وهزمت هذه القوات فيها وابيدت في الرداغ .

– سقط في المعركة عشرة آلاف مقاتل من الروم ، وابيد في الرداغ ثمانون الفاً ولم ينج من جيش الروم الا عدد قليل جداً من المقاتلين .

---

(١) التاريخ الكامل لابن الاثير ٢/٢٩٥ .

قال القعقاع بن عمرو في يوم فحل (١) :

وغداة فحل قد رأوني معلماً والخيل تنحط والبلا أطوار
ما زالت الخيل العراب تدوسهم في حوم فحل والقنا حوار (٢)
حتى رمين سراتهم عن أسرهم في ردغة ما بعدها استمرار (٣)
يوم الرداغ فعند فحل ساعة وخز الرماح عليهم مدرار
ولقد أبرنا في الرداغ جموعهم طراً ونحوي تبسم الابصار (٤)

وقال ايضاً :

وغداة فحل قد شهدنا مأقطاً ينسي الكمي سلاحه في الدار(٥)
ما زلت أرميهم بقرحة كامل كر المبيح ريانه الابسار(٦)
حتى فضضنا جمعهم بتردس ينفي العدو اذا سما جرار(٧)
نحن الاولى جسوا العراق بتردس والشام جساً في ذرى الاسفار (٨)

---

(١) تهذيب ابن عساكر ١/١٤٥ .
(٢) **حوار** : اي الرماح تموج فيهم .
(٣) الردغ : الماء والطين والوحل الشديد .
(٤) ابرنا : اهلكنا .
(٥) المأقط : اضيق المواضع في الحرب .
(٦) ريانة : التمهل والبطء . المبيح : الأسد . الابسار : من بسر : كلح وجهه وتجهم .
(٧) تردس : الضرب والدفع .
(٨) ذرى الاسفار : اعاليها واصعبها .

يوم مرج الروم (١) :

– علم هرقل بسقوط دمشق ، وحصار جنده في فحل فاراد ان يوجه قوة لرفع الحصار وتهديد دمشق بحيث لا تتاح لجيوش العرب المسلمين التوجه الى الشمال لفتح حمص .

– عندما تمت تصفية القوة المحاصرة في فحل ، وجه الجيوش نحو اهدافها المحددة لها في خطة العمليات الاساسية ، فتم توجيه :

١ – شرحبيل بن حسنه الى الاردن .

٢ – عمرو بن العاص الى فلسطين .

ثم انطلق ابو عبيدة بن الجراح وبرفقته خالد بن الوليد الى حمص وعندما وصل مرج الروم اصطدم بجيش ابي عبيدة ، ودارت معركة طاحنة بين الطرفين حتى غطت جثث القتلى السهل .

كان على مقدمة جيش الروم القائد « ستنش » وعندما عرف « توذرا » باصطدام مقدمته مع العرب المسلمين قام بحركة استدارة وانطلق في اتجاه دمشق .

– بعد دراسة الموقف قرر ابو عبيدة توجيه قوة بقيادة خالد بن الوليد لمطاردة جيش « توذرا » والانقضاض عليه من الخلف . وبقي ابو عبيدة في مواجهة طليعة الجيش بقيادة « ستنش » .

– علم يزيد بن ابي سفيان بتقدم « توذرا » فخرج للقائه ، واشتبك معه في معركة اظهر فيها الروم صموداً رائعاً ، واستطاع يزيد ان يحطم ارادة الصمود عند خصمه وانزل به ضربات قاتلة ، ثم باغت خالد بن الوليد جيش الروم بهجوم من الخلف فتمت تصفيته بكامله تقريباً (٢) .

– عاد خالد بن الوليد بعد ذلك الى مرج الروم ، فوجد ان ابا عبيدة قد

---

(١) مرج الروم هو سهل البقاع . قاموس الجغرافيا القديمة – احمد زكي باشا .

(٢) التاريخ الكامل لابن الاثير ٢/٣٤٠ .

انتهى من تصفية قوات خصمه وتمزيقها بحيث لم يتمكن من الفرار سوى مجموعات صغيرة .

– عندما علم هرقل بالهزيمة المنكرة التي منيت بها قواته في مرج الروم ، وكانت هذه آخر قوة احتياطية لديه ، قرر مغادرة حمص الى الرها . وترك امر الدفاع عن حمص الى بطريقها ووعده بتوجيه قوات لدعمه ومساعدته .

– اعاد ابو عبيدة تنظيم قواته بعد المعركة ودفع امامه الطلائع والمقدمة وسار في اتجاه حمص .

من ادب الحرب

قال خالد بن الوليد في يوم مرج الروم :

– نحن قتلنا توذرا وشوذرا
وقبله ما قد قتلنا حيدرا
– نحن أزنا الفيضة الاكيدرا .

الدروس المستخلصة من المرحلة الأولى في فتح الشام :

– وصلت طلائع القوات العربية – الاسلامية إلى حدود بلاد الشام في نهاية السنة الحادية عشرة للهجرة . واستسلمت دمشق للعرب المسلمين في السنة الرابعة عشرة للهجرة ، وبين التاريخين فترة عامين ونصف تقريباً ، فاذا قورنت المساحة الأرضية التي تم احتلالها بالمدة التي تطلبها هذا الاحتلال ظهر بوضوح ان هجوم العرب المسلمين سار في مرحلته الأولى بايقاع بطيء ومعدل ضعيف وكان لذلك ميزاته الكبرى . فقد انطلق العرب المسلمون من جزيرتهم لمجابهة اقوى دولتين عرفهما العالم القديم ، وكان عليهم تحطيم عدد من المعطيات حتى يتمكنوا من تثبيت اقدامهم والانطلاق بثبات وقوة للمراحل التالية :

١ً – كان عليهم تحطيم عامل التفوق البشري والتفوق بالامكانات المادية .

٢ً – وكان عليهم تحطيم عامل « الهيمنة الاجنبية » .

٣ً – وكان عليهم نشر الدعوة الاسلامية بين القبائل ، وتعريف سكان البلاد بأهدافهم .

٤ً – وكان عليهم دراسة العدو ، ومعرفة نقاط ضعفه ودراسة الأرض ومعرفة ميزاتها .

٥ً – وكان عليهم تطوير تنظيماتهم وتعديل اساليبهم بما يتوافق مع المواقف المختلفة والتحديات التي تجابههم .

– واستطاع العرب المسلمون تحطيم هذه المعطيات بمجموعة من الاجراءات والاساليب منها :

١ً – خوض حرب استنزاف صعبة وشاقة وتجنب اللقاء بمعارك حاسمة الا بعد ان يتصلب عود الجيوش الاسلامية من خلال معاركها اليومية ومن خلال اعمال قتالها بعد تقسيم المعركة الكبرى الى مجموعة معارك ثانوية يتم خلالها تحطيم قوات العدو وتدمير اكبر قوة قتالية « كما تم في اجنادين واليرموك » .

٢ً – عدم تمكين الروم من تشكيل مقاومات جديدة وذلك بالقضاء على اكبر قدر ممكن من قواته واتباع اسلوب الابادة وتطويق ميدان المعركة وعزله ثم القيام بالمطاردة الحاسمة « يوم فحل » .

٣ً – احراز انتصارات حاسمة في المعارك اليومية وبذلك تزول رواسب الهيمنة الأجنبية ويكتسب المقاتلون الثقة بقدرتهم على تحطيم قوة العدو ، مهما كانت كبيرة .

٤ً – اتباع اسلوب الحرب النفسية ، واحباط الروح القتالية ، لدى الخصم عن طريق الثبات في المقصد وعدم التردد في المواقف الحاسمة والعناد في القتال والصدق في تنفيذ التهديد والوعيد .

٥ – الاتصال بسكان البلاد – والقبائل العربية بصورة خاصة – لوضعها خلال المرحلة الأولى على الأقل ، في موقف الحياد ، مع تكوين مجموعات من الأنصار تعمل الى خلف قوات العدو وتوفر للعرب المسلمين المعلومات عن قوات عدوهم وتحركاته ونواياه وما يعتزم تحقيقه .

٦ – تعديل التنظيم القتالي والافادة باستمرار من تجارب – الخطأ والصواب – لوضع اسس تتوافق مع تنظيم العدو وحجم قواته ونوع اسلحته ووضعه النفسي .

العوامل التي ساعدت العرب المسلمين في تنفيذ مخططهم :

– لقد ساعد الروم على غير ارادة منهم القادة العرب المسلمين في تنفيذ مخططاتهم فقد استمروا في تقييمهم لقوة العرب المسلمين على نحو ما كانوا يفعلونه سابقاً . ولذلك دفعوا اليهم في البداية قوات صغرى . وعندما دمر العرب المسلمون هذه القوات توقف هرقل عن زج قوات جديدة في انتظار تطور الموقف وعلى امل ان يكتسب العرب المسلمون بعض المكاسب المادية الصغرى التي نصرفهم عن تحقيق واجباتهم واهدافهم ثم يقوم الروم بهجوم حاسم يعيدون العرب الى جزيرتهم . وكان هذا الجهل لما حملته الموجة الفاتحة من العرب المسلمين ، وعدم ادراك الروح الجديدة التي تطمح الى فتح آفاق واسعة ، والوصول الى ابعاد غير محدودة ، هو من العوامل التي كانت في صالح العرب المسلمين .

وكان قادة العرب المسلمين بالمقابل يعرفون جيداً أهدافهم ، ويعرفون ، قوة « بني الاصفر » ويحسبون حساباً لها . ويقفون موقف الحذر في كل خطوة من خصومهم . وهذا ما حملهم على اجراء دراسة موضوعية دقيقة لكل تصرف ولكل موقف يقفه العدو ومعرفة نقاط القوة ونقاط الضعف . والافادة من نقاط الضعف مع ايجاد الوسائل لمعالجة نقاط القوة والتغلب عليها .

– لقد عمل كل جيش من جيوش المسلمين بشكل مستقل في منطقة العمليات

المحددة له . وكان القادة على اتصال مستمر ودائم فيما بينهم لتبادل المعلومات ودراسة الموقف ومجابهة الأحداث الطارئة . وكان كل قائد يسرع لدعم القائد الآخر في مسرح عملياته ويضع قواته تحت تصرفه لمجابهة قوات الروم المتفوقة وعندما يتم القضاء على هذا التفوق يعود كل جيش الى منطقة عمله .

ـ كان الروم يتحركون بصورة بطيئة نتيجة لتنظيماتهم الادارية ، وللحجم الكبير في امداداتهم وتموينهم بينما كانت القوات العربية خفيفة الحركة سريعة المناورة لا يثقلها التموين والامداد تتعايش مع المنطقة التي تعيش فيها ويكتفي المقاتل بالزاد القليل . وهذا مما كان يساعد قوات المسلمين على التنقل بسرعة من منطقة الى منطقة ومن جبهة الى جبهة ومباغتة الخصم قبل ان يكمل استعداده القتالي او تجمعه .

ـ لقد برهنت معارك المرحلة الأولى على تميز المقاتلين من العرب المسلمين بكفاءة بدنية عالية وقدرة على تحمل الصعاب . ويمكن أخذ تحرك خالد بن الوليد من العراق الى الشام نموذجاً لذلك . فقد تجاوز خالد المسافة عبر الصحراء في خمسة ايام ثم استمر في مسيرته نحو الجنوب مع الاشتباك في القتال مع الخصم خلال كل مرحلة من مراحل المسير ، كما ان تحرك قوات المسلمين الى اجنادين وزج القوات بالقتال فوراً وثم العودة الى الجولان والتحرك الى اليرموك برهان آخر على كفاءة المقاتلين الجسمي وقدرتهم العالية على تحمل اعباء القتال .

نتائج المرحلة الأولى من العمليات :

آ ـ النتائج الاستراتيجية :

١ ـ تنظيم قاعدة متقدمة ـ انتهت المرحلة الأولى من عمليات الجبهة الشرقية بسقوط دمشق ، واصبح باستطاعة العرب المسلمين الانطلاق منها لمتابعة فتح الاقاليم والاستناد الى قاعدة قوية ومأمونة لا خطر من تطويقها ولا خوف من

عزلها . ولم تعد المدينة منطقة الحشد بل اصبحت الجابية هي مقر القيادة الامامية وكان الخليفة عمر يتوجه اليها في كل مرة يتطلب الأمر معالجة موقف من المواقف على مقربة من مسارح العمليات . كما اصبح باستطاعة الجيوش العربية ان تستفيد من امكانات هذه القاعدة لدعم القوات المتقدمة بمتطلباتها البشرية والتموينية .

٢ – **استنزاف قوة الروم** – لقد استنزفت معارك المرحلة الأولى قوة الخصم واحدثت تغيراً جذرياً في ميزان القوى ، وحطمت عوامل تفوق الروم المادية والبشرية والمعنوية واصبح العرب المسلمون اكثر قدرة على تطوير عملياتهم بسرعة والانطلاق بثبات وحزم نحو اهدافهم الجديدة .

٣ – **تحقيق الهدف من الحرب** – « المقصد » . وضعت معركة اجنادين واليرموك ثم احتلال دمشق حداً نهائياً لاحتلال الروم . وبذلك تحقق الهدف المحدد للحرب وهو تحرير الشام من سيطرة الروم والتمهيد لمرحلة نشر الاسلام فيها .

لقد كانت نهاية المرحلة الأولى عملاً حاسماً في تطوير الموقف العام نظراً لما تتميز به الشام من موقع جغرافي واستراتيجي ذو اثر كبير على مسيرة العمليات في المنطقة كلها .

٤ – **التمهيد لاقامة علاقات اجتماعية جديدة** – كانت الحرب ، في نظر العرب المسلمين وسيلة لنشر الدين الاسلامي . ولهذا بقي الهدف الاساسي مرافقاً لاعمال القتال كلها. وعندما كانت تتوقف المعركة يبدأ القادة وباسرع ما يمكن الى ترسيخ جذور العلاقة بين اهل البلاد الاصليين وبين العرب المسلمين. وتبدأ هذه العلاقات بمعاهدة الصلح التي تحدد واجبات كل طرف وحقوقه على الطرف الآخر ثم تتطور هذه العلاقة الى التعايش والفهم المتبادل للاهداف بين الحاكمين والمحكومين على اسس ثابتة من الحق والعدالة .

ب – النتائج العسكرية :

١ – ظهور قيادات عسكرية – كانت المعارك المتتابعة بمثابة مدرسة تعلم منها القادة فن الحرب ، وكان لاحتكاكهم بجيش الروم دور كبير في اغناء معرفتهم بقيادة التشكيلات الكبرى وتطبيق فن الحرب وتطويره لمجابهة المواقف المختلفة وان ظهور اسماء كثيرة مثل خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وابو عبيده بن الجراح وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن ابي سفيان والقعقاع بن عمرو وضرار بن الأزور وغيرهم ما هو الا برهان على جود اصالة ثابتة واستعداد فطــري للاضطلاع بادوار قيادية ثم جاءت التجارب فصقلت هذه المواهب وابرزتها الى مسرح الوجود في صورتها الرائعة .

٢ – وجود مركزية في القيادة – تميزت قيادة العمليات بمركزية قوية ، فكان الخليفة هو الذي يحدد الاهداف المتتابعة وتنسيق الجهد بين مختلف مســارح العمليات وكان قادة مسارح العمليات على درجة عالية من الكفاءة مكنتهم من تفهم الواجبات المحددة لهم بشكل عميق . وكانت مؤتمرات القادة ، تشابه الى حد كبير مؤتمرات قادة الجيوش ولقاء رؤساء أركــان حربهم ، حيث كان يتم في هذه المؤتمرات طرح المواقف وطريقة مجابهتها وتحديد الوسائل اللازمة لذلك .

٣ – الانضباط في القيادة والتنفيذ – ان متابعة مسيرة العمليات في المرحلة الأولى تبرز الكثير من الشواهد على وجود انضباط صارم وطوعي لدى المقاتلين من العرب المسلمين القادة منهم والمرؤوسين على حد سواء .

– ان توجيه خالد بن الوليد الشام ، وتسليمه القيادة ثم عزله عنها مــن الشواهد على توفر هذا الانضباط .

– وان السرعة في تنفيذ اوامر خالد بن الوليد في التحرك – علماً ان الجميع كانوا ضد هذا التحرك عبر المحور الذي اقترحه ابن الوليد – ثم التوجه للجنوب وزج القوات في اجنادين ، ثم في اليرموك ما هي الا شواهد على الانضباط

الصارم والطوعي في تنفيذ الأوامر . كما ان اعادة التنظيم وتشكيـــل القوات تشكيلا مستحدثاً واجراء تعديلات في كل فترة يدل دلالة واضحة على توفر انضباط رائع وتجاوب كبير بين القيادة والمنفذين .

٤ ـ الروح المعنوية عالية :

واخيراً ، لم تكن كفاءة القيادة ولا التنظيم ولا الثقة بالمعدات تستطيع تحقيق تلك الانتصارات الرائعة لولا توفر الروح المعنوية بدرجة عالية بين المقاتلين .

ـ لقد برهن المقاتلون من العرب المسلمين على روح معنوية عالية وعلى ايمان عميق بالهدف الذي يقاتلون من اجله وان هذه الروح المعنوية وذلك الايمان الراسخ هو الذي كان يحفزهم على مجابهة كافة التحديات واحباطها وهو الذي كان يحملهم على تقبل صعاب المعركة واقتحام اخطار الحرب دونما تفكير الا بهدف واحد . هو تحقيق الهدف من الحرب .

القسم الأول

الفصل الثالث

عمليات المحور الشمالي "بلاد الشام"

١ – فتح بعلبك وحمص .

٢ – جبلة بن الايهم .

٣ – معاودة فتح الاقاليم المتمردة .

قنسرين – بعلبك – حمص – الرستن .

معرة حمص

٤ – فتح مدن الساحل الشمالية :

انطاكيه – اللاذقيه – جبلة – بانياس

طرطوس – طرابلس .

٥ – اتفاقيات صلح مع البلاد الشمالية :

٦ – غزو ما وراء الدروب .

٧ – فتح بيسان واجنادين .
٨ – فتح مدن الساحل الجنوبية .
٩ – معركة حمص – وصد هجوم الروم .

فتح الجزيرة

١٠ – عزل خالد بن الوليد .
١١ – الهجوم والهجوم المضاد .
١٢ – قصة عربسوس – الجراجمة .
١٣ – الدروس المستفادة .



عمليات المحور الشمالي :

فتح بعلبك وحمص ١٤ هـ - ٦٣٥ م.

- توجهت الجيوش العربية الاسلامية بعد فتح دمشق الى الاقاليم المحددة لها.

وتوجه ابو عبيدة بن الجراح ومعه خالد بن الوليد الى بعلبك - حمص.

وصل ابو عبيدة الى بعلبك. ودفع خالد بن الوليد الى حمص كمقدمة له، وحاصر بعلبك وخرج حاكمها فعقد صلحاً مع المسلمين لمدة سنة، ثم جاء حاكم جوسيه وعقد مع ابي عبيدة صلحاً مماثلا وتوجه الى حمص. وفي الطريق وصله اسامة بن زيد الطائي يحمل رسالة من الخليفة عمر جاء فيها :

[... اما بعد فلا مرد لقضاء الله تعالى وقدره، ومن كتب في اللوح المحفوظ كافراً فلا ايمان له، وذلك ان جبلة بن الايهم الغساني كان قدم علينا ببني عمه. وسراة قومه، فانزلتهم واحسنت اليهم واسلموا على يدي، وفرحت باسلامهم اذ شد الله عضد الاسلام والمسلمين بهم ... ثم انا سرنا الى مكة نطلب الحج فطاف جبلة بن الايهم بالبيت اسبوعاً - فوطىء رجل من مزاره ازاره فاسقطه عن كتفه فالتفت الى الفزاري وقال له : ويلك كشفتني في في حرم الله تعالى. فاجابه الفزاري، والله ما تعمدتاك، فلطم جبلة بن الايهم الفزاري لطمة هشم بها انفه وكسر ثناياه الأربع. فاقبل الفزاري الي مدعياً على جبلة، فأمرت باحضاره وقلت له ما حملك على ان لطمت اخاك في الاسلام وكسرت ثناياه الاربع وهشمت انفه ؟ - فقال جبلة : انه وطىء

ازاري برجله فحله ووالله لولا حرمة هذا البيت لقتلته . فقلت له ــ اقررت على نفسك ، فاما ان يعفو عنك واما ان آخذ له منك القصاص . فقـــال ايقتص وانا ملك وهو من السوقة ؟ قلت قد شملك واياه الاسلام فما تفضله الا بالعافية . فقال : اتتركني الى غد وتقتص مني ؟ ــ فقلت للفزاري ــ اتتركه الى غد ؟ قال نعم . فما كان الليل ــ ركب في بني عمه وتوجه الى الشام يريد اللحاق بالروم وأرجو ان الله يظفرك به ــ فانزل على حمص ولا تنفذ عنها ــ فان صالحك اهلها فصالحهم وان أبوا فقاتلهم وابعث عيونك الى انطاكية وكن على حذر من المتنصرة] (١) .

ــ عندما وصل خالد الى حمص ، تحصن اهلها وعقد حاكمها مؤتمراً وتقرر في نهايته عقد صلح مع المسلمين بهدف كسب الوقت والاتصال بالروم ــ بشكل خفي وسري ــ لطلب الدعم ، ومراقبة تطور الاحداث وانتظار الفرصة المناسبة للانقضاض على العرب المسلمين وعندما وصل ابو عبيدة بن الجراح عقدوا معه صلحاً لمدة سنة .

جولة في افق حمص :

نظم ابو عبيدة قوة الفرسان في مجموعات قتالية ، وكلف خالد بن الوليد بقيادة مجموعة منها تضم اربعة آلاف مقاتل وكلفه بالتوجه الى معرة حلب ــ وبالريف المحيط بمدينة حمص ــ وتوجه خالد حتى شيزر ثم وجه قوة من خمسمائة مقاتل للاغارة على قنسرين وتابع خالد تحركه حتى كفرطاب والمراة وديرسمعان . وعاد خالد ومصعب من جولتهما بعد ان غنمت القوة كميات كبرى من المواشي والاطعمة والغنائم بالاضافة الى اعداد كبيرة من الاسرى .

ــ احسن ابو عبيدة معاملة الأسرى ورد اليهم اموالهم ونساءهم بعد أن

(١) فتوح الشام ، الواقدي ١١٠/١ .

عقد معهم اتفاقاً على دعم الجيوش العربية الاسلامية ومساندتها . وتقديم المعلومات لها عن نشاط العدو .

– عندما بلغ اهل « قنسرين » ما فعله ابو عبيدة ، ارسلوا وفداً منهم الى أبي عبيدة وعقدوا معه صلحاً لمدة سنة ايضاً .

– بعد جولة خالد الاستطلاعية ، توجه أبو عبيدة بجيشه في اتجاه «الرستن» وعقد صلحاً مع اهلها .

– ثم تابع تقدمه الى « حماه » وعقد صلحاً مع اهلها ايضاً .

– وانطلق من حماه الى « شيزر » (١) فخرج وفد من اهلها واستقبل أبا عبيدة بطلب الصلح .

– علم ابو عبيدة من اهل شيزر ان حاكم قنسرين طلب من هرقل الدعم لحرب العرب المسلمين وان هرقل وجه جبلة بن الايهم الغساني ومعه العرب المتنصرة . كما دعمه بحاكم عمورية ومعه عشرة آلاف مقاتل .

جبلة بن الايهم – وحربه ١٥ ﻫ :

– بينما كان سعيد بن عامر يبحث عن مولاه الذي ذهب يحتطب بعيداً عن البساتين والاشجار المثمرة تنفيذاً لاوامر ابي عبيدة ، بوغت بمجموعة من الفرسان حملته الى جبلة بن الايهم . وعندما اجتمع به سأله جبلة عن احوال اقربائه واهله وعن حسان بن ثابت فاجابه سعيد ان آخر مرة شهد فيها حسان كانت قبل خروجه مع جيش الفتح وأنه سمعه ينشد :

لله در عصابة نادمتهم : يوماً بجلق في الزمان الاول
يغشون حتى ما تهر كلابهم : لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمة انسابهم : شم الانوف من الطراز الأول

---

(١) شيزر : قلعة قرب المعرة ، بينها وبين حماه اليوم .

الملحقين فقيرهم بغنيهم : المشفقين على اليتيم الأرمل
اولاد جفنة حول قبر أبيهمُ : قبر ابن مارية الكريم المفضل

فقال له جبلة : وهل حفظ لي هذه المكرمة . واهداه ثياباً وهدايا وطلب اليه نصح خالد وابي عبيدة بعدم مجابهة قواتهما لانهما سيتوجهان لدعم صاحب قنسرين . وعاد سعيد بن عامر ، فاخبر ابا عبيدة بما توفر لديه من معلومات .

– وجه ابو عبيدة قوة استطلاع من عشرة فرسان فقط بقيادة خالد بن الوليد ورافقهم سعيد بن عامر الى المكان الذي علم ان حاكم قنسرين سيلتقي به بقوات جبلة بن الايهم ونصب كميناً وعندما اقبل حاكم قنسرين اعتقله خالد وكلف به من يحرسه ثم انقضت قوات جبلة وأحاطت به وبقوة الكمين .

– حاول جبلة بن الايهم وحاكم عمورية انقاذ حاكم قنسرين وكان من المقربين الى هرقل وحاول جبلة اغراء خالد وتهديده وكان مما قاله له انه من المستحيل عليه مقاومة جبلة وهو الذي وصفه شاعر الرسول بقوله :

ان ابن جفنة من بقية معشر : لم تغذهم آباؤهم باللؤم
يعطي الجزيل ولا يراه بأنه : الا كبعض عطية المذموم
لم ينسني بالشام اذ هو بارح : يوماً ولا متنصراً بالروم
ان جئته يوماً تقر بمنزل : تسقي براحته من الخرطوم

– وعندما يئس جبلة وحاكم عمورية من اتباع اسلوب الخداع قررا القضاء على خالد ومجموعته وكان اول من تصدى للقاء جبلة عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق ونجح جبلة في اصابته بجراح في عضده وخاف خالد ان يتمكنوا منهم ، فاسرع الى البطريق حاكم قنسرين وقتله وبدأ اشتباك عنيف بين الطرفين ثم ظهر جيش ابو عبيدة في احرج اللحظات واصعبها وبعد ان ايقن خالد ومجموعته انهم من الهالكين ، واستطاع ابو عبيدة ان يحقق المباغتة الكاملة ، وبعد معركة قصيرة وحاسمة تمزق جيش جبلة بن الايهم وحاكم عمورية ،

وطاردتهم قوات المسلمين . وعاد جبلة وبقايا جيشه الى القسطنطينية واقام فيها ثم انتقل في العصر العباسي الى اليونان . وذابت هذه القبائل وانصهرت في بوتقة المجتمع اليوناني .

معاودة فتح البلدان المتمردة :

فتح قنسرين ١٥ ـ هـ :

ـ اعاد ابو عبيدة بن الجراح تنظيم قواته بسرعة ، ووجه مجموعة قتالية بقيادة عياض بن غنم لفتح قنسرين . وقام عياض باغارة مباغتة تمكن بها من ابادة قوات المقاومة ونجح في الاستيلاء على كميات كبيرة من الغنائم ، وارغم اهل قنسرين على طلب الصلح . ووافق ابو عبيدة على الصلح بنفس الشروط السابقة .

ـ كانت الفترةالمحددة للصلح مع أهل حمص وبعلبك قد انتهت بانتهاء السنة . فتوجه ابو عبيدة الى حمص ، وترك فيها خالد لاحكام الحصار وتابع الى بعلبك .

فتح بعلبك ـ ١٥ هـ :

عندما اشرفت قوات أبي عبيدة على منطقة بعلبك وجدت قافلة من المواد التموينية المختلفة ارسلها هرقل لاهل بعلبك وعليها قوة لحراستها . فاسرعت مفرزة من الفرسان ، واستولت عليها وابادت قوة الحراسة المرافقة لقافلة التموين .

وصل ابو عبيدة بجيشه الى منطقة بعلبك فتصدت له قوة من سبعة آلاف مقاتل يقودها حاكم بعلبك « البطريق هربيس » وبعد معركة قصيرة وحاسمة هزم فيها هربيس جنده واصيب بجراح فعاد الى بعلبك واحتمى باسوارها بعد ان امتلأت المدينة باللاجئين اليها من المنطقة المحيطة بالقلعة .

ـ ضرب ابو عبيدة نطاقاً حول المدينة وحاصرها وطلب ابو عبيدة من أهل

بعلبك الاقلاع عن الحرب والدخول في الصلح ، وحدث انقسام بين اهل بعلبك ، بعضهم يطلب الحرب وبعضهم يطلب السلم ، وتغلب دعاة الحرب .

– وقف ابو عبيدة يحرض جيشه على القتال :

(... اعلموا ان هذه المدينة في وسط اعمالكم وبلادكم – فان بقيت كانت وبالاً على من صالحتم ولا تقدرون على سفر ولا على غيره) .

– حصلت القوات على بعض الاسرى ، واحضروهم الى ابي عبيدة ولدى استجوابهم ظهر له ان الروح المعنوية في بعلبك متدهورة وان هناك حشد كبير يتطلب كميات كبرى من المواد الغذائية وهي غير متوفرة بما يكفي حاجة المدينة .

– دارت معركة اليوم الأول دون التحام . وكان المسلمون يرمون بالسهام وادوات الحصار ويجيبهم المقاتلون من فوق الاسوار باسلوب مماثل .

– في اليوم الثاني – وكان البرد شديداً – طلب ابو عبيدة من جنده اخذ وجبة ساخنة وقال لهم :

[على كل رجل من المسلمين الا يبرز لحرب هؤلاء القوم حتى ينفذ رحله ويصلح له طعاماً حاراً يأكله ليكون بذلك شديداً على لقاء العدو] .

– ظن قائد قوات بعلبك عندما شهد تأخرهم في الزحف للقتال ان هناك ما يعيقهم واراد مباغتتهم بهجومه .

– انطلق هربيس بجيشه ، وتصدت له مفرزة الحماية وفيها عمرو بن معديكرب الزبيدي وعبد الرحمن بن ابي بكر وربيعة بن عامر ومالك بن الاشتر وضرار بن الازور وذو كلاع الحميري . وقاتلت هذه المفرزة بعناد وتصميم ، واسرع المقاتلون الى اسلحتهم ، وانضموا الى قوة الحماية ، وتزايد ضغط قوة العرب المسلمين مما ارغم قوة الروم على الانسحاب حتى القلعة ، بحثاً عن الحماية وراء جدرانها المنيعة .

– نتيجة لهذه المعركة قرر ابو عبيدة الانسحاب بعيداً عن القلعة حتّى مسافة كافية وجمع قادته وقال لهم :

[اعلموا ان من الرأي ان نتأخر عن المدينة مقدار شوط فرسخ ليكون ذلك مجالاً لخيلكم – ومنعة لحريمكم] .

– ثم نظم ابو عبيدة مجموعات قتالية على النحو التالي :

١ – مجموعة فرسان من خمسمائة مقاتل بقيادة سعيد بن زيد ومعها قوة من المشاة تتكون من ثلاثمائة مقاتل بقيادة عمرو بن نفيل بمهمة التوجه الى الوادي ، واحكام الحصار على المنافذ الخليفة .

٢ – مجموعة فرسان من خمسمائة مقاتل ومعها مائة مقاتل من المشاة بقيادة ضرار بن الازور ومهمته التحرك حتّى باب الشام لاحكام الحصار ، وقتال من يخرج اليه .

كان اليوم الثالث من القتال يوماً حاسماً زج فيه « هربيس » اكبر قسم من قواته . وانطلق بهم لمجابهة قوات أبي عبيدة ، ودارت رحى معركة طاحنة لم يتمكن خلالها احد من احراز النصر .

– كان سهل بن صباح العبسي جريحاً ، فتسلق منذ بداية المعركة المرتفع المشرف على السهل واخذ يتابع القتال . وعندما شاهد قوة الهجوم وصمود المسلمين ، وعدم تمكنهم من انتزاع النصر اسرع فجمع ما وجده من اخشاب واعشاب واحرقها ، وعندما رآها ضرار بن الازور وسعيد بن زيد اعتقدا أن ابا عبيدة يطلب اليهما الالتحاق به فنظما قواتهما وانطلقا بسرعة الى ميدان المعركة ووصلا الى خلف قوات جيش هربيس . واعتقد المقاتلون بوصول قوات دعم جديدة للعرب المسلمين فانسحبوا من المعركة وانتظموا على شكل حلقة دفاع دائري وعندما ادركوا انهم لن يتمكنوا من الوصول الى القلعة ، توجهوا شمالاً واعتصموا باحدى القرى الحصينة.. فضرب سعيد بن زيد نطاقاً حولهم من قوة المشاة وعاد الى ابي عبيدة بن الجراح ..

ـ استدعى ابو عبيدة ضرار وسعيد وقال لهما :

[ما هذه المخالفة ... ألم آمركم بالاقامة على ابواب المدينة ومشاغلة القوم] .

واجابه ضرار :

[... وقفت حيث امرتني ورأينا دخاناً فاسرعنا نحوك] .

واستعلم ابو عبيدة فقيل له ان سهل العبسي هو الذي احرق النار ــ فاستدعاه وسأله عن السبب الذي دفعه الى اشعال النيران : فذكر له ما حدث معه فقال له ابو عبيدة :

[لقد وفقك الله تعالى ــ واياك بعدها ان تحدث حديثاً من غير اذن اميرك]

ـ ارادت القوة المحاصرة شق طريقها فتصدت لها مجموعة الحصار وحدثت معركة غير متكافئة واسرع مراسل فاعلم أبا عبيدة بالموقف فانطلق سعيد وضرار ومعهما قوة الفرسان واحـــاطوا بجيش هربيس وانسحب هربيس بقوته الى القرية وسقط من قوة المسلمين ٧٠ رجلا .

ـ عندما انتهت المعركة النهارية لليوم الثالث وجه ابو عبيدة امره الى سعيد ابن زيد :

[... الحذر الحذر ... واجتهد الا يفوتك من الروم أحد ولا تفسح لهم قدماً واحداً فيخرج منهم أحد ..] .

ـ شدد سعيد قبضته على القوة المحاصرة في القرية ونظم الشؤون الادارية بحيث تنطلق كل مجموعة من مائة مقاتل لجلب الاخشاب واشعال النيران وتأمين متطلبات المقاتلين وجعل ذلك مناوبة بين المقاتلين .

ـ حاول هربيس الاتصال بحاكم عين الجوز وجوسيه وعندما يئس من ذلك تقدم في اليوم التالي وطلب الصلح من ابي عبيدة .

نصت اتفاقية الصلح على الا يحمل اهل المدينة سلاحاً ضد المسلمين والا يتصلون بملك او احد ، وعليهم اعلام المسلمين عن كل اخبار تتعلق بعدوهم

واشترط هربيس ان يبقى العرب المسلمون خارج القلعة والا يدخلوا اليها . وان يحمل اليهم الجزية .

ــ حدث خلاف بعد ذلك بين هربيس واعوانه وبين المواطنين من أهل بعلبك فقتلوا هربيس واتفقوا على دعوة العرب المسلمين للاقامة بينهم ووافق ابو عبيدة على دخول المسلمين بعلبك والاقامة بين اهلها .

معاودة فتح حمص ــ ١٥ هـ :

ــ استخلف ابو عبيدة على بعلبك رافع بن عبدالله ، ونظم جيشه للمسير ، وتوجه الى حمص وعندما وصل الزراعة ، قريباً من حمص توقف فيها ودفع ميسرة بن مسروق العبسي ومعه خمسة آلاف فارس . وعندما شعر ان ميسرة قد وصل حمص ، وجه مجموعة اخرى بقيادة ضرار بن الأزور تضم خمسة آلاف فارس ايضاً ، ثم وجه بعد ذلك عمرو بن معد يكرب الزبيدي ولحق به ببقية الجيش .

ــ وصل ابو عبيدة حمص فارسل رسالة الى حاكم حمص ينصحه بالعودة الى السلم والالتزام بنصوص الاتفاقية السابقة . وعندما عرف ان حاكم حمص مصمم على القتال ، قسم قوته الى اربعة مجموعات قتالية :

١ ــ مجموعة بقيادة المسيب بن نجية الفزاري للتمركز عند باب الجبل .

٢ ــ مجموعة بقيادة المرقال بن هشام بن عقبه بن ابي وقاص للتمركز عند باب الرستن .

٣ ــ مجموعة بقيادته ونزل على باب الشام .

٤ ــ مجموعة عند باب الصغير ، بقيادة خالد بن الوليد .

ــ كان حاكم حمص قد حصن مدينته واستعد للقتال وحفظ كميات من الاغذية للحصار . واخذ ينتظر قوات الدعم . معتقداً أن جيش العرب المسلمين لن يقاوم قسوة الطبيعة وتحمل البرد . لكن جيش أبي عبيدة صمد وقاوم المطر والثلج والعواصف وعندما علم الخليفة عمر بحصار حمص . واحتمال قيام

العرب المستنصرة من غسان ولخم بدعمهم ، اصدر اوامره الى سعد بن ابي وقاص بتوجيه قوة الى هيث وقرقيساء لفتحهما . ولما اشتد امد الحصار ولم تصل قوات الدعم المنتظرة اخذت ارادة القتال تضعف لدى الجند في حمص

– واخيراً وضع ابو عبيدة مخططه للهجوم الكبير ، وتظاهر بالانسحاب تاركاً المواشي والغنائم في المؤخرة وعندما ابتعد عن المدينة انطلق جيش حمص لمطاردة جيش ابي عبيدة . واسرع الفرسان المسلمون لتطويق جيش حمص ومنعه من العودة الى المدينة وبعد معركة حاسمة انهارت مقاومة جيش حمص وتمزق المقاتلون وطاردهم فرسان المسلمين وتابع ابو عبيدة تقدمه حتّى المدينة فخرج اهلها وطلبوا الصلح .

– استخلف ابو عبيدة على مدينة حمص عبادة بن الصامت ، واعاد تنظيم جيشه واسرع في التوجه نحو الشمال لمتابعة العمليات .

معاودة فتح الرستن – ١٥ هـ :

– نجح ابو عبيدة في دفع مجموعة من المقاتلين للتسلل الى داخل الرستن . واتفق معهم على موعد للاغارة وفتح ابواب المدينة ثم تظاهر بالإنسحاب . وفي الوقت المحدد عادت مجموعة الفرسانبقيادةخالد بن الوليد وكانت قوة الاغارة التي تسللت داخل المدينة قد نجحت في فتح الابواب فاندفع المقاتلون وأبادوا المقاومة وخضعت الرستن وعقد مع اهلها اتفاقية للصلح .

معرة حمص – ١٥ هـ (١) والصلح مع شيزر – حماه – قنسرين – حلب:

– عندما وصل جيش ابي عبيدة الى المعرة ، خرج اهلها واستقبلوه بطلب الصلح .

– وارسل اهل شيزر وفداً اعلم أبا عبيدة بالتزامه بالصلح ونجاح اهل شيزر بتصفية المقاومة التي كانت ترغب في التصدي لجيش المسلمين .

---

(١) هي معرة النعمان ، وتنسب الى النعمان بن بشير الانصاري .

– وصالح اهل حماه جيش ابي عبيدة .

– ووجه ابو عبيدة قوة لحصار قنسرين بقيادة السمط الكندي ونجح السمط في ضرب حصار على قنسرين . ثم صالح اهلها وعقد معهم اتفاقية للسلم (١) .

– تابع ابو عبيدة تحركه الى حلب ، وعندما وصل « حاضر حلب » جمع اليه زعماء القبائل العربية ، وصالحهم على الجزية ثم تقدم الى المدينة وحاصر جيشها . وبعد فترة من القتال طلب اهلها الصلح وعقد معهم عياض بن غنم اتفاقية الصلح بتفويض من ابي عبيدة وموافقته (٢) .

فتح مدن الساحل الشماليه – ١٥ هـ :

١ – انطاكية :

توجه ابو عبيدة بن الجراح من حلب الى انطاكية ، وقد تجمع بها جمهور من اهل حلب وقنسرين وغيرها فحاصرها ، وضيق على اهلها الحصار ثم صالحه اهلها على الجلاء او البقاء فصالحه اهل حلب وعادوا الى مدينتهم والتحق قسم من اهل انطاكية بالروم ، وبقي قسم منهم بانطاكية وعقدوا صلحاً مع ابي عبيدة .

– عندما علم هرقل بسقوط قنسرين وتوجه جيش العرب المسلمين الى انطاكية تراجع حتى دخل عاصمة بلاده – القسطنطينية – .

– اعلنت انطاكيه تمردها بعد ذلك ، ونقضت الصلح المعقود مع العرب ، فوجه الخليفة عمر رسالة الى ابي عبيدة جاء فيها :

---

(١) التاريخ الكامل لابن الاثير ٢/٣٤٤ وتاريخ الطبري ٣ .

(٢) كان الحاضر بقرب حلب ويدعى حاضر حلب يجمع اصنافاً من العرب من تنوخ وغيرهم فصالح ابو عبيده اهلها على الجزية بعد فتح قنسرين ثم اسلموا بعد ذلك. فتوح البلدان – البلاذري ، ١ – هـ .

[.. رتب بانطاكية جماعة من المسلمين واجعلهم بها مرابطة – ولا تحبس عنهم العطاء ..] (١) .

– وجه ابو عبيدة مجموعة قتالية بقيادة عياض بن غنم وحبيب بن مسلمه الى إنطاكية ففتحاها من جديد ، وصالحا اهلها على مثل صلحهم السابق . وترك بها قوة لحمايتها .

٢ – اللاذقية – ١٥ هـ . (٢)

– تابعت قوات ابي عبيدة تحركها جنوباً حتى وصلت اللاذقية .

– تصدى جيش اللاذقيه لجيش ابي عبيدة ، وحدثت معركة جبهية ، ثم انسحب جيش اللاذقية تحت ضغط ثقل هجوم العرب المسلمين الى اللاذقية وتحصنوا بها .

– وجد ابو عبيدة انه من الصعب اقتحام المدينة عنوة ، فاصدر اوامره ، بحفر حفر للفرسان تستطيع الحفرة الواحدة اخفاء الفارس وفرسه ، وانتشرت الحفر حول المدينة وقد اتقن اخفاؤها وتمويهها عن الانظار . ثم تظاهر ابو عبيدة برفع الحصار عن المدينة وسحب قواته . وفي الليل عاد الفرسان الى الحفر وقاموا باحتلالها – والاختفاء فيها – .

خرج سكان اللاذقية في اليوم التالي الى حقولهم ومزارعهم ، وفتحت الأبواب وعند ذلك اسرع الفرسان باغارتهم المباغتة واقتحموا المدينة و لحق بهم جيش ابي عبيدة وعقد صلحاً مع اهلها .

– استخلف ابو عبيدة على مدينة اللاذقية عبادة بن الصامت الانصاري فبنى فيها مسجد عبادة واقام العرب المسلمون فيها ، ونزح قسم من اهلها فالتحق بالروم .

---

(١) التاريخ الكامل لابن الاثير ٣٤٢/٢ .

(٢) التاريخ الكامل لابن الاثير ٣٤٣/٢ .

عندما تولى معاوية امارة الشام ثم اصبح والياً اهتم بالمدن الساحلية فحصنها ، وبنى سوراً خارج الحصن الرومي وشحنه بالرجال والمقاتلين ، واقطعهم الاراضي الموات لاستثمارها .

٣ – فتح جبلة – بانياس – طرطوس – ١٥ هـ :

– عندما علم اهل جبلة بسقوط اللاذقية في قبضة العرب المسلمين ، جلا اهلها عنها والتحقوا بالروم .

– وجه عبادة بن الصامت قوة ففتحت بانياس وطرطوس وطرابلس وكانت خالية ايضاً . في زمن معاوية اعيد تحصين هذه المدن الساحلية ، وتنظيم الدفاع عنها .

٤ – فتح طرابلس – ٢٤ هـ :

– قام الروم في عام ٢٤ هـ ، وفي آخر خلافة عمر بن الخطاب وبداية حكم الخليفة عثمان بن عفان بهجوم عام على المنطقة الساحلية ووصلوا حتى طرابلس وتمركزوا فيها . فوجه معاوية بن ابي سفيان جيش الشام بقيادة سفيان بن مجيب الازدي (١) .

– كانت طرابلس تضم ثلاث مدن مجتمعة ، فعظم سفيان الحصار حولها ، وعزلها براً وبحراً ، وقطع عنها الامداد والتموين ، وشيد في مرج طرابلس وعلى بعد اميال من حصون طرابلس قلعة منيعة حملت اسم « حصن سفيان » . وعندما اشتد الحصار على اهل طرابلس تجمعوا في حصن من حصون المدينة الثلاثة وتمكنوا من الاتصال بالروم وطلبوا النجدة . فارسل اليهم الروم قطعاً بحرية حملتهم ليلا ونقلتهم الى « بيزنطه » .

– كان من عادة سفيان توجيه جيشه في الصباح لحصار المدينة ثم العودة

---

(١) وكان معاوية قد توجه بنفسه فاخضع المدن الساحلية – واعاد ترميم حصونها المهدمة ، ونقل اليها المقاتلين المرابطة فيها . التاريخ الكامل لابن الاثير ٢٩٦/٢ .

في الليل للاعتصام بالحصن الذي شيده . وعندما قام بهجومه الصباحي . وجد ان المدينة خالية من السكان . فحمل اليها معاوية جماعة من اليهود وانزلهم في المنطقة التي اصبحت تعرف بالميناء .

ـ عندما تولى الخلافة عبد الملك بن مروان اعاد تنظيم طرابلس وتحصينها ثم تمرد اهلها على عبد الملك فاعاد ابنه الوليد فتحها عندما تولى الخلافة .

اتفاقيات صلح مع البلاد الشمالية :

علم ابو عبيدة بوجود حركة تمرد في حلب فتوجه من انطاكية وحاصرها ، ولم تلبث المقاومة ان تمزقت وفتحت ابواب المدينة .

ـ دفع ابو عبيدة مقدمة له بقيادة عياض بن غنم وتوجه بجيشه الى قورس ، واعترض راهب من رهبان قورس عياض بن غنم وطلب الصلح فارسله عياض الى ابي عبيدة وعقد ابو عبيدة الصلح مع الراهب نيابة عن اهل قورس .

ـ وجه ابو عبيدة مجموعة قتالية الى الريف المحيط بقورس ، ففتح تل اعزاز .

ـ كان سلمان بن ربيعة الباهلي يقود مجموعة من هذه المجموعات فوصل حصناً من حصون قورس وحاصره وفتحه فحمل ذلك الحصن اسم « حصن سلمان » .

ـ ثم سار ابو عبيده الى منبج ، وعندما وصلها وجد ان عياضاً قد عقد صلحاً مع اهلها فأقره ، ووافق على نص العقد .

ـ وسار عياض الى ناحية « دلوك » من نواحي حلب فصالحه اهلها ، كما صالحه اهل رعبان وهي مدينة قرب الفرات بين حلب وسميساط ، وكان نص الصلح مماثلاً لنص صلح منبج ، وقد اشترط ابو عبيدة في هذه الاتفاقيات جميعاً ان يكون اهل المدن انصاراً للمسلمين وان يخبروا المسلمين بأخبار الروم .

ـ ولى ابو عبيدة على كل قرية ومدينة عاملا من عماله ، وضم اليه مجموعة

من المقاتلين لا سيما في النواحي المتاخمة للحدود مع الروم ثم سار الى بالس ، وهي بلدة بين حلب والرقة ، فصالحه اهلها .

— ثم وجه ابو عبيدة مجموعة قتالية الى « قاصرين » بقيادة حبيب بن مسلمة. وخير اهلها بين الجزية والجلاء ، فجلا اكثرهم وقبل الباقون بدفع الجزية . وتابع ابو عبيدة مسيرته حتى وصل الجزيرة وقرية « جسر منبج » ، ولم يكن الجسر يومئذ قد شيد وانما شيد في خلافة عثمان لعبور الصوائف . واستولى المسلمون على الشام من هذه الناحية الى الفرات وعاد ابو عبيدة الى فلسطين عندما بلغه قدوم الخليفة لعقد صلح مع اهل ايلياء « القدس » .

غزو ما وراء الدروب — ١٥ ﻫ :

١ — وجه ابو عبيدة مجموعة قتالية بقيادة ميسرة بن مسروق العبسي لمطاردة الروم عبر الدروب ، فسلك ميسرة ومجموعته درب « بفراس » وهي مدينة تبعد عن انطاكية اربعة فراسخ . ولقي جمعاً للروم ومعهم قبائل عربية من غسان وتنوخ واياد وكلهم يريد اللحاق بهرقل . وكانت قوتهم ثلاثين الفاً ، ودارت معركة غير متكافئة في ظروف صعبة ، وصمد المقاتلون من العرب والمسلمين صموداً كبيراً ، ثم وصل مراسل الى ابي عبيدة يطلب الدعم فوجه قوة اخرى بقيادة مالك الاشتر النخعي ، ونجحت هذه القوة في الوصول الى ميدان القتال بعد أن استنزفت المعركة قوة العرب المسلمين ودارت معركة حاسمة انتصر فيها العرب المسلمون وتمزقت القوات المقاتلة للروم ورجع ميسرة ومالك بعد ان غنموا الغنائم الكبيرة .

٢ — نظم ابو عبيدة مجموعة قتالية اخرى بقيادة خالد بن الوليد وجهها الى مرعش ، وعمل خالد عند وصوله على حصار المدينة ثم صالح اهلها بشرط الجلاء عنها ، فغادرها اهلها ودمرها خالد حتى لا يستطيع الروم الانطلاق منها في هجماتهم ضد العرب المسلمين .

٣ – سير ابو عبيدة مجموعة قتالية ثالثة بقيادة حبيب بن مسلمة الى حصن الحدث فقاتلهم اهل الحدث وقتل عدد كبير من العرب المسلمين . وانتصر المسلمون في نهاية المعركة(١) .

٤ – في الوقت الذي كانت تنطلق فيه هذه الغزوات لما وراء الدرب من الثغور الشامية انطلقت مجموعات قتالية اخرى لغزو الروم من الثغور الجزرية .
– فتوجه عمر بن مالك من الكوفة حتّى وصل قرقيساء وتوجه عبر درب الجزيرة الى بلاد الروم .

٥ – وتوجه عبد الله بن معتّم بقوته من الموصل الى داخل بلاد الروم .
نتيجة لهذه الغزوات . قرر هرقل مغادرة سوريا ، فانتقل من شمشاط على شاطىء الفرات الى انطاكيه ومنها الى القسطنطينية .

عمليات المحور الجنوبي :

فتح بيسان واجنادين – ١٥ هـ – والصلح مع القدس :

سار ابو عبيدة بن الجراح شمالاً ، وتوجه عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنه جنوباً ، حتّى وصلا بيسان ، ودفع عمرو بن العاص قوة مقاتلة بقيادة علقمة بن محرز الى غزة في الوقت الذي كان فيه يزيد قد دفع معاوية لفتح المدن الساحلية .

– علم عمرو بن العاص ان ادهى دهاة الروم واسمه ارطبون قد تحصن في اجنادين بعد ان وصلته امدادات من الروم . ونظم قوات كبيرة للمقاومة في ايلياء « القدس » والرملة .
– كتب عمرو بن العاص الى الخليفة عمر يشرح له الموقف وعندما وصلت

---

(١) سمي درب الحدث لان شاباً صغيراً من الروم تصدى لجيش العرب المسلمين ومعه مجموعة من اقرانه . وكان الامويون يسمون هذا الدرب درب السلامة . التاريخ الكامل – ابن الأثير ٣٤٦/٢ .

الرسالة الى الخليفة اصدر اوامره الى يزيد بن ابي سفيان بتوجيه قوات لدعم عمرو بن العاص ثم ضحك وقال :

[لقد رمينا ارطبون الروم بارطبون العرب فانظروا عم تنفرج؟ ..] (١)

– وجه عمرو بن العاص قوة لحصار ايلياء « القدس » وعزلها عن اجنادين وكانت القوة بقيادة علقمة بن حكيم ومسروق العكي .

– ووجه ايضاً قوة بقيادة أبي ايوب المالكي لمجابهة التذارق في الرملة لعزله عن اجنادين وعدم تمكينه من دعم ارطبون .

– وعندما تتابعت الامدادات بالوصول الى عمرو بن العاص وجه قوة لدعم علقمة بن حكيم ومسروق العكي وكانت قوة الدعم بقيادة محمد بن عمرو .

كما وجه قوة اخرى بقيادة عمارة بن عمرو بن امية الصخري وذلك بمهمة دعم ابي ايوب المالكي .

– عندما اطمأن عمرو بن العاص لقوة موقفه ، ارسل عناصر الاستطلاع والجواسيس لمعرفة نقاط الضعف في قوة ارطبون وتحصيناته ، لكنه لم يتمكن من الحصول على ما يريده من معلومات فقرر الذهاب بنفسه متظاهراً أنه واحد من معاوني ابن العاص .

– التقى عمرو بن العاص وارطبون واخذ يحادثه وهو خلال ذلك يتأمل حصونه ويدرس نقاط ضعفه حتى عرف ما اراد . وقال ارطبون لنفسه (ان هذا عمرو بن العاص) وما كنت لاصيب القوم بأمر اعظم عليهم من قتله ، ثم دعا حرساً ، وهمس اليه بقتله ، وقال له :

[اخرج .. فأقم في مكان ... فاذا مر بك هذا فاقتله] ..

– شعر عمرو بن العاص بما يدبره له ارطبون من غدر ، فتظاهر بانتهاء الزيارة وختم حديثه بقوله :

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٦٠٥ .

[سمعت مني وسمعت منك ، فاما ما قلته فقد وقع مني موقعاً .. وانا واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب مع هذا الوالي لنكانفه (١) ويشهدنا اموره – فأرجع فآتيك بهم الآن – فان رأوا في الذي عرضته مثل الذي أرى فقد رآه اهل العسكر والامير – وان لم يروه رددتهم الى مأمنهم وكنت على رأس أمرك ..] (٢)

– عند ذلك طمع ارطبون بقتل عمرو بن العاص وقادته . وارسل من يخبر قوة الكمين بالانسحاب ونجح عمرو بالحصول على ما يريده من معلومات .

– قام بعد ذلك عمرو بن العاص بهجوم قوي وحاسم ، ووقعت في صفوف الروم خسائر لا تقل عن خسائرهم في اليرموك . وهرب ارطبون ومعه فلول المعركة فانضموا الى المقاتلين في « ايلياء » .

– بعد المعركة وهزيمة « ارطبون » انضمت قوات علقمة ومسروق ومحمد بن عمرو وابي ايوب الى قوات عمرو بن العاص فسار بهم الى ايلياء وحاصرها .

– كانت ايلياء حصينة ، وصمم اهلها على القتال ووافق اهلها على عقد صلح مع العرب المسلمين بشرط واحد وهو ان يتولى الخليفة ذاته عقد هذا الصلح. فكتب عمرو بن العاص الى الخليفة عمر بن الخطاب :

[اني اعالج حرباً كؤوداً صدوماً – وبلاداً اذخرت لك – فرأيك] (٣) –

كان الخليفة الفاروق يعتمد رأي ابن العاص . فقرر المسير الى ايلياء لعقد صلح مع اهلها ، ونزل بالجابيـــه حيث كان في استقباله قادة الجيوش وفي طليعتهم ابو عبيدة وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص .

---

(١) نكانفه : ننصحه ونوجهه .

(٢) التاريخ الكامل لابن الاثير ٣٤٧/٢ .

(٣) التاريخ الكامل لابن الاثير ٣٤٩/٢ .

– وخرج حاكم ايلياء وصالح ابن الخطاب بالجابيه وكان اسمه سفرونيوس(١).
– نزل الفاروق عمر في القدس وصلى بها وأمر ببناء مسجد .
– هرب ارطبون من ايلياء ولم يقبل ان يعقد صلحاً مع العرب المسلمين والتجأ الى مصر .
– تابع ارطبون دوره في قتال المسلمين وقام بالتصدي لصائفة من الصوائف فقتله واحد من قبائل قيس . بعد ان تمكن منه ارطبون وقطع له ذراعه وانشد يقول :

[فان يكن ارطبون الروم افسدها : فان فيها بحمد الله منتفعا
وان يكن ارطبون الروم قطعها : فقد تركت بها اوصاله قطعا] (٢)

فتح مدن الساحل الجنوبيه – ١٥ هـ :

– عندما كان ابو عبيدة بن الجراح يتوجه شمالاً في اتجاه حمص . انطلق يزيد بن ابي سفيان بجيشه في اتجاه الساحل وعلى مقدمته اخاه معاوية بن ابي سفيان . ولم يلق جيش المسلمين مقاومة كبيرة نظراً لهرب اعداد كبيرة من السكان والتحاقهم بالروم ، ففتح معاوية عرقة وبقية المدن الساحلية ، وبقيت قيسارية ممتنعة على المسلمين .
– ارسل الخليفة عمر الى يزيد كتاباً يأمره بتوجيه اخيه معاوية لفتح قيسارية نظراً لان وجودها يهدد تحركات المسلمين ويعطي الروم الفرصة للاتصال بالعناصر المعادية للفتح العربي – الاسلامي – ويمهد الفرصة للثورة المضادة .
– توجه معاوية الى قيسارية ووقعت بينه وبين جيش قيسارية مجموعة من من المعارك الطاحنة اظهر فيها جيش قيسارية ارادة صلبة في القتال واظهر فيها

---

(١) كان حاكم ايلياء هو البطرق سفرونيوس . Sophronuis تاريخ الطبري ٤/١٥٨ – ١٦٠ .
(٢) يذكر نيلر في كتابه الفتح العربي لمصر The Arab Conquest of Egypt في صفحة ٢١٥ ان اسم الارطبون خطأ وان اسمه الصحيح اربطيون .

المسلمون جلداً وصموداً رائعاً . واخيراً تمكن معاوية من انتزاع النصر وانتهت المعارك بسقوط ثمانين الفاً من جيش الروم – كما قتل اثناء مطاردة المسلمين لهم عشرين الفاً – وبذلك تكون مجموع الخسائر في صفوف الروم مائة الف قتيل . وبذلك انهى معاوية فتح صيدا وعرقة وجبيل وبيروت .

– فتح غزة –

– كان الفيقـــار حاكماً لغزة ، وتوجـــه اليه علقمة بن مجزر لحربه وحاصر علقمة غزة فترة طويلة ولم يتمكن من فتحها وصمد الفيقار طويلاً للحصار . وكانت اسوار غزة منيعة وصعبة . وقد وجه علقمة عدداً كبيراً من عناصر الاستطلاع لاكتشاف مواطن الضعف . لكن هذه العناصر لم تتمكن من تنفيذ واجبها على النحو الذي اراده علقمة بسبب ما كان يطبقه الفيقار من اساليب الحيطة والحذر . واتبع علقمة الاسلوب الذي اتبعه عمرو بن العاص في استطلاعه لحصون ارطبون في اجنادين فذهب الى الفيقار متظاهراً انه واحد من قادة علقمة واخذ يفاوضه ، ويستفيد من كل فرصة لدراسة التحصينات وافضل الطرق للوصول اليها . وشعر الفيقار ان علقمة من الرجال الخطرين وشك في امره . فأرسل من ينصب له كميناً في طريق عودته ، وعرف علقمة باحساسه ما يدبر له من غدر ، فقال في نهاية حديثه للفيقار انه راغب في اصطحاب عشرة من رفاقه حتى يستمعوا لحديثه ويفاوضوه فان تم الاتفاق يمكن بذلك تحقيق السلم دون قتال . وعندها ارسل الفيقار يطلب استدعاء قوة الكمين على أمل الحصول على صيد ثمين في قتل عشرة من قادة العرب ونجحت الحيلة .

– قام بعد ذلك علقمة بهجوم حاسم مستفيداً من المعلومات المتوفرة لديه وفتح غزة ، واصبح طريق التحرك الى مصر ممهداً ومفتوحاً .

معركة حمص – ١٧ ﻫ

الموقف العام :

– سيطر المسلمون سيطرة تامة على سوريا – كما سيطروا على العراق – وتابعت جيوشهم تقدمها في كل مكان تحقق النصر بعد النصر ، وتنتزع من قبضة الروم والفرس ما كانوا يحكمونه من اقاليم .

– اصيب الروم بخيبة امل مريرة بعد هزائمهم المتوالية وانسحبوا من سوريا لا سيما بعد معركة اليرموك واحتلال دمشق ، لكن انصارهم استنجلوا بهم وتابعوا الاتصال بهم . واستمروا في اعلان الولاء لهم وتمنيتهم بالعودة الى بلاد الشام . وارسل اهل الجزيرة بصورة خاصة رسائل تؤكد لهم دعمهم القوي فيما اذا ارسلوا جيوشاً لحرب العرب المسلمين . وكان اكثر العرب عصبية لقتال العرب المسلمين هم عرب الجزيرة وبني تغلب .

– وجه الروم جيشاً قوياً الى حمص بهدف تدمير جيش ابي عبيدة بن الجراح وجعل حمص منطلقاً لعملياتهم لاسترجاع بلاد الشام وذلك على نحو ما كانت عليه قبل الفتح الاسلامي نظراً لموقعها المتوسط ونظراً لاعتمادهم على وجود انصار لهم فيها وطلبوا الى انصارهم من بني تغلب وربيعة وتنوخ وبني نزار واهل الجزيرة الانضمام اليهم في حمص .

– وصلت المعلومات عن تحرك جيوش الروم في اتجاه حمص ، فارسل ابو عبيدة بن الجراح الى الخليفة عمر بن الخطاب تقريراً بالموقف واخذ يستعد للقتال .

– كان ابو عبيدة قد ترك خالد بن الوليد في حكم قنسرين فطلب اليه العودة والانضمام بسرعة الى قوات الجيش الرئيسية في حمص . واصدر اوامره الى « المسالح » ومراكز المراقبة المتقدمة بالانضمام الى مركز الجيش والتحقت القوات بمركز التجمع فاعاد ابو عبيدة تنظيم جيشه وخرج الى ظاهر المدينة .

- عقد ابو عبيدة مؤتمراً للقيادة، وطرح فيه الموقف للمناقشة ، واقترح خالد بن الوليد التقدم لملاقاة جيش الروم لكن ابا عبيدة قرر البقاء في موقف الدفاع بهدف انتظار تعليمات الخليفة عمر .

الخليفة عمر يحرك القوات الاحتياطية :

[كان عمر اتخذ في كل مصر على قدره خيولاً من فضول أموال المسلمين عدة لتكون ان كان ، فكان بالكوفة من ذلك اربعة آلاف فارس] (١)

- عندما وصلت رسالة ابي عبيدة الى الخليفة ، اصدر الامر التالي الى سعد ابن ابي وقاص :

[اندب الناس مع القعقاع بن عمرو وسرحهم من يومهم الذي يأتيك فيه كتابي الى حمص فان ابا عبيدة قد احيط به وتقدم اليهم في الجد والحث...]

الخليفة عمر يفتح جبهة ثانية :

- شعر الخليفة عمر بضرورة وضع حد حاسم لاتصال العرب مع الروم فأصدر امراً لاحقاً لسعد بن ابي وقاص :

[ان الله قد فتح على المسلمين الشام والعراق فابعث من عندك جنداً الىالجزيرة وأمر عليهم احد ثلاثة : خالد بن عرفطة أو هاشم بن عتبة اوعياض بن غنم .

- سرح سهيل بن عدي الى الجزيرة في الجند - وليأت الرقة فان اهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على اهل حمص - وان اهل قرقيساء هم سلف .

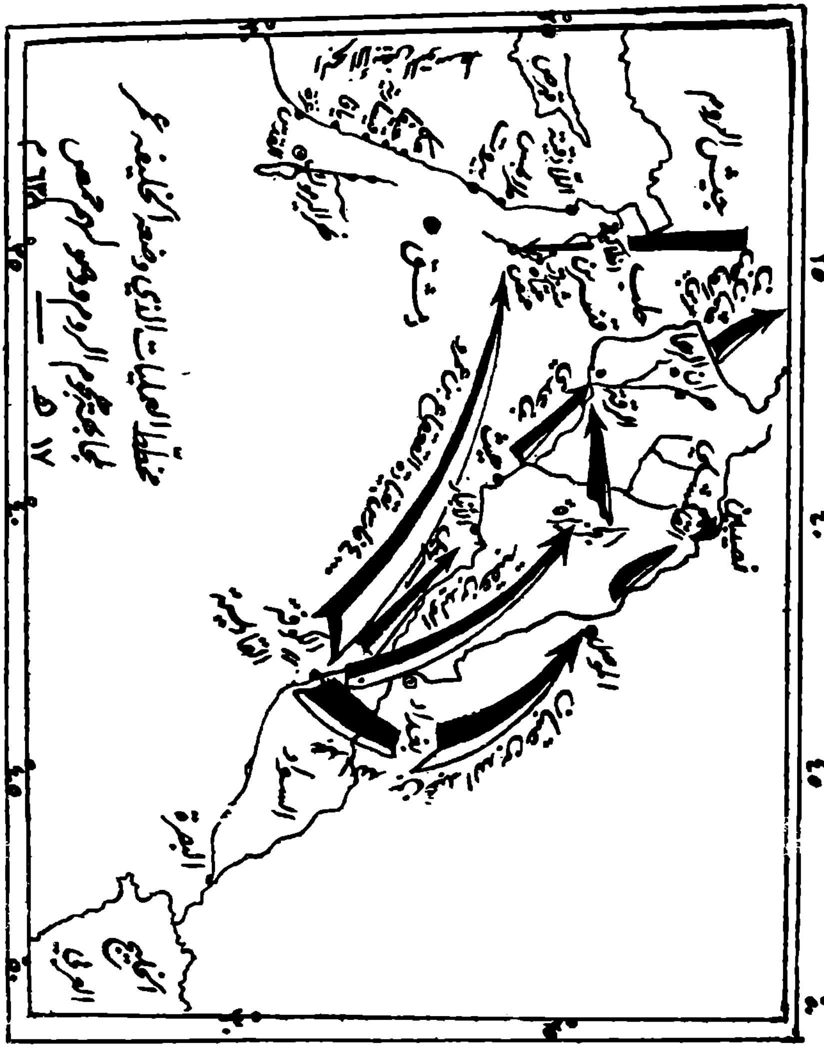
- سرح عبد الله بن عتبان الى نصيبين ثم لينغضا حران والرهاء .

- سرح الوليد بن عقبة على عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ - ان كان قتال فقد جعلت امرهم جميعاً الى عياض بن غنم] (٢) .

---

(١) تاريخ الطبري ٥١/٤ .

(٢) تاريخ الطبري ٥٢/٤ .



– لم يمض سوى ثلاثة ايام حتى كان القعقاع في طريقه الى حمص . وكانت الجيوش تتوجه بقيادة عياض بن غنم الى اهدافها المحددة لها .

الخليفة عمر ينتقل الى القواعد الامامية :

قدر الخليفة عمر خطورة الموقف ، وخشي ان يكون تقدم الروم بداية هجوم عام مضاد فغادر المدينة ووصل الجابية (آ) على حدود الشام حتى يكون في القاعدة المتقدمة لعلاج الموقف واتخاذ الاجراءات المناسبة .

تحول الموقف :

– عندما علم اهل الجزيرة بتوجه جيوش العراق الى اقاليمهم انسحبوا الى اقاليمهم وتخلوا عن الروم .

شعر ابو عبيدة بهذا التحول وعرف انه يستطيع بقوته تدمير قوة خصمه فنظم هجوماً حاسماً تمكن به من تدمير القوات المعادية له ووجه مفارز الفرسان لمطاردة فلول المنسحبين حتى انطاكية .

– وصلت قوات القعقاع بن عمرو في اليوم الثالث للمعركة ، ولم تشترك بالقتال . ووقع ابو عبيدة في موقف حرج . هل يشرك هذه القوات بالفيء والغنيمة وهي لم تشترك في قتال ؟ وبعث الى الخليفة يستشيره ، فأجابه :

[جزى الله أهل الكوفة خيراً – يكفون حوزتهم ويمدّون اهل الامصار – أشركهم فانهم قد نفروا اليكم وتفرق لهم عدوكم] (١)

– ووزع ابو عبيدة الفيء ، وتوجه القعقاع لدعم عياض بن غنم .

(آ) الجابية ؛ قرية من اعمال دمشق ثم من عمل الجيدور من ناحية الجولان قرب مرج الصفر « سهل البقاع » في شمال حوران اذا وقف الانسان في الصنمين واستقبل الشمال ظهرت له ، وتظهر من نوى ايضاً . وبالقرب منها تل يسمى تل الجابيه . ويقال لها ايضاً جابية الجولان وباب الجابية بدمشق منسوب الى هذا الموضع . معجم البلدان ، ياقوت الحموي ت – د .

(١) تاريخ الطبري ٥٢/٤ .

فتح الجزيرة :

– بناء على امر الخليفة ، توجه سهيل بن عدي وجنده على محور الفراض حتى وصل الرقة ، ووجد ان اهلها قد اخلوها وتفرقوا عنها ولم يبق الاالمقاتلون فحاصرهم سهيل ، وعندما اشتدت قبضة الحصار طلبوا الصلح ووافق عياض وامضى سهيل معهم عقد الصلح بموافقة عياض .

– وخرج عبد الله بن عبد الله بن عتبان فاتبع في مسيرته محور نهر دجلة حتى وصل الى الموصل وعبر دجلة ، وتوجه الى نصيبين ، واستقبل اهلها عبدالله طالبين الصلح ، وعقد معهم اتفاقية للصلح بأمر من عياض وموافقته .

– وتقدم الوليد بن عقبه الى الجزيرة بمهمة اخضاع بني تغلب وعرب الجزيرة فاستقبله اهل الرقة ونصيبين بطلب الصلح ، فصالحهم باستثناء قبيلة اياد بن نزار الذي هرب بقبيلته لاجئاً إلى بلاد الروم عندما علم بزحف المسلمين فكتب الوليد الى الخليفة عمر يعلمه بذلك .

– ضم عياض بن غنم قوات سهيل بن عدي وعبدالله بن عتبان واعاد تنظيم جيشه ودفع القعقاع بن عمرو مقدمة له . وتابع التقدم حتى وصل حران وصالح خلال مسيرته كافة اهل المدن والقرى .

– وجه عياض بن غنم بعد ذلك سهيل بن عدي وعبدالله بن عتبان الى الرهاء بمهمة فتحها وعندما وصلت قوة المسلمين خرج اهل الرهاء يطلبون الصلح وعقد الصلح معهم نيابة عن القائد عياض .

– وجه عياض قوة بقيادة عثمان بن ابي العاص لفتح ارمينيا الرابعة (١)

---

(١) كانت ارمينيا تقسم من الشرق نحو الغرب الى اربعة اقاليم تحمل تسلسلا بالارقام :
ارمينيا الأولى : وكانت تضم شمشاط وقاليقلا وخلاط وأرجيش وباجنيس .
ارمينيا الثانية : وتضم السفرجان ودبيل وسراج طير وبغروند .
ارمينيا الثالثة : جرزان .
ارمينيا الرابعة : السيجان واران .
وكانت ارمينيا الأولى والثانية تحت حكم الخزر ، وارمينيا الثالثة والرابعة تحت حكم الروم . فتوح البلدان ، للبلاذري ، ١٩٨ .

وتقدم عثمان بجيشه حتى حدود ارمينيا . وبعد معركة قصيرة وحاسمة طلب اهل ارمينيا الصلح ، وصالحهم عثمان بعد ان فرض عليهم الجزية . وكان بين من استشهد صفوان بن المعطل السلمي .

وانتهت سلسلة هذه العمليات بفرض سيطرة المسلمين على الجزيرة .

الخليفة عمر يدمر روابط الروم باهل الجزيرة :

اراد الخليفة عمر الافادة من التجاء قبيلة اياد بن نزار الى الروم ، لقطع كل اتصال بين الروم واهل البلاد في الشام وذلك بهدف احباط كل امل في المستقبل لمعاودة استثارة الروم او للاتصال من أجل تنظيم ثورة مضادة فكتب الى ملك الروم ...

[انه بلغني ان حياً من احياء العرب ترك دارنا وأتى دارك فوالله لتخرجنه اولننبذن الى النصارى ثم لنخرجنهم اليك] (١) .

— وجد ملك الروم — قسطنطين — ان من مصلحة بلاده في تلك الفترة التخلي عن هؤلاء الانصار الذين لا يستطيعون له دعماً ، فوجههم الى بلاد الشام وفرض عليهم ما فرض على القبائل المماثلة لهم من اهل الجزيرة .

كان اهل الجزيرة — قد وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم — وعاهدوه الا ينصروا وليداً ، فكان ذلك الشرط على الوفد ومن يمثلونه . وعندما تقدم الوليد بن عقبة الى الجزيرة لم يقبل من بني تغلب سوى الاسلام ، وطلبوا ترك الحرية لهم اسوة ببقية المناطق التي يتم فتحها . فكتب الوليد الى الخليفة عمر يعلمه بطلب اهل الجزيرة ، واعتبر الخليفة عمر ان عدم التزام اهل الجزيرة باتفاقهم مع الرسول هو بمثابة رده فكتب الى الوليد عن رفضه لقبول طلبهم مبرراً ذلك :

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٥٥ .

[انما ذلك لجزيرة العرب – لا يقبل منهم فيها الا الاسلام ، فدعهم الا ينصروا وليداً – واقبل منهم اذا اسلموا] (١) .

– قرر الخليفة عمر العودة الى المدينة بعد ان تمت تصفية الموقف الطاريء . وقام بدراسة الوضع العام في الشام واتخذ الاجراءات التالية :

١ً – اصدر اوامره بتسمية الصوائف والشواتي وتنظيم المسالح « مراكز المراقبة المتقدمة » وقام بجولة تفقدية .

٢ً – اصدر امره بتعيين عبدالله بن قيس على السواحل .

٣ً – اصدر امره بعزل شرحبيل بن حسنه وتعيين معاوية بن ابي سفيان مكانه وتقدم شرحبيل من الخليفة وسأله :

أعن سخطةٍ عزلتني يا أمير المؤمنين ؟

واجابه الخليفة : انك لكما احب ، ولكني اريد رجلاً اقوى من رجل .

فقال شرحبيل :

اعذرني في الناس لا تدركني هجنة .

واعلن الخليفة عن رضاه لما قام به شرحبيل بن حسنه ولما بذله من جهد ، وان ضرورة الوضع اقتضت عزله .

ثم عاد الى المدينة .

عزل خالد بن الوليد :

– اطلق العرب المسلمون اسم « الدروب » على المحاور وطرق المرور عبر جبال طوروس الفاصلة بين بيزنطه وبلاد الشام .

– بعد تصفية المقاومات واحباط المؤامرة التي اشترك فيها عرب الجزيرة مع الروم اصدر ابو عبيدة بن الجراح اوامره الى خالد بن الوليد وعياض بن

---

(١) تاريخ الطبري ٥٦/٤ .

غنم للتوغل عبر الدروب بهدف مقابلة العدوان بعدوان مماثل وإلحاق الاضرار المادية والمعنوية ببلاد الروم .

– نجح خالد بن الوليد وعياض بن غنم في تنفيذ الواجب المحدد لهما. وقاما بسلسلة اغارات دمرت خلالها كثيراً من القرى وحصل المسلمون على غنائم مادية ضخمة .

– عندما رجع خالد من اغارته توافد اليه اصدقاؤه ووزع عليهم الهدايا . ثم اعطى الاشعث بن قيس عشرة آلاف وعلم بذلك الخليفة عمر ، وكان لا يخفى عليه شيء من عماله .

– كان الخليفة عمر قد بلغه قبل ذلك ان خالد دخل الحمام فتدلك بالخمر فكتب اليه :

[بلغني انك تدلكت بخمر – وان الله قد حرم ظاهر الاثم وباطنه وقد حرم مسه – فلا تمسوها اجسادكم ، وان فعلتم فلا تعودوا] .

فكتب اليه خالد :

[انا قتلناها فعادت غسولاً غير خمر] .

فكتب اليه عمر :

[ان آل المغيرة ابتلوا بالجفاء فلا اماتكم الله عليه] (١) .

– وعندما وصلته المعلومات حول اعطاء خالد مبلغ عشرة آلاف للأشعث كتب الى ابي عبيدة :

[اطلب خالداً ، واعقله بعمامته وانزع عنه قلنسوته حتى يعلمكم من اين اجاز الاشعث أمن ماله أم من مال أصابة اصابها ؟ فان زعم انه فرقه من ماله فقد اسرف وان زعم أنه فرقه من اصابة اصابها فقد أقر بخيانة – واعزله على كل حال – واضمم اليك عمله] (٢)

---

(١) التاريخ الكامل لابن الاثير ٢/٣٧٥

(٢) تاريخ الطبري ٤/٦٠ .

– طلب ابو عبيدة الى خالد بن الوليد الحضور من قنسرين الى حمص ، ثم جمع الناس وجلس لهم على المنبر ، ووقف بلال وسأل خالد :

من أين أجزت الأشعث ؟

وسكت خالد وابو عبيدة في مكانه لم يتكلم . وعندها تقدم بلال من خالد وقال له :

[ان امير المؤمنين امر فيك بكذا .. وكذا .. ونزع عمامته ووضع عنه قلنسوته ثم عقله بعمامته . وخالد لم يمنعه من ذلك] ..

واعاد بلال السؤال : من اين اجزت الاشعث ، من مالك أجزت أم من إصابة اصبتها ؟

وقال له خالد : – بل من مالي .

فاطلقه ، واعاد قلنسوته ثم وضع عليه عمامته بيده و قال :

[نسمع ونطيع لولاتنا ونفخم ونخدم موالينا] (١) .

– اقام خالد في حمص لا يعرف امعزول او غير معزول وابو عبيدة لا يعلمه اكراماً لمكانته في نفسه فلما تأخر قدومه الى المدينة كتب الخليفة عمر الى خالد يطلب اليه الحضور الى المدينة .

وحمل خالد الكتاب الى ابي عبيدة ، وقال له :

[رحمك الله ، ما اردت الى ما صنعت ، كتمتني امراً كنت احب ان اعلمه قبل اليوم] .

واجابه ابو عبيدة :

[اني والله ما كنت لاروعك ما وجدت لذلك بداً – وقد علمت ان ذلك يروعك] .

– رجع خالد الى قنسرين وخطب في اهلها مودعاً ، ثم رجع الى حمص ، فخطب فيهم وودعهم ، ثم سار الى المدينة ، وعندما التقى بالخليفة عمر قال له :

---

(١) التاريخ الكامل لابن الاثير ٢/٣٧٦ .

[شكوتك الى المسلمين ، فبالله انك في امري غير مجمل يا عمر] .

وسأله عمر :

[من اين هذا الثراء ؟]

وقال له خالد :

[من الانفال والسهمان وما زاد على ستين الفاً فلك] .

– قوم عمر ما يملكه خالد فزاد عشرين الفاً ، فجعلها في بيت المال ثم قال له :

[يا خالد – والله انك علي لكريم ، وانك الي لحبيب ، ولن تعاتبني بعد اليوم على شيء] .

وكتب الى الاقاليم :

[اني لم أعزل خالداً عن سخطة ولا خيانه ، ولكن الناس فخموه ، وفتنوا به ، فخفت ان يوكلوا اليه ويبتلوا به فاحببت ان يعلموا ان الله هو الصانع ، وان لا يكونوا بعرض فتنة] .

ثم عوضه مما أخذه منه .

اعادة التنظيم بعد المعركة :

– اعاد الخليفة عمر بعد انتهاء معركة حمص وفتح الجزيرة التنظيم على النحو التالي :

١ – تعيين عياض بن غنم قائداً ثانياً مكان خالد بن الوليد لمساعدة ابن الجراح

٢ – اعادة سهيل بن عدي وعبدالله بن عتبان الى الكوفة – من اجل دعم الجبهة الشرقية .

٣ – تعيين حبيب بن مسلمة على عجم الجزيرة وحربها .

٤ – تعيين الوليد بن عقبة على عرب الجزيرة .

من ادب الحرب

قصيدة القعقاع بن عمرو في فتح الجزيرة :

من مبلغ الاقـوام ان جمـوعنـــا   حوت الجزيره يوم ذات زحام
جمعوا الجزيرة والغيـاث فنفسوا   عمن بحمص غيابـــة القـدام
ان الاعزة والاكارم معشر   فضوا الجزيرة عن فراخ الهام
غلبوا الملوك على الجزيرة فانتهوا   عن غزو من يأوى بلاد الشام

الهجوم والهجوم المضاد ــ سنة ٢٥ هـ :

الموقف العام :

ــ بدأت الجيوش الاسلامية تندفع في شمال افريقيا بعد فتح مصر ، وانتهت القوات العربية من الاحاطة بالهضبة الايرانية ، واستقر الوضع في الشام وكان الخليفة عمر قد قسم المناطق العسكرية في الشام الى اربعة مناطق :

١ ــ منطقة فلسطين « جند فلسطين » ومركزها الرمله وسواحلها قيسارية ــ ارسوف ــ يافا ، عسقلان ، غزه ، رفح ، العريش .

٢ ــ منطقة دمشق « جند دمشق » مركزها دمشق وحدها الساحلي طرطوس وبانياس وجبلة .

٣ ــ منطقة الاردن « جند الاردن » ومركزها طبريا وحدها الساحلي صور وعكا .

٤ ــ منطقة حمص مع قنسرين « جند حمص وقنسرين » وسواحلها صيدا ، بيروت ، جبلة ، طرابلس ، وحدها النهر الكبير .

ــ كان الروم ينتظرون كل فرصة سانحة للانقضاض على المنطقة الساحلية

والمنطقة الوسطى من سوريا وتهديد امنها . وتقدمت قواتهم في عام ٢٤ هـ ، مع نهاية خلافة عمر بن الخطاب وبداية حكم عثمان بن عفان .

– كانت الكوفة تضم ٤٠٫٠٠٠ مقاتل ، وقد قسمت هذه القوة المقاتلة على أربعة مجموعات تنطلق كل مجموعة في سنة للغزو ومتابعة الفتوح في الجبهة الشرقية ، فكانت القوة المقاتلة المخصصة للغزو في كل عام مكونة من ١٠٫٠٠٠ مقاتل .

– كان الوليد بن عقبة في عام ٢٤ هـ والياً على الكوفة فقام بقواته وغزا اذربيجان وموقان والببر والطيلسان ، وفتح الاقاليم وعاد من غزوته .

الموقف على الجبهات الاخرى سنة ٢٤ هـ :

– **الجبهة الشرقية** – احاطت القوات العربية الاسلامية بالهضبة الايرانية .

– **الجبهة الغربية** – فتحت القوات العربية مصر وطرابلس الغرب .

– **البحر** – بدأ معاوية بن أبي سفيان بانشاء السلاح البحري .

التطور في التنظيم والتسليح :

١ – انشأ عمر ديوان الجند لتسجيل المقاتلين وذكر اوصافهم ومقدار رواتبهم.

٢ – انشأ عمر الحصون والمعسكرات الدائمة لراحة الجند عند التحركات والتنقل .

٣ – تم تطوير استخدام الاسلحة الثقيلة كالمنجنيق والضبور – وهو يشبه الدبابة – يصنع من الخشب المغطى بالجلد ويتقدم داخله المقاتلون حتى حصون خصومهم .

٤ – بدأ تنظيم فروع الامداد والتموين بالجيش لامداد المقاتلين بمتطلباتهم الحياتية والقتالية .

تجربة قتالية ناجحة :

تجاه التحديات التي وجهها الروم ضد المنطقة الساحلية بعد وفاة الخليفة عمر ابن الخطاب اصدر الخليفة عثمان بن عفان أمره الى معاوية بن أبي سفيان بتوجيه مجموعة قتالية بقيادة حبيب بن مسلمه الى ارمينيا للرد على اعتداءات الروم .

– انطلق حبيب بن مسلمه واوغل فيما وراء الدروب ، وبلغه ان موريان الرومي قد توجه نحوه في ثمانين الفاً من الروم والترك . فكتب الى معاوية بن أبي سفيان يشرح له الموقف . وارسل معاوية التي وصلته الى الخليفة عثمان بن عفان يعلمه بذلك .

– اراد الخليفة عثمان تخفيف الضغط عن جيش حبيب بن مسلمه ، فاعاد تطبيق الخطة التي وضعها قبله الخليفة عمر بن الخطاب عندما توجهت جيوش الروم الى حمص . فكتب الى الوليد بن عقبه والي الكوفة الرسالة التالية :

[... اما بعد فان معاوية بن ابي سفيان كتب الي يخبرني ان الروم قد أجلبت على المسلمين بجموع عظيمة – وقد رأيت ان يمدهم اخوانهم من اهل الكوفة فاذا اتاك كتابي هذا فابعث رجلاً ممن ترتضي نجدته وبأسه وشجاعته واسلامه في ثمانية آلاف او تسعة آلاف او عشرة آلاف اليهم من المكان الذي يأتيك فيه رسولي والسلام] (١) .

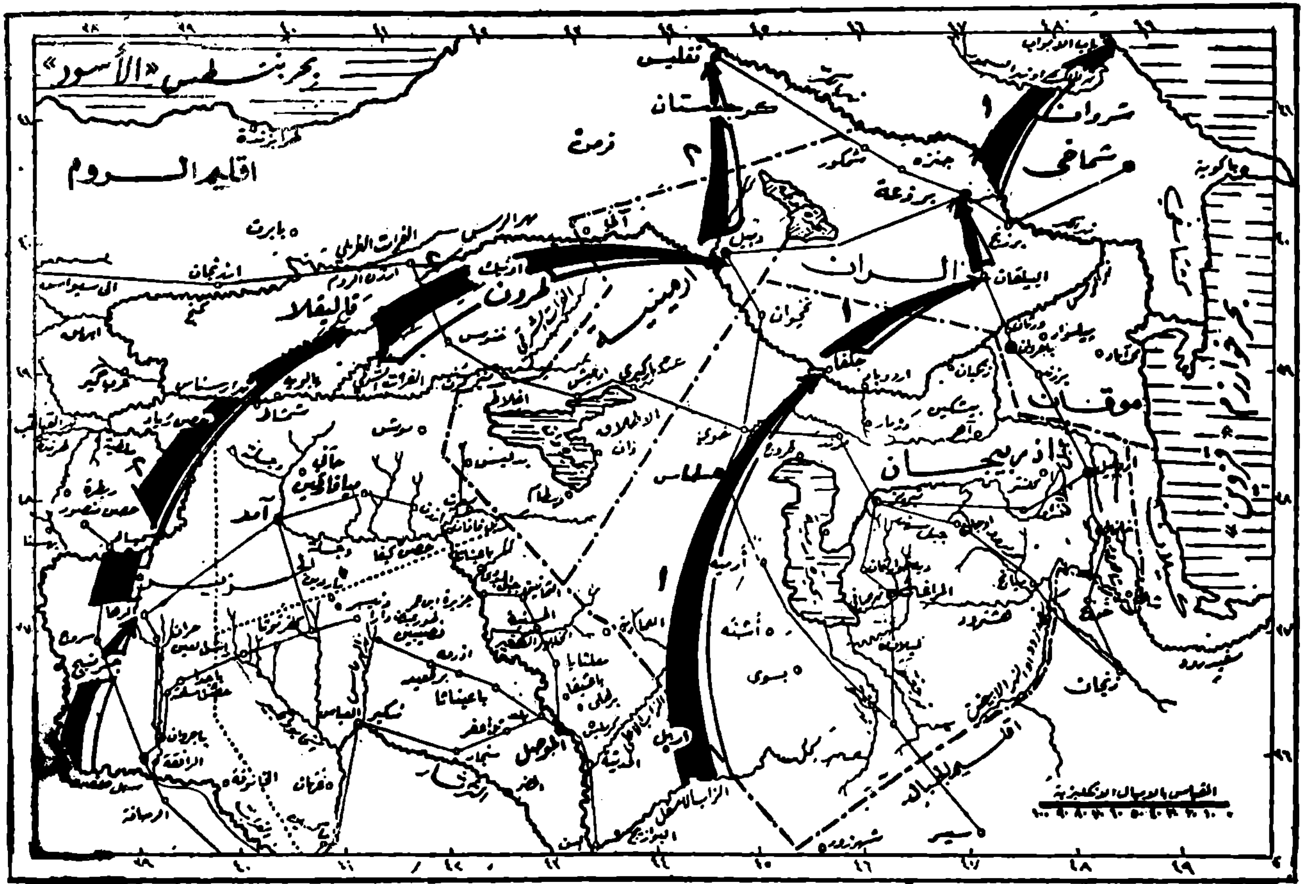
– استنفر الوليد بن عقبة المقاتلين ، وجهز جيشاً من ثمانية آلاف مقاتل وكلف بقيادته سلمان بن ربيعه الباهلي .

– انطلق سلمان بجيشه وتوغل في بلاد الروم ، وقام بسلسلة من الاغارات ، ونجح في ابادة المقاومات التي اعترضت سبيله . وغنم الجيش مغانم كبيرة وحمل معه اعداد كبرى من السبي وعاد بعد ان فتح حصوناً كثيرة .

– كان من نتيجة هجمات سلمان بن ربيعه الباهلي وقوف حبيب بن

---

(١) التاريخ الكامل لابن الاثير ٤٣/٣ وتاريخ الطبري ٢٤٦/٤ .



إقليما الجزيرة وأذربيجان ، مع أقاليم الحدود الشمالية الغربية

١ - محور تحرك سلمان بن ربيعة الباهلي ٢٥ هـ - ٦٤٥ م بجيش الكوفة .

٢ - محور تحرك حبيب بن مسلمة ٢٥ هـ - ٦٤٥ م بجيش الشام .

مسلمة في موقف القوة فانطلق بهجوم حاسم وصل فيه حتّى معسكر خصمه « موريان » وتمزقت قوات الروم وهزمت هزيمة منكرة .

عـــاد حبيب من غزوته الى قاليقلا (١) ثم سار منها الى « مربالا » فاتاه بطريق خلاط بكتاب صلح وقعه له عياض بن غنم ، وحمل اليه المال المفروض عليه ، فنزل حبيب في مدينة خلاط ضيفاً على بطريقها ثم سار منها فالتقى بحاكم مكس ، وهي تابعة « للسفرجان » واتفق معه على الصلح ، ثم انتقـــــل الى ازدشاط – مدينة القرمز – فنزل على نهر دبيل .

ووجه الفرسان الى دبيل فاعتصم اهلها ، ونصب حبيب المنجنيق وصمم على تدميرها ان لم تستسلم له ، فخرج حاكمها وعقد صلحاً مع حبيب .

١ – وجه حبيب مجموعة من الفرسان الى « ذات اللجم » وقاتلوا الروم وألحقوا بهم الهزيمة .

٢ – وجه سرية الى سراج طير وبغروند ، فصالحه بطريقها .

٣ – حضر بطريق السفرجان الى حبيب بن مسلمة وعقد معه اتفاقية للصلح.

٤ – تقدم حبيب الى السيسجان ، فتصدى اهلها لمقاومة الجيش العربي ، ونجح حبيب في إلحاق الهزيمة بهم واحتل حصونهم .

٥ – توجه حبيب الى « جرذان » وحضر بطريقها اليه وعقد معه اتفاقية للصلح .

٦ – سار الى تفليس « التابعة لجرذان » فصالحه حاكمها .

٧ – تابع حبيب عمليات الفتح في نواحي تفليس واخضع حصونها وفتح مدنها .

٨ – كان سلمان بن ربيعة الباهلي قد توجه الى اران ففتح البيلقان صلحاً .

---

(١) قاليقلا : كانت قالي زوجة بطريق ارميناقس ملك ملطية وسيواس وأقصر وقونية ومـــا بعدها من البلاد حتّى القسطنطينية وقد امرت قالي ببناء هذه المدينة فسميت قالي قله ، بمعنى «احسان قالي » فدمجت العرب المقطعين باسم قاليقلا .

٩ ــ وتابع سلمان فتوحه، فوصل مدينة برذعة واقام معسكره على الترثور فقاتل اهلها على ايام متتالية وارغمهم على قبول الصلح .

١٠ ــ دعى سلمانَ اكراد البلاشجان الى الاسلام ، فرفضوا وتصدوا لمقاومته فقاتلهم وانتصر عليهم ودخل بعضهم الاسلام وقبل الباقون بالجزية .

١١ ــ وجه سلمان سرية الى شمكور ففتحوها ثم جاء « السناورديه » فدمرها. وانتهت سلسلة العمليات بالصلح مع صاحب سكر وملك شروان وجميع ملوك الجبال ومسقط والشايران ومدينة الباب .

معاوية يقود غزوة جديدة ــ سنة ٢٥ هـ :

عندما عاد حبيب بن مسلمة انطلق معاوية وقاد جيشاً داخل الدروب ووصل حتّى عمورية ووجد معاوية ان كافة الحصون بين انطاكية وطرطوس خالية . فنقل اليها مقاتلين من الشام والجزيرة . ثم أغزى معاوية بعد ذلك يزيد بن الحر العبسي ،الصائفة ، وامره ففعل مثلما فعله معاوية ، ولما رجع من غزوته هدم الحصون داخل الدروب حتّى انطاكية .

قصة عربسوس (١) :

قال عمير بن سعد وهو يتحدث الى الخليفة عمر بن الخطاب :

[.. ان بيننا وبين الروم مدينة يقال لها عربسوس ، وانهم يخبرون عدونا بعوراتنا . ولا يظهرونا على عورات عدونا]

واجابه عمر بن الخطاب :

[... اذا قدمت فخيرهم ان تعطيهم مكان كل شاة شاتين ومكان كل بقرة بقرتين ، ومكان كل شيء شيئين فاذا رضوا بذلك فاعطهم اياه واجلهم واخربها ... فان ابوا ذلك فانبذوا اليهم ، وأجلهم سنة ثم اخربها] ..

---

(١) فتوح البلدان ، البلاذري ١٥٥ .

رجــع عمير بن سعد، وعرض على اهلها الجلاء عن مدينتهم ، فرفضوا ذلك ، وقدم اليهم العروض والمغريات ، ولكنهم استمروا في رفضهم فزحف المسلمون اليها وأحاطوا بها ، وامهلوا اهلها سنة كاملة . وعندما انتهت المدة المحددة تقدم جيش المسلمين وارغم اهلها على الجلاء عنها وهدمها .

كانت هــذه اول حادثة يتم فيها ارغام السكان على الجلاء عن مناطقهم لضرورات الأمن . ولم يكن هناك حل تبادلي آخر لإيقاف تدخل الروم ووضع حد جذري وحاسم ضد عمل الروم التخريبي في اشعال نيران الثورة المضادة للعرب المسلمين .

قصة الجراجمة (١) :

الجراجمــة نسبة الى مدينتهم – جرجومة – في جبــل اللكام – ما بين بانياس – وبوقا قرب اللاذقيه .

كان جبــل اللكام ، وفيه الجراجمة يخضعون من الناحية الادارية لحاكم انطاكية . وعندما تقدم ابو عبيدة بن الجراح بجيشه الى انطاكية وفتحها ، لزم الجراجمة مدينتهم وخاف قسم منهم وقرروا اللحاق بالروم والانضمام اليهم. لكن ابا عبيدة تركهم ، ولم يوجه اليهم قوة لاخضاعهم .

لم تلبث انطاكيــة غير قليل حتى أعلنت تمردها بتأثير من الروم فوجه ابو عبيدة بن الجراح قوة لاخضاعها بقيادة حبيب بن مسلمة الفهري ، وتمكن حبيب من فتحها ثانية ، ثم وجه قوة الى الجرجومة ، فلم يقاتله أهلها وأسرع وفد منهم لمقابلة حبيب طالباً عقد صلح مع المسلمين . وقد نصت اتفاقية الصلح على :

[١ – أن يكون اهل الجرجومة اعواناً للمسلمين – وأن يقوموا بتنظيم المسالح ومراقبة الحدود في جبل اللكام .

---

(١) تاريخ الطبري ٣٤٧/٣ و ٤٠٠ وتاريخ البلاذري ١٥٩ – ١٦٣ .

٢ ــ ان ينفلوا اسلاب من يقتلون من اعداء المسلمين اذا حضروا معهم حرباً في مغازيهم .
ومقابل ذلك فقد اسقطت الجزية عن الجراجمة ..]

وطبقت نصوص هذه الاتفاقية على المقيمين في المنطقة من الانباط والتجار والعمال الزراعيين ـ الاجراء ـ وسمي هؤلاء ـ بالروادیف ـ لأنهم لحقوا بالجراجمة وهم ليسوا منهم .

لم يلتزم الجراجمة بنصوص الاتفاقية المعقودة مع المسلمين فكانوا يتظاهرون بالخضوع عندما يكون الحكم قوياً ويعلنون التمرد اذا شعروا من الحكم ضعفاً . وكانت الاتصالات بينهم وبين الروم مستمرة وبقي وضعهم كذلك حتّى ايام مروان بن عبد الملك .

بدأت حركة التمرد بثورة عبدالله بن الزبير في الجزيرة ، واستيلاء مصعب بن الزبير على العراق . ومطالبة عبد الملك اخاه ان يجعل الخلافة له بعد وفاته وخلال هذه الفترة من الاضطرابات ، انطلقت قوات من الروم الى جبل اللكام . وانضم اليها الجراجمة ، وتوجهوا جنوباً حتّى سيطروا على لبنان واصبحوا يهددون دمشق .

كان الحكم قد انتهى الى عبد الملك بن مروان ، ووجد عبد الملك ان الموقف يتطلب مهادنة الروم وانصارهم الجراجمة حتّى يتفرغ لحرب مصعب ابن الزبير . وذلك في سنة ٦٨ هـ ـ ٦٨٧ م . وصالحهم على الف دينار يدفعها لهم كل اسبوع .

عندما انتهى عبد الملك بن مروان من تصفية ثورة مصعب بن الزبير وقضى على تمرد عمرو بن سعيد بن العاص. وجه سحيم بن المهاجر الى زعيم الجراجمة . فوزع سحيم قواته ثم تقدم الى « الرومي » متظاهراً بعدائه لعبد الملك واستثار زعيم الجراجمة ضده ووعده بتقديم الدعم وكشف نقاط الضعف اذا زحف الى دمشق وعندما شعر سحيم ان اللحظة المناسبة قد حانت نظم

قواته وقام بهجوم مباغت قتل فيه زعيم الجراجمة وقادة الروم وتمزقت القوات والتجأ قسم من الجراجمة الى قرى حمص ودمشق ورجع اكثرهم الى قراهم في جبل اللكام . كما رجع الانباط الى قراهم ومدنهم ورجع العبيد الى مواليهم .

كـــان من بين العبيد الذين انضموا الى الجراجمة ميمون الجرجماني ، وكان عبداً رومياً لبني ام الحكم اخت معاوية بن ابي سفيان – وهم ثقفيون – وقد نسب ميمون الى الجراجمة لاختلاطه بهم وخروجه معهم الى جبل لبنان وبلغ عبد الملك بن مروان عنه البأس والشجاعة فطلب من مواليه اعتاقه ، ثم وجهه عبد الملك على رأس قوة من الجند الى انطاكية واشترك مع مسلمة بن عبد الملك في غزو الطوانة ومعه الف مقاتل من انطاكية وابلى بلاء حسناً قبل ان يقتل ، وعندما بلغ عبد الملك خبر استشهـــاده وجه جيشاً كبيراً لغزو الروم طلباً لثأر ميمون .

وفي سنـــة ٨٩ هـ – ٧٠٧ م . اجتمع الجراجمة في جبل اللكام ، ووصلهم دعم وجهه اليهم الروم من الاسكندرية وروسس . فوجه اليهم الوليد بن عبد الملك جيشاً بقيادة أخيه مسلمة بن عبد الملك فحاصرهم وفتح الجرجومة، وأجبروا على الجلاء عن منطقتهم والاقامة في دمشق وخصصت لهم رواتب ثابتة وما يكفيهم من الأغذية والطعام ، وتركت لهم حريتهم الدينية فلم يرغم من اولادهم ونسائهم أحد على ترك النصرانية كما لم يؤخذ منهم او من نسائهم واولادهم الجزية وسمح لهم بتقليد المسلمين في ثيابهم ومرافقتهم لهم في غزواتهم مقابل ما يستولون عليه من غنائم واسلاب لكل من يقتلونه مبارزة . وفرض على الاغنياء والتجار منهم ما يفرض على اموال المسلمين ، ثم دمرت مدينتهم الجرجومة فانتقل قسم من الجراجمة الى تيزين وحمص ونزل بطريقهـــا بانطاكية ثم هرب منها الى بيزنطه .

الدروس المستخلصة من عمليات فتح الشام :

آ ـ في الاستراتيجية العليا :

١ ـ الانطلاق من قاعدة قوية وامينة :

يظهر الحرص علـى تطبيق هذا المبدأ من خلال حدثين بارزين . اولهما عندما ارسل الخليفة عمر الى يزيد بن أبي سفيان يطلب اليه توجيه معاوية لفتح قنسرين نظراً لان بقاء هذه المدينة في وسط البلاد المفتوحة يشكل مقاومة جانبية تغري الروم بتوجيه قوات لدعمها . وهي بالاضافة الى ذلك تهدد مؤخرة القوات الزاحفة الى الشمال .

أما الحدث الثاني فهو عودة أبي عبيدة بن الجراح لفتح البلاد المتمردة بتحريض من الروم ومعاودة فتح بعلبك ، وحمص ، وقيسارية قبل متابعة التحرك لفتح حلب او الانطلاق غرباً الى انطاكية او شرقاً الى الجزيرة الشامية .

٢ ـ وضوح الهدف :

كان هدف الجيوش العربية منذ غادرت الجزيرة هو إزالة دولـة الروم وانتزاع الشام من قبضتهم وتحريرها . ولهذا فعندما انتهى فتح دمشق اندفعت القوات لمتابعة واجباتها في مختلف الاتجاهات ، فتوجه أبو عبيدة وخالد بن الوليد شمالا ، واندفع عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة جنوباً الى الاردن وفلسطين ودفع يزيد معاوية لفتح المدن الساحلية . واخذت القوات تنتقل من موقعة الى موقعة ومن مدينة الى مدينة حتى تم لها تحقيق الواجب المحدد لها .

إن هذا الوضوح في الرؤيا والوضوح في تحديد الهدف هو العامل الذي مكن القادة من انجاز واجباتهم بعيداً عن الارتجال ودونما تردد أو تهاون .

٣ ـ حرمان العدو من موارده الاقتصادية :

ان تحرير الشـام في حد ذاته هو عملية حرمان بيزنطه من مواردها الاقتصادية وتقليص رقعة دولتها وحصرها ضمن حدود ضيقة .

اما على مستوى العمليات فقــد استهدف القادة وبصورة مستمرة حرمان العدو من موارده الاقتصادية ، وانتزاع المواد التموينية من قبضته والاسراع بتوجيه قوات للاغارة على ارتال امداداته . وكان حرمان القوات من الموارد الاقتصادية عاملا حاسماً في ارغام هذه القوات على التراجع والانسحاب بعد ان اصبحت جميع خطوطها التموينية مهددة . كما ان تضييق الحصار على المقاومات كان من العوامل الحاسمة التي ارغمت هذه المقاومات في حمص وبعلبك على الاستسلام .

٤ – ردع العدو عن التفكير في تغذية الثورة المضادة :

عندمــا هربت قبيلة اياد بن نزار الى « بيزنطه » ارسل الخليفة عمر رسالة الى ملك الروم – قسطنطين بن هرقل – طالباً اعادة القبائل الملتجئة اليه مهدداً باجراء مماثل .. مما ارغم قسطنطين على تنفيذ طلب الخليفة عمر ..

وعندمــا تقدمت قوات الروم بهجومها عام ١٧ هـ . كان الرد المباشر هو ارسال اربعة مجموعات قتالية لغزو ما وراء الدروب ، وتهديد الروم داخل بلادهم .

ان هذه الاجراءات كانت البداية في تنظيم اسلوب الردع ضد الروم بهدف منعهم من التفكير في تغذية الثورة المضــادة وقطع جميع الروابط التي كانت تصل بين الروم وبين اهل البلاد .

٥ – الابقاء على العنصر العربي :

اعز الله العرب بالاسلام ، وكان على العرب واجب ثقيل هو حمل الرسالة الى جميع انحاء الدنيا . ولهذا كان الانسان العربي عزيزاً على قيادته . وكانت القيادة تحرص باستمرار على عدم زج القوات الابعد اعداد الظروف المناسبة .

عندما هاجم الروم حمص في عام ١٧ هـ. رفض ابو عبيدة مجابهتهم والتعرض لهم . وكتب الى الخليفــة عمر فعمل الخليفة على فتح جبهة ثانية وارسل قوات

دعم الى حمص . وعندما شعر ابو عبيدة انه اصبح قادراً على مجابهة الموقف قام بتنظيم هجومه ونجح في تدمير قوة الروم وتمزيقها .

وعندما وجه ابو عبيدة ميسرة بن مسروق العبسي لغزو ما وراء الدروب ، وجابه ميسرة قوات متفوقة وجه ابو عبيدة بسرعة قوات كبرى بقيادة مالك الاشتر النخعي لدعمه كما وأمر ميسرة بالرجوع حرصاً على حياة العرب المسلمين .

وعندما وجه الروم قوات كبيرة بقيادة الموريان لمجابهة حبيب بن مسلمة اصدر الخليفة عثمان اوامره الى الوليد بن عقبة لتوجيه قوة تتوغل في ارمينيا من أجل دعم مسلمة .

هذه بعض الملامح التي تظهر حرص القادة بداية من الخليفة وحتى قادة العمليات على حياة العرب المسلمين الذين كان عليهم حمل واجب نشر الدين الاسلامي .

٦ ـ تنظيم العلاقات العامة في المجتمع :

كان الهدف من ردع العدو عن التفكير في تغذية الثورة المضادة وحرص القيادة على العنصر العربي هو من اجل اقامة سلم دائم تعيش فيه جماهير البلاد التي فتحها المسلمون في أمن واستقرار مما يمهد السبل للتفاهم المتبادل ونشر دين الاسلام باقناع وحكمة عملا بقوله تعالى .

[أدْعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة] .

ولقد كانت سلسلة المعاهدات والاتفاقيات التي عقدت مع حكام اهل البلاد خطوة في مجال تنظيم العلاقات العامة وبناء المجتمع الجديد على اسس من الخير والحق والعدالة .

ان حادثة جبلة بن الايهم ، هي من الشواهد الرائعة على الاسس التي بنى عليها العرب المسلمون مجتمعهم . وكان للمعاملة الطيبة التي قابل بها العرب

المسلمون اهل البلاد من العوامل الاساسية التي ساعدت على تحقيق الهدف النهائي وهو اقامة المجتمع العربي المسلم .

ب – في تطبيق مبادىء الحرب :

١ – المبادأة :

لقد كانت المبادأة في قبضة قادة العرب المسلمين منذ لحظة مغادرة طلائعهم الجزيرة العربية واستمر القادة في الحفاظ على المبادأة .

وكان القادة يرفضون باستمرار ارادة العدو في فرض مكان المعركة وزمانها ويمتنعون عن زج قواتهم قبل اعداد الظروف المناسبة لتحقيق النصر .

لقد تجمعت قوات « ارطبون » في اجنادين ، وارسل عمرو بن العاص قوات لحصار ايلياء والرملة بهدف عزل قواتهما عن التدخل في المعركة .

وارسل الخليفة عمر اوامره الى يزيد بتوجيه معاوية لفتح المدن الساحلية . كما ارسل اوامره بتوجيه قوة لحصار غزة بقيادة علقمة بن محرز ومنع حاكمها الفيقار من توجيه قوات لدعم « ارطبون » .

ثم اخذ عمرو بن العاص يستعد لقتال خصمه ، ويجمع المعلومات عنه وينتظر قوات الدعم التي وجهها اليه الخليفة عمر . وعندما تهيأت له اسباب النصر قام بتنفيذ معركته وهو على ثقة تامة من النتيجة . وحافظ على المبادأة .

هذا نموذج وان متابعة مسيرة العمليات تبرز بشكل واضح حرص القادة على الامساك بالمبادأة وعدم السماح للعدو باستلام المبادأة . وكان ذلك من عوامل نصر للعرب المسلمين .

٢ – المباغتة :

مبدأ هام من مبادىء الحرب ، اجاد قادة العرب المسلمين استخدامه في جميع معاركهم تقريباً .

فقد استخدم العرب المسلمون صناديق مقفلة للتقرب من شيزر واقتحامها بهدف تحقيق المباغتة .

وتظاهر العرب المسلمون بالانسحاب عن حمص . وتركوا الشؤون الادارية خلفهم بهدف اغراء العدو لمطاردتهم . وعندما نجح مخططهم قاموا بهجوم مباغت وفق اسلوب منظم تمكنوا به من تطويق خصمهم وارغامه على الاستسلام .

وحفروا الحفر في حصار اللاذقية وانطلقوا منها باغارة مباغتة مكّنتهم من الاستيلاء على المدينة .

وكان ظهور مجموعاتهم القتالية في كل مكان امراً مباغتاً لخصومهم .

وكانت المباغتة من العوامل الحاسمة فيما حققه العرب المسلمون من منجزات .

٣ ـ الأمن :

كان قادة العرب المسلمين يحرصون على أمن القوات بهدف الامساك بالمبادأة وتحقيق المباغتة من جهة وبهدف وقاية قواتهم من كل مباغتة . وكانوا يتخذون سلسلة من الاجراءات لتحقيق هذه الغاية منها :

١ ـ عدم تحديد الهدف من التحرك قبل ان تتخذ القوات تشكيلة المسير .

٢ ـ اتخاذ تدابير الامن في الاقامة والتحرك ، ودفع عناصر الاستطلاع في كل اتجاه .

٣ ـ القيام بتحركات خداعية ، لتضليل العدو وعدم تمكينه من تنظيم مقاومات وتظهر الصورة الواضحة في تدابير أمن القتال من خلال متابعة مسير العمليات وبصورة خاصة « عند دفع القوات الى ما وراء **الدروب** » .

٤ ـ المرونة في التحركات :

من دمشق الى بعلبك فحمص ، شيزر ، حماه ثم حمص ، بعلبك ، حمص وبعد

ذلك بعلبك حمص حماه ، حلب ، انطاكية،جبلة، بانياس ، طرطوس ثم العودة الى حمص،حلب،الجزيرة .. ما وراء – الدروب – محور العمليات الأول .

– دمشق ، بيسان – اجنادين – ايلياء – محور العمليات الثاني .

– دمشق ، عكا ، والمدن الساحلية : بيروت ، صيدا ، صور ، محور معاوية بن ابي سفيان .

ومع هذه التحركات الرئيسية كانت هناك تحركات فرعية لمجموعات قتالية أصغر . ولم يكن باستطاعة العرب المسلمين خلال عام واحد هو عام ١٥ هـ. تجاوز هــذه المسافات وتصفية المقاومات وتحطيم الحصون وتدمير قوات العدو في مجموعة متلاحقة من المعارك ، لولا المرونة الكبرى في تحركاتهم والسرعة في تنفيذ هذه التحركات .

لقد كانت المرونة في التحركات هي البديل عن تفوق الخصم في حجم القوى.

وكانت مرونة القوات العربية الاسلامية من اول العوامل التي ساعدتهم على على النصر وعلى انجاز ما حققوه .

٥ – الاقتصاد بالقوى :

كــان العنصر العربي قليلاً في عدده ، اذا ما قورن باعداد الجيوش المعادية. ولهذا فقد اتبع اسلوب عدم تبديد القوى المقاتلة والحفاظ على القوة الضاربة.

عمل الخلفاء الراشدون على حشد كل الامكانات وزجها في مســارح العمليات وفق اهمية الاهداف .

ثم جاء الامويون فافادوا من كل الامكانات والطاقات التي يمكنها حمل الاعباء عن المقاتلين فنقلوا من البصره الاساورة والزط لتكليفهم باحياء الارض وحماية الثغور .

كمــا سمحوا للعناصر غير المسلمة في الاسهام بالقتال وكان ذلك مــن العوامل التي ساعدت على ابقاء العنصر العربي لممارسة دوره القيادي .

وكان لهذه السياسة دورها في بناء المجتمع الجديد بخطوات سريعة وفعالة .

٦ ـ المحافظة على الهدف :

كان الخليفة يحدد الهدف العام .

وكان القادة يحددون الاهداف المتابعة ضمن نطاق الهدف العام ويحصلون على موافقة الخليفة .

وكان الهدف الاساسي هو نشر الاسلام ، وقد جاءت الفتوحات لتحقيق هذا الهدف . ولهذا بقي الهدف الاساسي هو المهيمن على تحديد الهدف العام والاهداف التالية ورافق العمليات في مسيرتها وحتى نهايتها . وقد برهن العرب المسلمون جميعاً وفي كل المستويات على حرصهم التام والتزامهم المطلق بالهدف الذي يعملون له ويقاتلون من اجله ويقيمون السلم وبناء المجتمعات من اجله .

ج ـ في فن القيادة :

ان متابعة مسيرة العمليات تظهر بشكل واضح الكفاءة العالية التي تميز بها القادة من العرب المسلمين في مجال فن القيادة . ويظهر ذلك بشكل خاص من خلال :

١ ـ قراراتهم الصحيحة : « في كل مرحلة من مراحل المعركة » .
٢ ـ عدالتهم في معاملة مرؤوسيهم .
٣ ـ مجابهة المواقف الصعبة بشجاعة .
٤ ـ التصميم على تحقيق الهدف .
٥ ـ الاستماع الى القادة ومشاورتهم .
٦ ـ اختيار القادة الاكفاء للواجبات والاعمال المختلفة .

٧ – تقدير المواقف بشكل جيد – والاخلاص في العمل .

٨ – روح الفروسية .

لقـد كان عزل الخليفة عمر لقادته خالد بن الوليد وشرحبيل بن حسنة في اطار هذه القيم والمفاهيم .

وكانت حادثة جبلة بن الايهم ضمن اطار هذه القيم والمفاهيم .

وكان سلوك القادة على مسارح العمليات ضمن هذا الاطار ايضاً .

د – العامل المعنوي :

كان العامـل المعنوي هو العامل الحاسم والاساسي فيما حققه العرب المسلمون من انتصارات . وكانت جذور هذا العامل تستند الى :

١ – الايمان بعدالة قضيتهم – وواجبهم في تعريف العالم على هذه القضية .

٢ – ثقتهم بقادتهم – ثقة تزيل كل عوامل التردد والاحجام .

٣ – غيرتهم واثرتهم – وتفانيهم في حماية اخوانهم في الدين ورفاقهم في السلاح .

هـ – العوامل المساعدة الاخرى :

وهنـاك مجموعة اخرى من العوامل التي استخدمها العرب المسلمون في حروبهم وكانت عوناً لهم على تحقيق منجزاتهم ومنها :

١ – الاستطلاع المستمر للعدو .

٢ – خداع العدو .

٣ – التمويه .

٤ – استخدام العنف – لاحباط الروح القتالية لدى العدو .

٥ – استخدام اسس الحرب النفسية .

٦ – زج كل الامكانات في المعركة .

القسم الأول

الفصل الرابع

سيطرة العرب المسلمين على حوض البحر الابيض المتوسط

« الغمرات ثم ينجلينا »

صيحة الحرب التي كان يطلقها امير البحر عبد الله بن قيس الحارثي التجيبي .

١ ـ السيطرة على البحر .

٢ ـ غزو قبرص .

٣ ـ يوم ذات الصواري .

٤ ـ حصار القسطنطينية في عهد معاوية بن ابي سفيان .

٥ ـ سليمان بن عبد الملك وحصار القسطنطينية .

٦ ـ مراحل تطور الاسطول العربي الاسلامي .

٧ ـ الانجازات البحرية في عهد معاوية بن ابي سفيان .

٨ - سلاح البحرية في عهد عبد الملك بن مروان .

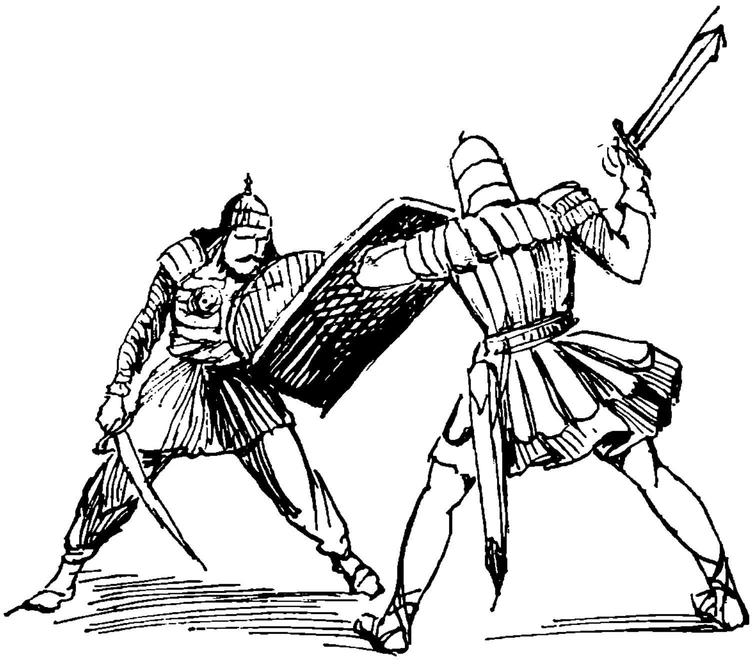
٩ - سلاح البحرية في عهد الوليد بن عبد الملك .

١٠ - سلاح البحرية في عهد سليمان بن عبد الملك .

١١ - سلاح البحرية حتى نهاية العهد الأموي .

١٢ - فن الحرب البحري في عهد الامويين .

١٣ - الاسطول العربي في الميزان الاستراتيجي .



ايام البحرية العربية الاسلامية
والسيطرة على البحر الأبيض المتوسط :

ان من يفرض سيطرتـــه على البحر الابيض المتوسط يستطيع التحكم بقارات ثلاث : اوربا ، آسيا ، افريقيا .

ولقد كان لهذا البحر دور كبير في التطورات التاريخية والاحداث المصيرية منذ القديم . وكانت السيطرة عليه هدف كل دولة قامت على سواحله .

عندمـــا فتح العرب المسلمون الشام . واخذوا في بناء دولتهم واستمر النزاع بينهم وبين بيزنطة تطلعت ابصارهم إلى البحر . وكان اول من فكر في انشاء اسطول هو معاوية بن أبي سفيان .

في سنـــة ١٧ هـ – ٦٣٨ م . كتب معاوية الى الخليفة عمر يستأذنه فـــي ركوب البحر . فكتب الخليفة عمر الى واليه في مصر عمرو بن العاص كتاباً جاء فيه : – صف لي البحر – وراكبه فان نفسي تنازعني اليه واجابه عمرو :

[اني رأيت خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير . إن ركن خرّقَ القلوب وإن تحرك زاغ العقول . يزداد فيه اليقين قلة والشك كثرة هم فيه كدود على عود . ان مال غرق وان نجا برق] (١)

فلما قرأه الخليفة عمر كتب الى معاوية :

[لا والذي بعث محمداً بالحق ، لا أحمل فيه مسلماً ابداً] .

---

(١) برق – اصيب بالذهول والدهشة – تاريخ الطبري ٢٥٨/٤ .

لم يصب معاوية باليأس ، وعندما تولى عثمان بن عفان خلافة المسلمين اعاد معاوية المحاولة ، ووافق الخليفة عثمان على ركوب البحر بشروط :

[لا تنتخب الناس ولا تقرع بينهم ، خيِّرهم فمن اختار الغزو طائعاً فاحمله وأعنه ...]

اسرع معاوية لاستنفار العمال ومن لهم خبرات في صناعة السفن وحشدهم في عكا ورمم الحصن والمرفأ :

[وجعله داراً لصناعة السفن وتجهيز الاسطول العربي واعداده . كما رمم مدينة صور وشحنها بالمقاتلة ... وقد كانت الصناعة بساحل الاردن على عهد معاوية في مدينة عكا ، كما كانت السفن تبنى في أيام معاوية في سواحل الشام ، صور وعكا وطرابلس] (١) .

ويصنف ابن خلدون هذه المرحلة بقوله : (٢)

[... لما استقر الملك للعرب وشمخ سلطانهم تقرب كل ذي صفة اليهم بمبلغ صناعته واستخدموا من النواتية فى حاجاتهم البحرية امماً . وتكررت ممارستهم البحر وثقافته . واستحدثوا بصراء بها . فتاقت نفوسهم الى الجهاد فيه وأنشأوا السفن والشواني(٣) . وشحنوا الاساطيل بالرجال والسلاح وامطوها العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من امم الكفر . واختصوا بذلك من ممالكهم وثغورهم ما كان اقرب الى هذا البحر وعلى حافته مثل الشام وافريقيا والمغرب والاندلس .

استمرت الحملات البحرية للروم والفرنجة والقوط على شواطىء البلدان التي اصبحت تحت حكم العرب المسلمين وتركزت هجماتهم بصورة خاصة

---

(١) فتوح البلدان – البلاذري – ١٢٤ .

(٢) مقدمة ابن خلدون .

(٣) جمع شونه وهي المركب المعد لحمل الجنود ونقلهم .

عــلى المدن مثل قرطاجــة وسبيطلة وجلولاء ومرناق وشرشال وطنجة . وعندما انهى معاوية استعداداته ، قاد اول عملية للغزو .

غزو قبرص – ٢٨ هـ – ٦٤٨ م (١)

عين معاوية بن أبي سفيــان لقيادة القوات البحرية عبدالله بن قيس الجاسي حليف بني فزارة ، وكان من رجال البحر المعروفين .

ركب معاويــة بن أبي سفيان البحر ومعه زوجته ، وركب معه ابو ذر الغفاري وعبادة بن الصامت ومعه زوجته ام حزام والمقداد وابو الدرداء وشداد بن اوس ومجموعة من الصحابة وانطلق من عكا في اتجاه قبرص .

وفي الوقت ذاتــه توجه قائد اسطول مصر عبدالله بن سعد فغادر الاسكندرية متوجهاً الى قبرص .

والتقت قوات الاسطولين ، ونزل المشاة الى الجزيرة ، واسرع حاكم الجزيرة فعقد صلحاً مع معاوية ، ونصت اتفاقية الصلح على ان يكون اهــل قبرص عوناً للمسلمين وان يرسلوا لهم المعلومات عن تحرك اسطول الروم ، وترك معاوية في الجزيرة قوة لحمايتها وعاد الى عكا .

كانت هذه الغزوة هي بداية النشاط البحري للعرب المسلمين واول التحديات لقواتهم البحرية . ثم تابع عبدالله بن قيس نشاطه فقام بتنفيذ خمسين اغارة ما بين صائفه وشاتيه . حتى سمي ملك البحر . ولم يغرق في غزواته احد ولم ينكب احد .

في عام ٥٧ هـ – ٦٧٦ م . خرج عبدالله في استطلاع شخصي وحده ونزل كريت متنكراً ، وسأله بعض الناس صدقة فتصدق عليهم ، وعادت امرأة من المتسولين بسرعة الى قومها ، وقالت لهم هل ادلكم على عبدالله ، وكان

---

(١) تاريخ الطبري ٢٥٨/٤ . والتاريخ الكامل لابن الأثير ٤٨/٣ . وتاريخ البلاذري ص ٢٣٦

القوم بين مصدق لها ومكذب ، واسرع بعضهم اليه وقاتلوه فقاتلهم ، وتمكنوا منه فصرعوه .

افلت الملاح الذي كان يرافقه فعاد الى سفيان بن عوف الأزدي ، القائد الثاني للقوات البحرية ، فخرج اليهم وقاتلهم وجعل يستثير اصحابه ، ويشتمهم ، فقالت جارية عبدالله : واعبدالله ! ما هكذا كان يقول . فسألها سفيان : وكيف كان يقول ؟ فاجابته :

« الغمرات ثم ينجلينا » .

وردد المقاتلون « الغمرات ثم ينجلينا » ، ونجحوا في تدمير اكبر قوة للمقاتلين ومزقوهم .

عندما سئلت المتسولة : كيف عرفت عبدالله ؟ قالت :

[كان كالتاجر فلما سألته اعطاني كالملك . او كما يعطي الملوك – ولم يقبض قبض التجار] .

وانتهت بذلك حياة افضل من قاد البحرية العربية الاسلامية في عهد تطورها ونشوئها .

في عام ٣١ هـ – ٦٥١ م . حدثت معركة « الأساورة » .

وفي عام ٣٢ هـ – ٦٥٢ م . تقدم اسطول الشام بقيادة معاوية حتى وصل القسطنطينية ، وكان امير البحر عبدالله بن قيس .

في عام ٣٣ هـ – ٦٥٣ م . نقض حاكم قبرص اتفاقيته المعقودة مع معاوية ، فاعار الروم بعض القطع البحرية ، مما دفع معاوية الى توجيه قوة مكونة من خمسمائة مركب وحاصر قبرص حتى فتحها عنوة .

بعد ان تم فتح الجزيرة جهز معاوية جيشاً من اثني عشر الف مقاتل ونقله الى قبرص بمهمة حماية الجزيرة ، فاقام هذا الجيش ، وعمر المساجد ، واستطاع ان يشكل تهديداً قوياً لأساطيل الروم وتحركاتهم البحرية . وقد استمر

بقاء هذا الجيش في قبرص حتى ايام يزيد بن معاوية وتم خلال هذه الفترة من حكم معاوية بناء الحصون واقامة المراصد .

عاود اهـل قبرص تمردهم واتصلوا بالروم في عام ١٢٥ هـ فعمـل الوليـد بن يزيد على تجهيز جيش بقيـادة اخيه الغمر بن يزيد بن عبدالملك ، وعين الأسود بن بلال المحاربي اميراً للبحر ، وتوجهت هذه القوة الى قبرص ، وعاودت احتلالها وخيروا اهلها بين المسير الى الشام او الالتحاق ببلاد الروم واختار قسم من السكان الذهاب الى بلاد الشام فحملوا اليها . ورغب القسم الآخر الالتحاق ببلاد الروم فانتقلوا اليهـا وارسلت قوات عربية للبقاء في الجزيرة .

يوم ذات الصواري ٣٤ هـ - ٦٥٤ م (١) :

عـين الخليفة عثمان بن عفان لامارة البحر في مصر عبدالله بن سعد بن ابي سرح وقد بذل عبدالله جهده لتنظيم القوة البحرية وتجهيزها . واشترك مع اسطول الشام في غزو قبرص .

وضـع الروم مخططاً لتدمير الاسطول العربي الاسلامي ، فاتصلوا بأنصارهم لتدمير الاسطول في ميناء طرابلس ، وهو الاسطول الذي كان معاوية قـد حشده لغزو القسطنطينية . وقام العملاء وانصار الروم باحراق الاسطول وهربوا الى القسطنطينية . ثم تحرك قسطنطين بن هرقل على رأس اسطول ضخم يضم الف قطعة بحرية لغزو الشواطىء العربية .

اسرع عبدالله بن سعـد بن ابي سرح باسطوله والتقى باسطول الشام ولم تكن قطع هذا الاسطول تزيد على مئتي قطعة ، ثم ابحرت قطع الاسطول العربي بحثاً عن هدفها ، وعثرت على هذا الهدف بين جزيرة رودس ومدينة الميرة قريباً من السواحل الجنوبية لآسيا الصغرى .

---

(١) تاريخ الطبري ٢٨٨/٤ وفتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم ص ٢٥٥ .

التقـــى اسطول الروم والاسطول العربي ، ونزلت قوات المشاة بقيادة بسر بن ارطأة وجابهت قوات مشاة الروم وربط رجال البحرية العربية القطع البحرية للروم واجتذبوها حتّى وقفت الى جوار قطعهم ، ودارت معركة طاحنة أبيدت فيها قوات الروم وأغرقت القطع البحرية بكاملها تقريباً واصيب هرقل بجراح وهرب بمركب من المراكب في اتجاه عاصمته القسطنطينية .

لقـــد حطمت هذه المعركة التّي حملت اسم ذات السواري Phoenwx اسطورة سيادة الروم على البحر الابيض المتوسط ، ولم يعد يحمل اسم الروم كما كان سابقاً بل اصبح يحمل اسم بحر الشام . وكان من اول النتائج . نقـــل قيادة القوى البحرية للروم الى غرب البحر الابيض المتوسط واصبحت القاعدة « صقليا » هي القاعدة الجديدة لاسطول الروم بعد ان اصبح عاجزاً عن مجابهة تحديات الاسطول العربي الاسلامي .

افـــاد العرب من تجربة استخدام غير المسلمين في بحريتهم ، وقرروا بعد احراق الاسطول في طرابلس عدم السماح لغير العرب المسلمين العمل بسلاح البحرية العربية الاسلامية .

اعتمـــد معاوية بن سفيان على القبائل اليمنية بالدرجة الأولى للعمل في سلاح البحرية . وكان لذلك اثره في زيادة شأن اليمنية وضعف القيسية وكان السبب في ذلك على ما قاله معاوية هو عناد القيسية ونكدهم ، وقد خطب معاوية في أهل اليمن عندما حشدهم في عكا ووجههم للغزو البحري :—

[اني ايمن بكم واعرف طاعتكم. وقيس فيهم خلاف ونكد في غزوالبحر] (١)

وكان معاوية في البداية لا يفرض في الديوان من العطاء الا لأهل اليمن وهم عامة جند الشام وغالبيتهم حتّى كثرت اليمن وعزت وضعفت القبائل العدنانية في الشام ففرض عندئذ معاوية لاربعة آلاف من قبائل قيس في ديوان الجند ان

---

(١) الاغاني ٢/١٧٢ .

يأخذوا الاعطيات المقررة للجند . وكان معاوية بعد ذلك يغزو اليمن في البحر ويغزو قيساً في البر ثم صار يعقب بينهم في البحر ثم صار يعقب بينهم في غزو البر والبحر .

معاوية يحاصر القسطنطينية ٥٤ – ٥٧ هـ – ٦٧٣ – ٦٦٧ م :

الوضع العام : استهدف معاوية بن ابي سفيان منذ سمح له الخليفة عثمان بن عفان بركوب البحر تحطيم سيطرة الروم « بيزنطة » على حوض البحر الابيض المتوسط .

وكانت معركة السواري بداية لانتزاع هذه السيطرة ، ثم تابع معاوية سياسته في انتزاع السيطرة من قبضة الروم وتقليص نفوذهم تدريجياً .

عندما انتهى امر الخلافة الى معاوية بن ابي سفيان ، والتقت كلمة العرب عنده في « عام الجماعة » سنة ٤٠ هـ . واستمر الروم في تحدياتهم وغزواتهم قرر معاوية تطوير اسلوبه القتالي والانتقال من الدفاع الى الهجوم ووضع في مخططه غزو القسطنطينية ذاتها .

الغزوات التمهيدية :

١ – في عام ٢٥ هـ قاد معاوية غزوة الشاتية حتى وصل عمورية ، ونقل جماعات من اهل الشام والجزيرة الى الحصون والمدن التي نزح اهلها عنها بين انطاكية وطرطوس .

٢ – في عام ٣٢ هـ تقدم معاوية بغزوته ومعه زوجته عاتكه ابنة قرطة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف ، ووصل القطسنطينية واقام عند اسوارها .

٣ – في عام ٥٠ هـ ، وجه معاوية جيشاً كبيراً تدعمه قوة بحرية ضخمة لحصار القسطنطينية بقيادة سفيان بن عوف – وكان ابنه يزيد في قيادة هذا الجيش – لكن يزيد تظاهر بالمرض وعدم الرغبة في مرافقة الجيش وترك له معاوية حرية مرافقة الجيش او التخلف .

سار سفيان بن عوف الازدي بالقوات براً وقاد بسر بن ارطأة الاسطول البحري ووصلت القوات واطبقت على العاصمة القسطنطينية وشددت الحصار حولها .

طالت فترة الحصار وحدثت اشتباكات دامية بين الروم والعرب المسلمين . وسقط في الاشتباكات اعداد كبيرة من القتلى ، وتناقصت المواد الغذائية على العرب المسلمين وانتشرت الامراض والأوبئة في صفوف المقاتلين .

عندما بلغ ذلك يزيد بن معاوية ، انشد يقول :

ما ان ابالي بما لاقت جموعهمُ　　بالفرقدونة من حمى ومن مومِ
اذا اتكأت على الانماط مرتفقاً　　بدير مران عندي ام كلثومِ(١)

كان معاوية يتابع موقف قوات العرب المسلمين في حصار القسطنطينية فجهز جيشاً كبيراً لدعم القوات وزوده بكميات كبيرة من الاغذية والتموين. وعندما وصله ما قاله ابنه يزيد، اقسم ان يلحقه بسفيان حتّى يشارك العرب المسلمين مصابهم . وسار يزيد في الجيش الذي ضم ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وابو ايوب الانصاري وعبد العزيز بن زرارة الكلابي وغيرهم من اشجع المقاتلين وزعماء العرب .

وصلت قوات الدعم الى القسطنطينية واستمرت المعارك الضارية وكان عبد العزيز الكلابي يندفع متهوراً على امل ان تدركه المنية في اعماق بلاد الروم ، وكان يردد في غزواته :

قد عشت في الدهر اطواراً على طرق　　شتّى فصادفت منها اللين والبشعا
كلاً بلوت فلا النعماء تبطرني　　ولا تخشعت من لأوائها جزعا
لا يملأ الامر صدري قبل موقعهِ　　ولا اضيق به ذرعاً اذا وقعا

واخيراً ــ وفي احدى المعارك الطاحنة ــ احيط بعبد العزيز من قبل مجموعة

(١) وام كلثوم زوجة يزيد وهي ابنة عبدالله بن عامر . التاريخ الكامل لابن الاثير ٣/٢٢٧ .

كبيرة من جند الروم وقاتلهم حتّى قتل ولما بلغ ذلك معاوية وكان والده زير الكلابي في حضور المجلس ، قال معاوية :

والله هلك فتى العرب .

فقال زير :

ابني او ابنك .

فقال معاوية :

ابنك . فأجرك على الله .

فرد الكلابي :

فان يكن الموت اودى به واصبح مخ الكلابيّ زيرا
فكل فتى شارب كأسه فاما صغيراً واما كبيرا..

كان المقاتلون من العرب المسلمين يتفاخرون بمن استشهد في بلاد الروم ، وكان فخر الشهادة يتزايد كلما تزايد مكان الاستشهاد عمقاً في بيزنطة ، ومن اقوالهم المتواترة :

لأن نموت بحرستا احب الينا من ان نموت بدمشق ولأن نموت بدوما احب الينا من ان نموت بحرستا .

وكان الصحابي ابو ايوب الانصاري يتوق لمثل هذه الشهادة فاندفع يقاتل بحماسة وتهور حتّى أصيب بجراح بالغة وعندما عرف ان المنية تقترب منه اوصى بدفنه في اقرب نقطة من القسطنطينية فدفن عند اسوارها .

عندما شعر معاوية ان حملته البحرية ـ البرية لن تتمكن من تحقيق هدفها اصدر اوامره اليها بالانسحاب ، ورفعت القوات الحصار عن القسطنطينية وتراجعت القوات البحرية في الوقت الذي كانت فيه القوات البرية تنسحب عن طريق انطاكية ، درب الشاتية .

الحصار الطويل :

تابع معاوية بناء قواته المسلحة واستعداده القتالي :

فدفع بسر بن ارطأة وسفيان بن عوف الى داخل الدروب وكلفهم بالتوغل لاشغالهم عن الاستعداد .

كما دفع فضالة بن عبيد الانصاري لمتابعة نشاطه البحري وحماية السواحل العربية .

وفي عـــام ٥١ هـ ، كلف فضالة بن عبيد الانصاري بقيادة الشاتية في بلاد الروم ، كما عين عروة بسر بن ارطأة لغزو الصائفة .

وفي عـــام ٥٢ هـ ، وجه بسر بن ارطأة لقيادة الشاتية ، والحق به محمد بن عبد الله الثقفي بشاتية اخرى ، وكان محور مسيرهما – ثغر انطاكية – مـــا وراء الدروب .

وفي عـــام ٥٣ هـ ، وجه معاوية لقيادة الشاتية والي قنسرين « عبد الرحمن ابن ام الحكم » كما وجه شاتية اخرى بقيادة محمد بن عبدالله الثقفي .

عندمـــا انهى معاوية استعداداته ، اصدر اوامره الى القوات الارضية ، بمغادرة الثغور والتوجه الى القسطنطينية ، وفي الوقت ذاته تجمعت في ميناء عكا ١٧٠٠ قطعة بحرية وانطلقت في اتجاه بحر مرمرة ، وتمركزت في منطقة سيزيك وغلطة ، وكانت القيادة كالتالي :

١ – القيادة العامة : الصحابي فضالة بن عبيد الانصاري ، ٥٣ – ٥٧ . (١)

٢ – امير البحر ، الصحابي عبد الله بن قيس الحارثي التجيبي ٣٤ – ٥٧ هـ .

٣ – معاون امير البحر ، جنادة ابن ابي امية ٥٣ – ٦٠ هـ .

٤ – امير غازية الشام « اسطول الشام » زيد بن شجرة الرهاوي ٤٩–٥٨ .

---

(١) مدة قيادتهم الفعلية – فتوح البلدان – البلاذري ص ٢٣٦ وخطط المقريزي ج ٢ – ١٩٠ – ١٩١ .

تقـــدم الاسطول العربي ــ الاسلامي ،وسيطر على السواحل الشرقية لبحر إيجة وقامت القوات باحتلال جزيرة شاموس Sawos ، واسخيروس Skiros وشيو Chio وسيونوس Siwnos وارادوس Arados وذلك تمهيـــــداً لحصار القسطنطينية وعزلها . ثم تابعت قطع الاسطول تقدمهـــا حتى وصلت هدفها وضربت حصاراً حوله .

شـــددت القوات العربية الاسلاميـــة قبضتها وعزلت المدينة عزلاً يكاد تاماً ما عدا الناحية الشمالية على البحر الاسود حيث كان يتوفر لها الامداد من بلغاريا « بلاد برجان » .

عندما طالت فترة الحصار ، قسم عبد الله بن قيس الحارثي قطع الاسطول الى ثلاث مجموعات بهدف الحفاظ على الاستعداد القتالي باستمرار وكان التقسيم على الشكل التالي :

١ ــ مجموعة لحصار القسطنطينية وحصارها مباشرة .

٢ ــ مجموعة تتمركز عند الجزر وفي مدخل البحر .

٣ ــ مجموعة في وضع الاستراحة وتتمركز عند الشواطىء الغربية لبحر ايجه .

وكانت القوات التي في الاستراحة هي الاحتياطي الذي يقع عليه دعـــم المجموعتين الأولى والثانية اذا ما تطلب الامر ذلك .

وقد نظم التناوب بين هذه المجموعات بشكل دوري .

احتلال رودس :

خـــلال فترة الحصار توجه جنادة ابن ابي امية مع قوة بحرية الى رودس واحتلها عام ٥٣ هـ ــ ٦٧٢ م ، ونقل اليها جماعة من العرب المسلمين ، فزرعوا الأرض وشيدوا المساكن . ويصف الطبري حياة العرب المسلمين في جزيرة رودس بقوله :

[... وكانوا اذا امسوا دخلوا الحصن ، ولهم ناطور يحذرهم ما في البحر ممن يريدهم بكيد . فكانوا على حذر منهم وكانوا اشد شيء على الروم . فيعترضونهم في البحر . فيقطعون سفنهم . وكان معاوية يدر لهم الارزاق والعطاء . وكان العدو قد خافهم . فلما مات معاوية ، اقفلهم يزيد بن معاوية] .

وكان ذلك في عام ٦٠ هـ = ٦٧٩ م.

استمر الحصار اربعة اعوام كاملة ، كانت خلالها الصوائف والشواتي ترفد باستمرار القوات العربية المحاصرة للقسطنطينية ، وتقدم لها الدعم والمساعدة. وقد صمدت عاصمة بيزنطة للحصار بفضل الامدادات التي كانت تصلها من بلغاريا .

في نهاية ٥٧ هـ ، وبينما كانت القوة الاحتياطية للاسطول العربي تتقدم لاخذ دورها في الحصار وتبديل القوة السابقة لها ، هبت موجة عاتية من الاعاصير مزقت تجمع قطع الاسطول وقذفت ببعضها الى الساحل الشرقي من القطسنطينية في « بانفليه Banphylie » وتعاونت النيران اليونانية التي قذفها البيزنطيون مع العواصف التي حطمت عدداً كبيراً من قطع الاسطول العربي لتضع نهاية للحصار .

وجد معاوية نفسه مرغماً امام المأساة التي نزلت باسطوله ان يهادن اعداءه فعقد صلحاً مع ملك الروم لفترة ثلاثين عاماً .

سليمان بن عبد الملك وحصار القسطنطينية(١) .

كان عمر سليمان بن عبد الملك في الحكم قصيراً ، فقد حكم ما بين ٩٦- ٩٩ هـ = ٧١٤ - ٧١٧ م .

---

(١) المراجع : تاريخ الطبري ٥٢٣/٦ - ٥٣٢ - التاريخ الكامل لابن الأثير . وفتوح البلدان البلاذري ، وابن عساكر - مخطوط .

ركز سليمان جهده السياسي وامكاناته الاقتصادية ، وقواتـــه العسكرية والبحرية لحصار القسطنطينية منذ لحظة توليه الخلافة .

فدفـــع عام ٩٧ هـ ــ ابنه داود بن سليمان لقيادة الصائفة فافتتح حصن المرأة ، كما دفع في السنة ذاتها اخاه مسلمة لغزو ارض الروم وقيادة الشاتية .

الاستعداد للغزو :

حـــدد سليمان « مرج دابق » شمال حلب ، منطقة لحشد القوات واصدر اوامره لزج كل الامكانات القتالية وجمع كافة الاسلحة والاعتدة من مجانيق ونفط وعرادات وادوات حصار ونقلها الى منطقة الحشد .

ثم اصـــدر اوامره الى امراء دمشق ، حمص ، قنسرين ، الجزيرة ، الاردن ، فلسطين ، جند مصر ، اهل الحجاز ، ، اهل البصرة من اجل توجيه قواتهم الى منطقة الحشد .

تجمع في منطقة الحشد ١٢٠,٠٠٠ مقاتلاً ، وانتهت عملية جمع مواد التموين والامداد والاسلحة ، فاصدر الخليفة سليمان اوامره الى قادته بالاستعداد للتحرك ونظم جهاز القيادة على النحو التالي :

١ ــ اخاه مسلمة بن عبد الملك ــ اميراً على الجماعة براً وبحراً ، القائد العام ــ
٢ ــ ابنه داوود بن سليمان ــ معاوناً للامير ، قائداً ثانياً .
٣ ــ عمرو بن هبيرة الفزاري ــ اميراً للبحر ، وقائداً عاماً لاساطيل الشام ، مصر ، افريقيا .
٤ ــ حظي بن كثير الجذامي ــ اميراً للبحر ، قائداً لاسطول الشام في عكا .
٥ ــ المغيرة بن ابي بردة العبدري ــ اميراً للبحر ، قائداً لاسطول افريقيا وتحت قيادته اهل مصر .
٦ ــ شريح بن ميمون المهري ــ اميراً للبحر ، قائداً لاسطول مصر .
٧ ــ ابو عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري ــ اميراً للبحر ، تحت قيادته اهـل المدينة .

وكانت عدد قطع الاسطول ١٠٠٠ ألف قطعة بحرية علاوة عـلى قطع نقل الجند وهي تحمل ٨٠,٠٠٠ ، ثمانين ألف مقاتل .

خرج الخليفة سليمان الى مرج دابق لتفقد الاستعدادات ، وعندما عرف انه اصبح بالأمكان اطلاق القوى اصدر اوامره بالتحرك .

التحرك الأرضي ٩٨ هـ = ٧١٦ م :

قاد مسلمة الجيش الارضي عبر الدروب حتى اقترب من القسطنطينية ، بعد ان أمر كل فارس ان يحمل على عجز فرسه مـدّين (١) من طعـام والا يقربهما الا بأمر .

عندما اشرفت القوات الارضية من اسوار القسطنطينية ، اصدر مسلمة اوامرة بتجميع ما حمله الفرسان من حبوب وقال لهم :

[لا تأكلوا منه شيئاً ، اغيروا في ارضهم وازدرعوا .] فعمل الناس بيوتاً من خشب فشتوا بها وزرعوا ، ومكث ذلك الطعام في الصحراء لا يكنه شيء والناس يأكلون مما اصابوا من الغارات ثم اكلوا الزرع .

التحرك البحري والإنزال :

غادر اسطول الشام ميناء عكا متوجهاً الى مصر حيث انضم اليه اسطولها وتابعت قطع البحرية تحركها الى طرابلس فانضم اليهما اسطول افريقيا وتوجه الاسطول بعد ذلك شمالا فاحتل صقليا ، وتابع تحركه محاذياً للسواحل اليونانية حتى وصل شاطىء القسطنطينية .

توقفت القطع البحرية الحاملة للاسلحة الهجومية ومعدات الحصار ، وعددها الف قطعة لحماية « المواعين » ناقلات الجنود ، وتقدمت الناقلات فانزلت ثمانين الف مقاتل عند الساحل الغربي لحصار القسطنطينية من الغرب .

---

(١) المد : مكيال كبير يستعمله اهل الشام في كيل الحبوب بصورة خاصة .

ثم عملت ناقلات الجند على نقل قسم من القوات البرية من الجهة الشرقية الى الجهة الغربية .

الحصار :

عندما أطبقت القوات العربية ـ الاسلامية على القسطنطينية ، واشتد الحصار استنجد ملك الروم بملك البرجان « بلغاريا » ، فنظم البرجان جيشاً كبيراً هاجموا به مسلمة بن عبد الملك من الخلف ، وصمد مسلمة لهذه الجبهة الجديدة ودارت معارك طاحنة اضعفت قوة المسلمين ولكنها لم تنجح في ارغامهم على رفع الحصار عن القسطنطنية ، وعلم الخليفة سليمان بالموقف الذي يجابهه مسلمة فوجه اليه دعماً بقيادة عمرو بن قيس .

في تلك الفترة توفي الامبراطور تيودوزر الثالث ملك بيزنطة ، وكان ليون الثالث على قيادة القوات ، فعهد اليه قادة بيزنطة مهمة اجلاء العرب المسلمين عن القسطنطينية ووعدوه بتسلميه مقاليد الحكم ان نجح في مهمته .

عندما عرف ليون أنه لن يتمكن من مجابهة قوة العرب المسلمين لجأ الى الحيلة وتظاهر برغبته في عقد صلح مع مسلمة وطلب ارسال مندوب عن العرب للتفاوض معه .

ارسل مسلمة مندوباً عنه لمفاوضة الروم ، عمرو بن هبيرة الفزاري القائد العام للاسطول ، وتظاهر ليون بالحاجة للطعام وطلب من عمرو امداده بالأطعمة حتى يستطيع اقناع اهل القسطنطينية بضرورة الصلح ووافق عمرو ابن هبيرة ، ووافق مسلمة ايضاً ، وارسل ليون قطعاً بحرية كثيرة كان قد جهزها وأعدّها لهذه الغاية .

فحملت القطع البحرية كل ما كانت تضمه مستودعات العرب المسلمين من طعام وغذاء .

وعندما اطمأن ليون الى سلب جيش العرب المسلمن جميع طعامه ،

عاد في اليوم الثاني بتشديد ضرباته على امل الافادة من موسم الشتاء وما يصيب المسلمين من جوع لرفع الحصار .

صمد العرب المسلمون للبرد وصمدوا للجوع حتّى أصبحوا يقتاتون بأوراق الاشجار .

ومات سليمان بن عبد الملك في مرج دابق بعد أن تعهد ألا يغادره حتّى فتح القسطنطينية ، ووفى بعهده فبقي مرابطاً في المرج حتّى وافته منيته وقواته تحاصر القسطنطينية .

عندما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة خلفاً لسليمان بن عبد الملك ، اراد متابعة الحصار حتّى بلغه ما يلقاه المسلمون من البرد والجوع فأرسل أوامره برفع الحصار والانسحاب ووجه في الوقت ذاته قوة من خمسمائة فارس لحراسة رتل امداد وتموين للقوات . كما ارسل الى الاقاليم تعليماته لمعونة الجيش خلال انسحابه ومساعدة مقاتليه .

في يوم من ايام شهر آب ، اغسطس ٧١٧ = ٩٩ هـ رفع الحصار عن القسطنطينية بعد ان استمر عاماً كاملاً .

مراحل تطور الاسطول العربي الاسلامي :

كان الخليفة عمر بن الخطاب يدرك باحساسه العميق الواجبات الثقيلة الملقاة على عاتق العرب المسلمين . وكان يعرف مدى تفوق خصومهم في العدد والتجهيز والتسليح ، ولهذا كان حريصاً كل الحرص على عدم الزج بهم في مجالات وميادين تبدد قواهم وتستنزف طاقتهم . فركز جهده على العمليات الأرضية وحشد الامكانات كلها لكسب المعارك الارضية ، وعندما سيطرت الجيوش الاسلامية على بلاد الشام وفارس ، وازالت الامبراطورية الفارسية وتقلصت رقعة بيزنطة وتوجهت القوات العربية لفتح مصر ، اخذت ضرورة السيطرة على البحر تتزايد يوماً بعد يوم .

وافق الخليفة عثمان بن عفان على طلب معاوية بركوب البحر ، وقد وضع معاوية مخططاته بتأثير عاملين :

١ ـ الرغبة في الدفاع ضد هجمات بيزنطة باسلوب ناجح وفعال ، ومقابلة تحدياتهم بتحديات مماثلة .

٢ ـ الرغبة في الهجوم على بيزنطة ذاتها ، وتصفيتها بعد تقليص نفوذهـا البحرى وعزلها .

[لما ولي معاوية الخلافة عني بانشاء السفن الحربية لصد غارات الدولة البيزنطية على البلاد الاسلامية . ورتب لغزوها الشواتي والصوائف ووضع نظاماً يكفل استمرار الحرب بينه وبينهم ـ شتاء وصيفاً ـ وبلغ اسطول الشام ١٧٠٠ سفينة] (١) .

لقد سارت عمليات التوسع البحري في خط مواز لعمليات الفتح في شمال افريقيا واسبانيا . ويمكن ملاحظة ذلك في الجدول الملحق والخاص بسيطرة العرب المسلمين على البحر الابيض المتوسط والجزر الموجودة فيه . وكان الخط البياني لتطور سلاح البحرية يسير في الواقع بصورة غير منتظمة نتيجة لعوامل متعددة منها :

١ ـ عدم وجود سياسة ثابتة لدى الخلفاء الامويين .

٢ ـ وجود احداث واضطرابات داخلية تفرض نفسها على الحكم وتصرفه عن فتوحاته الخارجية .

٣ ـ وجود احداث خارجية تتطلب اعطاء افضليات لتحقيق اهداف لها اهمية اكبر بالنسبة للحكم ، مثل مجابهة هجمات خارجية في فارس وشمال افريقيا ، ومجابهة اغارات برية وبحرية من قبل بيزنطة .

---

(١) خطط المقريزي ٢/١٩٥ .

(٢) الجداول الملحقة في نهاية الكتاب .

كان الروم يغتنمون كل فرصة سانحة يتصورون فيها ضعفاً في موقف العرب المسلمين فيقومون بهجماتهم واغاراتهم ، وكانوا يركزون جهدهم بصورة خاصة في مرحلة انتقال الخلافة من خليفة الى خليفة ، ومن حاكم الى حاكم.

وعلاوة على ذلك فقد كان للاوبئة والامراض ولا سيما الطاعون دور كبير في التأثير على القوة البحرية ومن اهم هذه الأوبئة طاعون الشام ٦٤ هـ و ٧٩ هـ ، وطاعون مصر ٧٠ هـ وطاعون البصرة ٦٩ هـ . وطاعون الشام والعراق ١٠٩ هـ ، و ١١٥ هـ و ١٢٧ هـ .

الانجازات البحرية في عهد معاوية :

اتبع معاوية سياسة ثابتة وواضحة في بناء البحرية حسبما هو واضح من مسيرة العمليات التي قادها او وجهها ، ومن خلال ما تركه من آثار وتتلخص هذه السياسة في النقاط التالية :

١ ـ اختيار عكا مركزاً لبناء السفن وقاعدة لانطلاق القوات البحرية .

٢ ـ تجميع مهرة الصناع في ميناء عكا ، وتوفير الامكانات لهم والافادة في ذلك من بقايا الصناع البيزنطيين ، مع الاعتماد على الصناع الذين لهم خبرة من اهل اليمن .

٣ ـ توفير المواد اللازمة لبناء السفن من غابات الشمال ومن الجزر في بحر ايجه والمناطق المتاخمة لبيزنطة .

٤ ـ اعتماد نماذج من السفن والزوارق تستطيع مجابهة قطع اسطول الروم . وقد تميزت قطع الاسطول العربي الاسلامي بكبر حجمها وقدرتها على الحمل وتنوعها . وقد استخدم في غزو القسطنطينية ١٠٠٠ قطعة حاملة للمنجنيق وادوات الحصار والنار اليونانية + ٧٠٠ سفينة «ماعون» ناقل للجند حمولة الواحدة الف مقاتل + ٥٠٠٠ طرادة خفيفة تحمل الواحدة مائة رجل .

٥ ـ استطلاع النشاط البحري البيزنطي ومعرفة اسلوب عمله وطريقته

في القتال ووضع الاسلوب القتالي المتوافق مع اسلوب العدو .

٦ - عزل « بيزنطة » وذلك بالاستيلاء على الجزر القريبة من سواحل الشام ، والجزر المسيطرة على مداخل بحر إيجه ، وتقليص نفوذها البحري تدريجياً ، واستنزاف قوتها .

٧ - الانتقال الى مرحلة متطورة ، واستخدام القوات الارضية والقوات البحرية في عمليات مشتركة ، وتعتبر عملية حصار القسطنطينية نموذجاً لذلك .

٨ - وفي عام ٥٣ هـ = ٦٧٢ م اغار الاسطول البيزنطي على البرلس في عهد ولاية مسلمة بن مخلد ٤٧ = ٦٢ هـ ، وقتل عدد كبير من المسلمين ، فاصدر معاوية اوامره ببناء السفن فيها ، فانشئت ولاول مرة عام ٥٤ هـ دار الصناعة لبناء السفن في جزيرة الروضة .

سلاح البحرية في عهد عبد الملك بن مروان :

كانت الفترة بين نهاية حكم معاوية بن ابي سفيان وخلافة عبد الملك بن مروان حافلة بالفتن والاضطرابات الداخلية مما استنزف امكانات الدولة وصرفها عن واجباتها الخارجية . وافادت بيزنطة من هذا الوضع المتدهور فنظمت مجموعة من الهجمات والاغارات على المدن الداخلية والساحلية . واغارت اساطيلها على قرطاجة في افريقيا في الوقت الذي وصل فيه الجراجمة بقيادة الروم الى جبل الثلج « الشيخ » وجبال الجولان ، ولبنان باكمله .

ادرك عبد الملك خطورة اهمال السلاح البحري . فعين على اسطول الشام ابا خراسان وسفيان الفارسي واصدر اوامره لبناء دار للسفن في تونس. واخذ الاسطول العربي يستعيد قوته تدريجياً .

كانت عملية اعادة بناء الاسطول في عهد عبد الملك ضمن خطة استراتيجية عامة فقد كان الاسطول البيزنطي يمسك بالتجارة ، ويسيطر بهذه الوسيلة على الموارد المادية التي تساعده على بناء قوته ، ولهذا اتخذ عبد الملك الاجراءات التالية :

١ ــ امر بسك النقود العربية « الدينار العربي » وحرم التعامل في جميع الموانىء بالنقد البيزنطي .

٢ ــ عرب الدواوين ، وفرض اللغة العربية على جميع الاتصالات والمراسلات الرسمية والتجارية .

لقد اغضبت هذه الخطة دولة بيزنطة ، ووجدت فيها قضاء تاماً على نفوذها المادي والمعنوي القائم منذ زمن بعيد فهددت دمشق ، لكن عبد الملك صمم على المسير في مخططه حتى النهاية ، فامر بتحريم التعامل التجاري مع « بيزنطة » ونفذ نظام المقاطعة بشكل صارم ، وكان لهذا الاجراء دور حاسم في نقل النشاط التجاري الى قبضة العرب .

كان اول من تولى امارة البحر في اسطول افريقيا ، عطاء بن نافع ، ونجح زيان بن ابراهيم قائد قاعدة تونس ان ينتج في المرحلة الأولى ٨٠ قطعة بحرية وكانت اول عملياته الهجوم على صقليا ، واخذ يبرز من بين قادته اسماء قامت بدور حاسم في المعارك التالية ومنها اسم موسى بن نصير اللخمي .

اصبح السلاح البحري في عهد عبد الملك يعتمد على قواعد ثلاث ، قاعدة الشام في صور ، وقاعدة مصر في جزيرة الروضة ، وقاعدة تونس ، واصبح للمسلمين ثلاثة اساطيل لها واجبات مستقلة ويقودها امراء مستقلون ، وكان هناك امير للبحر يقود الاساطيل الثلاثة في حالة تنفيذ عمليات مشتركة .

سلاح البحرية في عهد الوليد بن عبد الملك :

انتهت عمليات فتح شمال افريقيا بنجاح ، واخذت الانظار تتطلع الى فتح الاندلس والوصول الى القسطنطينية من الغرب بعد فشل محاولات فتحها من الشرق ثلاث مرات ، فوضع الوليد مخططه عمليات الاسطول كالتالي :

١ ــ تحصين ساحل انطاكية ودعمه بالمقاتلين .

٢ ــ تكليف اسطول الشام بواجب حماية السواحل في شرق البحر .

٣ ـ توجيه ثقل اسطولي مصر وافريقيا لمهاجمة سواحل الاندلس الشرقية والانطلاق من جزر صقليا ، وسردينيا ، وميورقة ، ومينورقة وجزر البالیئار في غرب المتوسط .

تنفيذاً لهذه السياسة اعاد الوليد تنظيم اجهزة القيادة ، فكانت في عهده كالتالي :

١ ـ اسطول الشام بقيادة بشر بن الوليد ، وقد اشترك في فتح سردينيا عام ٩٥ هـ .

٢ ـ اسطول افريقيا بقيادة موسى بن نصير يعاونه ابنه عبدالله .

٣ ـ اسطول مصر بقيادة عبدالله بن مالك الابخر .

٤ ـ امير السواحل : مخرمة بن سليمان . وبقي حتّى عام ١٠٢ هـ .

٥ ـ امرة البحر ـ القيادة العامة ، وجاءت على التتابع :

الامير خالد بن كيسان ، اسره الروم واعادوه الى الوليد ٨٧ ـ ٨٩

الامير سحيم بن المهاجر ٨٩ .

الامير حسان بن النعمان الغساني ٩٠ ـ ٩٦ هـ .

الامير عمرو بن هبيرة للفزاري ٩٧ ـ ٩٩ هـ .

انطلقت القوات البحرية ونجحت في احتلال الجزر الواقعة في غرب المتوسط ، والانطلاق منها الى اسبانيا . « راجع الملحق المرفق » .

سلاح البحرية في عهد سليمان بن عبد الملك :

كان اكبر نشاط قام به سلاح البحرية في عهد سليمان بن عبد الملك هو حصار القسطنطينية ومحاولة فتحها ، ولقد تطلب ذلك العناية بالاساطيل .

سلاح البحرية حتّى نهاية العهد الأموي :

تطور اسطول افريقيا بصورة خاصة في عهد عمر بن عبد العزيز وذلك بفضل والي افريقيا اسماعيل بن المهاجر .

وكسر عمر بن العزيز طوق المقاطعة الاقتصادية مع الروم منطلقاً في ذلك من ايمانه بحرية الاقتصاد ، وضرورة التعايش بين الشعوب .

[اما البحر فانما نرى سبيله سبيل البر وارى ان لا يحول بين احد من الناس وبينه ، فان البر والبحر لله جميعاً سخرهما لعباده يبتغون فيهما من فضله فكيف نحول بين عباد الله ومعايشهم] .

وفي عهد يزيد بن عبد الملك : تولى قيادة الاساطيل « المغيرة بن عبيد الازدي »، وتولى امارة بحر مصر يزيد بن مسروق اليحصبي ثم عمرو بن فاتك الكلبي ، كما تولى امارة اسطول افريقيا محمد بن أوس الانصاري . وتولى حماية الساحل ثابت بن معبد المحاربي ، وبقي فيها حتى نهاية العهد الاموي .

وفي عهد خلافة هشام بن عبد الملك : انتقل مركز ثقل عمليات اساطيل مصر وافريقيا الى غرب المتوسط ، وبذل الخليفة هشام جهده لترسيخ دعائم المجتمع العربي في صقليا وسردينيا وجزر الباليتار والاندلس .

وفي عام ١١٦ هـ – انتهى العمل في بناء دار الصناعة في تونس .

وبلغت قوة الاسطول اوجها حتى لم يبق في حوض البحر الابيض المتوسط قوة بحرية تستطيع مجابهته او تحديه .

وقامت في عهد الخليفة هشام ، قوة بحرية مكونة من مثي قطعة ضخمة بغزو كريت تحت قيادة امير البحر المستنير بن الحارث . لكن هذه العملية انتهت بمأساة عندما جابهت العواصف قطع الاسطول اثناء عودته فاغرقت قسماً كبيراً منها .

وقد تميز عهد هشام بظهور عدد من امراء البحر وكبار القادة في اساطيل مصر وافريقيا ، امثال حفص بن الوليد الحضرمي ، وبشر بن صفوان الكلبي ، وابو عبيدة بن عقبة بن نافع ، وقثم بن عوانة الكلبي ، وعبدالله بن عقبة بن نافع ، وعثمان بن ابي عبيدة بن عقبة بن نافع واخوه حبيب بن ابي عبيدة بن عقبة وثابت بن الهيثم وعبدالله بن قطن وغيرهم .

نتيجة لتركيز الجهد البحري في غرب المتوسط واعطاء اسطول الشام مهمة ثانوية هي حماية السواحل ، تضاءلت قوة هذا الاسطول تدريجياً ثم جاءت الاوبئة فاسهمت في اضعاف اسطول الشام حتّى لم يظهر له نشاط يذكر في مجابهة بيزنطة باستثناء بعض العمليات الثانوية في بحر ايجه وسواحل بيزنطة .

افادت بيزنطة من هذا الموقف لاعادة بناء قواتها البرية والبحرية ووضعت نظاماً يشابه النظام الذي وضعه العرب المسلمون في تقسيم المناطق ووضع الحاميات وتوحيد السلطة المدنية والعسكرية في قبضة الحاكم العسكري . كما استفـــاد البيزنطيون من تجارب العرب المسلمين في نقل الطاقات البشرية لاعمار المناطق المهجورة والمدمرة فاستخدموا الصقالبة وغيرهم لاعمار المناطق التي دمرها العرب المسلمون في عمليات الصوائف والشواتي ومنحوا سكان هذه المناطق ميزات خاصة .

واعاد البيزنطيون تنظيم قواتهم البحرية على نحو يشابه التنظيم عند العرب. فشكلوا اساطيلهم على النحو التالي :

١ ــ الاسطول الامبراطوري ، ومركزه القسطنطينية بمهمة العمليات الكبرى وحماية الخطوط الاستراتيجية .

٢ ــ الاسطول القتالي : ويتشكل من مجموعات قتالية واجبها الاغارة على الجزر البحرية التي احتلها العرب مثل كريت وصقليا وسواحل الشام ومصر . وكان يرافق هذه المجموعات قوات من « مشاة البحرية » وعددهم ٥٠٠٠ مقاتل من المردة .

٣ ــ اسطول المناطق : وواجبه « حراسة الشواطىء » ضد هجمات العرب واغاراتهم ويتم صناعة قطع هذه الاساطيل محلياً ، كما تكون الحاميات التي تتولى استخدام هذه الاساطيل من نفس المنطقة التي يتم العمل فيها .

عمل الروم في الوقت ذاته على وضع مخطط لاستنزاف قوة العرب المسلمين بهدف اضعافهم ، فاثاروا ضدهم شعوب القوقاز والخزر في الوقت الذي

كان فيه الجهد العربي موجهاً الى غرب المتوسط واسبانيا بحيث لم يكن باستطاعة القوات والاساطيل هناك تقديم دعم لشرق المتوسط .

عندما عرفت بيزنطة ان الموقف اصبح جيداً لها بعد بناء قوتها نظمت عملياتها للاغارة على سواحل الشام ومصر ، واستعادوا السيطرة تدريجياً على شرق البحر الابيض المتوسط .

في عهـــد الوليد بن يزيد – تولى المغيرة بن عمير الازدي القيادة العامة للاساطيل البحرية بعد الاسود بن بلال المحاربي ، فوجه اسطولا الى قبرص وخيّر اهلها بين الانتقال الى الشام او النزوح الى بيزنطة ونقل اليها قبائل عربية .

وفي عام ١٢٦ هـ تولى امارة البحر يحيى بن سعيد الانصاري .

وفي عهد مروان بن محمد – اصبحت اساطيل بيزنطة هي المسيطرة على شرق البحر الابيض المتوسط .

فن الحرب البحري في عهد الامويين .

١ – المدن الساحلية والدفاع عنها :

كانت المدن الساحلية ، باستمرار ، هدفاً لغزوات اسطول الروم وهجماته المباغتة ، بداية من انطاكية وحتى الاسكندرية والسويس « القلزم » ونهاية ببجاية في تونس . وقد ركز الروم البيزنطيون هجماتهم على طرابلس وبيروت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب . وقد نظم الامويون الدفاع عن المدن الساحلية بصورة تدريجية على النحو التالي :

١ – الحماية البعيدة :

أ – عن طريق احتلال الجزر القريبة من السواحل ووضع حاميات فيها تقوم بواجبات الرصد ، والانذار ، والتعرض لأساطيل الروم .

ب ـ بواسطة الاسطول الذي يتجول باستمرار على الشواطىء للتصدي لكل عدوان واحباطه .

١ ـ الحماية القريبة ، وتتكون من :

ا ـ الحاميات المقيمة في المدن الساحلية والمتمركزة قريباً من شواطىء الانزال. وقد نظمت هذه الحاميات كقوة مستقلة تخضع لقيادة واحدة ويقودها امير السواحل .

ب ـ الحماية المباشرة ، وتقوم بها القوات التي تستنفر وتحشد من المناطق الداخلية وتوجه الى المدن والثغور ، وتخضع لقيادة امير السواحل وتبقى هذه القوات متمركزة في المدن الساحلية حتى عودة القوات البحرية من الغزو .

ج ـ الحماية غير المباشرة ، وهي بمثابة القوات الاحتياطية المتمركزة في المناطق الداخلية وهي في حالة استعداد دائم للقتال من اجل دعم المدن الساحلية في حال وقوع عدوان عليها .

فكان جند حمص هو القوة الاحتياطية لدعم حاميات طرطوس وقيه وبانياس وجبلة ومركزه قنسرين .

جند الاردن ومركزه طبريا ، وواجبه دعم حاميات صور وعكا .

جند فلسطين ومركزه الرملة ، وواجبه دعم حاميات قيسارية ، ارسوف يافا ، عسقلان ، غزة ، سواحل مصر ، رفح ، العزما ، العريش ، الاسكندرية

جند دمشق ، ومركزه دمشق ، وواجبه دعم حاميات صيدا وبيروت وجبيل وطرابلس .

٢ ـ الركوب والتجمع البحري والانزال :

بعد ان تكون القوات المكلفة بحماية السواحل قد وصلت من الداخل ، من المدينة والحجاز الى مصر ، ومن الشام وحمص الى عكا والساحل ، تبدأ الاستعدادات للتحرك ، وعندما يعطى الامر بالمسير تتم العملية كالتالي :

١ – تندفع القطع البحرية الثقيلة حتّى عرض البحر لحماية عملية الركوب .
٢ – تصعد القوات الى المواعين ، ناقلات الجند .
٣ – تنظم الحماية بدفع الزوارق الخفيفة في كل اتجاه .
٤ – تتخذ المراكب اماكنها في رتل المسير .

اذا كان التحرك نحو الشمال ، بيزنطة ، واذا كانت العملية كبيرة يتّم تجمع الاسطولين المصري والسوري اما في عكّا أو في الاسكندرية ، على نحو ما حدث في حصار القسطنطينية .

اما اذا كان التحرك غرباً فيتّم الالتقاء عند الهدف ، كما حدث في فتح قبرص . واما ان يتّم التجمع في المياه المصرية .

وعندما تطورت العمليات في غرب المتوسط ، اصبح مقر التجمع في تونس .

– عندما تصل قوات الاسطول الى اهدافها تقف القطع البحرية الثقيلة المحملة بالمنجنيق وادوات الحصار على مسافة بعيدة لحماية الإنزال ،وتتقدم ناقلات الجند حتّى الساحل ويتّم الانزال ، واذا تطلب الامر دعم القطع البحرية تبدأ هذه بتقديم دعمها من مواقعها او تتقدم حتّى تصل على ارتفاع وحدات المشاة البحرية .

اما اذا حدث الالتقاء مع قوات العدو البحرية ، فتعمل البحرية العربية على التقرب حتّى مسافة الالتحام وتلقي بالحبال فوق قطع العدو البحرية وتشدها اليها وتربطها بقطعها ويتّم الالتحام فوق قطع الاسطول بعد ان تكون قد استنزفت قوة العدو برميه بواسطة النبال من مسافة بعيدة وضمن حدود الاصابة.

وفي حالات الانزال الكبرى يتّم انزال نصف قوة المشاة الى اليابسة لخوض المعركة الارضية بينما يبقى نصف القوة الآخر فوق قطع الاسطول للالتحام مع العدو ، كما حدث في معركة ذات الصواري .

عند الانتهاء من المعركة او الانزال تعود القطع البحرية الى قاعدتها في

تشكيل القتال ، وتتخذ تدابير الحيطة ، ثم تبدأ بمباشرة دورها في الدفاع القريب عن الساحل بعد انسحاب الحاميات التي كلفت بحماية المدن والساحل اثناء غياب الاسطول .

الاسطول العربي في الميزان الاستراتيجي :

يفصل البحر الابيض المتوسط بين قارات ثلاث : اوربا وآسيا وافريقيا وهو بدوره نقطة التقاء هذه القارات ، ونتيجة لهذا الموقع الاستراتيجي الهام فقد كان محور صراع طويل منذ اقدم العصور وحتى ايامنا وسيبقى كذلك دائماً على الرغم من تطور وسائل المواصلات وتقدمها . وليس الصراع الحالي بين اكبر قوتين في العالم المعاصر الا ظاهرة من ظواهر الصراع الطويل للسيطرة على البحر الابيض المتوسط .

ان من يسيطر سيطرة تامة على البحر الابيض المتوسط يستطيع فرض وجوده على المدن الواقعة على سواحل هذا البحر والانطلاق منها للسيطرة على مراكز الثقل في القارات الثلاثة .

لقد ادرك الخليفة الاموي معاوية بن ابي سفيان هذه الحقيقة ، فركز جهده لبناء القوة البحرية وعرف الامويون بعد ذلك اهمية البحر فمنحوه الافضلية الاولى في مخططات عملياتهم . وسارت عمليات تطور البحرية في خط مواز للعمليات البرية . وامكن بذلك بناء الدولة الاموية القوية .

كان الهدف الأول للامويين تصفية الدولة البيزنطية ، ورغم فشلهم في القضاء عليها على نحو يماثل قضاء العرب المسلمين على الدولة الفارسية ، الا ان بناء قوتهم البحرية ساعدهم على تقليص نفوذ دولة بيزنطة حتى اقتصرت في عهد معاوية وسليمان على مدينة القسطنطينية وحدها .

– كما ان سيطرة الامويين على البحر الابيض المتوسط قد حطمت معنوياً نفوذ بيزنطة ، وجاءت الاجراءات الاقتصادية مثل فرض النقد العربي في

التعامل التجاري واستخدام اللغة العربية لاكمال بناء نفوذ الدولة العربية دولياً على حساب تحطيم سيطرة بيزنطة .

ولقد اسهمت الاساطيل البحرية في غزو ايطاليا وفتح اسبانيا ، وكان التنسيق الكامل بين عمليات القوات البرية والقوات البحرية من المعالم الرائعة في مخطط العرب الاسترّاتيجي .

نجح الاسطول العربي الاسلامي في تحقيق الاهداف المحددة له .

١ ـ فاستطاع ـ على المستوى التكتيكي ـ حماية السواحل وتحقيق الامن المباشر للدولة العربية .

٢ ـ ونجح ـ على المستوى الاسترّاتيجي ـ في بناء الدولة العربية الاسلامية، وتحطيم نفوذ بيزنطة بالدرجة الأولى ، واسهم في عمليات فتوح الجزر، وفي فتح اسبانيا .

٣ ـ وحقق في مجال فن الحرب نجاحات رائعة كانت مصدراً من المصادر الهامة في تطوير الاساطيل البحرية عبر التاريخ .

القسم الأول

الفصل الخامس
الثغور - الصوائف والشواتي

> **[والله لوددت ان الدرب جمرة بيننا وبينهم ،**
> **لنا ما دونه وللروم ما وراءه] ..!**
> الخليفة عمر بن الخطاب ، في تنظيم الثغور وتوجيه الصوائف والشواتي وراء الدروب .
> « اليعقوبي ٢ / ١٣٣ »

الموقف العام سنة ١٦ هـ . عندما قدم الخليفة عمر لعقد صلح مع القدس :

حمص وقنسرين .

انهى ابو عبيدة بن الجراح ومعه خالد بن الوليد فتح كافة المناطق الشمالية بداية من انطاكية وحتّى الجزيرة الشامية .

فلسطين والاردن : نجح عمرو بن العاص في تصفية كافة المقاومات بعد معركة اجنادين ، كما نجح شرحبيل بن حسنة بفتح بقية مناطق فلسطين .

وجاء الخليفة عمر فتوج عملية الفتح بعقد صلح مع اهل القدس .

دمشق : استطاع يزيد بن ابي سفيان ومعه معاوية فتح المدن الساحلية ، وانصرف لبناء المجتمع الجديد .

عندما شعر الروم ان الامر قد افلت من ايديهم ، بدأوا باتباع خطة جديدة وهي التحريض على الثورة المضادة ، ودعموها بالقادة والرجال ، وأمدوها بالغذاء والاموال .

تعاريف :

١ـ **الثغور** ـ هي المدن والمراكز المجاورة لحدود « بيزنطة » وكان يتم في هذه المدن والمراكز حشد الجيوش وتنظيمها والانطلاق بها للغزو او للصوائف والشواتي . ومن هذه الثغور : قنسرين وانطاكية . وقد اطلق عليها هارون الرشيد اسم العواصم .

٢ ـ **الدروب** ـ هي المحاور التي تخترق سلسلة الجبال الفاصلة بين بلاد

الشام وبيزنطة واشهرهذه الدروب محور انطاكية – المصيصة – اقليم آيدن– القسطنطينية . ومحور الجزيرة – مرعش – طوانة – عمورية – القسطنطينية .

٣ – **الصوائف** – هي القوات الكبيرة التي تنتظم في جيش واجبه غزو بلاد الروم في الصيف . وكانت الصائفة تقوم بالغزو :

[اذا دخل الخريف وطاب الهواء بعد ان يكون الناس قد اربعوا دوابهم وحسنت احوالهم واحوال خيولهم وقوي وسمن الظهر الحامل للناس فيجتمع المجاهدون للدخول في الصائفة الى ارض العدو ، ثم يغزون لعشر تخلو من تموز فيقيمون فيها الى وقت قفولهم منها ستين يوماً او اكثر] (١)

٤ – **الشواتي** – هي القوات الكبيرة التي تنتظم في جيش واجبه غزو بلاد الروم في الشتاء ما بين اوائل شهر آذار – مارس – حتى نهايته . وتكون واجبات الشاتية اقل عمقاً واكثر قرباً من الحدود الاسلامية للافادة من فترة ضعف العدو وعدم استعداده ، وتوجيه ضربة قاسية ثم الانسحاب .

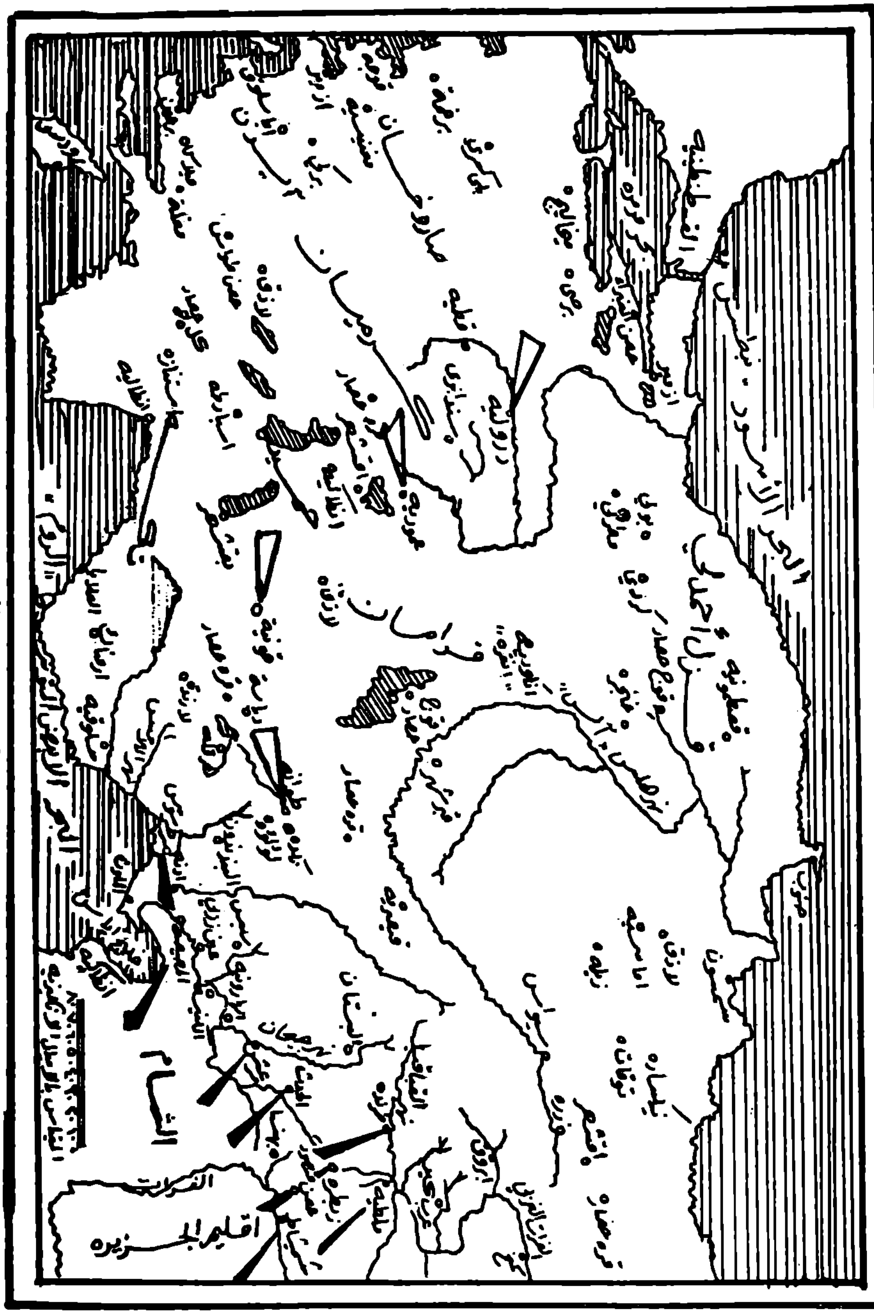
٥ – **المسالح على الحدود** : المسالح هي مراكز المراقبة المتقدمة واجبها مراقبة العدو ، والانذار ، ثم الانضمام الى الجيش . اما مسالح الحدود فلها واجبات اخرى :

[وينبغي للامام ان تكون له مسالح على المواضع التي تنفذ الى بلاد اهل الشرق من الطرق ، فيفتشون من مر بهم من التجار . فمن كان معه سلاح أخذ منه ورد . ومن كان معه رقيق رد . ومن كانت معه كتب قرئت كتبه مما كان من خير من اخبار . وبعث الى الامام ليرى فيه رأيه . ولا ينبغي للامام ان يدع احداً ممن أمر من اهل الحرب وصار في ايدي المسلمين يخرج الى دار الحرب راجعاً الا ان يفادى به . فاما من غير الفداء فلا] (٢)

---

(١) نبذ الخراج – لابن خرداذبة ص ٢٥٩ .

(٢) الخراج لابي يوسف – ص ٢٢٦ .



الثغور — او العواصم — في عهد الروم

الثغور الشامية (١) :

كان الروم قد اقاموا بين الاسكندرونة وطرطوس سلسلة من الحصون والقلاع والمسالح ، وعندما فتح العرب المسلمون بلاد الشام وانسحب الروم الى بلادهم اصطحبوا معهم سكان هذه المنطقة فاصبحت خالية من السكان . وقد استهدف الروم من عملية ترغيب السكان بالجلاء عن مدنهم وقراهم ثلاثة اهداف :

١ ـ تدمير المنطقة وافقارها من اليد العاملة الزراعية وتحويلها الى منطقة مهجورة .

٢ ـ زج القوات او مجموعات قتالية صغيرة منها في الحصون والمسالح لقطع طريق العودة على قوات المسلمين عند غزوها ما وراء الدروب .

٣ ـ نصب الكمائن في المسالح لاصطياد المتخلفين والعناصر المنعزلة من العرب المسلمين لاحباط الروح المعنوية لدى العرب المسلمين .

كان ابو عبيدة بن الجراح اول من وصل بغزواته « الصائفة » الى الحصون فيما وراء الدروب ، فمر بالمصيصة وطرطوس وقام بجولة على الحصون المحيطة بهذه الثغور فوجدها خالية من السكان . ثم دفع ميسرة بن مسروق العبسي فبلغ زنذه ثم عاد بصائفته .

عندما تمردت انطاكية بعد فتحها بفترة قصيرة بتأثير من الروم اعاد ابو عبيدة فتحها ووجه قوة عن طريق درب بغراس بقيادة ميسرة ، والتقى ميسرة بجيش من الروم ومعهم مستعربة غسان وتنوخ واياد يريدون اللحاق بهرقل ، وبعد معركة قاسية وعنيفة وصلت امدادات الى ميسرة ونجح في ابادة قوات كبيرة من مقاتلي الروم ومزقهم ، وكان ميسرة بذلك اول من سار في الدروب .

---

(١) فتوح البلدان . البلاذري ص ١٦٢ .

في عام ٢٥ هـ. قام معاوية بقيادة الصائفة وتوجه بها عبر الدروب الى الثغور المتقدمة ووجد معاوية ان الحصون بين انطاكية وطرطوس خالية . فنقل اليها جماعة من اهل الشام وقنسرين واصبحت انطاكية في زمن الخليفة عمر ومن بعده الخليفة عثمان هي الثغر الرئيسي لانطلاق الصوائف .

ثم قام بعد ذلك يزيد بن الحر العبسي في قيادة الصائفة وفعل مثلما فعله معاوية .

وفي عام ٣١ هـ. قام معاوية بقيادة الصائفة من ناحية المصيصة ووصل حتى درولية وخلال عودته دمر جميع حصون الروم التي في طريقه حتى وصل انطاكية .

وضع معاوية مخططاً لمجابهة مخطط الروم يتلخص بالتالي :

١ ـ نقل السكان واقطاعهم القطائع من الأرض الموات(١) بهدف تعمير المدن وحراسة الحصون وحماية المسالح .

٢ ـ عدم السماح للمقاتلين بالسير على شكل مجموعات صغيرة او بشكل افرادي .

٣ ـ وضع قوة كافية لحراسة الدروب والثغور عند توغل الصائفة في ارض الروم وتبقى هذه القوة حتى عودة الصائفة من غزوتها .

٤ ـ دفع مفارز كثيرة من عناصر الاستطلاع في كل اتجاه، وعدم تجاوز التحصينات الابعد استطلاعها .

٥ ـ عدم السماح للعدو بفرض المعركة على المسلمين وذلك عن طريق التزام

---

(١) الأرض الموات هي ارض ليس فيها اثر بناء ولا زرع ولم تكن فيئاً لاهل القرية ولا مسرحاً لهم ولا موضع مقبرة ولا محتطب ولا موضع مرعى دوابهم واغنامهم بملك لاحد ولا في يد احد . الخراج ، لأبي يوسف ٢٣٦ .

المقاتلين باوامر القيادة وعدم الدخول في معركة الا بعد الحصول على موافقة القائد (١) .

في عام ٨٣ هـ . قاد عبد الله بن عبد الملك بن مروان قوة الصائفة وسار بها من درب انطاكية ، ووصل المصيصة ، فبنى فيها حصناً على انقاض حصنها القديم ، ووضع بها قوة من الجند فيهم ثلاثمائة مقاتل اختارهم من بين افضل المقاتلين قوة وعناداً وشجاعة في القتال . ولم يكن المسلمون سكنوها قبل ذلك فبنى فيها مسجداً فوق تل الحصن ، ثم تقدم حتى وصل « حصن سنان » فحاصره ثم فتحه . ووجه يزيد بن حنين الطائي الانطاكي لتنفيذ اغارات على المنطقة المحيطة بالحصن واصبحت المصيصة المركز المتقدم الذي تتقدم اليه القوات « الطوالع » من انطاكية فتقيم فيه فصل الشتاء ، وكان حجم هذه « الطوالع لا يقل عن ١٥٠٠ ــ ٢٠٠٠ مقاتل .

عندما تولى هشام بن عبد الملك الخلافة كلف حسان بن ماهوية الانطاكي بناء المثقب ، رحصنها وحفر خندقاً عميقاً حولها .

كما أمر هشام بن عبد الملك ببناء حصن « قطر غائس » وكلّف عبد العزيز ابن حيان الانطاكي ببنائه وتحصينه .

وفي عهد هشام تم بناء حصن « بوقا » .

عندما جاء الوليد بن يزيد بن عبد الملك امر ببناء جسر المصيصة ، بعد تسعة اميال عنها وذلك لعبور قوات الصوائف .

---

(١) لا تسري سرية الا باذن الامام « الخليفة » او من يوليه على الجيش ولا يحمل رجل من عسكر المسلمين على رجل من المشركين ولا يبارزه الا باذن امير الجيش . الخراج ، لابي يوسف ٢٣٦ .

الثغور الجزرية (١) :

١ ـ **شمشاط** : طلب الخليفة عثمان بن عفان من واليه في الشام معاوية بن ابي سفيان ان يوجه قوة لفتح شمشاط في ارمينيا الرابعة ، فوجه معاوية حبيب ابن مسلمة الفهري وصفوان بن معطل السلمي ففتحاها بعد حصارها بضعة ايام ، وحصناها .

٢ ـ **ملطية** : وجه عياض بن غنم قوة قتالية من شمشاط الى ملطية بقيادة حبيب بن مسلمة الفهري . نجح حبيب بن مسلمة في فتح ملطية ، ثم تمردت واعلنت الثورة. وعندما اصبح معاوية بن ابي سفيان والياً على الشام والجزيرة وجه من جديد قوة بقيادة حبيب بن مسلمة ، ففتحها عنوة ، ووضع بها قوة مرابطة من العرب المسلمين . وعندما مر بها معاوية اثناء غزوه لبلاد الروم ترك فيها قوة من اهل الشام والجزيرة وغيرهما ، واصبحت ملطية منطلق الصوائف وفي ايام ثورة عبدالله بن الزبير انسحب المقاتلون منها وجاء الروم فدمروها ثم اخلوها ، فنزل بها قوم من النصارى ، الارمن ، والنبط .

٣ ـ **طرنده** : في عام ٨٣ هـ . تقدم عبدالله بن عبد الملك بن مروان في غزواته حتى وصل طرندة التي تبعد ثلاثة مراحل عن ملطية ، فعمرها العرب المسلمون وشيدوا فيها منازل السكن . وكانت طلائع الصائفة تتقدم حتى ملطية وتقيم فيها حتى هطول الثلج وقدوم فصل الشتاء . وعند ذلك يعود جند الجزيرة الى معسكراتهم . عندما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة ، اشفق على اهل طرندة من غزوات الروم فطلب الى سكان طرندة الجلاء عنها ، ففعلوا وهم كارهون وحملوا معهم جميع متاعهم وانتقلوا الى ملطية بعد ان دمروا طرندة ، وولى عمر على ملطية والياً هو حجونة بن الحارث احد بني عامر بن صعصعة . وفي

---

(١) نسبة الى الجزيرة الشامية ـ فتوح البلدان ـ البلاذري « الثغور » ص ١٦٢ وما بعدها .

عام ١٣٣ هـ . افاد الروم من الاضطراب بين انهيار الدولة الاموية وقيام الدولة العباسية فهاجموا ملطية ودمروها ، وعندما جاء المنصور اعاد بناءها .

٤ ـ مرعش ـ فتح خالد بن الوليد مرعش عام ١٧ هـ ، ثم غزاها سفيان ابن عوف الغامدي سنة ٣٠ هـ ، وتوغل في بلاد الروم .

عندما جاء معاوية اعاد تحصينها ونقل اليها جنداً للمرابطة فيها . وتزايدت اغارات الروم عليها في عهد يزيد بن معاوية ، فرحل عنها العرب المسلمون .

وعندما تولى عبد الملك بن مروان وحدث خلاف في البيت الاموي قام الروم باغارات على الثغور فصالحهم عبد الملك واتفق معهم على دفع مبلغ من المال اسبوعياً . وفي عام ٧٢ هـ قام محمد بن مروان بقيادة الصائفة وتصدى له الروم في شهر جمادى الأولى فاندفع المسلمون لقتالهم بقيادة ابان بن الوليد ابن ابي معيط ، وبعد معركة عنيدة وحاسمة نجح ابان في ابادة مجموعات كبيرة من جيش الروم وأسر اعداداً كبرى عند مرعش .

ثم تقدم دينار بن دينار مولى عبد الملك بن مروان فالتقى بمجموعة قتالية من الروم عند جسر يغزا في شمشاط ، فالحق بهم الهزيمة ومزق تجمعهم .

بعد المعركة اقام العباس بن الوليد بن عبد الملك في مرعش فشيدها واقام التحصينات فيها ونقل اليها جماعات من العرب المسلمين وبنى فيها مسجداً ، وكلف اهل قنسرين بتجهيز قوة سنوياً للتمركز في مرعش .

عندما تولى مروان بن محمد الخلافة واعلن اهل حمص تمردهم ضده افاد الروم من التمزق الداخلي وتقدمت قواتهم وحاصرت مرعش وارغمت اهلها على الصلح ، والجلاء عنها . وعقد الصلح عامل مروان على مرعش الكوثر بن زفر بن الحارث الكلابي ، فخرج الجند الى قاعدتهم في قنسرين ورجع اهل الجزيرة الى مناطقهم في الجزيرة وهدم ملك الروم قسطنطين بن اليون المدينة وتحصيناتها .

عندما انتهى مروان من تصفية الثورة المضادة في حمص ، وجه جيشاً الى مرعش وأمر باعادة بنائها وتحصينها .

عاد الروم فدمروها عند انتقال الحكم الى العباسيين وعندما تولى ابو جعفر المنصور الخلافة كلف صالح بن علي باعادة بنائها .

٥ ــ **الحدث** ــ غزا عبدالله الخثعمي من اهل فلسطين بلاد الروم مرات عديدة ، وكان يسمى ملك الصوائف وقد جعل من الحدث قاعدة له وحصنها ، وفي غزوته عام ٣٦ غنم غنائم كثيرة ثم رجع حتى وصل درب الحدث وقبل ان يصل المدينة بخمسة عشر ميلا توقف عند رهوة لفترة ثلاثة ايام فباع الغنائم وقسم الفيء على المقاتلين فسميت تلك الرهوة رهوة ملك .

٦ ــ **زبطره** ــ كانت زبطرة حصناً قديماً للروم فتحها حبيب بن مسلمة عندما فتح حصن الحدث . وفي ايام الوليد بن يزيد نظم الروم هجوماً قوياً ونجحوا في تدمير زبطرة . وأعيد بناؤها بعد ذلك ، لكن البناء لم يكن قوياً ومحكماً ، فعاود الروم هجومهم ايام حكم مروان بن محمد ودمروها واعاد المنصور بناءها .

تطور الصوائف والشواتي :

انتزع العرب المسلمون من بيزنطة مجالها الحيوي عندما انتصروا عليها واجلوا قواتها عن بلاد الشام ، ووجد الروم انفسهم ضمن حدود ضيقة وفي مواقع الخطر من التهديد الدائم بالغزو مما حفزهم على متابعة الحرب وخوض المعارك باستمرار لتحقيق هدفين :

١ ــ الدفاع عن وجودهم واستنزاف قوة العرب المسلمين بحروب مستمرة .

٢ ــ الهجوم في كل مرة تسمح لهم الظروف بذلك على أمل معاودة فرض سيطرتهم

وأخذت حروب بيزنطة ضد العرب المسلمين شكل هجمات مباغتة واغارات خاطفة دون فكرة الاستيطان الدائم او الاقامة المستمرة ، وكان الهدف الأول لهذه الهجمات والاغارات تدمير المدن الساحلية بداية من انطاكية وحتى الاسكندرية وتونس علاوة على المدن الداخلية المتاخمة لحدود بيزنطة . وقد تركت هذه الاعمال رواسب سيئة في نفوس قادة العرب المسلمين نظراً لتناقض هذه الاعمال مع تطلعاتهم في تحقيق الامن والاستقرار خلال مرحلة بناء المجتمع الجديد .

كان الخليفة عمر بن الخطاب يعرف الاعباء الثقيلة الملقاة على عاتق جند العرب المسلمين ، وكان يدرك التفوق العددي الساحق لاعداء الأمة العربية الاسلامية . ولهذا كان يرغب في عدم زج قواته في معارك تستنزف قدرتهم القتالية دون تحقيق نصر حاسم . ولما تكررت هجمات الروم واغاراتهم قال :

[والله لوددت ان الدرب جمرة بيننا وبينهم . لنا ما دونه وللروم ما وراءه] (١)

قام الروم بهجوم مضاد كبير عام ١٧ هـ وحشدوا انصارهم من الجزيرة ووصلت قواتهم الى حمص ، فتصدى لهم ابو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد ، ووضع الخليفة عمر مخططه لاحباط هذا الهجوم – راجع معارك الشام– ثم انتقل الى الجابية لمعالجة الموقف . وعندما تمت تصفية قوات الهجوم ، قسم البلاد الى اربعة مناطق عسكرية ، واصدر اوامره بتوجيه الصوائف من الثغور الجزرية والثغور الشامية ووضع اساس هذه العمليات الدائمة واصبح والي حمص هو المسؤول عن توجيه قوة الصائفة عبر الدروب الى الثغور الشامية كما اصبح والي الجزيرة هو المسؤول عن توجيه قوة الصائفة عبر الدروب الى الثغور الجزرية .

---

(١) اليعقوبي ١٣٣/٢ .

عندما تولى الخليفة عثمان بن عفان مقاليد الأمة وتوحدت الشام في قيادة سياسية وعسكرية واحدة بولاية معاوية بن ابي سفيان . اخذت عمليات الصوائف والشواتي اهمية خاصة ، واصبحت ذات اهداف واضحة اهمها :

١ – وقاية الحدود والاقاليم المتاخمة لبلاد الروم .

٢ – ردع بيزنطة وارغامها على توزيع قواتها بحيث لا تستطيع القيام بهجمات حاسمة وقوية ضد الاقاليم العربية .

لقد توضحت في ذهن معاوية معالم استراتيجية الردع فعبر عنها بقوله :

[شدوا خناق الروم فبها تضبطون بقية الامم] (١)

وتنفيذاً لهذه الاستراتيجية عمد معاوية الى تكثيف الصوائف والشواتي وزيادة قوتها ، مع تنظيم عملياتها في مخطط واحد مع عمليات القوات البحرية على نحو ما حدث في حصار القسطنطينية الأول والثاني .

نتيجة لذلك لم تعد اعمال الصوائف والشواتي مجرد اداة تعبوية لحماية الحدود بل تحولت الى اداة استراتيجية هدفها استنزاف قوة الروم وتدمير قدرتهم العسكرية وارغامهم على اتباع الاسلوب الدفاعي لحماية مدنهم وحدودهم وانتزاع المبادأة من ايديهم .

تابع الخلفاء الامويون تنفيذ هذه السياسة واستمرت عمليات الصوائف والشواتي في تصاعد حتى وصلت ذروتها ايام الوليد وسليمان بن عبد الملك بحيث اصبح يخرج في العام اكثر من صائفتين وشاتيتين . ونظراً لما كانت عليه هذه العمليات من الأهمية فقد كان يتولى قيادتها الخلفاء او ابناؤهم واخوانهم او كبار القادة وقد ظهر خلال هذه المعارك ابطال خالدون امثال حبيب بن مسلمة الفهري وبسر بن ارطأة وسفيان بن عوف الغامدي « اليمني » ومالك بن عبدالله

---

(١) ابن عساكر ، ترجمة عبدالله البطال .

الخثعمي «اليمني» ، وعبدالله البطال ، وخلدت اعمالهم ومعاركهم الاساطير الشعبية التي تناقلتها الاجيال مثل قصص عبدالله البطال في « ذات الهمة » . كما برز مقابل ذلك ابطال من الروم خلدتهم اساطيرهم من امثال « جانيس اكريتا » .

اخذت اهمية الصوائف والشواتي تتناقص بعد ايام سليمان بن عبد الملك بسبب استنزاف قوة العرب في الفتوحات الخارجية والحروب الاهلية ، علاوة على الامراض والأوبئة . فعادت هذه الصوائف مجرد اداة تعبوية هدفها حماية الحدود . وبقي امرها كذلك حتى نهاية العصر الاموي (١) .



(١) لمطالعة المزيد عن الصوائف والشواتي – مقال امين النفوري في العدد ٨ من المجلة العسكرية اذار ١٩٧٣ .

القسم الثاني

الفصل الأول
من الفتح إلى معركة القادسية

« الوعد الحق »

(وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً. يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) . صدق الله العظيم

« الآية ٥٤ – سورة النور »

١ – فارس عبر التاريخ .

٢ – موقعة ذات السلاسل .

٣ – موقعة المزار .

٤ – موقعة الولجة .

٥ – موقعة أليس على الفرات .

٦ – يوم المقر . وفم فرات بادقلي .

٧ – موقعة الانبار .

٨ – موقعة عين التمر .

٩ – يوم دومة الجندل .

١٠ – يوم حصيد .

١١ – الاغارة على مصيخ .

١٢ – الاغارة على الثني والزمل .

١٣ – يوم الفراض وتحرك خالد من العراق الى الشام .

١٤ – معركة باب بابل .

١٥ – يوم النمارق .

١٦ – يوم السقاطية بكسكر .

١٧ – وقعة الجسر .

١٨ – يوم البويب .

١٩ – الاغارة على الخنافس وسوق بغداد .

٢٠ – القادسية .

عمليات الجبهة الشرقية

« فارس عبر التاريخ »

كان القضاء على دولة الفرس هو بداية مرحلة عمليات الجبهة الشرقية ، ونظراً للاهمية التي تميزت بها عمليات هذه الجبهة ، فانه لزاماً اجراء دراسة تفصيلية لطبيعة هذا المسرح من النواحي البشرية والاجتماعية والعسكرية .

١ ــ فارس عبر التاريخ :

ــ اثبتت المكتشفات الحديثة ، والدراسات العلمية وجود حضارات عريقة متطورة ازدهرت على مسرح الهضبة الايرانية . ويعود تاريخ هذه الحضارات الى ما يزيد عن ٧٠٠٠ سنة ق. م. الا ان هذه المكتشفات لم تظهر الصورة الكاملة لتلك العهود السحيقة وكل ما امكن جمعه من معلومات هو وجود اسرة مالكة حكمت قبل الاخمينيين وامتد حكمها من الفترة ٧٠٨ ــ ٥٥٠ق.م. ولم يعرف اي تطور حضاري لهذه الفترة التي حكمها اربعة ملوك . ثم تعاقبت بعد ذلك اربعة سلالات آرية حكمت الهضبة الايرانية على النحو التالي :

١ ــ الاخمينيون	٥٥٩ ــ ٣٣١ ق . م.
٢ ــ السلوقيون	٣٢٣ ــ ١٢٩ ق. م.
٣ ــ الاشكانيون ــ الفرتيون	٤٢٨ ق. م. ــ ٢٢٦ م.
٤ ــ الساسانيون	٢٢٦ ــ ٦٤١ م.

آ ــ الاخمينيون :

حكمت الاسرة الاخمينية فترة ٢٢٠ عاماً . وتعاقب على الحكم احد عشر ملكاً ، اولهم « قورش » كوروش الكبير ٥٥٠ ــ ٥٢٩ ق.م. وآخرهم داريوش الثالث ٣٣٦ ــ ٣٣٠ ق. م.

بدأ قورش حكمه بتوحيد شمال غرب الهضبة الايرانية مع جنوبها الشرقي وقضى على دولة الميديين التي كانت عاصمتها « هكمتانة » همذان حالياً ــ والتي كانت تمتد حتى اذربيجان وشواطىء قزوين . ثم تابع قورش فتوحاته حتى اصبحت امبراطوريته تمتد من مصر الى الهند ، ثم تابع حفيده داريوش الأول سلسلة الفتوحات فاحتل اجزاء من البنجاب والسند شرقاً وفارس غرباً.

تميز حكم هذه الاسرة بالقوة ومحاولة تحقيق الديمقراطية والعدالة ، وقد كشفت الحفريات في بابل عن وثيقة « لوحة من الطين » اعلن فيها الملك قورش اول بيان لحقوق الانسان وذلك بعد انتصاره على بابل ، وكان نص الوثيقة كالتالي :

[انا قورش ، عندما اتيت الى بابل وانا في كامل قوتي ، اقمت حكومتي فيها بين الافراح والابتهاجات والاحتفالات ، وكانت الجيوش التي لا يحصى عدد أفرادها ، لا تلقى في المدينة اي مقاومة ، ولم اسمح لاي شخص ان ينشر الخوف والرعب في ارض سومر . وأكاد « العراق » .

لقد رمقت الحلال اهل بابل السيء ، وعمرت بيوتهم المخربة ووضعت حداً لسوء حالهم ، واعدت جميع الناس من ... الى مدن آشور وشوش ، « أكاده » و« اشتونا » ومدن « زميان » و« ميورتو » و« در » حتى نواحي ارض « كيوتيوم » مهد الترك المغول . ومدن ما وراء دجلة ــ التي تعرضت معابدهم المقدسة للدماء . وكذلك الآلهة التي كانت تقيم بينهم ، اعدتهم

جميعاً الى اماكن سكناهم – لقد جمعت جميع ساكنيها ، واعدت لهم منازلهم] (١) .

افاد اليهود وحدهم من هذا الاعلان ، واطلق قورش سراحهم بعد اقامة جبرية في بابل استمرت سبعين عاماً ، وقد تميز حكم هذه الاسرة بالنواحي التالية :

اضطهـــاد الشعوب – لا سيما في مصر التي رفضت الاستسلام للفرس وقاومت الاحتلال .

تنظيم سبل المواصلات .

تنظيـــم اجهزة الدولة وتشكيل مجلس شيوخ من القادة ومجلس للكهنة والرؤساء الدينيين .

تنظيم اجهزة الامن والجاسوسية « جهاز المفتشين » .

العناية بالآداب والفنون والطب .

تقسيـــم الدولة الى ٣١ ولاية لكل واحدة كيانها الذاتي وادارتها المحلية بواسطة ثلاثة ضباط وحاكم مدني اومرزبان وكاتم اسرار وقائد عسكري .

ب – السلوقيون :

في عام ٣٣٠ بدأ الاسكندر المقدوني زحفه من القسطنطينية في اتجاه الساحل

---

(١) كان نبوخذ نصر قد سبى اليهود الى بابل ، وتشير المصادر التاريخية ان مجموعات كبيرة منهم استوطنت في اصبهان . وكان لها دور في دعم الأخمينيين ودفعهم لتدمير « بابل » . وان نص الوثيقة يذكر باعلان حقوق الانسان وجعل اليهود متساوين مع غيرهم من المواطنين الفرنسيين بعد الثورة الفرنسية ، وكذلك اعلان لائحة المساواة في انكلترا على يد رئيس وزرائهـــا اليهودي « دزرائيلي » وكذلك في اوربا والاتحاد السوفييتي فيما بعد . ومن المعروف ان اول مجلس سوفييت كان يضم ٢٧١ عضواً يهودياً من أصل ٣٨٨ عضواً .

(١) ص ٣٠ – ايران في الحضارة – سليم واكيم ، اصدار مطابع دار الكتب .

للسوري ، وبعد فتح صيدا وصور توجه نحو الداخل ثم وصل فارس وازال دولة «الأخمينيين» ، ثم تابع زحفه حتى شرق ايران وعاد بعد ذلك الى بابل حيث لقي حتفه .

بعد وفاة الاسكندر قسمت الامبراطورية الى ثلاثة اقسام بين قوادثلاثة :

١ — سلوقوس نيكاتور ، الذي اعلن نفسه حاكماً على ايران والعراق وقسم من آسيا الصغرى .

٢ — بطليموس وقد امسك بزمام الحكم في مصر .

٣ — لوسيماكوس — اليونان والقسم الغربي من آسيا الصغرى .

استمر حكم السلوقيين لفارس مئتي سنة قبل ان يتم طردهم نهائياً من «بلاد فارس» .

لقد افاد اهالي البلاد من حكم اليونان لهم فكرياً واجتماعياً ، كما افاد اليونان بدورهم ، ونتيجة لهذا التبادل الحضاري شهدت البلاد نهضة عمرانية وثقافية جيدة .

ج — الاشكانيون والفرتيون :

الاشكانيون — الفرتيون قبائل آرية من خراسان ، حكمت بلاد فارس ٤٧٢ .

استطاع أشك الأول طرد السلوقيين ، وتعاقب على حكم بلاد فارس من سلالته ثمانية وعشرون ملكاً اولهم يترداد الأول ٢٤٨— ٢١٤ ق. م. وآخرهم اردوان الخامس ٢١٦ — ٢٢٤ م .

اطلق العرب على هذه السلالة اسم «ملوك الطوائف» ، ولا اختلاف كبير بينهم وبين اسلافهم الأخمينيين .

امتزج الفرتيون بالميديين والفرس ، وانصهروا في بوتقة واحدة ، وتكلموا لغة واحدة هي الفارسية .

لم يختلف الاشكانيون ـ الفرتيون عن اسلافهم من حيث اسلوب الحكم او ادلراته واستطاعوا الصمود طوال ٣٠٠ عام في وجه الغزو الروماني ، وكانت الحرب سجالاً بين الطرفين .

تأثرت الدولة الغربية بالرومان نتيجة للاحتكاك الدائم بهم . وظهر ذلك في فن العمارة .

صمد الفرتيون ايضاً لغزوات البرابرة القادمين من آسيا الوسطى مبتدئين من الشمال الغربي للصين . وهذه احدى الموجات التي غزت اوربا .

٤ ـ الساسانيون :

كان اردشير بابكان القائد الفارسي ـ من السلالة الساسانية ـ وقد افاد من تدهور الاوضاع والتمزق الداخلي وحروب الاستنزاف الطويلة ، فاسقط اردوان الخامس وانتزع السلطة لنفسه ، وتعاقب على حكم فارس ستة وثلاثون ملكاً .

تميزت هذه الفترة بازدهار الفنون والآداب وتطور الحياة العسكرية وقد كان لذلك اثره على روما ، الدولة المنافسة التي اضطرت الى نقل عاصمتها وجعلها القسطنطينية بدلا من روما .

لقد كانت العوامل التي مزقت الاسرة الفرتية هي ذات العوامل التي مزقت الاسرة الساسانية وانتهت بها الى الدمار ، ويكفي ان نقول ان هناك ١٢ ملكاً تعاقبوا على حكم فارس في نهاية امرها خلال فترة ثلاثة اعوام فقط .

الأصل السكاني :

تشير الدراسات الى ان الهضبات الايرانية كانت منذ اكثر من اربعة آلاف سنة مقراً للاقوام الآرية البدائية . كما كانت ممراً لاقوام هبطوا اليها شمالا من اوربا ، فكانت بمثابة بوتقة صهرت فيها الشعوب الآسيوية الاوربية.

ان لفظـــة ايران هي كلمة محرفة عن Ariane ومنها اللفظة المعروفة حالياً «آري» وهي لتمييز سكان هذا الاقليم عن غيرهم من العروق السامية او او السلافية او التورانية الخ . اما كلمة «فارس» فهي اسم للاقليم الواقع جنوب غرب ايران على ضفة الخليج العربي وكانت تعتبر قلب الامبراطورية الفارسية ، ولهذا تم تعميمها لتشمل ايران كلها وتصبح مرادفة لها . هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان الاسرة الاخمينية التي اسست اول حكم لها فوق ايران كانت من سكان فارس ولهذا اعطت اسم فارس للاقليم كله .

كانت اللغـــة المستخدمة هي اللغة الآرامية ، وقد تطورت مع الزمن وهي المستخدمة حالياً في ايران .

الوضع الاجتماعي :

– وصلت الدولة الساسانية الى مرحلة متطورة في بناء السلم الحضاري . فقد تعلمت اقامة السدود من الرومان ، وكان لها نقودها الذهبية والفضية ، واشتهرت بصناعة الحرير ، كما ان تنوع اقاليمها افادها في تطوير الزراعة . وكان لالتقائها باليونان والرومان اثر كبير في تطوير المناخ الفكري ، وانماء الاحساس الفني : الغناء ، الموسيقى ، الرسم ، التصوير . وقـــد ظهرت الزرادشتية المبشرة باله واحد قبل ٧٠٠٠ سنة ق. م.
واتخذته الدولة الاخمينية مذهباً لها .

عـــاش زاردشت في القرن السابع قبل الميلاد ومات سنة ٥٨٣ قتلا بعد ان وصل عمره حتى ٧٧ عاماً . كان موطنه «اذربيجان» استطاع نقل مذهبه الى بلخ ومنها الى فارس .

خـــالف زاردشت فئة المجوس ، ونادى بوجود أهورا ، مزدا ، الإله الواحد ، وقد دخلت فكرة «يهوا» في التوراة – سفر اشعيا – في عهـــد الامبراطورية الفارسية .

وهكـــذا اصبح يعيش فوق ارض فارس مذهبان «المجوسية والزاردشتية »، ثم جاءت اليهودية خلال فترة السبي ،فاصبح هناك مذهب ثالث ، وعندما ظهرت النصرانية اصبح هناك النسطوريون واليعاقبة ، كما تسرب المزدوية والمانوية واخيراً جاءت المزدكية التي تفرعت عن المانوية . ويعود هذا المذهب الى اسم صاحبه مزدك الذي كان من اقواله :

[ان الله انما جعل الارض ليقسمها العباد بينهم بالتساوي بحيث لا يكون لاحدهم اكثر مما لغيره وقد أنشأ عدم المساواة بالقوة.فكل فرد يريد اشباع نهمه على حساب اخيه ، والحقيقة ان من كان عنده فضلة من الاموال والنساء والامتعة ، فليس هو أولى بها من غيره . فينبغي ان يأخذوا من الاغنياء للفقراء . وان يردوا من المكثرين على المقلين وذلك حتى يقيموا المساواة البدائية ، وينبغي ان تكون النساء والأموال شراكة بين الناس كاشتراكهم في الماء والنار] .

في عـــام ٤٨٨ م اصدر قباذ بن فيروز قوانين ثورية تبيح النساء والاموال وتحالف مع المزدكية للقضاء على قوة الأشراف . فقامت ثورة اشعل نيرانها الزاردشتيون — واندلعت في البلاد كلها — وبعدما انتهت فترة الزخم الثوري اجتمع الاشراف واقاموا مجلس الشورى،وعقد الصلح مع الملك وانتهت الأزمة.
ثم حيكت مؤامرة بين ولي العهد والزاردشتيين وابيدت جماعة المزدكية ، وكان ذلك في سنة ٥٣١ .

العلاقات بين الفرس والروم :

لم تكـــن العلاقات بين الفرس والروم جيدة ، وليست هناك حاجة ان نعود الى ايام الاسكندر الذي فتـــح فارس وحكمهـــا لمـــدة مئتي سنة . اننا سنقتصر هنا على علاقة آخر سلالة فارسية قبل الاسلام بالدولة المنافسة لها : الروم.

لقـــد كانت هناك بين الدولتين حروب مستمرة ، وها هو جـــدول بالحروب الرئيسية بينهما :

	اسم ملك الفرس	سنة	الحرب ضد امبراطور روما	موجز عن المعركة
١	الملك اردشير	٢٢٤ م.	ارمينيا حليفة روما	انتصار اردشير .
٢	» »	٢٢٥ م.	ما بين النهرين – جزء من الدولة	» »
٣	» »	٢٣١-٢٣٢	اسكندر سفيروس	سجالا . قاد الامبراطور الهجوم بنفسه دعماً لحلفائه .
٤	» شابور	٢٤٤	الامبراطور فيليبوس العربي	– صالح الامبراطور العربي – حاكم روما – وكان لمصلحة الفرس .
٥	» »	٢٦٠	» الروماني فاليريان	– استطاع شابور اسر فاليريان ، ونقل الاسرى الى تستر لبناء سد .
٦	» بهرام الثاني	٢٨٢	الامبراطور كاروس	وصل الروم الى المدائن وتنازل الفرس عن سوريا وارمينيا للروم .
	– انهارت الامبراطورية الرومانية وقامت على انقاضها الامبراطورية اليونانية البيزنطية التي يسميها العرب دولة الروم . – كما حدثت في هذه الفترة فتن وثورات داخلية تطلبت جهداً كبيراً حتى امكن اعادة توحيد دولة الفرس .			
٧	شابور الثاني	٣٥٩-٣٦٣	كونستانس وخلفه جوليان	هزمهم شابور وقتل جوليان بعد معارك اربعة اعوام .
٨	شابور الثاني	٣٧٦	بعد معارك طويلة عقد صلح لمدة ثلاثين سنة استعاد بموجبه الفرس سيطرتهم على نصيبين وسنجار والمناطق المتنازع عليها من ارمينيا . استؤنفت الحرب بعدها ثم عقد صلح للمرة الثانية مدته مئة عام . وفي السنوات الاخيرة من حكم بهرام الرابع اقتسمت فارس والروم ارمينيا فدخل القسم الأكبر وهو القسم الشرقي تحت سيطرة فارس .	

العلاقة بين الفرس والعرب :

على الرغم من الخلاف القائم بين الفرس والروم ، الا انهما كانا على اتفاق في نقطة واحدة هي عدم السماح للعرب بانشاء دولة قوية ، وعندما كانت تشعر احدى الامبراطوريتين بقوة قد تهددها فانها تدمرها بسرعة . لقد كان الفرس والروم يريدون للعرب قوة تمكنهم من القيام بدور مخفر متقدم للدفاع عن حدودهم وليس قوة تمكنهم من تحقيق كيانٍ ذاتي .

وانقسم العرب نتيجة ذلك الى ثلاثة تيارات .

١ ــ تيار يدعم قضية الدولة الغربية روما ــ والروم .

٢ ــ تيار يدعم قضية الدولة الشرقية فارس .

٣ ــ تيار يحاول الحفاظ على اصالته « متقوقع في اعماق الجزيرة » .

وقد يكون من المفيد استعراض تاريخ هذه العلاقة :

موقف الفرس من دولة البابليين :

قامت دولة البابليين على انقاض دولة الأكاديين ، واتخذ البابليون من بابل عاصمة لهم ، وتوسعت مملكتهم ايام حمورابي ١٧٢٨ ــ ١٦٨٦ ق . م . فامتدت من جنوب الرافدين جنوباً ودولة الآشوريين شمالاً حتى البحر المتوسط غرباً .

عمرت دولة البابليين ثلاثمائة عام ثم جاء الفرس فدمروا الدولة البابلية عام ١٥٣١ ق. م.

موقف الفرس من دولة الآشوريين :

الآشوريون مثل البابليين والأكاديين ، عرب ساميون نزحوا من الجزيرة العربية واستوطنوا اطراف الرافدين وخضعوا لاقربائهم البابليين .

عندما انهارت دولة بابل ، اعلن الآشوريون استقلالهم ، الا ان الفرس

« الميديون – الإشكانيون – الفرتيون » بسطوا نفوذهم عليهم ، ولما حدثت انشقاقات داخلية في ايران افاد العرب الآشوريون فوسعوا بلادهم حتى شملت سوريا وفلسطين ومصر .

تعـــاون الكلدانيون – العرب مع الميديين ودمروا الدولة الآشورية واستولوا على نينوى عام ٦١٢ ق. م.

موقف الفرس من الكلدانيين ، الدولة البابلية الثانية :

جـــدد الكلدانيون بناء بابل ، ووسعوا رقعة دولتهم حتى شملت سوريا وفلسطين ، وكان اشهر ملوكهم نبوخذ نصر – بختنصر الذي ازال دولة يهوذا وقام بسبي اليهود ونفاهم الى بابل عام ٥٩٦ ق. م .

انتهت دولـــة الكلدانيين على يد قورش الأول الفارسي عام ٥٣٩ الذي دمر بابل وحرر اليهود وأعلن اول وثيقة لحقوق الانسان .

موقف شابور الثاني من العرب « ذي الاكتاف» :

شـــابور الثاني هو ثامن ملوك الاسرة الفارسية الثالثة « الساسانيون » ٣٠٩– ٣٧٩ م.

اراد الانتقام لما حدث في بداية عهده من تحالف بين العرب والهياطلة ، فجرد حملة ضد القبائل العربية وكان لا يقبل فدية او غنيمة ، ومضى حتى وصل الى هجر وفيها قبائل بني تميم وبكر بن وائل وعبد قيس ، ثم اتى اليمامة وتمركز في بلاد بكر وتغلب واتبع مع العرب اسلوب الابادة ونزع اكتاف خمسين الفاً منهم حتى لقب « بذي الأكتاف » ولم يرتدع حتى جابهته نسوة من العرب وقالت له سيدة عجوز :

[ايها الملك ان كنت تطلب ثأراً فقد ادركت وزدت ، وان كنت تعم قبائل العرب بالقتل . فاعلم ان لهذا قصاصاً ولو بعد حين] .

عـــاد شابور الثاني الى عاصمته « نهوند » بعد ان اباد قبائل عربية بكاملها .

موقف الفرس من المناذرة :

في منتصف القـــرن الثاني للميلاد ، نزحت قبائل عربية من قلب الجزيرة واستوطنت اطراف الرافدين وجعلت من الحيرة عاصمة لها ، وأفاد المناذرة من ضعف الفرس فوسعوا رقعة دولتهم .

اعتـــبر الفرس دولـــة المناذرة تابعة لهم ، ومخفراً امامياً يدفع عنهم هجمات العرب ويدعمهم ضد خصومهم الروم ، وأقاموا فيهـــا حاميات عسكرية .

حـــدثت خلافات بين المناذرة بسبب الحروب الخارجية ، وتدخل كسرى في الخلاف فخلع النعمان بن المنذر وقبض عليه وقتله وعين مكانه اياس بن قبيص .

كـــان لقتل المنذر صدى سيء في نفوس العرب ، علاوة على نقمة العرب السابقة ضد الفرس . وقد حاول كسرى الامعان في اذلال العرب فبعث الى هانىء بن مسعود ، يطالبه بتسليم الاسلحة والدروع التي اودعها عنده المنذر قبل قتله . ورفض هانىء بن مسعود الشيباني .

ســـير كسرى جيشاً لتأديب هانىء ، فاستنفرت القبائل العربية ،والتحمت في معركة ضد الفرس وانتصرت عليهم في معركة « ذي قار » عام ٦١٠ م .

* * *

ان مـــا ذكر هنا من علاقات عدائية بين الفرس والروم من جهة وبين الفرس والعرب من جهة اخرى لم يكن عائقاً امام استمرار علاقات وديـــة بين هذه الاطراف الثلاثة .

كـــان الفرس والروم يهتمون باستمرار المبادلات التجارية واقامة العلاقات الودية خلال فترات السلم ، مع ما يتبع ذلك من تبادل للوفود ، وارسال الهدايا . وكان حرير ايران يصل روما ، واسلحة روما تصل ايران ، وكان العرب يفيدون من ذلك كوسطاء بين الطرفين .

ومـــن ناحية اخرى كان الفرس يشعرون باهمية الدور الذي يمارسه حلفاؤهم من العرب للدفاع عن حدود امبراطوريتهم فكانوا يتخذون مـــن بعضهم اصدقاء لهم ، الى حين .

الموقف العام عشية الفتح الاسلامي للعراق .

١ ـ الوضع الداخلي ـ:

كانت الجبهـــة الداخلية لبلاد فارس عشية الفتح الاسلامي ممزقة متداعية، ضعيفة . ومن اهم عوامل التمزق ما يلي :

ا ـ ثورة المزدكية ، لقد تسببت الثورة الشيوعية في تمزيق وحدة الصف الوطني الايراني وكانت الحرب الأهلية التي وقعت بين الزاردشتية والمزدكية من العوامل الهامة في فقدان تلاحم قوى الشعب . وعلى الرغم من القضاء على الثورة الشيوعيـــة ٥٣١ وابادة اصحابها الا ان عقابيلها لم تنته . وكان هناك هوة كبيرة قد اصبحت تفصل بين الحكم وبين الجماهير . وبالاضافة الى ذلك فقد كانت هناك المذاهب الاخرى كالمسيحية واليهودية ، وكلها تحاول دفع الاكاسرة للوقوف الى جانبها مما دفع رجال القصر الى تبديد جهودهم فـــي النزاعات الداخلية عوضاً عن حشد الطاقات كلها لمجابهة الاخطار الخارجية .

ب ـ النزاع على السلطة :

ارتقى كسرى الأول « انو شروان » عرش فارس عام ٥٣١ ، وكان عصره ازهى عصور الدولة الساسانية ، فقد عرف عنه العدل والتسامح حتّى قـــال الرسول الاعظم بحقه :

[ولدت في زمن الملك العادل] .

واستطاع كسرى اعادة توحيد المملكة وفرض سيطرته على الاقاليم المختلفة من ايران ووطد مكانة الدولة خارجياً بدعم الغساسنة والاستيلاء على انطاكية وتدميرها بالاضافة الى فرض سيطرته على اليمن .

عندمـــا توفي كسرى ٥٧٨ م خلفه هرمزد الرابع ، وكان كأبيه في عدالته وقوته ، الا ان رواسب التمزق وبذور التفرقة استطاعت ان تنبت ثورة قادها بهرام قائد الجيش الذي نصب نفسه ملكاً وقد استطاع هرمزد استعادة حقوقه وطرد بهرام الذي هرب الى بلاد الترك .

ثم جـــاء كسرى الثاني وحاول اعادة السلطة الداخلية والفتوح الخارجية وطرد هرقل فوكاس الرومي ، فجردت بيزنطة جيشاً وصلت به حتى المدائن فهرب كسرى ، ثم قتل بيد نبوهرمزد وخلفه قباذ الثاني الذي حكم ستة اشهر فقط .

خلـــف قباذ الثاني ابنه اردشير الثالث ، وتعاون الروم مع اهل البلاد فقتل الملك الصغير اردشير الثالث ولم يمض على حكمه سوى سنة ونصف ، ونصب شهربراز القائد العسكري نفسه ملكاً على فارس .

ثم بويـــع كسرى الثالث ابن الامير قباذ وشقيق كسرى الثاني ملكاً على القسم الشرقي من الدولة ، الا ان حاكم خراسان قتله .

تولـــت « بوران » ابنة كسرىابرويز امور المملكة الا انها توفيت بعد سنة واربعة اشهر بعد أن اعادت الصليب الذي صلب عليه السيد المسيح الى القدس في ١٤ ايلول سنة ٦٢٩ ، وهو العيد الذي يحتفل به المسيحيون ويعرفونه باسم « عيد الصليب » .

استولـــت أزر ميدخت على السلطة بعد شقيقتها بوران . فاقدم رستم – احد قواد الجيش – على احتلال المدائن وقتل الملكة ، وتعاقب بعد ذلك عـــلى حكم فارس عشرة ملوك وملكات خلال فترة اربعة اعوام ، واخيراً تم اختيار يزدجرد ابن الامير شهريار ملكاً في محاولة لتوحيد المملكة الممزقة ، واعلن

تتويجه عام ٦٣٢ – عام وفاة الرسول الاعظم – واتحدت المملكة تحت حكم يزدجرد الثالث آخر ملوك الدولة الساسانية .

ج– الحروب الخارجية :

استنزفت الحروب المستمرة بين فارس وبيزنطة جهد الدولة الفارسية . وزاد في الامر سوءاً وصول الروم الى عاصمة الفرس مما ازال هيبة السلطة وافقدها مبرر وجودها وترك الفرصة امام حكام المقاطعات للاستقلال باقاليمهم وهكذا زالت وحدة الدولة ، ولم تعد الروابط بين الاقاليم قوية مما جعل جيش كل اقليم مستقلاً عن الجيش الآخر ، وتبعثرت القوى .

وعلاوة على ذلك فان الحروب ضد الغزاة البرابرة على شرق ايران والحروب ضد الهياطلة وضد الترك من الشمال ضاعفت من تمزق الدولة وانحطاطها .

ان الحروب ضد العرب وتذمر العرب من سيطرة الفرس افقدهم ايضاً حليفاً قوياً .

ونتيجة لهذه العوامل اصبحت دولة الفرس اضعف من الصمود امام الريح العاصفة التي اخذت تنطلق من رمال الجزيرة العربية .

كانت معركة القادسية بداية النهاية بالنسبة لزوال الدولة الفارسية – الساسانية .

وكانت معركة نهاوند بمثابة تصفية نهائية لهذه الدولة قبل التوغل الاسلامي إلى قلب الهضبة الايرانية والوصول حتى حدود الصين .

فتـــح العراق

جدول توقيت الاحداث

١٠ هـ	٦٣١ م	وفاة الرسول القائد وتولي ابو بكر الخلافة
١١ هـ	٦٣١ م	المثنى بن حارثة داعية للاسلام في العراق ، وقائداً للمسلمين .
١٢ هـ	٦٣٢ م	توجه خالد بن الوليد الى العراق لقيادة العمليات
١٣ هـ	٦٣٢ م	توجه خالد بن الوليد الى الشام
١٣ هـ	٦٣٢ م	العراق بقيادة المثنى وابو عبيد الثقفي
١٣ هـ	٦٣٢ م	وقعة الجسر ووفاة ابو عبيد ثم المثنى بعد ذلك
١٣ هـ	٦٣٢ م	وقعة اليرموك
١٣ هـ	٦٣٢ م	وفاة الصديق وتولي ابن الخطاب الخلافة .
١٤ هـ	٦٣٣ م	وقعة القادسية .

البداية ما بين الفتح والقادسية :

عندما توفي الرسول الاعظم كانت الجزيرة العربية قد توحدت على كلمة الإسلام واخذت الابصار تتطلع الى نشر الدين خارج حدود الجزيرة ، ولما تولى ابو بكر الخلافة ، وارتد من ارتد . ركز ابو بكر جهده لاعادة توحيد الجزيرة واعطى هذه العملية الافضلية الأولى . وعندما استتب الامر للخليفة واصبح بامكانه الانطلاق من قاعدة قوية وأمينة . انتقل الى المرحلة الثانية وهي نشر الاسلام خارج حدود الجزيرة ، فوجه خالد بن سعيد على رأس جيش كمقدمة لعمليات الجبهة الشمالية وفتح الشام .

كـــان المثنى بن حارثة الشيباني قد استأذن ابا بكر في ان يعهد اليه وقومه مهمة فتح العراق ، واذن له ابو بكر ، فانطلق المثنى داعياً وقائداً .

كـــان خالد بن الوليد قائداً من بين احد عشر رجلا حملوا شرف القضاء على الردة ، وكانت المجموعة التي كلف بالقضاء عليها من اخطر المجموعات المناوئة للاسلام . فلما انتهى خالد من تصفية طلحة الاسدي ثم مالك بن نويره توجه الى « اليمامة » وخاض اعنف المعارك واقساها ، وانتهت حروب الردة .

وكان المثنى في وضع غير جيد .

حول الخليفة ابو بكر ثقل العمليات الى الجبهتين الشمالية والشرقية بشكل متعادل ، فاصدر اوامره الى ابن الوليد بالتوجه لدعم المثنى على رأس قوته المكونة من ستة آلاف مقاتل . وانضمت قوات المثنى الى قوات خالد ،

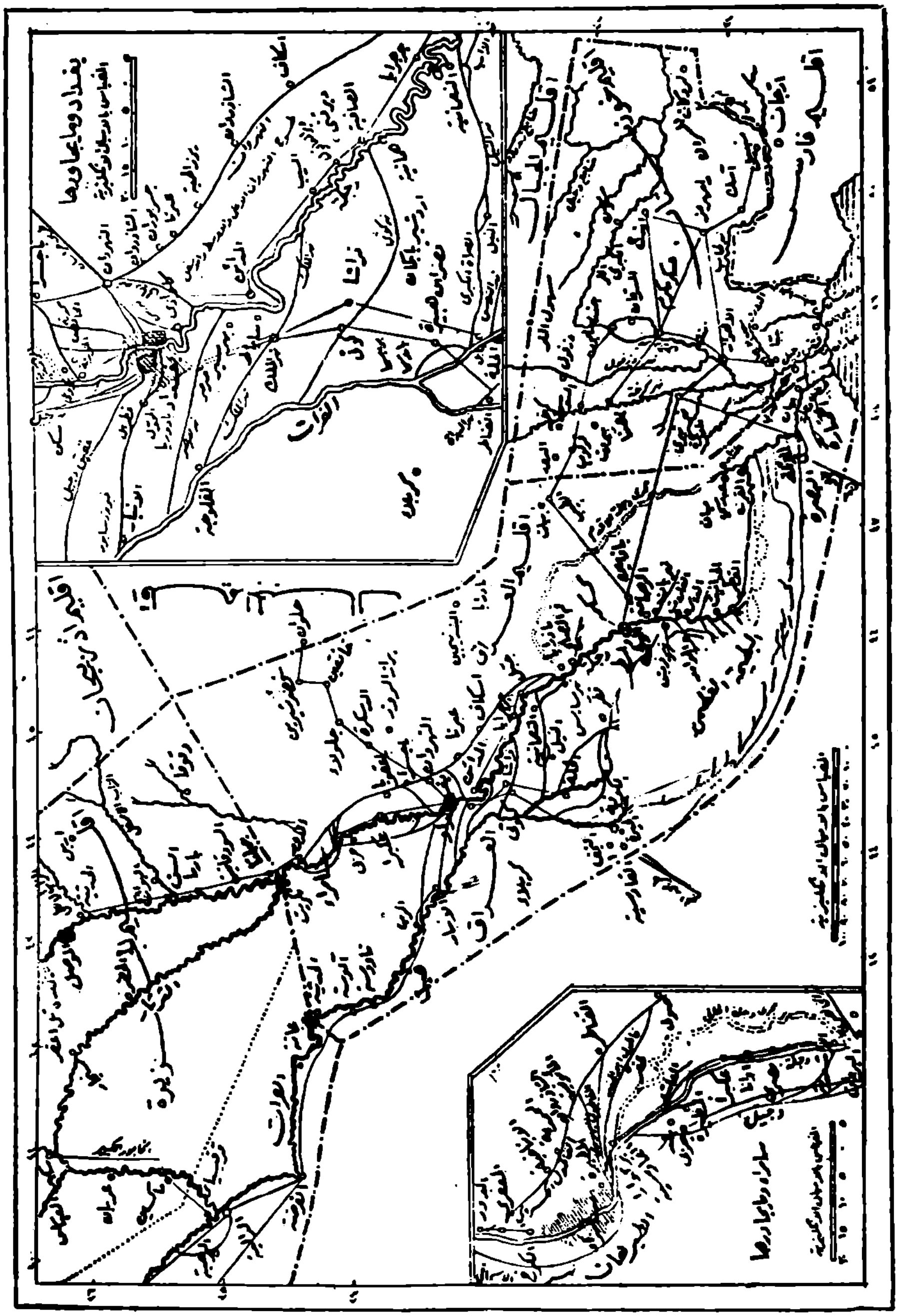
واستطاع خالد خلال فترة قصيرة ان يخضع قسماً كبيراً من بلاد الرافدين . وكان ذلك في السنة الثانية عشرة للهجرة ، وبداية السنة الثالثة عشرة للهجرة .

شهـــدت معارك الشام تحولات خطرة ، ولم تكن القوات العربية الاسلامية المنطلقة من قلب الجزيرة تستطيع تلبية متطلبات جبهتين في وقت واحد ومجابهة قوات دولتين عريقتين فاصدر الخليفة ابو بكر اوامره إلى خالد بن الوليد بمغادرة العراق والتوجه الى الشام ونقل مركز ثقل الهجوم الى الشمال .

عـــلى الرغم من الضعف الذي اصيبت به الجبهة الشرقية ، فقد استطاع المثنى الصمود وخوض معارك مشرفة ، حتّى كانت معركة الجسر التي شهدت اول مأساة في معارك الجبهة الشرقية حيث هزم المسلمون هزيمة منكرة .

في تلك الفـــترة كانت معركة الجبهة الشمالية قد انتهت بنصر المسلمين في اليرموك واجنادين ، واصبح بالامكان تقديم دعم اكبر فتّم توجيه قوات من الشام الى العراق مع ارسال سيل مستمر من الدعم والامداد لجبهة العراق .

وكـــان الخليفة الاول ابو بكر الصديق قـــد انتقل الى الرفيق الأعلى واستلم الحكم عمر بن الخطاب خليفة للمسلمين ، وكان من اول الخطوات التي اتخذها ابن الخطاب لدغم الجبهة الشرقية هي السماح لمن اسلم من المرتدين بالقتال في جيوش المسلمين دون ان يعين احداً منهم في مناصب قيادية .



اقليما العراق وخوزستان مع قسم من اقاليم الجزيرة

فتح العراق

من اليمامة الى القادسية

التحرك الى العراق :

كـــان المثنى بن حارثة الشيباني قد استأذن الخليفة ابو بكر الصديق في فتح العراق ، فاذن له وتوجه المثنى داعية لقومه وقام بمجموعة من العمليات الصغرى وركز اهتمامه على نشر الاسلام بالدعوة ونشر الأنصار بين القبائل العربية ، وكان مذعور بن عدي يمارس الدور ذاته ويدعم المثنى في نشاطه . ولم يكن باستطاعة الخليفة ابو بكر تقديم دعم كبير لهما نظراً لانشغاله بحروب الردة .

عنـــدما انتهى خالد من معاركه مع المرتدين ، ونجح في تصفية المقاومة في « اليمامة » وردته رسالة الصديق :

[سر الى العراق حتى تدخلها ، وابدأ بفرج الهند وهي الأبله (١) وتألف اهل فارس ومن كان في ملكهم] (٢) .

وفي الوقت ذاتـــه وجه الخليفـــة الصديق رسالة الى عياض بن غنم وكان بين البناج والحجاز جاء فيها :

(سر حتى تأتي المصيخ – فابدأ بهـــا – ثم ادخـــل العراق مـــن اعلاها حتى تلقى خالداً . وأذنا لمن شاء بالرجوع ولا تستفتحا بمكروه) .

وارسل ابو بكر صورة عن الرسالة الى خالد بن الوليد .

عندمـــا وصلت الرسالة الى خالد وعياض ، اطلعا عليها المقاتلين فرجع اهل المدينة ومن حولها من المقاتلين . فارسل خالد وعياض يعلمان الخليفة بالموقف فارسل الخليفة ابو بكر القعقاع بن عمرو التميمي الى خالد بن الوليد ، وارسل

---

(١) الأبلة : كانت مدينة بجوار البصرة حالياً .

(٢) تاريخ الطبري ٣٤٣/٣ .

عبد بن عوف الحميري الى عياض بن غنم وكتب اليهما . :

[استنفرا من قاتل اهل الردة ومن ثبت على الاسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا يغزونّ معكم احد ارتد حتى أرى رأيي] (١)

لم ينتظر خـــالد قدوم الدعم ، وكتب الى حرملة وسلمة والمثنى ومذعور حتى يلحقوا به على محور « الأبلة » وحدد لهم يوم التجمع ، وانصرف يستنفر القبائل ويحشد القوى فتجمع لديه ثمانية آلاف مقاتل من ربيعة ومضر وكان قد بقي معه بعد اليمامة الفان من المقاتلين فاصبحت مجموع قوته عشرة آلاف مقاتل.

في الموعـــد المحدد وصل القادة الأربعة « المثنى ومذعور وسلمة وحرملة » ومعهم ثمانية آلاف مقاتل فاصبح مجموع القوة التي معه ثمانية عشر الف مقاتل .

الصلح مع بانقيا واليس وباروس . محرم ١٢ هـ ـ ٦٣٣ م :

كـــان البصيري بن صليبة حاكماً على بانقيا وباروس وأليس من قبل الفرس . ولما وصل خالد بجيشه تصدى البصيري لجيش المسلمين ، وبعد معركة قصيرة وحاسمة انتصر المسلمون ، وعرض البصيري الصلح فقبل خالد بن الوليد وصالحه(٢) ثم غدر وحدثت معركة اليس التي سيرد ذكرها فيما بعد والتي ذكرها ابو محجن الثقفي في قصيدة له .

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٣٤٧ .

(٢) قال ضرار بن الازور الاسدي يصف معركة بانقيا :

أرقت ببانقيا ومن يلق مثل ما ... لقيت ببانقيا من الحرب يأرق

وقال ابو محجن الثقفي يصف معركة أليس على الفرات :

وما رمت حتى خرقوا برماحهم ... ثيابي وجادت بالدماء الأباجل
وحتى رأيت مهرتي مزوبـــرة ... من النبل يدمي نحرها والشواكل
وما رحت حتى كنت آخر رائح ... وضرج حولي الصالحون الأماثل
مررت على الانصار وسط رجالهم ... فقلت الا هل منكم اليوم قافل
وقربت رواحاً وكوراً وغرقة ... وغودر في أليس بكر ووائل

التاريخ الكامل لابن الأثير ٢/٢٦٤ .

الصلح مع الحيرة :

عندما علم قبيصة بن إياس بالصلح الذي عقد مع بانقيا وباردس وأليس اسرع في وفد من اهل الحيرة وعرض الصلح على خالد بن الوليد ، وتم توقيع اتفاقية الصلح بين الطرفين (١) .

١ ــ التوجه الى «الأبلة» «وموقعة ذات السلاسل» او الثني محرم ١٢ هـ ــ ٦٣٣ م

توقف خالد قبل دخول حدود العراق وقسم جيشه على اربعة مجموعات قتالية كالتالي :

١ ــ المجموعة الأولى بقيادة المثنى بن حارثة الشيباني وجعل دليله ظفر .
٢ ــ المجموعة القتالية الثانية بقيادة عدي بن حاتم وجعل دليله مالك بن عباد.
٣ ــ المجموعة القتالية الثالثة بقيادة عاصم بن عمرو وجعل دليله سالم بن نصر.
٤ ــ مجموعة قتالية رابعة بقيادته وجعل دليله رافع الطائي .

وعندما انهى استعداداته للقتال ونظم قواته ، أرسل رسالة الى هرمز حاكم «الأبلة» يطلب اليه الدخول في الاسلام او دفع الجزية والا فالحرب ، ثم اطلق المجموعات القتالية بفاصل يوم واحد ما بين المجموعة والاخرى ، وطلب الى قادة المجموعات التوجه على محاور مختلفة والالتقاء في الحفير .

عندما وصلت رسالة ابن الوليد الى هرمز ، كتب الى شيري بن كسرى واردشير بن شيري واعلمهما بالموقف وحشد القوات الجاهزة لديه واسرع بالتوجه الى الكواظم للقاء ابن الوليد ، ولما وصلها علم ان جيش المسلمين متوجه الى الحفير ، فقاد قواته الى الحفير . وانصرف الى تنظيم قواته فوضع على مجنبتيه قباذ وأنوشجان أخوي يلاقيان «أردشير وشيري» وقيد جنده بالسلاسل .

---

(١) نص اتفاقية الصلح ، تاريخ الطبري ٣٤٣/٣ والتاريخ الكامل لابن الأثير ١٢٢/٢ .

لما بلـــغ خالد ان هرمز قد سبقه الى الحفير ، وجه قواته الى كاظمة ، وبلغ هرمز ذلك ، فقاد قواته الى الكاظمة ونظم مواقعـه بحيث يقـف بـــين جيش المسلمين وبين نهر الفرات حتى يحرم المسلمين من مواردها الحياتية . ولما شهد خالد ذلك قال لجنده :

[الا انزلوا وحطوا اثقالكم – فلعمري ليصيرن الماء لأصبر الفريقين واكرم الجندين] (١)

كانت القبائـــل العربية المستوطنة في العراق تكره هرمز وتضرب الامثال به ، فتقول (أخبث من هرمز وأكفر من هرمز) وكان هذا العامل من العوامل المساعدة لخالد بن الوليد في معركته .

بـــدأ القتال بين جيش المسلمين وجيش الفرس ، واندفع خالد في اتجاة هرمز بينما اندفع القعقاع بن عمرو في اتجاه المجموعة المدافعة عن القائـــد ، ونجح خالد بقتل هرمز منذ اللحظة الأولى للمعركة ، كما نجح القعقاع في ابادة المجموعة المدافعة عن القائد ، واستمرت المعركة طوال النهار وقسماً مـــن الليل ، وانتهى القتال بتدمير القوة الرئيسية للجيش وفرار البقية ومعهم قباذ وانو شجان .

انصرف خـــالد بعد المعركة الى اعادة تنظيم جيشه ، فارسل المثنى بن حارثة لمطاردة الفارين من المعركة واستثمار الظفر . ثم قام بتقسيم اربعة اخماس الغنائم على المقاتلين ، وارسل الخمس الى الخليفة ابي بكر في المدينة . ثم ارسل معقل بن مقرن الى « الأبلة » لجمع الأموال ، والغنائم .

٢ – وقعة المذار ، صفر ١٢ هـ – ٦٣٧ م :

وصلت رسالـــة هرمز الى اردشير وشيرين وبها المعلومات عن تحرك خالد.

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٣٤٩ .

فوجه اردشير قارن بن قربانس لدعم هرمز . وعندما وصل قارن الى المذار وصلته المعلومات عن هزيمة قوات الفرس في كاظمة ومقتل هرمز ، ثم اخذت بقايا جند المعركة الفاشلة تنضم اليه فاعاد تنظيم جيشه وعين لقيادة مجنبتيه قباذ وأنوشجان .

توفــرت المعلومات عند عناصر الاستطلاع عن تجمع الفرس بقيادة قباذ ، فارسل المثنى بها الى ابن الوليد . فاسرع خالد بالتوجه الى المــذار وكان قباذ قد انهى استعداداته القتالية .

نظــم خالد جيشه على نحو يماثل تنظيمه السابق ، ووضع في مخططه بدء المعركة بقتل القادة لا سيما وقد شهد اثر ذلك ونتائجه في معركته السابقة .

بــدأ القتال باندفاع خالد في اتجاه « قارن » يريد قتله ، فسبقه معقل بن الاعشى بن النباسي فقتله ، واسرع عاصم بن عمرو الى الانوشجان فقتله ، كما اسرع عدي بن حاتم إلى قباذ فقتله ، وارتفعت حدة القتال ، الا ان مقتل قادة جيش الفرس كان حاسماً في تحول الموقف ، ولم تلبث المقاومة ان بدأت بالتدهور ، واسرع جيش الفرس الى السفن فركبوها ، وطاردهم جيش المسلمين فلم يتمكن من النجاة الا من استطاع ركوب السفن ، ووقف جيش المسلمين امام الشاطىء وجنده عاجزون عن الاستمرار في المطاردة .

كانت نتيجــة المعركة قتل ٣٠,٠٠٠ من جيش الفرس باستثناء من مات غرقاً .

اعــاد خالد بن الوليد تنظيم قواته بسرعة ، فعين سعيد بن النعمان قائداً للجند من المشاة وكلفه بتنظيم « المسالح ومخافر المراقبة » . وعين سويد بن مقرن المزني لجمع الفيء وامره بارسال عماله للجباية (١) .

---

(١) جاء في كتب التاريخ ان فتح الابلة قد تم ايام عمر بن الخطاب وعلى يد عتبة بن غزوان في السنة الرابعة عشرة للهجرة . ومن الارجح ان تكون قد افتتحت على يد خالد . ثم تمردت مثلما حدث في اكثر مدن العراق وفارس فاعاد عتبة فتحها .

٣ ـ موقعة الولجة ، صفر سنة ١٢ هـ ـ ٦٣٧ م :

الولجة فيما يلي كسكر على البر « عند الضفة الغربية لدجلة مكان واسط حالياً » .

وصلت أنبـــاء هزيمة « هرمز » في معركة « الثني او ذات السلاسل »فارسل أردشير أوامره الى «الاندرزغر» بالتوجه لقتال المسلمين .

وارســـل اردشير في الوقت ذاته اوامره الى بهمن جاذويه بتوجيه جيشه لدعم « الاندرزغر » .

كـــان « الاندرزغر » فارسياً من مولدي السواد ، وعندما وصلته الأوامر بالتحرك غادر المدائن حتّى كسكر متبعاً في تحركه الشاطىء الشرقي لنهر دجلة . اما « بهمن جاذويه » فانه اتبع الطريق الداخلي ولم يتحرك بسرعة بانتظار نتيجة معركة « الأندرزغر » .

نجـــح « الاندرزغر » في حشد المقاتلين ما بـــين النهر وكسكر من عرب وغير عرب واقام لهم معسكراً الى جانب معسكر بالولجة ، ولما انهى تحشده عزم على التوجه الى الحفير للقاء جيش المسلمين .

افادت عنـــاصر الاستطلاع والانصار بتقدم « الاندرزغر » فاصدر خالد ابن الوليد اوامره بالتحرك . وترك سويد بن مقرن في الحفير وامره بالبقاء فيها وعدم مغادرتّها .

تقـــدم خالد على محور مواز لنهر دجلة ، ودفع عناصر الاستطلاع في كل اتجاه حتّى وصل « الولجة » ووضع مخططه كالتالي :

ا ـ وضع كمين بقيادة بسر بن ابي رهم الى الشمال من جيش الفرس .

ب ـ وضع كمين بقيادة سعيد بن مرة العجلي الى الجنوب من جيش الفرس .

واصدر اوامره الى قائدي الكمينين بالبقاء في مواقعهما ، واتقان التمويه ، وعدم القيام بالهجوم الا عندما تشتد المعركة ويصبح بامكان قوة الكمينين مباغتة قوة الفرس بالهجوم من الخلف .

بـــدأت المعركة ضارية منذ لحظاتها الأولى ، واشتد القتال الى درجة اخذ فيها خالد بن الوليد يخشى الهزيمة ، واستبطأ قيام قوة الكمينين بهجومهما ، وفي اللحظة الحاسمة التي وصلت فيها المعركة ذروتها ، ظهر جند الكمينين خلف قوة الفرس وبدأت عملية ابادة قوات الخصم ،وشعر الفرس بتحول مسيرة المعركة فاخذوا في الفرار من بين قبضة الكمين التي اطبقت عليهم من الخلف وقوة الجيش التي تهاجمهم من الامام ، ومضى الاندرزغر في هزيمته ، ومات عطشاً لعدم قدرته الوصول الى الماء (١) .

٤ ــ موقعة أليس على الفرات ، صفر سنة ١٢ هـ ــ ٦٣٧ م .

كـــان عدد قتلى العرب من بني بكر بن وائل كبيراً في معركة الولجة ، مما اغضب القبائل العربية الموالية للفرس واستثارها ، فتجمعوا في « أليس » على الفرات وعليهم عبد الاسود العجلي . وكان اشد الناس عداوة لاولئك الموالين للفرس ابناء عمومتهم من مسلمي بني عجل امثال عتيبة بن النهاس وسعيد بن مرة وفرات بن حيان والمثنى بن لاحق ومذعور بن عدي .

اتصـــل قادة بني بكر وغيرهم بأردشير وطلبوا دعمه لقتال خالد بن الوليد ، فارسل اردشير رسالة الى بهمن جاذويه يطلب فيها التوجه لقتال العرب. وكان من عادة الفرس تكوين قوة احتياطية يقع عليها عبء القتال ، وتتكون هذه القوة من جيش احد الاقاليم ، فكتب اردشير ايضاً الى قائد القوةالاحتياطية في ذلك اليوم « بهمن روز » وكان بقسيانا الرسالة التالية :

[سر حتى تقدم أليس بجيشك الى من اجتمع بها من فارس ونصارى العرب]

وتوجـــه بهمن روز في اتجاه أليس ، كما عمل « بهمن جاذويه » عـــلى توجيه مقدمة بقيادة « جابان » ووعده ان يلحق به بعد اجراء اتصال مع الملك

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٣٥٣ ــ والتاريخ الكامل لابن الاثير ٢/٢٦٤ .

أردشير . وذهب بهمن جاذويه الى الملك ، فوجده مريضاً ، فاقام ينتظر ولم يتوجه الى القتال .

عندمـــا وصل جابان الى « أليس » كان قد تجمع بها قبائل عبد الاسود في نصارى العرب من بني عجل وتيم اللات وضبيعة وعرب الضاحية من اهل الحيرة ، وكان جابر بن بجير نصرانياً فقدم دعمه الى عبد الاسود وسانده في معركته . وانضمت قوى المسالح الفارسية « مفارز المراقبة » الى هذه القوة واخذ « جابان » ينظم قواته للمعركة .

علـــم خالد بن الوليد بتجمع العرب ، فاراد القضاء على هذا التجمع قبل وصول قوات الدعم الفارسية ، ولهذا اصدر اوامره للتحرك بسرعة ، وعندما وصل اليس كان « جابان » قد سبقه . واستعد للقتال ، ونظراً لوصول خالد وجيشه في الموعد الذي كان يتناول فيه جند الفرس طعامهم ، فقد انتظروا ولم يدخلوا في المعركة على أمل الحصول على فرصة كافية يتمكنون خلالها من تنظيم قواتهم قبل بدء القتال ، واقـــترح جابان وضـــع السم في الطعام وتركه لخالد وجيشه الا ان القبائل العربية رفضت ذلك واجابت انها لن تكون اكثر من معركة قصيرة يستطيع المقاتلون خلالها او بعدها تناول طعامهم .

اسرع خالـــد مع مجموعة من المقاتلين حتى وصل الى جوار معسكر خصومه ووقف منادياً :

أين ابجر ؟ اين عبد الاسود ؟ أين مالك بن قيس ؟ ولم يخرج له سوى مالك.

فقال له خالد :

ما جرأك علي من بينهم يا ابن الخبيثة . وليس فيك وفاء وضربه فقتله .

تصـــدى جابان لقتال خالد وكان على ميمنة جابان عبد الاسود وعـــلى ميسرته ابجر ، ودارت رحى معركة طاحنة صمد فيها الفرس صموداً بطولياً على امل وصول قوات الدعم الرئيسية بقيادة بهمن جاذويه » .

كما صمد فيها العرب انصار الفرس انتقاماً لقتلاهم ، واظهر جند المسلمين بطولات رائعة وقاتلوا بعناد حتى نالهم الارهاق وشهد خالد قسوة المعركة فقال :

[**اللهم ان لك علي إن منحتنا اكتافهم ألا استبقي منهم احداً قدرنا عليه حتى اجري نهرهم بدمائهم**] (١) .

اخـــذ جند المسلمين في انتزاع النصر شيئاً فشيئاً ، ثم اخذت الهزيمة تلاحق جند اعدائهم . فأرسل خالد منادياً يقول :

[**الأسر ، الأسر ، لا تقاتلوا الا من امتنع**] (٢) .

استمـــرت عملية المطاردة وجمع الاسرى ثلاثة ايام ، ثم بدأت عملية الابادة طوال يوم وليلة ، حتى سال النهر مصطبغاً بلون دم القتلى ، وسمي ذلك الرافد منذ ذلك التاريخ بنهر الدم . وبلغ عدد قتلى الخصم ٧٠,٠٠٠ سبعين الف قتيل كان اكثرهم من « أمغشيا أو منشيا » .

عندما انتهت المعركة قال خالد بن الوليد :

[**ما لقيت قوماً كقوم لقيتهم من أهل فارس ، وما لقيت من اهل فارس قوماً كأهل أليس**] .

توجـــه خالد بعد المعركة فوراً الى « أمغشيا » ، وكان اهلها قد غادروها . فأمر خالد بهدمها واستباحتها ، وكانت أمغشيا مدينة تنافس « الحيرة » بحيث كانت « اليس » مخفراً متقدماً لحمايتها والدفاع عنها ، وكان « فرات بادقلي » ينتهي اليها .

قسم خالـــد الغنائم وارسل الخمس الى الخليفة ابي بكر مع رسالة يشرح له الموقف ويعلمه بنصر المسلمين ، فوقف ابو بكر في قريش قائلا :

---

(١) و(٢) تاريخ الطبري ٣/٣٥٩ والتاريخ الكامل ، لابن الاثير ٢٢٦ .

[عدا أسدكم على الاسد . فغلبه على خراذيله(١) أعجزت النساء ان ينسلن مثل خالد(٢)] .

٥ - يوم المقر ، وفم فرات بادقلي سنة ١٢ هـ. - ٦٣٧ م :

كان مرذبان الحيرة « الأذاذبة » يحكم الحيرة باسم الفرس :

عندما علم « الاذاذبة » بنصر المسلمين في « أليس » وتدميرهم بلدة « امغيشيا » اخذ في الاستعداد للقتال .

اراد خالد بن الوليد الاسراع في تقدمه ، فحمل جند المشاة في المراكب ومعهم الانفال والاثقال ، وغادر امغيشيا ، والفرسان يسيرون الى الجهة الغربية من نهر الفرات . ولم تسر المراكب سوى مسافة قصيرة حتى وقفت المراكب في عرض النهر ، واستعلم خالد من الملاحين عن سبب انقطاع المياه فاعلموه ان اهل فارس قد حولوها عمداً الى الانهر الفرعية .

اسرع خالد وقاد زمرة من الفرسان حتى وصل « فم العتيق » فوجد مفرزة من قوة العدو في « المقر » فباغتها خالد بهجومه وابادها ، ثم تابع تقدمه بسرعة حتى وصل « فم الفرات » ووجد ابن الاذاذبة ومعه مجموعة من الفرسان فهاجمهم خالد ، وبعد معركة قصيرة ابيدت القوة التي كانت تعمل على تحويل المياه وقطعها عن مجرى الفرات ، ثم اصدر ابن الوليد اوامره لاعادة المياه الى مجراها . وعادت السفن تسير جنوباً محملة بجند المسلمين حتى وصلت الى المكان الذي حدده خالد لتجمع جيشه ما بين الخورنق والنجف . وعند وصول خالد الى الخورنق ، كان « الاذاذبة » قد غادرها وهرب قبل ان يشتبك في في معركة مع خالد بن الوليد .

وصل الفرسان الى الخورنق ، واعاد خالد تنظيم جيشه ، وخرج فاقام

---

(١) الخراذيل جمع مفردها خرذولة وهي قطعة اللحم .

(٢) تاريخ الطبري ٢٥٩/٣ .

معسكره في المكان الذي كان «الاذاذبة» قد اقام معسكره فيه وهو بين الحيرة والقصر الابيض .

كان اهــل الحيرة قد تحصنوا بقصورهم فوضع خالد الفرسان خارج الحيرة لحصارها . وقسم جيشه الى اربعة مجموعات من اجــل حصار القصور على النحو التالي :

١ – ضرار بن الازور لحصار اياس بن قبيصة الطائي في القصر الابيض .

٢ – ضرار بن الخطاب لحصار عدي بن عدي «المقتول» واسم قصره «العدسيين» .

٣ – ضرار بن مقرن المزني لحصار ابن أكال في قصر بني مازن .

٤ – المثنى بن حارثة لحصار عمرو بن المسيح في قصر ابن بقلية .

طلــب خالد من قادته دعوة سكان القصور الى واحدة من ثلاث : الاسلام او الجزية او الحرب ، فان رفضوا فاعطاءهم مهلة يوم وليلة ثم الهجوم بعد ذلك .

انتهت مهلــة الانذار ، وبدأ المسلمون في هجومهم ، وتمكنوا من اقتحام الحصون ووصلوا القصور وبدأت الوفود ترد تباعاً الى خالد بن الوليد تطلب الصلح ، وتم عقد اتفاقية للصلح بين خالد بن الوليد وبين نقباء أهل الحيرة .

كـــان صلوبا بن نسطونا صاحب قس الناطف ينتظر تطور معركة الحيرة فلما صالح نقباء الحيرة خالد بن الوليد توجه صلوبا الى خالد وصالحه باسم بانقيا وبَسْمَا .

بعــد ذلك جاءت دهاقين الملطاط فصالحوه على ما بين الفلاليج الى هرمزجرد (١)

---

(١) في معجم البلدان لياقوت الحموي – الملطاط، ظاهر الكوفة: اللسان وما حول الفرات، وفي فتوح البلدان للبلاذري ٣٤١ – الملطاط: ما بين الكوفة والحيرة .

اعـــاد خالد بن الوليد تنظيم جيشه ، وارسل افضل قادته الى المسالح وفيهم ضرار بن الازور ، وضرار بن الخطاب ، والمثنى بن حارثة ، وضرار بن مقرن ، والقعقاع بن عمرو وبسر بن ابي رهم ، وعتيبة بن النهاس . وامر قادة المسالح بمتابعة مطاردة العدو واستطلاع اخباره ، وارسال مفارز المراقبة . فانتشرت مفارز الاستطلاع « المسالح » على امتداد شاطىء دجلة ، وارسلوا عناصر الاستطلاع الى ما وراء دجلة .

كما ارسل خالد بن الوليد عماله لجمع الخراج .

اخـــذ ابن الوليد يستعد للمرحلة التالية من القتال . وفي انتظار ذلك ارسل رسالتين الى اهل فارس ، احداهما للعامة وسلمها الى نبطي من اهل السواد والثانية خاصة حملها احد اهل الحيرة الى اردشير ، وتضمنت الرسالتان الدعوة الى الاسلام والسلم .

كـــان ابو بكر الصديق قبل دخول العراق قد وجه رسالتين الى خالد بن الوليد وعياض بن غنم يطلب دخول خالـــد من الجنوب وعيـــاض بن غنم من الشمال وان يستبقا الى الحيرة ، فايهما اسبق الى الحيرة فهو امير على صاحبه، وقال :

[إذا اجتمعتما بالحيرة وقد نفضتما مسالح فارس وأمنتما أن يؤتى المسلمون من خلفهم فليكن أحدكما ردءاً للمسلمين ولصاحبه بالحيرة وليقتحم الآخر على عدو الله وعدوكم من أهل فارس دارهم ومستقر عزهم « المدائن »] .

استعلـــم خالد عن موقف عياض بن غنم فعلم انه في ضائقة فاصدر أوامره الى القعقاع بن عمرو للبقاء في الحيرة . وغادرها متبعاً محور الفلوجة حتى نزل كربلاء وعلى مسلحتها عاصم بن عمرو وكان على مقدمة خالد بن الوليد القائد الاقرع بن حابس .

قال القعقاع بن عمرو في ايام الحيرة (١) :

سقى الله قتلى بالفرات مقيمة   وأخرى باثباج النجاف الكوانف
فنحن وطئنا بالكواظم هرمزاً   وبالثني قرني قارن بالجوارف
ويوم أحطنا بالقصور تتابعت   على الحيرةالروحاء احدىالمصارف
حططناهممنها وقد كاد عرشهم   يميل بهم فعل الجبان المخالف
رمينا عليهم بالقبول وقد رأوا   غبوق المنايا حول تلك المجارف
صبيحة قالوا نحن قوم تنزلوا   الىالريفمنارضالعريب المقانف

٦ ـ موقعة الانبار « ذات العيون » ١٢ هـ ـ ٦٣٣ م(٢) :

توجه خالد الى الانبار ، وكان اهلها قد تحصنوا بها وعلى قيادتهم شيرذاذ حاكم ساباط . وعندما وصلها بدأ المعركة مباشرة ولاحظ ابن الوليد أن مقاتلي خصومه غير اشداء فطلب الى جند المشاة رمي السهام بغزارة فاقتلعت هذه السهام لغزارتها عيون مقاتلي الخصم ، وبلغ عدد من اصابت السهام عيونهم الف مقاتل ولهذا اطلق على هذه المعركة اسم ذات العيون .

ارسل شيرذاذ يطلب الصلح واشترط شروطاً لم يقبل بها ابن الوليد . واستمرت المعركة في تصاعد ، وقام ابن الوليد باستطلاع شخصي فوجد ثغرة ضعيفة في خندق العدو فأمر بذبح الضعاف من الابل ورماها في موضع هذه الثغرة كما استخدم كل ما يفيده لهذه الغاية من المحطومات وعندما تم له ردم الثغرة امر جنده بالاندفاع عبر الثغرة . وانطلق المقاتلون واخذوا يبيدون المقاومة التي تعترض سبيلهم .

ـ شعر شيرذاذ بتحول المعركة ، فطلب مرة ثانية عقد صلح مع ابن الوليد،

---

(١) التاريخ الكامل لابن الاثير ٢٦٧/٢ .

(٢) التاريخ الكامل لابن الاثير ٢٦٩/٢ .

فاشترط عليه ابن الوليد مغادرة الانبار ، وتعهد بإلحاقه حتى موضع امين ومعه حراسة من المسلمين على الا يحمل معه من المتاع والاموال شيئاً ، ووافق شيرذاذ وغادر الانبار متوجهاً الى معسكر بهمن جاذويه .

عندمـــا علم اهل كلواذي بما حدث مع شيرذاذ ارسلوا وفداً عقد اتفاقية صلح مع خالد ، ثم ما لبث اهل الانبار بعد ذلك ان نقضوا العهـــد ولم يثبت على هذه سوى اهل البوازنج واهل بانقيا .

علـــم خالد بن الوليد امر تجمع قوات كبيرة من الفرس في عين التمر بقيادة مهران بن بهرام جوبين وانه قد انضمت اليهم قوات كبيرة من عرب قبائل النمر وتغلب واياد وانصارهم بقيادة عقة بن أبي عقة .

كـــان الخليفة ابو بكر قد اعطى تعليماته بعدم التوغل وترك مقاومات خلف جيوش المسلمين تستطيع الانقضاض عليها والغدر بها . ونظراً لاسراع عياض بن غنم في تقدّمه ورغبته في الوصول بسرعة الى الحيرة فقد ترك ثلاثة مقاومات رئيسية هي : عين التمر ، والانبار ، والفراض .

وجـــد خالد بن الوليد ان تجمع القوى المعادية في عين التمر . تشكل تهديداً خطيراً لمؤخرات جيش عياض ، فقرر الاسراع بالتحرك ، وعندما انتهت وقعة الانبار اعاد خالد تنظيم قواته بسرعة وترك الزبرقان بن بدر في الانبار لادارة امورها وغادرها الى هدفه التالي .

٧ ــ موقعة عين التمر ، ١٢ هـ ــ ٦٣٣ م :

وصـــل خالد بن الوليد الى عين التمر ، وقال عقة للزبرقان :

[نحن اعلم بقتال العرب ، فخلنا واياهم] .

فاجابه مهران :

[صدقت لعمري]

ووافقه على عرضه ، ولما اجتمع القادة الفرس اجابهم مهران بقوله :

[ان كانت لهم على خالد فهي لكم ، وان كانت الاخرى لم تبلغوا منهم حتى يهنوا فنقاتلهم ونحن اقوياء وهم مضعفون] (١) .

نظـم خالد جيشه ، وكون مجموعات قتالية صغيرة تستطيع القيام بالاغارات وانطلق على رأس هذه المجموعات مستهدفاً اعتقال القادة واخذهم اسرى ونجح في اختطاف عقة بن أبي عقة منذ اللحظات الأولى للمعركة . وكان لهذه المباغتة اثر حاسم في القاء الذعر بين صفوف المقاتلين من القبائل العربية فاسرعوا بالفرار من القتال ، وترك ميدان المعركة .

شهد مهران الاضطراب الذي سيطر على افق المعركة فسحب قواته وغادر الحصن دون قتال تاركاً انصاره من العرب لمصيرهم .

حـاول المقاتلون في الحصن الوصول الى اتفاق مع خالد بن الوليد فرفض ذلك ولم يقبل بالصلح الا على شروط المسلمين المعروفة : اعلان الاسلام او الجزية او القتال .

اراد خالـد بن الوليد تحطيم ارادة القتال لدى خصومه ، فأمر بقتل عقة ، والقى به على الجسر حيث يراه الاسرى ، ثم دعا بعمرو بن الصعق فضرب عنقه وألقى به الى جانب عقة . ولم تلبث المقاومة ان انهارت ، واستسلم المقاتلون في الحصن وفتحوا الباب فدخله المسلمون وابادوا المقاومة بكاملها ، وكانوا خليطاً من العرب والفرس . ثم جمع الاسرى ، كما جمعت الاسلاب من الحصن ، ووزع على المقاتلين وارسل الخمس الى المدينة .

في صبيحـة معركة عين التمر وردت الى خالد بن الوليد رسالة من عياض ابن غنم يشرح فيها الموقف الخطر الذي اصبح فيه ، ويطلب دعم خالد له فاجابه خالد :

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٣٧٦ .

البث قليلاً تأتك الحلائب يحملن آساداً عليها القشائب
كتائباً يتبعها كتائب(١)

ثم اعــاد ابن الوليد تنظيم قواته بسرعة ، وخلف في عين التمر عويم بن الكاهل(٢) وغادر عين التمر ، في اتجاه دومة الجندل .

٨ – يوم دومة الجندل ، ١٢ هـ – ٦٣٣ م :

عندمـــا علم اهل دومة الجندل امر تحرك خالد بن الوليد وتوجهه اليهم استنفروا انصارهم من بهراء وكلب وغسان وتنوخ والضجاعم، بالاضافة الى من كان قد انضم اليهم من كلب وبهراء . ومن دعمهم من قبائل ابن وبرة بن رومانس . واقبل عليهم ابن الحدرجان في الضجاعم وابن الايهم في مجموعات من غسان وتنوخ ووقعت بينهم وبين عياض بن غنم اشتباكات صمد لها الطرفان ووقعت خلالها خسائر كبيرة .

اقـــترب جيش المسلمين بقيادة ابن الوليد ، وعندها وقف اكيدر بن عبد الملك ناصحاً وقال :

[لا أحد ايمن طائراً منه في حرب، ولا يقف في وجه خالد قوم ابداً قلوا او كثروا الا انهزموا منه ، فاطيعوني وصالحوا القوم] .

وتصدى له منافسه في الزعامة الجودي ابن ربيعة واظهر تصميمه عــلى القتال ، ودعمه الجميع في ذلك ، ولما وجد أكيدر انه غلب على امره قال :

[لن امالئكم على حرب خالد فشأنكم] .

وغادر اكيدر ومن معه دومة الجندل .

علـــم خالد بانفراد اكيدر عن قومه فارسل عاصم بن عمرو لاعتراضه ،

---

(١) الحلائب : الجماعات . يقال احلب القوم اذا اجتمعوا لنصرة او نجدة .

(٢) ابن كثير ، والنويري يذكران الاسم . «عمير بن الطاهر» .

ووجد عاصم اكيدر فحمله الى خالد ، لضرب خالد عنقه ، ومضى خالد حتّى وصل دومة الجندل ، ونظم قواته بحيث تقف في موقع مقابل لدومة الجندل وبحيث تكون الدومة بين قواته وقوات عياض بن غنم .

كانت القبائــل العربية الّتي قدمت لدعم اهل دومة الجندل قد اخذت على عاتقها الدفاع عن الحصن ونظمت قواتّها حوله . وعندما وصلت قوات خالد قرر قادة هذه القبائل القيام بهجوم عام ضد قوات المسلمين . فخرج الجودي ابن ربيعة ووديعة الكلبي وابن رومانس الكلبي وقبائلهما للقاء خالد بن الوليد . وفي الوقت ذاته قام ابن الايهم الغساني وابن الحدرجان مع قواتّهما بالهجوم على عياض بن غنم .

اتبــع ابن الوليد في بداية المعركة الاسلوب الذي طبقه بنجاح في معركتـه السابقة « عين التمر » ، فاسرع الى الجودي بن ربيعة ، واخذه اسيراً ، كما امكن اعتقال الاقرع بن حابس ايضاً .

اشتــدت حدة المعركة في صعود ، ونجح عياض بن غنم في انتزاع النصر وبدأت القوات المقابلة له في التّراجع نحو الحصن .

ونجــح خالد بن الوليد في تحطيم موجة هجوم العدو ، ثم قام بهجومه ، واخذت قوات خصمه في التّراجع والفرار في اتجاه الحصن .

لم يعــد باستطاعة حصن دومة الجندل استيعاب المزيد من المقاتلين ، فاغلق قادة الحصن الباب ، ووقف المقاتلون المنسحبون من المعركة حول الاسوار .

وصــل عاصم بن عمرو ، وشهد قبائل « بنو كلب » خارج الاسوار . فنادى الى انصاره داخل الحصن قائلاً :

[يا بني تميم ، حلفاؤكم كلب، آسوهم وأجيروهم ، فانكم لا تقدرون

هم على مثلها] (١) .

فاسرع زعماء بني تميم وفتحوا الباب للمقاتلين من بني كلب ، ثم عادوا فاوصدوا الباب .

وصـــل خالد بقواته الى اسوار الحصن وبدأت اعمال ابادة القوات التي تركت خارج الاسوار حتى سد بهم باب الحصن ، ودعا خالد بالجودي فضرب عنقه ثم طلب الاسرى فابادهم باستثناء الاسرى من بني كلب . ذلك ان عاصم والاقرع وبني تميم آمنوهم نظراً لانهم قبائل واحدة ، فاطلق خالد سراحهم وقال لعاصم والاقرع .

[مالي ولكم ، اتحفظون أمر الجاهلية وتضيعون الاسلام] .

فاجابه عاصم :

[لا تحسدهم العافية ، ولا يجوزهم الشيطان] (٢) .

شـــدد خالد قبضته على الحصن ، وبذل جهده حتى امكن له وللمسلمين اقتلاع باب الحصن واقتحم المسلمون القلاع والتحصينات ، وابادوا المقاومة بكاملها ولم يتركوا سوى الاطفال والنساء .

كـــان عرب الجزيرة على اتصال مع الفرس خلال اقامة خالد في دومة الجندل وقد استثار عرب الجزيرة الاعاجم من اجل الانتقام لمقتل عقة بن أبي عقة على يد خالد وجيشه ، فخرج « زرمهر » من بغداد ومعه « روزبة » في اتجاه الانبار ، ووصلت قواتهما الى حصيد والخنافس .

كـــان على الأنبار خلال غياب خالد في دومة الجندل : الزبرقان بن بدر فكتب الى القعقاع بن عمرو في الحيرة يشرح له الموقف ، فوجه القعقاع القوات التالية :

---

(١) و(٢) تاريخ الطبري ٣/٣٩٧ .

١ ــ مجموعة قتالية بقيادة عبد بن فدك السعدي بمهمة التوجه الى الحصيد والتوقف عندها .

٢ ــ مجموعة قتالية ثانية بقيادة عروة بن الجعد البارقي بمهمة التوجه الى الخنافس ، واوصى القعقاع قادة القوتين بعدم زج القوات في المعركة الا اذا أرغما على ذلك .

تصدت قوات الفرس للمجموعتين القتاليتين ومنعتهما من متابعــة التقدم ، وتوقف كل طرف في انتظار التعليمات الجديدة وتطور الموقف .

عاد خالد بن الوليد من دومة الجندل وقد وضع في مخططه تنفيــذ أمر أبي بكر ، وفتح المدائن . ولما وصل الحيرة خرج أهلها لاستقباله بالاهازيــج « التقليص ». ثم أخبره القعقاع بن عمرو بالموقف والاجراءات التي اتخذها . وخشي خالد سوء تفسير تصرفه وانحرافه عن الهدف الاساسي وهو احتلال المدائن . فارسل القعقاع بن عمرووأبو ليلى بن فدكي لقتال روزبة وزرمهرة فسبقاه الى عين التمر .

مكث روزبة وزرمهر في مواقعهمـــا ينتظران وصول قبائل ربيعة التي واعدتهم على الانتقام من المسلمين . ووصلت المعلومات الى خالد عن تقـدم القيس الكلبي ابن الهذيل بن عمران الى المصيخ . ونزول ربيعة بن بجير بالثني والبشر وكلهم يريدون الانضمام الى الفرس والانتقام لمقتل عقة . فقرر خالد مغادرة الحيرة . واستخلف عياض بن غنم . ودفع المقدمة بقيادة الاقرع بن حابس وتوجه على المحور الذي سلكه القعقاع وأبو ليلى الى الخنافس ولما تم التجمع . ارسل مجموعة قتالية بقيادة القعقاع بن عمرو الى الحصيد . وارسل مجموعة ثانية بقيادة أبي ليلى بن فدكي الى الخنافس وقال لهما :

[زُجَّاهُمْ ليجتمعوا ومن استثارهم والا فواقعاهم].

بمعنى ادفعاهم للتجمع ، واذا رفضوا ذلك فقاتلاهم ، ورفض قادة الفرس التحرك من مواقعهم .

٩ – يوم حصيد ، ١٢ هـ – ٦٣٣ م :

علم روزبة بتقــدم القعقاع بن عمرو فطلب من زرمهر دعمه ، فغادر زرمهر قواته في الخنافس بعد ان ترك قيادتها الى معاونه « المهبوذان » وذهب الى روزبة في حصيد بهدف استطلاع الموقف ، ووضع خطة موحدة للقتال .

عرف القعقاع بن عمرو ان أمر قيــادة جميع القوات الفارسية ومــن والاهم من العرب تابع لزرمهر ، فاسرع في تقدمه الى الحصيد بهدف تجزئة المعركة وعدم افساح المجال لتجمع قوات الخصم .

التقت قوات المسلمين بقــوات روزبة وانصاره ، ودارت رحى معركة شرسة قاتل فيها الطرفان باصرار وعناد . ونجح القعقاع في قتل زرمهر ، كما نجح احد البررة (١) واسمه « عصمة بن عبدالله من بني حارث بن طريف» في قتل روزبة ، وبدأت المقاومة تضعف ، وقتل القعقاع وجنده مجموعات كبيرة من مقاتلي عدوهم ، وغنم المسلمون غنائم كثيرة ، وهربت فلول المعركة في اتجاه الخنافس .

فرار المقاومة من الخنافس :

وصلت مجموعات الفــارين من معركة الحصيد الى الخنافس ، وعرف « المهبوذان » بأمر قتل قائده زرمهر ورفيقه زوربة .

كان ابو ليلى بن فدكي يتقــدم بجنده نحو الخنافس ، وعندما وصل حتى مسافة قريبة منها ، جمع « المهبوذان » جنده وغادرها متجنباً الاشتباك مع جند المسلمين وتوجه الى « المصيخ » حيث كانت تنتشر فيه قبائل الهذيل بن عمران

دخل ابو ليلى « الخنافس » فوجــدها خالية ، ولم يجد بها اية مقاومة فبعث مراسلاً الى خالد بن الوليد يشرح له الموقف .

---

(١) كان يطلق اسم « البررة » على كل فخذ خرج بكامله للجهاد . اما اذا خرج من القوم بطن من بطونهم فكانوا يسمون « الخيرة» .

١٠ ـ الاغارة على «مصيخ» بن الرشاء ، رمضان ١٢ هـ ـ ٦٣٣ م :

كانت المصيخ في موضع بين حوران ـ والقلت :

عندما انتهت تصفية المقـــاومة في حصيد والخنافس كتب خالد « الى القعقاع ابن عمرو وأبي ليلى بن فدكي وأعبد بن فدك وعروة بن الجعد البارقي» وحدد لهم ساعة ويوم الاجتماع في المصيخ ، وغادر خالد عين التمر .

لم يكن الهذيل بن عمران وقومه يتوقعون هجوماً مباغتاً،ولذا فانهم لم يكونوا على استعداد للقتال ، وكان حرقوص بن النعمان قد نصحهم وعرض عليهم ارسال وفد لعقد اتفاق صلح مع خالد فرفضوا ذلك . وكان حرقوص قد تزوج تلك الليلة بأم تغلب من بني هلال وجلس ومعه اهله يحتسي الخمرة ، فقالت له احدى النساء تنصحه بالكف عن الشراب :

[من يشرب هذه الساعة وفي اعجاز الليل ؟ فاجابها : اشربوا شرب وداع. فما أرى ان تشربوا خمراً بعدها ، هذا خالد بالعين ، وجنده بحصيد ، وقد بلغه جمعنا وليس بتاركنا ، وانشد يقول :

ألا فاشربوا من قبل قاصمة الظهر بعيـــد انتفاخ القوم بالعكر الدثر
وقبـــل منايانا المصيبة بالقـــدْر لحين لعمري لا يزيد ولا يحري](١)

وصل خالد حتّى مسافة قريـــبة من « المصيخ » واجتمعت عنده القوات بكاملها فقسمها الى ثلاث مجموعات ، ووجهها بحيث يتّم الانقضاض على معسكر عدوه من اتجاهات ثلاثة حتّى لا يتمكن احد من الفرار .

كان الهذيل ومن معه ومن التجـــأ اليه بين نائم او ساهر يحتسى الخمر عندما بدأت سيوف المسلمين تعمل فيهم قتلا ، وانتشرت جثث القتلى حتّى حجبت سطح الارض وكأنها مجموعات من الاغنام في يوم النحر ، ولم ينج من هذه المعركة الا هذيل ومعه مجموعة قليلة جداً من قومه .

---

(١) يحري : ينقص .

قتل اثناء المعركة لبيد بن جرير وعبــد العزى بن ابي رُهم بن قرواش وكانا مسلمين وفدا الى قومهما ، وباغتهما هجوم المسلمين ، ولم يكن باستطاعة المسلمين تمييزهما في المعركة الليلية ، وتألم الخليفة ابو بكرلمصرعهما وقال :

[**كذلك يلقى من ساكن اهل الحرب في ديارهم**] (١) .

وضم ابو بكر ابناء الشهيدين المسلمين اليه واحسن اليهما تعويضاً لمـــا فقداه من الاهل ، كما أمر بدفع « الدية » الى ازواجهما .

١١ ـ الإغارة على الثني والزمل ، رمضان ١٢ هـ ـ ٦٣٣ م .

آ ـ كان ربيعة بن بجير التغلبي قد ضرب معسكره في الثني والبشر معه بهدف الهجوم على جيش المسلمين انتقاماً لعقة بن عقة ، واتصل بروزبة وزرمهر والهذيل وطلب الدعم في حربه ضد ابن الوليد وجيشه ، وعرف خالد بذلك فترك أمره حتى الانتهاء من تصفية التجمع الأكثر خطراً ، وعندما انتهى من اهل المصيخ اعاد تنظيم قواته ، ودفع القعقاع بن عمرو وأبا ليلى بن فدكي امامه ، وحدد لهما مكان الالتقاء وساعته عند الثني .

غادر خالد المصيخ فنزل حوران في تظاهرة استعراضية ثم اتجــه الى الرفق ثم الحماة وقد نزل بها فيما بعد بنو جنادة بن زهير من كلب ، ثم الزميل وهي شرق الرصافة .

التقى خالد بالقعقاع وأبي ليلى واعـــاد تنظيم قوات الاغارة تنظيماً يماثل هجومه على المصيخ ، وكمن المسلمون لقبائل البشر والثني ومن ناصرهم ، وعندما اقترب الليل من نهايته ، باغتت قوات المسلمين معسكر خصومهم من جهات ثلاثة ، وبدأت عملية ابادة تامة بحيث لم يتمكن احد من الفرار .

---

(١) تاريخ الطبري ٣٨١/٣ . والتاريخ الكامل لابن الاثير ٢٧٣/٢ .

واستبى المسلمون الشرخ(١) وبعث خالد بخمس الله الى ابي بكر مع النعمان ابن عوف بن النعمان الشيباني وقسم الاربعة اخماس على المقاتلين(٢) .

ب - كان الهذيل بن عمران قد التجأ ومن نجا معه من مذبحة المصيخ الى «الزمل» نظراً لوجود معسكر كبير فيه من البشر . وعندما انتهى خالد من تصفية كل مقاومة في الثني ، اسرع في التوجه الى الزمل بهدف مباغتتها قبل تسرب انباء ابادة ربيعة في الثني ، ووصل خالد الزمل ، فطبق اسلوب الاغارة الذي طبقه في اغارتيه السابقتين واندفع المسلمون من ثلاثة اتجاهات واحاطوا بالمعسكر ، وبدأت عملية إبادة مماثلة لسابقتيها ووفى خالد بقسمه عندما قال أنه:

[ليغتن تغلب في دارها] .

وعندما انتهت تصفية المقاومة ، جمعت الغنائم والسبايا ، وارسل ما يخص بيت المال الى المدينة مع الصباح المزني.

كان هلال بن عقة يعسكر بالرضاب ، يجمع المقاومة ويستثير القبائل ويتصل بالفرس، وعندما انتهى خالد بن الوليد من الزمل توجه الى الرضاب وعندما علم اصحاب هلال بما حدث لقبائل ربيعة في الثني ومضر في الزمل ، تركوه وحده ولاذوا بالفرار ، ولم يعد باستطاعة هلال ان يفعل شيئاً سوى الفرار ، ووصل خالد بجيشه الى الرضاب فلم يلق مقاومة بها .

١٢ - يوم الفراض ، النصف من ذي القعدة ، ١٢ هـ - ٦٣٣ م .

الفراض موقع بين حدود الشام والعراق والجزيرة العربية .

استطاع خالد بن الوليد بعملياته الاخيرة تصفية المقاومات الرئيسية التي كان يعتمدها الفرس لقتال المسلمين ، واصبحت القبائل العربية اضعف من ان

---

(١) الشرخ - الشباب .

(٢) الطبري ٣/٣٨٢ .

تقدم مقاومة جدية لدعم الفرس واخذ الفرس والروم يشعرون بضرورة التوحد لمجابهة الخطر الذي يتهددهما معاً ، فاتصل الروم بالفرس ، وانضمت مسالح الفرس الى الروم كما انضم اليهم انصارهم الحاقدين من قبائل تغلب واياد والنمر ، وتشكل جيش كبير يزيد على جيش المسلمين باكثر من سبعة اضعاف .

علم خالد بامر هــذا التجمع ، فاعاد تنظيم قواته ، واحاط تحركه بنطاق من السرية ووصل الفراض بصورة مباغتة .

جابهت قوات التجمــع جيش خالد ، وجرت تحركات من الطرفين دون اي صدام مسلح حتى وصل خالد الى الفرات واصبح النهر حاجزاً بين مقاتلي المسلمين واعدائهم .

اتصل قــادة التجمع بخالد بن الوليد ، وعرضوا عليه اجتياز النهر لخوض المعركة او افساح المجال لعبور قواتهم وملاقاتــه ، فرفض خالد العبور ، وطلب اليهم العبور من جنوب قواته اذا أرادوا العبور ، وانه لن يتزحزح عن مواقعه .

جرى مؤتمر لقــادة الفرس والروم واقترح بعضهم تجنب الحرب مع خالد بن الوليد ، وكان مما قيل في هذا المؤتمر .

[هذا رجل يقاتل عن دين . وله عقل وعلم ووالله لينصرن ولنخذلن] (١)

وانتهى المؤتمر بانتصار دعاة الحرب وبدأ جند التجمع بعبور نهر الفرات. وعندما انتهت عملية العبور قسمت قوات التجمع ، فكانت قوات الروم بمعزل عن قوات الفرس كما كانت قوات العرب مستقلة بدورها ، وقد هدف القادة من ذلك اثارة الحماسة بين جندهم والتنافس على حمل شرف النصر .

بدأت المعركة بين الطرفين ، وقاتــل كل طرف ببسالة ، وصمد المسلمون صموداً رائعاً ، واظهروا مهارة كبيرة في قتال خصومهم واشتدت حــدة

---

(١) تاريخ الطبري ٣٨٣/٣ والتاريخ الكامل لابن الاثير ٢٢٦/٢ وما بعدها .

القتال في تصاعد ، ونجح خالد وجيشه في انتزاع النصر ، وبدأت الهزائم تتلاحق على قوات التجمع ، ثم تحولت الهزيمة الى فرار من المعركة ، وارسل خالد اوامره الى الجيش :

[ألحوا عليهم ، ولا ترفعوا سيوفكم عنهم] .

وانطلقت مجموعات الفرسان لتجمع جند العدو وتسوقهم بالرماح ، واستمرت اعمال الإبادة حتّى قتل مائة الف ١٠٠,٠٠٠ باستثناء من ألقوا بانفسهم في الفرات وغرقوا في النهر .

بقي خالد في الفراض عشرة ايـــام ، ثم اعاد تنظيم جيشه ، واصدر أوامره بالتحرك الى الحيرة بعد ان دفع مقدمته بقيادة عاصم بن عمرو ، وكلف شجرة ابن الأغر بقيادة المؤخرة ، وتظاهر خالد انه يتبع المؤخرة « السَّاقة » ثم توجه سراً الى الحج واختار طريقاً قصيراً وصعباً لم يسبقه احد اليه ، ووصل مكة ، وعند الانتهاء من مناسك الحج عاد خالد الى الحيرة دون ان يشعر احد بغيابه وعندما علم الخليفة الصديق بذلك عاتبه .

في تلك الفترة كانت عمليات الجبهـــة الشمالية تشهد تحولات خطرة مما دفع الخليفة الصديق الى توجيه اربعة جيوش الى الشام ، وفي الوقت ذاته ، ونظراً لاهمية مسرح العمليات الشمالية ، اعطى الخليفة الصديق الافضلية الأولى للجبهة الشمالية . وكتب الى خالد للتوجه بنصف قوته الى الشام ، وكان في نص الرسالة :

[أمد اخوانك بالشام والعجل العجل . ووالله لقريه من قرى الشام يفتحها الله على المسلمين احب الي من رستاق عظيم (١) من رساتيق العراق](٢) .

نظم خالد القـــوة التي سترافقه الى الشام ، واستأثر بأفضل المقاتلين ممـــا

---

(١) الرستاق : الريف ، او القرى خارج المدن .

(٢) التهذيب ابن عساكر ١٤٧/١ وتاريخ الطبري ٣٨٥/٣ .

أغضب المثنى بن حارثة ، واحتج المثنى فاعاد خالد التنظيم وقسم افضل المقاتلين بشكل عادل ، مما ارضى المثنى ، وفي شهر محرم سنة ١٣ هـ . غادر خالد الحيرة في اتجاه الشام وخرج معه المثنى مودعاً حتى قراقر ثم عاد المثنى الى الحيرة .

أعاد المثنى منذ وصوله الحيرة تنظيم قواتــه ، ووزع المسالح « مخافر المراقبة الامامية » على امتداد دجلة ، وارسل عناصر الاستطلاع .

كان الفرس خلال هــذه الفترة يعيدون تنظيم دولتهم بعد ان تسلم الحكم شهربراز بن أردشير بن شهريار .

١٣ — معركة باب بابل ، ١٣ هـ — ٦٣٤ م :

عندما تولى شهربراز مقــاليد حكم فارس ، اراد ان يبدأ حكمه بنصر يحققه على العرب بعد خروج خالد من العراق ، فارسل جيشاً من عشرة آلاف مقاتل ، وجهزه بالفيلة واسند قيادته الى هرمز جاذوية وكتب رسالة الى المثنى جاء فيها .

[لقد بعثت اليك جنداً من وحش اهل فارس ، إنما هم رعــاة الدجاج والخنازير ، ولست اقاتلك إلاّ بهم] .

واجابه المثنى رسالة جاء فيها :

[انما انت احد رجلين ، اما باغ فذلك شر لك وخير لنا وأما كاذب فأعظم الكذابين عقوبة وفضيحة عند الله في الناس الملوك . وأما الذي يدلنا عليه الرأي ، فانكم اضطررتم اليه فالحمد لله الذي رد كيدكم الى رعاة الدجاج والخنازير] (١) .

كتبت المسالح الى المثنى بتقدم جيش هرمز ، فأمر المثنى مفــارز المسالح بالانضمام اليه ، ونظم جيشه وغادر الحيرة بعد أن وضع على مجنبتيه المعنى ومسعوداً ابني حارثة « أخوي المثنى » وتقدم في اتجاه بابل .

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٤١٢ .

عندما وصل جيش المثنى كان هرمز قد انهى تنظيم قواته واسند قيادة مجنبتيه الى الكوكبد والخركبذ .

جرت المعركة بين الطرفين عند الصراة الدنيا جنوب بابل ، وكانت معركة قاسية ونجح المثنى في قتل الفيل الذي كان يحطم صفوف المسلمين ، وبعد قتال حاسم انتصر جيش المثنى وانطلق الفرسان في مطاردة فلول المنسحبين ووصلت عناصر المطاردة حتّى ابواب المدائن ، ووصل خبر موت شهربراز ، في الوقت الذي كان فيه هرمز جاذوية يبتعد عن ميدان القتال (١) .

وعاد سواد العراق آمناً ، على امتداد دجلة في قبضة المسلمين .

بعد موت شهربراز ، اجتمع اهل فارس على دخت زنان ابنة كسرى ، ولكنها كانت ضعيفة فخلعت وملك سابور بن شهربراز وقام بأمره الفرخذان ابن البندوان ، وطلب الفرخذان من سابور ان يزوجه آزر ميدخت ابنة كسرى فقبل ورفضت آزر واستنجدت سراً بسياوخش الرازي وكان يلقب بفتاك الاعاجم فنصب سياوخش كميناً بالتآمر مع آزر لقتل الفرخذان ، وقتله وخرج مع آزر الى سابور ، ولحقت به قوة أرسلها الملك شهربراز فقتلته وملكت آزر ميدخت بنت كسرى « الطبري ٣ — ٤١٤ » .

ان هذه الصورة تعطينا مدى التمزق الذي كانت عليه الدولة الفارسية في نهاية أيام حكم الساسانيين ، وتعلل احد اسباب انهيارهم .

خلال هذه الفترة توقفت الاعمال القتالية ، وانقطعت رسائل المثنى عن

---

(١) قال عبد بن الطيب السعدي يصف المعركة :

هل حبل خولة بعد البين موصول … أم انت عنها بعيد الدار مشغول .
وللاحبة أيام تذكرها … وللنوى قبل يوم البين تأويل .
حلت خويلة في حي عهدتهم … دون المدائن فيها الديك والفيل .
يقارعون رؤوس العجم ضاحية … منهم فوارس لا عزل ولا ميل .

تاريخ الطبري ٤١٣/٣

الخليفة الصديق مما أقلقه ، فارسل يستوضح الموقف ، وقرر المثنى الذهاب الى المدينة بهدف شرح الموقف وطلب العفو عمن اظهر توبة صادقة من المرتدين لإشراكهم في القتال وحشدهم في جيوش المسلمين ، لا سيما بعد ان شهد ان من قاتل منهم طواعية كانوا اكثر حماسة واندفاعاً لقتال الفرس ونصرة المسلمين.

أصدر المثنى أوامره بتعيين بشير بن الخصاصة خلفاً له اثناء غيابه وتعيين سعيد بن مرة العجلي قائداً للمسالح ، وغادر المثنى الحيرة الى المدينة .

المثنى بن حارثة في المدينة :

وصل المثنى بن حارثة الى المدينة فوجد الخليفة ابا بكر مريضاً ، وعندما زاره وشرح له الموقف ، استدعى عمر بن الخطاب وأوصاه :

[اسمع يا عمر ما أقول لك ثم اعمل به ، اني لأرجو ان اموت من يومي هذا ، فان أنا مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى وان تأخرت الى الليل فلا تصبحن حتى تندب الناس مع المثنى ولا تشغلنكم مصيبة وان عظمت عن أمر دينكم ووصية ربكم] (١) .

وتوفي الخليفة ابو بكر وخلفه عمر بن الخطاب ، وسارت عملية البيعة ثلاثة ايام كان خلالها ابن الخطاب يندب الناس لدعم المثنى وكان اول من استجاب للدعوة أبو عبيد الثقفي وتبعه سعد بن عبيد الانصاري وسليط بن قيس ، وعين الخليفة اول من استجاب لدعوته من أجل قيادة حرب العراق واوصاه :

[اسمع من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وأشركهم في الأمر ، ولا تجتهد مسرعاً حتى تتبين فانها الحرب ، والحرب لا يصلحها الا الرجل المكيث الذي يعرف الفرصة والكف] (٢) .

---

(١) تاريخ الطبري ٤١٤/٣ . والكامل لابن الاثير ٢٨٦/٢ .

(٢) تاريخ الطبري ٤٤٥/٣ .

عودة المثنى الى العراق :

عاد المثنى بن حارثــة الى العراق في انتظار وصول قوات الدعم .

في تلك الفترة كانت فارس منصرفة الى متاعبهـا الداخلية ، وكانت بوران قد عرفت بينهم بحكمتها وصواب رأيها ورجاحة عقلها ،وكانت المرجع كلما حدث اضطراب او اختلاف .

عندما قتل الفرخذان بن البندوان وتقـدم رستم فقتل آزر ميدخت كانت بوران هي الحكم في الموقف .

وعندما عاد المثنى الى الحيرة كانت السلطة قـد انتهت الى بوران واصبح رستم قائداً للجيوش .

كان اول ما فعله رستم هو اثـارة الاقاليم ضد حكم المسلمين وارسل الى كل اقليم من يستثيره وكان من بين من ارسلهم :

جابان الى البهقباذ الاسفل .

نرسي الى كسكر .

جيشاً الى الحيرة لمجابهة المثنى .

وهكذا لم يمض خمسة عشر يوماً على وصول المثنى الى الحـيرة ، حتى اضطربت الاقاليم واندلعت نيران الثورة من أعلى الفرات حتى مصبـه .

واعلمت المسالح المثنى بتقدم جيوش الفرس فجمع مسالحه واتخذ ترتيبات الأمن ، وعندما تزايد الموقف خطورة أصدر المثنى اوامره بالانسحاب حتى خفان بهدف عدم اتاحة الفرصة امام خصمه للقيام بهجوم مباغت ينال جيش المسلمين من خلفهم .

١٣ – يوم النمارق ، ١٣ هـ – ٦٣٤ م :

اقام المثنى في خفان ووصل أبـو عبيد ومعه الف مقاتل وكان الفاصل بينه وبين وصول المثنى الى العراق شهراً . وشرح المثنى الموقف الى ابي عبيد

وبعد استراحة قصيرة للقوات ، نظم أبو عبيد الثقفي قواته على النحو التالي :

- قوة الفرسان بقيادة المثنى بن حارثة .
- الميمنة بقيادة والق بن جيداره .
- الميسرة بقيادة عمرو بن الهيثم بن الصلت بن حبيب السلمي .

وتوجه أبو عبيد الى النمارق بهـــدف مجابهة القوة الرئيسية التي كان يقودها « جابان » .

كان جابان قد نظم قواتـــه للمعركة ، فتولى قيادة القوات المركزية وكلف :

- جشنس لقيادة الميمنة .
- مردانشاه لقيادة الميسرة .

التقت قوات الطرفين في النمـــارق ، وتصاعدت حدتها ، ونجح أكتل ابن شماخ العكلي في أسر مردانشاه ، وضرب أكتل عنقه .

ونجـــح قطر بن فضة التيمي في أسر جابان دون ان يعرفه ، ونجح جابان في خداع قطر وأخذ وعداً منه لاطلاق سراحه ، وعرفه المسلمون وجاءوا به الى ابي عبيد ، فالتزم أبو عبيد بوعد قطر واطلق سراحه بعد المعركة .

عندما زالت قيادة جيش الفرس ، بـــدأت قواتهم بالانسحاب ، وتحول الانسحاب الى هزيمة غير منظمة ، وبدأ الجند الهاربون من المعركة يتوجهون الى كسكر حيث كان يقيم نرسي بهدف الحصول على الحماية ، اصدر أبو عبيد اوامره الى مجموعات الفرسان :

[اتبعوهم حتى تدخلوهم عسكر نرسي او تبيدوهم بين النمارق الى بارق الى درتا] (١) .

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٤٥٠ . والتاريخ الكامل لابن الاثير ٢/٢٩٨ .

وقامت مفـــارز الفرسان بإبادة المقاومات وملاحقة الفارين واستثمار الظفر (آ) .

١٤ – يوم السقاطية بكسكر ، ١٣ هـ ٦٣٤ م .

اسرع أبوعبيد بعـــد معركة النمارق في تنظيم قواته ، وتوجه من النمارق الى كسكر بهدف تحطيم المقاومة الثانية التي كان يقودها نرسي ، وكان المثنى قد احتفظ بالتنظيم الذي هاجم به جابان يوم النمارق .

عندما وصل بوران ورستم خـــبر هزيمة جابان ارسل رستم امـــراً الى الجالينوس يطلب اليه التوجه لدعم نرسي .

كان نرسي خـــلال تلك الفترة قد نظم جيشه ووضع على مجنبتيه ابنا خاله وهما من ابناء الاكاسرة ، وضم الى جنده كل مقاتل من باروسما ومنطقة نهر جوبر ، والزوابي « الزاب الاعلى والزاب الاسفل » واخذ نرسي ينتظر قدوم قوات للدعم على امل وصولها قبل قدوم جيش المسلمين .

وصلت قـــوات أبي عبيد الى موقع يقال له السقاطية في جنوب كسكر ، وبدأت هجومها فوراً بهدف القضاء على قوات نرسي قبل وصول قوات الدعم لها . وبعد معركة قصيرة وحاسمة بدأت قوات نرسي الفرار من ميدان القتال وهرب نرسي بدوره من المعركة .

(آ) قال عاصم بن عمرو في وصف يوم النمارق :

لعمري وما عمري علي بهـــين لقد صبحت بالخزي اهـــل النمارق .
بأيدي رجال هاجروا نحو ربهـــم يجوسونهم ما بين درتا وبارق .
قتلناهم ما بين مرج مسلـــــح وبين الهوافي من طريق البوارق .

(١) التاريخ الكامل لابن الاثير ٢/٢٩٩ .

ارسل أبـــو عبيد مفارز المشاة لجمع الغنائم ، وكانت مفارز الفرسان تطارد القوات المنسحبة وتبيدها . وفي الوقت ذاته نظم ثلاثة مجموعات قتالية للقضاء على التجمع الذي سيتقدم لدعم نرسي كالتالي :

١ ـ مجموعة قتالية بقيادة المثنى بن حارثة بمهمة التوجه الى باروسما .

٢ ـ مجموعة قتالية ثانية بقيادة والق بن جيداره بمهمة التوجه الى «الزوابي»

٣ ـ مجموعة قتالية ثالثة بقيادة عاصم بن عمرو بمهمة التوجه الى منطقة نهر جوبر .

انطلقت المجموعات القتالية نحو اهدافها ، وباغتت المقاومات بهجوم حاسم فلمرتها ، وهرب من استطاع النجاة نحو معسكر الجالينوس .

خرج للمثنى اثناء اغارته على زند ورد وبسوسيا اثنـــان من القادة هما فروخ وفرة ونداز وعرضا الصلح . فارسلهما المثنى الى ابي عبيد وصالحهما أبوعبيد نيابة عن اهل باروسما ونهر جوبر والزوابي وكسكر ، واشترط أبوعبيد عليهما عدم تقديم اي دعم للفرس في المعارك المقبلة وعدم الغدر بالمسلمين فتعهدا بذلك .

لم يبق من الجيوش التي ارسلهـــا رستم سوى الجالينوس الذي ضم الى جيشه قوات جابان وفلول القوات المنسحبة من كسكر .

اعـــاد أبوعبيد تنظيم قواته بسرعة ، وخرج لمجابهة الجالينوس واعترضه عند وصوله الى « باقسياثا » من باروسما . وبدأ المسلمون معركتهم بهجوم حاسم لم تصمد له قوات جالينوس ، فهرب جالينوس وتمزقت قواته .

١٥ ـ وقعة الجسر ، شعبان ١٣ هـ ـ ٦٣٤ م : (١)

تسمى هذه المعركة في التاريخ باسم وقعة الجسر ، ووقعة المروحة ووقعة القس « قس الناطف » .

رجع أبو عبيد بعد معركة السقاطية الى الحيرة .

عندما تتابعت الهزائم على قوات الفرس ، عقد رستم مؤتمراً وسأل قادته ومستشاريه :

[أي العجم اشد على العرب فيما ترون ؟]

قالوا له :

[بهمن جاذويه] .

استدعى رستم « بهمن جاذويه » وسلمه راية كسرى « **درفش كابيان** » المصنوعة من جلد النمر ، وجهزه بجيش تدعمه الفيلة ، وقال له : ادفع الجالنوس امامك فان عاد منسحباً فاقتله ، وغادر « بهمن جاذويه » بجيشه المدائن في اتجاه الحيرة .

غادر أبو عبيد الحيرة حتى وصل موضعاً على دجلة اسمه المروحة بين البرج والعاقول ، وكان « بهمن جاذويه » قد اقام معسكره عند الطرف الآخر من النهر .

ارسل « بهمن جاذويه» الى أبي عبيد مراسلا قال له :

[اما ان تعبروا الينا وندعكم والعبور . واما أن تدعونا نعبر اليكم] .

عقد أبو عبيد مؤتمراً لمناقشة الموقف ، ووافق على العبور ، وتصدى له قادة المسلمين فعارضوه في رأيه ، واتفق الجميع على ضرورة ارغام قوات الفرس على العبور للاسباب التالية :

---

(١) قس الناطف على شاطىء الفرات الشرقي والمروحة . موضع بشاطىء الفرات الغربي ـ معجم البلدان ١ ـ ٥ .

١ – كان ميدان المعركة عند الضفة الغربية اكثر اتساعاً مما يسمح للمقاتلين باجراء المناورات والتحرك بسهولة .

٢ – عدم ترك حاجز يعيق الانسحاب او يمنع تقدم قوات الدعم ،وكان اكثر المعارضين حماسة سليط بن قيس ، فقال له أبو عبيد :

[جبن سليط] .

واجابه سليط :

[انا والله اجرأ منك نفساً وقد أشرنا عليك الرأي فستعلم] (١)

هكذا لم يلتزم أبـــو عبيد برأي القادة ، وقرر العبور ، وقال لاصحابه :

[لا يكونون اجرأ على الموت منا] .

وتجاهل بذلك تعليمات الخليفة عمر حيث اوصاه بالنزول عند رأي قادة المسلمين .

وصلت قوات المسلمين بـــعد العبور الى الضفة الشرقية وكان ميدان القتال « ضيق المطرد والمذهب » . كما وصفه أبو عبيد وبدأت المعركة .

استمر القتـــال بين الطرفين النهار بكامله ولم يتمكن المسلمون من تحقيق انتصار حاسم ، وفي المساء وعندما ظهرت بواكير نصر جيش أبي عبيد وقعت المأساة .

كان الفرسان خـــلال المعركة يعجزون عن الوصول لخصومهم بسبب صمود الفيلة واجفال الخيل منها ، فترجل أبو عبيد ومجموعة من الفرسان لضرب الفيلة ونجح المسلمون في قتل عدد منهم ، وامسك ابا عبيد احد الفيلة وضربه على مشفره وهوى الفيل وسقط أبو عبيد تحته واسرع خليفة أبي عبيد فانتزع الراية وحاول اخراج أبي عبيد فقتل ، وتقدم ثالث فحمل الراية ولم ينجح في انقاذ أبي عبيد ، واستلم الراية رابع ، فلم يكن مصيره افضل ممن سبقه ، واندفع

---

(١) التاريخ الكامل لابن الاثير ٢/٣٠٣ وتاريخ الطبري ٣/٤٥٤ .

الفرس وقد شهدوا ما حدث من اضطراب في جيش المسلمين . وبدأ التراجع وتحول التراجع الى هزيمة . وهنا اسرع عبدالله بن مرشد الثقفي الى الجسر فقطعه وصرخ بالمقاتلين :

[ايها الناس ، موتوا على ما مات عليه أمراؤكم او تظفروا] .

وعندها اخذ بعض المقاتلين يلقون انفسهم في النهر .

شهـــد المثنى تحول المعركة ، واراد انقاذ الموقف خوفاً من تحول الهزيمة الى كارثة ، فوقف منادياً :

[ايها الناس . انا دونكم فاعبروا على مهل « على هينتكم » ولا تدهشوا . فانا لن نزايل حتى نراكم من ذلك الجانب ، ولا تفرقوا] (١) .

والتقت مجموعة من الفرسان حول المثنى واندفعت لحماية الانسحاب ، وأقبل مقاتل فأعلم المثنى بما فعله عبدالله بن مرثد ، ووقوفه لإعاقة الانسحاب فاستدعاه وقال له :

[ما حملك على الذي صنعت] .

فاجابه :

[حتى يقاتلوا] .

فأمر المثنى باصلاح الجسر ، وانتظمت عملية الانسحاب فيما كانت قوة تقوم على حمايته ، وقاتل عاصم والكلج الضبي ومذعور وغيرهم بعناد ، واصيب المثنى بجراح خطرة ، لكنه استمر في القتال حتى انتهت عملية العبور وبدأت مفرزة الحماية بقيادة المثنى انسحابها ، وكان سليط بن قيس آخر من قتل عند الجسر .

كـــان وقع الهزيمة ثقيلا على المسلمين بحيث وصل الهاربون منهم حتى المدينة .

---

(١) تاريخ الطبري ٤٥٧/٣ . التاريخ الكامل لابن الاثير ٣٠٢/٢.

كـــانت خسائر المسلمين في المعركة اربعة آلاف مقاتل بين قتيل وغريق ، وكانت خسائر الفرس مماثلة لخسائر المسلمين .

وبلـــغ عدد الذين هربوا حتى المدينة الفان (٢٠٠٠) وبقي مع المثنى ثلاثة آلاف مقاتل فقط .

علـــم الخليفة عمر بن الخطاب بتفاصيل المعركة ومسيرتها ، ووصله انهيار القوة المعنوية لاولئك الذين هربوا من القتال لا سيما عندما كانت تتلى آية :

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ] .

الانفال ــ الآية ١٥

وزاد اهل المدينة تقريعاً للمنهزمين واهمالاً لهم ، فتصدى الخليفة ابـــن الخطاب لمعالجة الموقف ووقف خطيباً ، وكان مما قاله :

[عباد الله ، اللهم ان كل مسلم في حل مني . انا فئة كل مسلم ، يرحم الله ابا عبيد . لو كان عبر فاعتصم بالخيف . او تحيز الينا ولم يستقتل لكنا لـــه فئة] (١) .

عنـــدما كانت معركة الجسر في نهايتها وصل مراسل من المدائن يعلم « بهمن جاذويه » والجالنوس باندلاع نار الثورة في المدائن ضد رستم وان هناك انقساماً ، فالفهلوج على رستم واهل فارس على الفيرزان ، فسحب القائدان قواتهما من المعركة وتوجها الى المدائن ، وتسربت هذه الاخبار بسرعة الى المثنى واراد الاسراع لتأديب انصاره « بهمن جاذويه » بهدف :

١ ــ رفع الروح المعنوية للمسلمين .

٢ ــ ردع كل محاولة للتمرد وتأديب كل من يخرج على اتفاقه مع المسلمين

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٤٥٥ .

استخلف المثنى بن حارثة على قيادة الجيش عاصم بن عمرو ، ونظم مفرزة من الفرسان وانطلق بهم الى أليس حيث كان فيها جابان ومردانشاه . فاعتقلهما وكانا يظنان ان المثنى هارب فارادا إلقاء القبض عليه وتمكن من اعتقالهما فقتلهما ثم أخرج اهل اليس الاسرى التزاماً منهم باتفاقيتهم مع المسلمين ، فاصدر المثنى اوامره بقتل الأسرى ، وبعد تصفية بقايا المقاومة رجع الى معسكره في الحيرة .

تنظيم الدعم وارساله الى المثنى :

بين وقعة اليرموك وبين معركة الجسر اربعون يوماً .

كانت الأولى في نهاية جماد الآخرة وكانت الثانية في الأول من شعبان . ونظراً لما حققه المسلمون من نصر حاسم في اليرموك فقد عمد ابن الخطاب الى تحويل مركز ثقل العمليات الى الجبهة الشرقية وتعهد بارسال قوات الدعم الى العراق .

كان جرير بن عبد البجلي وحنظلة بن الربيع قد استأذنا خالد بن الوليد بالذهاب الى المدينة لمقابلة الخليفة وأذن لهما فغادرا « سوى » ووصلا المدينة ، وعند مقابلتهما لابن الخطاب اقترحا عليه دعوة قبائل بجيلة الممزقة وتوحيدها بقيادتهما للقتال ، ووافق ابن الخطاب وارسل الى الولاة يأمر بتسيير كل من كان يحمل اسم بجيله في الجاهلية ، وتجمع لديه جيش كبير سيره الى العراق لدعم المثنى .

وجاءت قبائل من ضبة بقيادة عصمة بن عبد الله من بني عبد بن الحارث الضبي فوجهها الخليفة عمر الى العراق .

واستنفر الخليفة المرتدين بعد ان كان الخليفة ابو بكر قد حرمهم من شرف الجهاد فاقبلوا للافادة من هذه الفرصة ولاثبات صدق ولائهم ورسوخ إيمانهم .

وقـــدم على الخليفة عمر سبعمائة مقاتل من كنانة والازد ، فعقد الخليفة لواء كنانة لغالب بن عبدالله وعقد لواء الازد لعرفجة بن هرثمة وارسلهما الى العراق .

وجـــاء هلال بن علفة مع طائفة من الرباب فوجهه لدعم المثنى .

وحضرت الى المدينـــة مجموعة من مقاتلي خثعم بقيادة عبد الله بن ذي السهمين فأرسله الخليفة إلى العراق .

وجـــاء الى الخليفة عمر ربعي بن حنظلة في جماعة من قومه فأسلم الخليفة لربعي القيادة ووجهه الى العراق ثم خلف ربعي ابنه شيث في قيادة قومه .

وتقـــدم الى الخليفة في المدينة قوم من بني عمرو فعين الخليفة لقيادتهم ربعي بن عامر بن خالد العنود . ووجهه الى العراق .

وجـــاء الى المدينة قوم من بني ضبة فقسمهم الخليفة عمر الى فرقتين وجعل الفرقة الاولى بقيادة ابن الهوبر والفرقة الثانية بقيادة المنذر بن حسان ووجههما الى العراق .

وتقـــدم قرط بن حجاج من الخليفة عمر ومعه عبد قيس ، فارسله الى المثنى .

وهكذا اخذت قوافل الدعم وارتال الامداد تتدفق باستمرار نحو العراق .

١٦ – يوم البويب ، رمضان ١٣ هـ – ٦٣٤ م :

« البويب » موضع يلي الكوفة اليوم . وكان البويب معيناً للفرات ايام الفيضان ويصب في الجوف .

توفـــرت المعلومات عند رستم والفيرزان بتجمع قوات المسلمين ووصول قوات دعم كبيرة لهم . وكانا يعتقدان ان المسلمين سينسحبون من العراق بعد معركة الجسر . فاصدر رستم اوامره الى « مهران الرازي » ويقال أن أصله عربي من اليمن لتعيينه على امارة الحيرة وامده بجيش كبير لقتال المسلمين .

كـــان المثنى قد اقام معسكره في مرج السباخ ، وعندما علم بتقدم مهران الرازي ارسل الى جرير بن عبدالله البجلي الرسالة التالية :

[**جاءنا أمر لم نستطع معه المقام حتى تقدموا علينا ، فعجلوا اللحاق بنـــا وموعدكم البويب**] (١)

وكتـــب الى عصمة بن عبدالله الضبي رسالة مماثلة وطلب اليه التحرك على محور الجوف .

ثم نظـــم المثنى جيشه للتحرك وسار به على محور وسط السواد حتى النهرين ثم الخورنق ، البويب .

وسلك جـــرير محور « الجوف – البويب) .

وسلك عصمـــة محور « القادسية – الجوف – النجف – البويب » .

وتجمعت قوات المسلمين .

عندمـــا بلغت بعض القبائل العربية تقدم مهران لحرب المسلمين ، وكانت المعارك السابقة قد حطمت من هيبة الفرس في نفوسهم ، واخذوا يشعرون بصلة الدم التي تجمعهم بالعرب المسلمين ، اندفع أنس بن هلال النمري في قبائل بني النمر واندفع ابن مردي الفهري التغلبي في قبائل من تغلب ،وانضم اليهم آخرون وقالوا :

[**نقاتل مع قومنا**] (٢) .

والتحقوا بقوات المثنى .

تقـــدم مهران بجيشه واقام معسكره عند الضفة المقابلة للمسلمين من نهر الفرات . وسأل المثنى عن اسم الموضع فقيل له :

[**بسوسيا**]

فقال المثنى :

[**اكدى مهران وهلك ، نزل منزلاً هو البسوس**] (٣)

---

(١) تاريخ الطبري ٤٦٠/٣ وللتاويخ الكامل لابن الاثير ٣٠٣/٢ .

(٢) تاريخ الطبري ٤٦٧/٣ .

(٣) اكدى بمعنى مكر – وكاد – « وفي القرآن الكريم ويكيدون كيداً » .

كتب مهران الى المثنى رسالة يسأله :

[اما ان تعبروا او نعبر إليكم] .

ولم يتردد المثنى وذكريات موقعة الجسر قريبة فاجابه :

[بل اعبروا إلينا] .

التنظيم للقتال :

بعد ان عبر مهران الرازي بقواته ، نظمها للقتال على النحو التالي :

جند المشاة في المقدمة على عدد من الأنساق المتعاقبة .

الفرسان في ثلاثة انساق خلف المشاة .

الفيلة ووضعت في وسط انساق الفرسان .

- نظم المثنى مجنبتيه واسند قيادتهما بشير وبسر بن أبي رهم .

مجموعة الفرسان بقيادة المعنى .

جند المشاة بقيادة مسعود .

القوة الاحتياطية « الردء » بقيادة مذعور .

الطلائع بقيادة النسير .

- عندما انهى المثنى بن حارثة تنظيم قواته جمع الناس وخطب فيهم :

[انكم صوام ، والصوم مرقة ومضعفة ، واني أرى من الرأي ان تفطروا ثم تقووا بالطعام على قتال عدوكم] . وأفطر المسلمون .

ثم قام المثنى بجولة تفقدية للتأكد من سلامة التنظيم ، واستثار القادة ، وشهد خلال جولته فارساً يتحرق شوقاً للمعركة ويندفع خارج النسق،فسأل المثنى :

ما بال هذا ؟ واجابوه [هو ممن فر من الزحف يوم الجسر ، وهو يريد ان يستقتل] فقرعه المثنى بالرمح وقال [لا أبالك، الزم موقفك، فان اتاك قرنك فأعنه عن صاحبك ولا تستقتل] . فاجابـه الفارس : اني بذلك لجدير] . واستقر المقاتل ولزم مكانه في النسق (١)

---

(١) تاريخ الطبري ٤٦٢/٣ .

التقى الطرفـــان عند شاطىء البويب الشرقي ، المسلمون بموضع السكون وخصومهم في موضع « دار الرزق » .

مسيرة المعركة :

انطلق مهران بجيشـــه من قاعدة الهجوم وارتفعت اصوات جنده بالاهازيج بهدف اضعاف الروح المعنوية للمسلمين ، فقال المثنى لقادته وجنده :

[ان الذي تسمعون فشل . الزموا الصمت ، وائتمروا همساً] .

وطلب المثنى من جنده البقاء في مواقعهم حتى اقتراب عدوهم ، وحدد لهم شارة الانطلاق للهجوم بثلاث تكبيرات ، ينطلق المسلمون في الرابعة منها .

اعطـــى المثنى شارة الانقضاض عندما اقتربت قوات الخصم والتحم الجيشان في معركة قاسية اظهر فيها كل طرف ارادته على الصمود وانتزاع النصر ، وكان قلب الهجوم اكثر صموداً ، ولما طالت المعركة دون ظهور بادرة تشير الى تحول الموقف ، قال المثنى لأنس بن هلال :

[يا أنس ، انك امرؤ عربي وان لم تكن على ديننا فاذا رأيتني قد حملت على مهران فاحمل معي] ثم وجه حديثه لابن مروي الوهر فقال له مثل ذلك .

انطلـــق المثنى في هجومه نحو مركز ثقل هجوم العدو ، وتصاعدت حدة القتال ، ونجح المثنى في النهاية من زحزحة قلب الهجوم عن مواقعه ، وتراجعت قوات القطاع الاوسط الى الخلف واصبحت اجنحة العدو مكشوفة ، وأفاد المسلمون من هذه الثغرة فاندفع المقاتلون نحو الاجنحة واستطاعوا ارغامها على التراجع ، وتحول التراجع بعد قتال عنيد الى هزيمة وبدأت فلول العدو بالانسحاب نحو الجسر ، فاسرع المثنى الى الجسر لمنع العدو من الفرار ، واستمرت اعمال مطاردة فلول المنسحبين وجمعهم وابادتهم يوماً وليلة ، وقتل في المعركة من جند الفرس مائة الف ١٠٠,٠٠٠ وكان شهربراز قائد

فرسان العدو من بين القتلى ، كما قتل قائد الجيش مهران . وقتل مجموعة من اعلام المسلمين مثل مسعود بن حارثة .

حـــدث في نهاية المعركة ان انفصلت المشاة عن الفرسان ، وكاد فرسان الفرس يسرعون للقضاء على كل طرف ، فنادى المثنى :

[اقتلوا براياتكم ، وليحم راجلكم خيلكم] (١) .

فعاود المقاتلون تنظيم صفوفهم ، ووفروا الحماية للفرسان وبذلك امكن تنسيق التعاون واحراز النصر .

تابع الفرسان من المسلمين مطاردة الهاربين حتّى وصلوا السيب وأرسل المثنى عاصم وجرير وعصمـــة للاغارة عـــلى ساباط ، وقـــد تحصن اهلها لمقاومة المسلمين ، ونجح هؤلاء في اقتحام ساباط ، فابادوا المقاومات واستباحوا القريات المحيطة بها ، وارسلوا الاغنام والاطعمة الى عائلات المسلمين في الحيرة والقادسية .

قال المثنى بعد المعركة :

[قد قاتلت العرب والعجم في الجاهلية والاسلام ، والله لمائة من العجم في الجاهلية كانوا اشد على من الف من العرب ، ولمائة اليوم من العرب اشد عليّ من الف من العجم] .

وقال الاعور العبدي الشني في هذه المعركة :

هاجت الأعور دار الحي أحزانا : واستبدلت بعد عبد القيس خفانا
وقد أرانا بها والشمل مجتمـع : اذ بالنخيلة قتلى جند مهرانـــا
أزمان سار المثنى بالخيول لهم : فقتل الزحف من فرس وجيلانـــا
سما لمهران والجيش الذي معه : حتّى ابادهم مثنى ووحدانا (٢)

---

(١) تاريخ الطبري ٤٦٨/٣ .

(٢) تاريخ الطبري ٤٧١/٣

١٧ – الاغارة على الخنافس وسوق بغداد ، ١٣ هـ – ٦٣٤ م :

آ – ويطلقون عليها ايضاً اسم غزاة أنبار الآخرة او أليس الآخرة .

عندما رجع المثنى بن حارثة الى الحيرة ، اعاد تنظيم قواته ، ودعم مخافر المراقبة «المسالح» بافضل المقاتلين امثال عصمة الضبي والكابح الضبي وعرفجة البارقي وغيرهم من القادة . ثم ارسل جريراً الى ميسان ، وهلال بن علفة الى دست ميسان .

علم المثنى ان هناك سوقاً يقام كل عام في قرية اسمها الخنافس يأتيها تجار مدائن كسرى وسواد العراق ويتجمع فيها من الأموال ما يزيد على خزانة بيت المال ، وقال له احدهم :

[ان قدرت ان تغير عليهم وهم لا يشعرون اصبت فيها مالاً يكون غناء للمسلمين وقووا به على عدوهم دهرهم] (١) .

عكف المثنى على جمع المعلومات الضرورية عن المحور الذي يجب ان تسلكه قوة الاغارة والمسافة والمدة التي يستغرقها تجاوزها ، ثم اختار عناصر الاغارة من الفرسان الذين عهد فيهم الشجاعة وانطلق من « الحيرة » وسار في الليل حتى اشرف على أليس ، وكمن في انتظار قيام السوق . وعندما عرف ان الحركة في السوق اصبحت تسير بصورة جيدة انطلق بقوة الاغارة وبوغت حرس السوق فلم يلق المثنى مقاومة كبيرة ، وانصرف العناصر المخصصة من قوة الاغارة لجمع الاسلاب . هرب الناس من الذعر ، واصبح السوق خالياً ، ثم انسحبت قوة الاغارة في اتجاه الانبار .

ب – تابعت قوة الاغارة انسحابها حتى وصلت الانبار ليلا ، فتجهز منها ، واصطحب الادلاء وتزود بالاطعمة واشاع انه يعتزم الذهاب الى المدائن ، وانطلق في مسيرته حتى وصل منتصف المسافة الى بغداد فقال لاصحابه :

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٤٧٤ والتاريخ الكامل لابن الاثير ٢/٣٠٧ .

[من ينتدب للحرس] ؟

فتطوع من اراد ، واصدر المثنى اليهم تعليماته للاحاطة بالمعسكر وقال لهم :

[اذكوا حرسكم] .

ثم خاطب قوة الإغارة بقوله :

[ايها الناس ، أقيموا ، واطعموا وتوضأوا ، وتهيأوا] . ثم بعث الطلائع فحبسوا الناس ليسبقوا الأخبار(١)

تابــع المثنى وقوة الاغارة التحرك في الربع الاخير من الليل ، ووصلت القوة قريباً من سوق بغداد ، فتوقف المثنى قليلا ، ووزع القوة وحدد لها واجباتها وقال لعناصر الاغارة :

[لا تأخذوا الا الذهب والفضة ، ولا تحملوا من المتاع الا ما يقدر الرجل منكم على حمله على دابته] .

اعطــى المثنى شارة الانطلاق ، واندفعت قوة الاغارة ، وكانت مباغتة كاملة لحرس السوق بحيث لم يتمكنوا من استخدام اسلحتهم ، وقتل كل من حاول اعتراض افراد الاغارة . وجمعت الاسلاب ثم انسحبت قوة الاغارة بسرعة وتوجهت في اتجاه نهر السيلحين بالانبار وعندما وصلت قوه الاغارة الى النهر ، توقف المثنى ، وخاطب القوة المرافقه له بقوله :

[انزلوا ، واقضوا اوطاركم ، وتأهبوا للسير ، واحمدوا الله وسلوه العافية ثم انكشفوا قبيضاً] (٢) .

خــلال فترة التوقف القصيرة سمع المثنى همساً يدور بين الجند حول احتمال قيام خصومهم بمطاردتهم واللحاق بهم فقال لهم المثنى :

[... انظروا في الأمور وقدروها ثم تكلموا ، انه لم يبلغ النذير مدينتهم بعد، ولو بلغهم لحال الرعب بينهم وبين طلبكم ، ان للغارات روعات تنتشر

---

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٤٧٤ والتاريخ الكامل لابن الأثير ٢-٣٠٧ .

(٢) انكشفوا قبيضاً بمعنى استعدوا بسرعة للرحيل .

عليها يوماً الى الليل . ولو طلبكم المحامون من رأي العين ما أدركوكم وانتم على العراب (١) حتى تنتهوا عسكركم وجماعتكم ولو ادركوكم لقاتلتهم لاثنتين : التماس الاجر ، ورجاء النصر . فثقوا بالله واحسنوا به الظن] .

ثم اردف المثنى قائلا :

لقد سمعت من الخليفة وهو يوصي بشأن قوة الاغارة :

[ان نسرع الكرة في الغارات وان نقلل العرجة « المقام » ، ونسرع في غير ذلك الأوبة] .

عادت قوة الاغارة بعد ذلك الى الانبار فوصلتها دون صعوبة .

ج- من الاغارة الى مطاردة بني تغلب (٢) :

عندما وصل المثنى « الانبار » علم بتجمع من بني تغلب في « الكباث » فنظم ثلاثة مجموعات قتالية من الفرسان :

١ - المجموعة الأولى بقيادة المضارب العجلي .

٢ - المجموعة الثانية بقيادة زيد .

٣ - المجموعة الثالثة بقيادته .

- واطلق المثنى المجموعتين ، ثم كلف فرات بن الحيان لتسيير الامور خلال فترة غيابه وانطلق يتبع المجموعتين المتقدمتين من قواته .

وصلت القوة الى الكباث فوجدتها خالية ، وعلم المثنى ان بني تغلب قد غادروها منذ فترة قصيرة وان فارس العناب التغلبي يقوم على حماية المؤخرة .

انطلقت القوة في اثر قبائل تغلب ووصلت الى المؤخرة واشتبكت مع

---

(١) العراب من الخيل . الخيل العربية الاصيلة السليمة من الهجنة .

(٢) تاريخ الطبري ٤٧٤/٣ . والتاريخ الكامل لابن الأثير ٣٠٦/٢ .

فارس العتاب التغلبي في معركة قصيرة لم تزد عن ساعة من الزمن ثم هرب فارس العتاب وابيدت المؤخرة ، وضمت قوة الاغارة الاسلاب اليها ، وعادت الى الانبار فوزعت الاسلاب على المقاتلين وارسل الخمس الى بيت الله في المدينة .

د ــ البحث عن الطعام :

وجد المثنى عند عودته الى الانبار أن المواد الغذائية ، وخاصة اللحوم ، تكاد تكون مفقودة ، وارد انتزاع الطعام من قبضة خصومه ، فجهز قوة من الفرسان بقيادة فرات بن حيان وعتيبة بن نهاس . ووجهها الى صفين بمهمة الاغارة على قبائل تغلب والنمر واحضار الاطعمة ، وعندما وصلت قوة الاغارة الى صفين هربت القبائل وعبرت الفرات الى الجزيرة ونظمت المقاومة فيها .

تابع فرات وعتيبة مطاردتهما ، ثم باغتا قبائل النمر وتغلب ، ونجحت قوة الاغارة في قتل كل من جابهها ، وهرب افراد القبائل فطاردهما فرات وعتيبة وافراد قوة الاغارة واخذوا في القاء خصومهم في النهر ، فاخذ هؤلاء يصرخون [الغرق ـــ الغرق] ويستنجدون لانقاذهم فاجاب فرات وعتيبة [تغريق ـــ بتحريق] وهم يذكرونهم بذلك يوماً من ايام الجاهلية اغارت فيه تغلب على بكر بن وائل وأحرقتهما في غيضة من الغياض .

ثم عاد فرات وعتيبة بالغنائم الى الانبار .

علم المثنى من عناصر الامن الموزعة على قوة الجيش ما فعله فرات بن حيان وعتيبة من اغراقهما للرجال وقولهما تغريق بتحريق ، فكتب بذلك الى الخليفة عمر فاستدعاهما الى المدينة ، وسألهما عن الحادث ، فأعلماه انهما قالا ذلك على سبيل المثال ، فقط ، وانهما لم يفعلا ذلك بهدف طلب ثأر لحدث ايام الجاهلية ، فاستحلفهما عمر ، فحلفا انهما ما ارادا في ذلك الا المثل واعزاز الاسلام فصدقهما واعادهما الى المثنى .

هـ ـ اكرموا عزيز قوم :

ارســـل المثنى فرات بن حيان وعتيبة بن النهاس للاغارة على تغلب ونمر في صفين ثم نظم قوته على نحو يماثل كافة عملياته السابقة وكانت كالتالي :

المقدمـــة بقيادة حذيفة بن محصن الغلفاني .

المجنبتـــان ، النعمان بن عوف بن النعمان ومطر « وكلاهما من شيبان ».

ثم اصـــدر امره بتكليف عمرو بن ابي سلمى الجيهمي لتسيير الامور اثناء غيابه ، وانطلق على محور صفين ، وعندما وصلها وعرف امر هروب قبائل النمر وتغلب ترك فرات وعتيبة يتابعان مهمتهما وانطلق بحثاً عن الطعام لجيشه .

عـــثر المثنى اثناء مسيرته الليلة على قطيع من الابل تابع لاهل دياف وحوران يقوم على حراسته عدد من الخفراء فقتل الخفراء وبقي منهم ثلاثة احضرهم افراد جيش المثنى وكانوا من بني تغلب ، فهددهم المثنى بالقتل ان لم يرشدوه الى الموضع الذي يقيم به بنو تغلب ، فتطوع احدهم بعد ان اخذ لنفسه ولعائلته عهداً بالا يمسهم احد بسوء ورافق جيش المثنى ، وتوجه الجيش في مسيرة استمرت طوال النهار ، وعندما اقتربت قوة الاغارة من هدفها توقفت حتى مرور فترة من الليل ، ثم قامت بهجوم مباغت ، وابادت الرجال وهم في منازلهم ثم سبت النساء والاطفال واحاطت بالانعام والخيول والمواشي التي كانت تنتشر حول الماء ، وعادت بالغنائم ، وكانت كثيرة بحيث اصاب المقاتل خمسة انعام وخمساً من السبي بالاضافة الى خمس الفيء .

كـــان من السبايا قوم من « بني ذو الرويحلة » فافتداهُنَّ المسلمون بما اصابهم من الفيء واطلقوا سراحهن ، ذلك لان ربيعة لم تكن تسبي عندما كان العرب يسبي بعضهم بعضاً ايام الجاهلية ، واكرم المسلمون سبي الرويحلـــة واعيد السبي الى اهله .

الوضع العام قبل معركة القادسية :

شعر قـادة الفرس بالخطر الذي يتهددهم نتيجة لتمزق الاسرة الساسانية وعدم ظهور شخصية قوية تستطيع السيطرة على الموقف ، فعقدوا مؤتمراً انتهى بتعيين يزدجرد بن شهريار بن كسرى ملكاً على الفرس .

كـان اول ما فعله يزدجرد هو اعادة تعيين القادة وتنظيم الجيش ، ثم دعم « المسالح » التي كانت عل حدود فارس والتي كانت بمثابة مراكز مراقبة مسلحة هدفها المراقبة والانذار . ووجه بعد ذلك الجيوش لاحتلال الحيرة والانبار والأبلة .

عندمـا توفرت هذه المعلومات للمثنى ارسلها الى الخليفة عمر ، موضحاً خطورة الموقف .

لم تكن رسالـة المثنى قد وصلت الخليفة عندما ظهرت بواكير التمرد ، وارتد اهل سواد العراق سواء من كان منهم قد عقد صلحاً مع المسلمين أو من لم يفعل .

تجـاه هذا الموقف اصدر المثنى اوامره بالانسحـاب الى « ذي قار » بهدف حماية الجيش وانتظار اوامر الخليفة ، ووصل رد ابن الخطاب :

[اما بعد ، فاخرجوا من بين ظهري الاعاجم ، وتفرقوا في المياه التي تلي الاعاجم على حدود أرضكم وأرضهم ولا تدعوا في ربيعة احداً ولا مضر ولا حلفائهم احداً من أهل النجدات ، ولا فارساً الا اجتلبتموه فإن جاء طائعاً والا حشرتموه ، احملوا العرب على الجد إذا جـدّ العجم فتلقوا جدهم بجدكم] (١) .

ثم ارسل الخليفة عمر رسالة الى الأقطار وكان فيها :

[لا تدعوا احداً له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأي الا انتخبتمـوه ثم وجهتموه الي ، والعجل العجل] (٢).

---

(١) تاريخ الطبري ٤٧٨/٣ .

(٢) أيام العرب في الاسلام ٢٣٢ – الطبري ٤٧٩/٣ .

وبدأت قوافل المقاتلين تصل من اليمن واطراف الجزيرة .

في اليـــوم الأول من محرم سنة ١٤ هـ ، غادر الخليفة عمر المدينة وتوجه بالمقاتلين الى صرار بعد ان استخلف على المدينة علي بن ابي طالب – وكان الناس يجهلون ما يعتزم الخليفة ان يفعله – وفي صرار ، شرح ابن الخطاب الهدف وهو فتح العراق ، وابلغهم عزمه على قيادة الجيش ، فتصدى له كبار الصحابة والمخلصون ونصحوه ان يعدل عن المسير لما في ذلك من خطر على مستقبل الأمة ، واستطاع هؤلاء اقناع الخليفة بتعيين قائد للجيش ، وبدأ البحث عن القائد ، واستعرض ابن الخطاب في ذاكرته من يصلح لهذا الواجب فقال :

وجدته

وقيل له من هو ؟ فقال :

الاسد في براثنه ، الأسد عادياً ، سعد بن ابي وقاص .

واصدر الخليفة امره الى سعد بالحضور من هوازن وابلغه تعيينه لقيادة الجيش .

التحرك الى منطقة التجمع ، زرود، شراف :

اصـــدر الخليفة اوامره الى سعد بن ابي وقاص بالتحرك الى زرود منطقة التجمع وقال له يوصيه .

[اذا انتهيت الى زرود ، فانزل بها ، وتفرقوا فيما حولها ، واندب مـــن حولك منهم ، وانتخب اهل النجدة والرأي والقوة والعدة] (١) .

كـــانت القوة التي غادر بها سعد منطقة صرار لا تزيد على اربعة آلاف مُقاتل .

وجـــه بعد ذلك الخليفة عمر دعماً لسعد بن ابي وقاص يضم سبعة آلاف

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٤٨٥ .

مقاتل من بني تميم والرباب وأسد ، وأمرهم التمركز ما بين الحزنة والبسطة اي بين زرود والعراق .

وعندمـــا شعر الخليفة عمر ان القوة اصبحت كافية لمجابهة موقف العمليات اصدر امره اليه بالتحرك الى منطقة الحشد في « شراف » وكتب له بعد ان دعمه بأربعة آلاف مقاتل من جند اليمن ونجد :

[اذا نزلت بشراف ، فعشر الناس ، وعرف بهم ، وأمر على اجنادهم وعبهم،ومر رؤساء المسلمين فليشهدوا عليهم وقدرهم وهم شهود ثم وجههم الى أصحابهم وواعدهم القادسية ، واضمم اليك المغيرة بن شعبة في خيله . ثم اكتب الي بالذي يستقر عليه امرهم] (١) .

انتقـــل سعد بجيشه الى « شراف » وضم اليه المغيرة بعد ان كان قد ارسله في اتجاه « الأبلة » مكان البصرة حالياً ، بمهمة الاستطلاع والحماية . ونظم جيشه وفق توصيات الخليفة .

تابـــع الخليفة عمر استنفار القبائل وحشد المقاتلين وعندما بلغه تجمع ملوك الفرس وامرائهم واجماعهم على حرب المسلمين قال :

[والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب] .

ولهذا فانه لم يترك قائداً او مقاتلاً اوخطيباً او شاعراً او زعيماً الا حشده في المعركة واستمر سيل الدعم والامداد يتدفق على سعد بن ابي وقاص دونما توقف .

ارســـل سعد بن ابي وقاص رسالة الى المثنى بن حارثة يعلمه قدومه الى شراف ويطلب اليه الالتحاق به ، ومضت فترة ثم وصل المعنى بن المثنى . وسلمى بنت خصفة التيمية زوجة المثنى ، واعلمه بوفاة والده المثنى ثم شرح له سبب تأخره في الالتحاق به ، وهو التالي :

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٤٨٧ .

ارســـل الازادمرد بن الاذاذية الى قابوس بن قابوس بن المنذر يطلب اليه التوجه الى القادسية بمهمة استثارة العرب ضد المسلمين وقال له :

[كن كما كان آباؤك] .

فتوجه قابوس الى القادسية وارسل رسالة الى بكر بن وائل بمثل ما كان النعمان يكاتبهم به من تهديد ووعيد . وعندما وصل المعنى ما فعله قابوس ، خرج ليلا من ذي قار الى القادسية ودخل عليه بيته وقتلهمع من كان في منزله ، وعاد اليه ثم سلمه رسالة والده الى سعد .

عـــين سعد قائداً لجيش المثنى ابنه المعنى وتزوج سلمى ، وكان نص رسالة المثنى اليه مماثلاً لوصية الخليفة عمر من حيث ضرورة اتخاذ ترتيبات الامن .

من شراف الى عذيب الهجانات :

انتهـــت مرحلة التنظيم في شراف فأرسل الخليفة تعليماته للتحرك الى القادسية وتنظيم القوات للمسير وبناء على هذه التعليمات ، تم تنظيم التحرك كالتالي :

الطلائع بقيادة اسود بن مالك بمهمة استطلاع العدو ، وحماية القوات
المقدمة بقيادة زهرة بن عبدالله بن الحوية .
الميمنة بقيادة عبدالله بن معتم .
الميسرة بقيادة شرحبيل بن السمط الكندي .
المشاة بقيادة جمال بن مالك الاسدي .
الفرسان بقيادة عبدالله بن ذي السهمين .
المؤخرة «الساقة» بقيادة عاصم بن عمرو .

وقسم الطريق الى ثلاثة مراحل ، المرحلة الاولى حتى منتصف المسافة مـــن العذيب .

المرحلة الثانية حتّى عذيب **الهجانات** .

المرحلة الثالثة حتّى القادسية

ويصف احد المقاتلين موقف القوات عند الوصول الى عذيب **الهجانات** فيقول :

[وصلنا عذيب الهجانات في وجه الصبح ، وخرج زهرة بن الحوية لازالة مسالح الفرس ، وكانت العذيب مسلحاً من مسالحهم . واقتربنا من أحد المسالح فتبين لنا على بروجه أناساً ، فما نشاء ان نرى على برج من بروجه او بين شرفتين الا رأيناه وكنا في سرعان الخيل « أوائلها » فتوقفنا حتّى تلاحق بنا كثف « جماعة » ثم اقدمنا فلما دنونا خرج رجل يركض نحو القادسية . فانتهينا فدخلناه ، فاذا ليس فيه احد ، واذ بذلك الرجل هو الذي كان يتراءى لنا على البروج وهو بين الشرف مكيدة ، ثم انطلق بخبرنا ، فطلبناه فاعجزنا ذلك ، وسمع بذلك زهره . فاتبعنا فلحق بنا وخلفنا وقال : ان افلت الربيء اتاهم الخبر . وادركه بالخندق فقتله](١) .

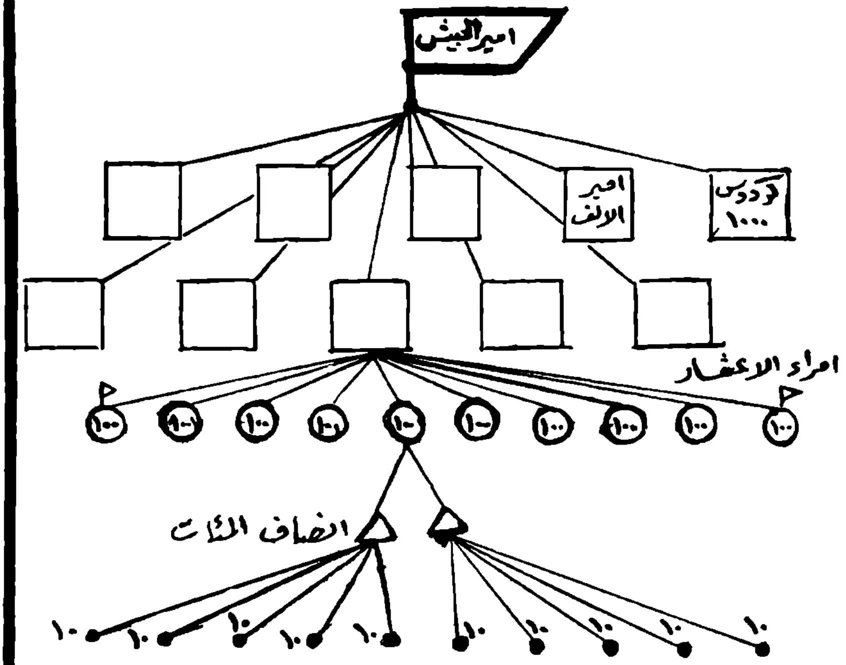
ووصل سعد بجيشه الى القادسية ، وبدأ بدراسة الارض وموقف السكان واستطلاع المناطق المجاورة وتبين له خطورة القلاع والتحصينات التي اقامها الفرس على امتداد الفرات لحماية دولتهم فارسل قوات لازالة المسالح وتدمير التحصينات والقلاع جميعها .

عندما وصل سعد القادسية وكتب الى الخليفة عمر يعلمه بذلك ارسل له الخليفة كتاباً طلب منه وصف الموضع فاجابه :

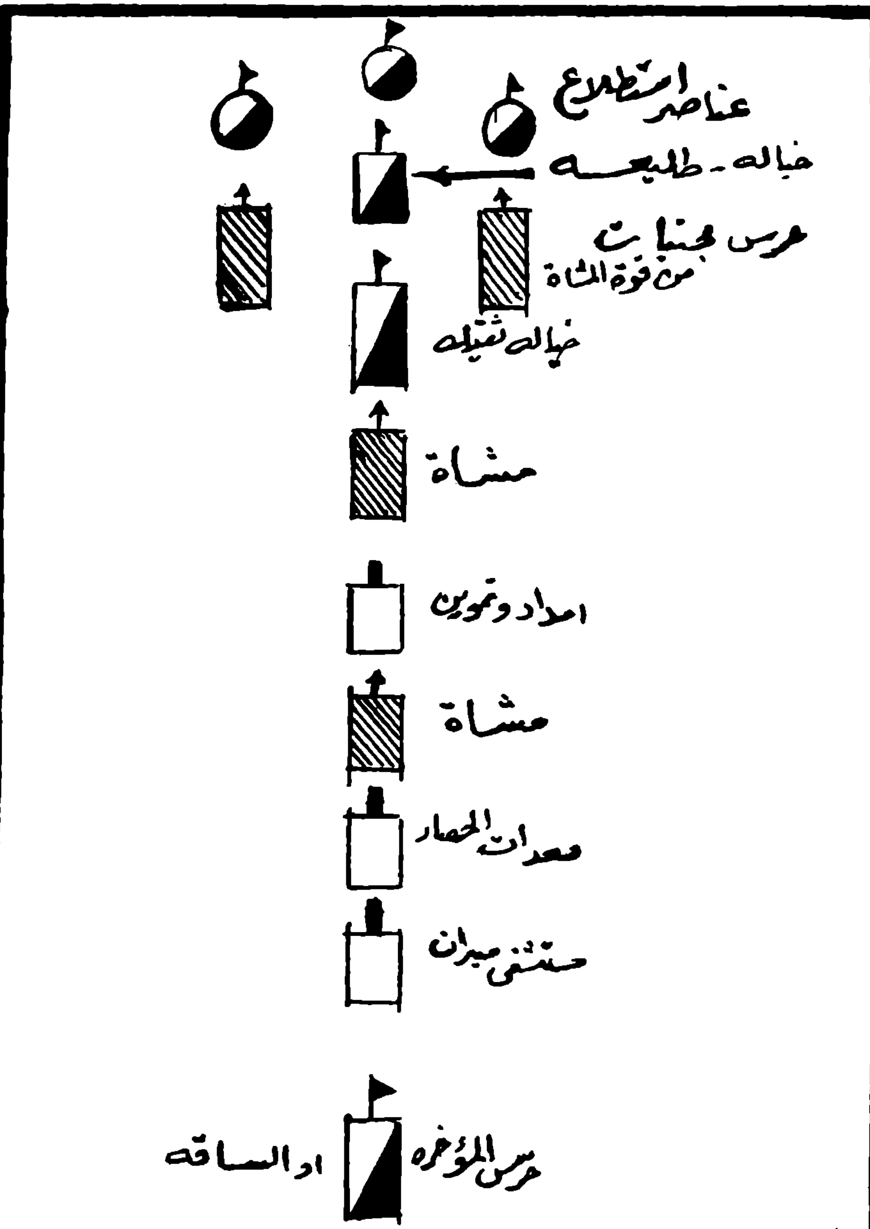
[القادسية – بين الخندق والعتيق ، عن يسار القادسية بحر اخضر في جوف لاح – اي ضيق – يمتد حتّى الحيرة بين طريقين ، احدهما على الظهر ، اي داخلي ، وثانيهما على شاطيء نهر يدعى الحضوض ، وهو نهر بين القادسية

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٤١٤ .



- تنظيم الجيش الذي وضعه الخليفة عمر بن الخطاب، وهو التنظيم الذي أصبح نموذجاً للتسلسل العسكري في عهود الفتوحات الإسلامية.
- يسير أصحاب الرايات في المقدمة - يتبعهم القادة رؤساء القبائل وشيوخها ثم يلي ذلك أمراء الجيوش - وتأتي كراديس المقاتلين بعد ذلك.



تنظيم القوات للمسير - وضعه الخليفة الثاني عمر بن الخطاب وطبقه سعد بن أبي وقاص وهاشم بن عتبة، ثم أصبح نموذجاً لتحرك القوات ومسيرتها في الفتوحات الإسلامية.

والحيرة ، يطلع بـمن يسلكه ما بين الخورنق والحيرة ، اما عن يمين القادسية إلى الولجة فهو فيض من فيوض مياههم .

ان جميع من صالح المسلمين من اهل السواد قبلي إلبُ لأهل فارس . أي عون لهم ، قد خفوا لهم واستعدوا لنا ، فهم يحاولون إنفاضنا ، بمعنى اثارتنا واقحامنا ، ونحن نحاول انفاضهم وابرازهم ، وأمر الله بعد ماض ، وقضاؤه مسلم الى ما قدر لنا وعلينا ، فنسأل الله خير القضاء ، وخير القدر ، في عافية] (١) .

شعر الخليفة عمر بن الخطاب من خلال أسطر قائده سعد بن أبي وقاص ، ان الوضع خطر في العراق فارسل رسالة تضمنت توصياته ووعده بدعمه ، وفي هذه الفترة وصلت انباء هزيمة الروم في الشام ، فارسل الخليفة عمر رسالة الى أبي عبيدة يطالبه باعادة تنظيم الجيوش وتعويض الخسائر من جيش ـ البدال ـ الذي أرسله لهذه الغاية ، وتوجيه هاشم بن عتبة بعد ذلك والقعقاع بن عمرو لدعم سعد بن أبي وقاص في العراق .

عندما انتهت مرحلة اعادة التنظيم ، انطلق القعقاع على رأس المقدمة بقوة الف مقاتل ، ووضع على قيادة ميمنته قيس بن هبيرة وعلى قيادة الميسرة المزهاز بن عمرو العجلي ثم تبعه في اليوم الثاني هاشم بن عتبه بن ابي وقاص على رأس قوة مكونة من خمسة آلاف مقاتل بعد ان كلف عمرو بن مالك الزهري بحماية الميمنة وربعي بن عامر بحماية الميسرة .

مسيرة الفرس الى القادسية :

تحـرك رستم عندما علم بمسيرة جيش المسلمين الى القادسية ، فحشد قوة مكونة من مائة الف مقاتل وسار بهم حتى وصل « ساباط » ما بين المدائن والقادسية ، ثم ما لبث ملك الفرس يزدجرد ان نقل مقر قيادته الى « ساباط » للاشراف على مسيرة اعمال القتال .

---

(١) معجم البلدان ـ ٨ ـ ٣٢٩ .

مكث جيش الفرس فترة أربعة أشهر بهدف تحطيم الروح المعنوية للمسلمين وإرغامهم على الدخول في المعركة وقيادتهم الى الحرب بالطريقة والمنطقة التي يريدونها ، إلا أن المسلمين التزموا بتوصيات الخليفة عمر ، فلم يغادروا ميدان المعركة الذي وقع اختيارهم عليه ، ولما ضاق رستم ذرعاً بالمسلمين أرسل اليهم يطالبهم الإنتقال الى جوار معسكره ، فما كان من سعد ابن ابي وقاص إلا أن أرسل قوة اغارة على رأسها عاصم بن عمرو وجابر الاسدي ، واستطاعت قوة الاغارة أن تنزل بقوات الخصم ضربات عنيفة وتكبدهم خسائر فادحة مما أرغم الفرس على مغادرة منطقة حشدهم وقد داخلهم اليأس من اجتذاب المسلمين الى معركة في منطقة تشابه منطقة « الجسر » وايقاع الهزيمة بهم .

تابع جيش الفرس تقدمه على امتداد نهر العتيق حتى وصل خفان القريبة من القادسية .

كان لابد لسعد بن ابي وقاص قبل ان يبدأ القتال من اتباع السنة التي سنها الرسول الاعظم في حروبه ، فارسل وفداً الى كسرى مكون من النعمان بن مقرن ، وعمرو بن معد يكرب ، وعاصم بن عمرو ، والمغيرة بن شعبة وآخرين وجرت مساجلات ومناقشات مع يزدجرد كسرى الفرس ، ونفذ الوفد مهمته بأن طلب من خصمه اختيار واحدة من ثلاث :

١ — اتباع دين الاسلام . ٢ — دفع الجزية . ٣ — الحرب .

وتكررت الاتصالات ، ورفض الفرس الدخول في الاسلام او دفع الجزية ، ولم يبق الا الحرب .

مخططات الطرفين والاستعداد للمعركة .

كان المخطط الاول للفرس هو جر المسلمين الى منطقتهم ثم حصارهم وتدميرهم ، إلا أن المسلمين افادوا من تجربة معركة الجسر ، والتزموا بتوصيات

الخليفة عمر ، فلم يغادروا منطقتهم ، وارغموا الفرس على الدخول في المعركة داخل المجال الذي وقع اختيارهم عليه .

نظم جالينوس قوة جيشه على الشكل التالي :

المقدمة .

قلب الهجوم وقوتها اربعون الف مقاتل ويقودها القائد جالينوس .

الميمنة ويقودها القائد الهرمزان .

الميسرة ويقودها مهران بن بهرام .

المؤخرة او الساقة وقائدها البيرزان .

افـــاد الفرس من قلة خبرة العرب في القتال ، وشهدوا المباغتة التي احدثها وجود الفيلة في معركة الجسر ، فعملوا على زج اعداد منها في معركتهم خلال اليوم الأول والثالث ، وكان عدد الفيلة ٣٣ ، وضع ١٨ منهم في القلب و ١٥ في الاجناب .

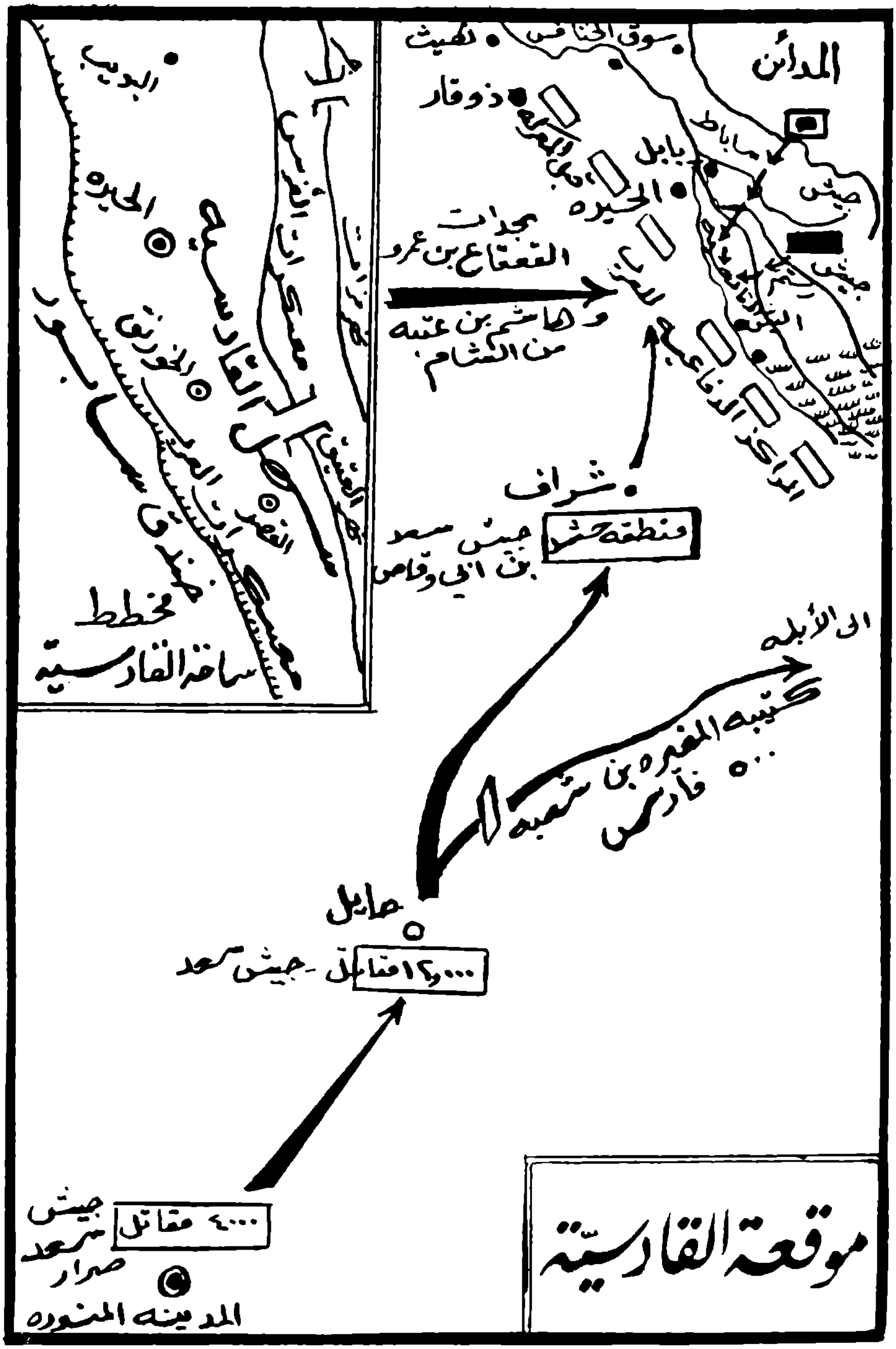
طبـــق في جيش المسلمين نظام الكراديس وقسم الجيش الى ميمنة وميسرة وقلب ، واعتمد المسلمون في التخطيط للمعركة على الفرسان كقوة ضاربة واجبها :

ا ــ دعم هجوم المشاة . ب ــ اجراء المطاردة .

جـ ــ عدم السماح للعدو بالتطويق او الاحاطة .

استـــدعى سعد بن ابي وقاص كبار القادة ، وطلب اليهم الاستعداد للمعركة ، واعطاهم التعليمات النهائية ، وكان من هؤلاء القادة : غالب وعمرو ابن معد يكرب ، الهزيل الاسدي ، بُسر بن ابي رُهم الجهني ، عاصم بن عمرو ، ربيع الاسدي ، ربعي بن عامر ، كما كان فيهم من الشعراء الحطيئة والشماخ ، وكان واجب الشعراء بالدرجة الاولى رفع الروح المعنوية للمقاتلين .

نظـــراً لاصابة سعد بن ابي وقاص بمرض جلدي يعيقه عن الإشتراك في المعركة فقد انتدب لقيادة الجيش خالد بن عرفطه ، واختار القائد سعد مكاناً


المدائن
ساباط
ذو قار
بابل
الحيرة
نجدات
القعقاع بن عمرو
وهاشم بن عتبة
من الشام
شراف
منطقة حشد
جيش سعد
بن أبي وقاص
الى الأبلة
كتيبة المغيرة بن شعبة
٥٠٠ فارس
حايل
١٢,٠٠٠ مقاتل - جيش سعد
٤٠٠٠ مقاتل
جيش سعد
صرار
المدينة المنوره
البويب
الحيرة
الخورنق
القادسية
مخطط
ساحة القادسية
موقعة القادسية

مرتفعاً يشرف على ميدان القتال ، واعلم القادة أنه سيقود المعركة بنفسه وانه سيرسل تعليماته واوامره اثناء سير القتال الى قائده خالد بواسطة الرقاع — الاوامر خطية — .

ميزان القوى بين الطرفين :

استمرت المعركة ثلاثة ايام وليلة . ووقعت خلال الايام الثلاثة خسائر كبيرة بين الطرفين ، كما وصلت قوات دعم لجيش المسلمين . ولهذا فقد كانت نسبة القوى بين الطرفين على النحو التالي :

قوات الفرس عند بدء المعركة	قوات المسلمين	ملاحظات
١٢٠,٠٠٠ مقاتل	٢٢,٠٠٠	وصلت قوات المسلمين في اليوم الثاني قوة الف مقاتل بقيادة القعقاع ووصلت قوات دعم في اليوم الثالث بقيادة هاشم عددها خمسة آلاف وخسرت قوات المسلمين في اليومين الفي مقاتل — في حين خسر الفرس عشرة آلاف — نسبة التوازن التقريبية خمسة مقابل واحد لصالح الفرس .

سير الاعمال القتالية :

انتظمت صفوف مقاتلي الفرس ، واستعد الجند للقتال ، ووقف جند المسلمين بالمقابل ينتظرون خصمهم حتّى يكون هو البادىء بالهجوم وذلك بهدف تحطيم حدة هجومه وكشف نواياه قبل زج قوات المسلمين ، وكاد النهار ينتصف والفرس في مواقعهم، فقرر سعد بن ابي وقاص البدء والهجوم واعطى تعليماته لقائده خالد بن عرفطة ، وحدّد له شارة الهجوم على الشكل التالي :

١ – يكبر سعد بن ابي وقاص التكبيرة الاولى فيردد المسلمون جميعاً التكبيرة ويتخذون مواقعهم في الصفوف .

٢ – يكبر سعد التكبيرة الثانية ، فيحمل المقاتلون المسلمون اعتدتهم واسلحتهم وهم يرددون التكبيرة .

٣ – يكبر سعد التكبيرة الثالثة ، فينطلق الفرسان في صفوفهم المتراصة للبدء بالصدام وهم يكبرون .

٤ – يكبر سعد التكبيرة الرابعة ، فيتقدم جنود المشاة للقاء خصمهم .

واستمرت المعركة ثلاثة ايام حمل كل يوم منها اسماً خاصاً وكانت مسيرة العمليات كالتالي :

١ – يوم ارماث :

جلس سعد بن ابي وقاص في مقر قيادته المشرف على المعركة ، وانطلق المسلمون يصرخون صيحة الحرب « الله اكبر » والتحمت صفوفهم بصفوف الفرس وبدأت المعركة شرسة ، حارة مع ارتفاع شمس الظهيرة ، وشهد سعد بن ابي وقاص مجموعة من الفيلة تنطلق من الجناح الايسر للفرس فتصطدم بالجناح الايمن للمسلمين ، وتصمد صفوف قبيلة « بجيلة » ولكنها لا تستطيع الوقوف طويلا في مجابهة هذا السلاح الجديد ، وتأخذ الفيلة في اثارة الذعر بين الصفوف ، وتفر الخيول ، وتكاد الميمنة تنكشف للفرس ، ويستنجد عمرو ابن العاص بقبيلة طليحة بن خويلد الاسدي فيقف طليحة في قومه ويقول :

[يا عشيرتاه ، لو علم سعد ان احداً أحقُّ باغاثة هؤلاء منكم استغاثهم ، فانما سميتم اسداً لتفعلوا فعله ، شدوا ولا تصدوا ، وكروا ولا تفروا ، شدوا عليهم باسم الله] .

وتندفع قبيلة اسد ، ويلاحظ سعد من موقعه الفيلة وقد اخذت تعمل تقتيلا في الجناح الايسر لقواته ، فيرسل الى الرماة اوامره :

[ذبوا ركبان الفيلة عنها بالنبل] .

وتنطلق السهام فتصيب مقاتلي الفرس ممن يقودون الفيلة ويوجهونها ، وتصبح الفيلة عمياء لا تعرف اين تتوجه ، ويرسل سعد الى فئة من المقاتلين باوامره :

[استدبروا الفيلة ، واقطعوا وجنتيها] .

وتسللت فئة المغاوير من خلف الفيلة فاعملوا في وجنات الفيلة قطعاً وتمزيقاً ، وسقطت الصناديق التي كان يحتمي بها المقاتلون وانطلقت الفيلة تحطم في طريقها ركبانها ودبت الفوضى ، وانطلقت الفيلة تسير في كل اتجاه .

استمرت المعركة ضارية ، شرسة ، عنيدة ، وسارت ساعات النهار متباطئة ، وغربت الشمس اخيراً وتوقف القتال .

انصرف المسلمون لتضميد جراحهم ، ودفن قتلاهم ، واعادة تنظيم صفوفهم ، وتأمين متطلباتهم الادارية ، انهم لم يحققوا نصراً في نهارهم ، الا انهم استطاعوا احباط مخطط خصمهم في احراز نصر حاسم بواسطة السلاح الذي زج به في المعركة وهو الفيلة .

٢ - يوم اغواث :

بدأت المعركة منذ الساعات المبكرة للنهار ، ولم تكد حرارة القتال ترتفع حتى كانت امواج الغبار تنطلق الى السماء مبشرة بقدوم نجدات تدعم جيش المسلمين ، وظهرت اول مجموعة من المقاتلين بقيادة القعقاع بن عمرو .

كان القعقاع قد غادر الشام في تنظيم المسيرة ، وعندما اقترب من سهل القادسية ، قسم فرسانه وقواته على مجموعات كل واحدة منها تضم مئة فارس واعطاهم تعليماته بالتقدم على فواصل متباعدة حتى الوصول الى ميدان المعركة ، وهكذا شهد الافق دوامات مستمرة من الرمال المتصاعد ، وشهد ميدان القتال دماً جديداً وقوة متماسكة تندفع اليه طوال النهار ، وظن الفرس ان جيش المسلمين قد دعم بقوات كبيرة في حين لم يكن عدد افراد قوة الدعم يزيد على الف فارس .

كان اول ما فعله القعقاع بن عمرو لدى وصوله ميدان القتال طلب المبارزة فبرز له القائد الفارسي ذو الحاجب الذي كان قد هزم المسلمين في معركة الجسر ، وما هي الا جولة حتى اصاب سيف القعقاع مقتلاً من خصمه وسقط ذو الحاجب تحت اقدام القعقاع وارتفعت الروح المعنوية للمسلمين في حين اصيب الفرس بتدهور في روحهم المعنوية .

استمرت المعركة طوال النهار ولم يحرز اي طرف فيها نصراً حاسماً على خصمه .

انتهت معركة اليوم الثاني بغروب الشمس ، واخذ المسلمون في احصاء خسائرهم ، فكان مجموع قتلاهم الفي قتيل في حين وصلت خسائر الفرس حتى عشرة آلاف قتيل . وافاد المسلمون من ظلمة الليل لاعادة تنظيم قواتهم وتنظيم شؤونهم الادارية والاستعداد لليوم الجديد .

٣ – يوم اعماس :

لاحظ القعقاع بن عمرو الأثر النفسي الذي تركه وصول قواته على موجات متعاقبة طوال النهار فارسل مراسلا يبلغ هاشم بن عتبة بن ابي وقاص تطبيق الاسلوب ذاته . ووقف هاشم فقسم قواته المكونة من خمسة آلاف جندي الى مجموعات كل واحدة منها تضم مئة مقاتل ، وأخذت افواج المسلمين تصل المعركة على التتابع فتحول ميدان القتال الى ما يشبه البحر الهائج بامواجه .

بدأت المعركة منذ الصباح المبكر . واخذت حرارتها ترتفع مع ارتفاع حرارة شمس النهار ،وعند الظهيرة عاود الفرس زج الفيلة،وكان يتقدمها فيل ابيض كبير تميز عن رفاقه بالوحشية ، واخذ فرسان المسلمين يسقطون تباعاً ، كما انطلقت الخيول تهرب من امام الفيلة ، واستعلم سعد بن ابي وقاص من احد جنود الفرس الذين دخلوا في الاسلام عن الموضع القاتلة للفيلة فقيل له : عيونها وخراطيمها .

ارســـل سعد بن ابي وقاص تعليماته الى مجموعة من المغاوير بتركيز الضربات على خراطيم الفيلة وعيونها وضرب احدهم الفيل الابيض ، فاصاب منه مقتلا ، فاهتاج الفيل وتوجه نحو النهر ، وتبعته بقية الفيلة ، وتخلص المسلمون من هذا السلاح الذي كان يعترض سبيلهم .

استمرت المعركـــة حتى المساء دونما هوادة أو توقف ، وقد أعطى وصول قوات هاشم المستمر الى ميدان المعركة زخماً قوياً ، اثار الحماسة ، وصاعد من حدة القتال .

٤ ـ الاغارة الليلية :

عندمـــا هبط الليل وتوقف القتال ، ارسل سعد بن ابي وقاص طليحة بن مزيد ، وعمرو بن معد يكرب بمهمة استطلاع المخاضة الجانبية الواقعة إلى جنوب ميدان القتال ، وذلك خشية أن يستخدمها الفرس للفيلة بحركة تطويق تصل بهم الى ما وراء معسكر المسلمين ، وانطلق الفارسان مع قواتهما الى المخاضة ، وعندما لم يشهدا اثراً للعدو تابعا تقدمهما واذا بهما الى الخلف من معسكر قوات الفرس .

اطلـــق فرسان طليحة وعمرو صيحة الحرب ، وارتفع صوت « الله اكبر » يمزق سكون الليل واسرع الفرس الى مواقعهم بعد ان ادركوا ان المسلمين سيباغتونهم بهجومهم من الخلف وظن مقاتلوا المسلمين ان الفرس سيباغتونهم بهجوم ليلي فانطلقوا الى مواقع القتال ، ونادى القعقاع بالمسلمين ، وقام بالهجوم على الفرس ، وأخذت رحى المعركة تتزايد فتطحن برحاها المقاتلين ، واستمرت الحرب طوال الليل دون توقف او هوادة ، واشرقت الشمس وقوات الفرس قد ارهقها التعب ونال منها الجهد بعد ايام ثلاثة ولياليها في قتال مستمر .

عـــرف القعقاع بن عمرو ما أصاب خصمه ، فنظم هجومه الحاسم الذي استهدف ميمنة الفرس وميسرتهم ، ونجح الهجوم المنظم بتحطيم الأجنحة

وأخذت قوات المسلمين تتدفق الى ما وراء قلب قوات الفرس . وشاهد القعقاع خيمة رستم فانطلق يبحث عنه ولكنه لم يعثر عليه . وبينما كان واحد من مقاتلي المسلمين وهو هلال بن علقمة يندفع في قتاله اذا به يشهد مجموعة من البغال المحملة فضرب احمال واحد من البغال وسقطت الصناديق وظهر منها فارس ما كاد يصل الارض حتى انطلق في اتجاه النهر يبحث عن طريق للهرب من المعركة . وعرف فيه هلال شخص رستم من خوذته ولباسه فانطلق في أثره ، ونزل رستم في النهر فتبعه هلال حتى منتصف النهر وتماسك الاثنان وتمكن هلال من خصمه فقتله ورفع رأسه على سيفه وصاح :

[قتلت رستم ورب الكعبة] .

وترددت الصيحة في صفوف الفرس فانهارت قوتهم المعنوية وشعر جالينوس باقتراب النهاية ، فأمر جنوده بعبور جسر كانوا قد اقاموه من المحطومات والردم ، إلا أن هذا الجسر لم يلبث أن انهار وتداعى ، وأخذ جنود الفرس الهاربون من السيوف يسقطون في النهر فتصرعهم المياه . وغرق من جند الفرس ٣٠,٠٠٠ مقاتل ، وتابع الفرار كل من وجد اليه سبيلا . وحقق جند المسلمين النصر على خصومهم . وكلف زهرة بن عبدالله بالمطاردة فتابع قوات الفرس حتى ادرك جالينوس وقتله .

الدروس المستفادة من معركة القادسية :

عرف مولتكه الاستراتيجية بقوله :

[الاستراتيجية هي في توزيع مختلف الوسائط العسكرية واستخدامها لتحقيق هدف السياسة] .

واعتمد اللواء الركن مصطفى طلاس الكلمات التالية وصفاً للاستراتيجية العليا حيث قال :

[هي من اعداد الحرب وادارتها ، لتحقيق نصر لا يتعارض مع سلم مقبل] .

اذا اخـذنا بالتعريفين المذكورين من بين مجموعة غير محدودة مـن التعاريف ، وحاولنا دراسة معركتي اليرموك والقادسية على ضوئهما ، نجد ان المعركتين المذكورتين نموذجاً رائعاً لتطبيق استراتيجية الحرب .

لقـد جرت وقائع المعركتين في تواقت واحد ، وطبقت فيهما مبادىء متماثلة مما جعل منهما نموذجاً لوضوح الفكر الاستراتيجي العربي الاسلامي في تصميمه وتنفيذه .

١ – في توزيع القوى ، وتحديد الافضلية :

كـانت معارك الاسلام داخل الجزيرة محدودة باهدافها ، محدودة في ابعادها ، محدودة في اساليبها ، وكانت الكتلة البشرية التي يتم زجها في المعركة نتيجة لذلك محدودة ايضاً . ولقد فرض واقع الفتوحات خارج الجزيرة تغييراً جذرياً في الفكر الاستراتيجي وفي اسلوب العمل .

ارسـل الخليفة ابو بكر جيشه لفتح الشام ، وأتبعه بجيش آخر لفتح العراق وحدث تطور بالمعركة ، وظهر ان الامكانات المخصصة لتحقيق الهدف غير كافية . وهنا تظهر عبقرية الفكر الاستراتيجي الاسلامي بتوجيه اربعة جيوش الى الشام واعطائها الاولوية مع تجميد جبهة العراق وسحب قسم من قوتها لدعم الجبهة الرئيسية ، كما اعطيت التعليمات بتركيز الجهد الرئيسي من اجل فتح دمشق واعطاء مدينة حمص الافضلية الثانية بهدف تحقيق مبدأ الاقتصاد بالقوى ويعتبر تطبيق هذه المبادىء الاستراتيجية هو العامل الاول فيما حققه المسلمون من نصر على الروم .

عندمـا استقر الامر في الشام للمسلمين ، اصدر الخليفة عمر تعليماته بتحويل مركز ثقل الهجوم الى العراق ، وتوجيه القوات الكافية لذلك ، وبذلك امكن تحقيق الهدف من الحرب .

وقـد يكون غريباً على العقل البدوي استيعاب هذه المبادىء بما اشتملت

عليه من عمق واتساع ، الا ان الايمان بالقضية ، ووجود الاحساس السليم ، او الحاسة السادسة ، قد مكنت القادة من ادراك ابعاد ما يهدفون إليه وتحديد الامكانات والسبل الكفيلة بتحقيق الهدف والتصميم .

٢ ــ اقامة علاقات عامة جديدة وتنظيمها :

لقــد فتحت للمسلمين بانتهاء معركتي اليرموك والقادسية أقاليم جديدة، ولما كان الهدف من الحرب هو اقامة سلم دائم ، فقد حرص القادة المسلمون على تنظيم العلاقات العامة في المجتمع ، ومحاولة اكتساب الرأي العام، وضم اكبر كتلة من الجماهير الى صفوف المسلمين ، وقد اتخذت اجراءات كثيرة لتحقيق هذه الغاية وقد اتصفت هذه الاجراءات بمجموعة من الصفات اهمها : ١ ــ العدالة . ٢ ــ ازالة الفوارق عملا بالآية ــ لا فرق لعربي على أعجمي الا بالتقوى . ٣ ــ الالتزام بنصوص اتفاقيات الصلح . ويمكن ذكر حادثة وقعت في العراق نموذجاً لاسلوب العرب المسلمين في اقامة العلاقات العامة .

لاحظ سعــد بن ابي وقاص ان اولئك الذين اشهروا اسلامهم اثنــاء الفتوحات والعمليات السابقة لا زالوا يضمرون الولاء للفرس ، وخشي سعد ان ينضم هؤلاء الى الفرس اثناء معركة القادسية أو يقدموا دعماً فعالاً لجيش الفرس ، فارسل المفارز لجمع الفلاحين من حقولهم والسكان من منازلهم وارسل يبلغ عمر بن الخطاب بذلك ، فما كان من الخليفة عمر الا ان ارسل اليه رسالة يطلب فيها اطلاق سراح المحتجزين مع استمرار مراقبتهم وتوقيع العقاب على من يرتد منهم وفقاً لمعاهدات الصلح المبرمة معهم .

اذا انتقلنــا بعد ذلك الى مسيرة العمليات فاننا نلاحظ تطبيق العرب المسلمين لمباديء الحرب ، ووضوح الفكر العربي الاسلامي في تطبيق هذه المبادىء .

١ ــ المركزية في القيادة :

تركزت السلطــة ايام المسلمين في قبضة الخليفة ، واذا ما عرفنا القيادة

انها اتخاذ القرار المناسب وتخصيص الإمكانات اللازمة له وتنفيذه في الوقت المناسب فاننا نجد ان القادة من المسلمين كانوا نماذج رائعة للقادة ويظهر ذلك من خلال ما يلي :

جمـــع المعلومات الدقيقة ، وتحليل هذه المعلومات ، وتكوين صورة اجمالية للموقف .

تقـــدير قوة الخصم وقوة جيش المسلمين وقدرتها على تنفيذ الواجبات المحددة لها .

اتخـــاذ القرارات المناسبة سواء بالنسبة للتعبية العامة وحشد القوات او بالنسبة لتحريك هذه القوات حتى مناطق الحشد . او بالنسبة لزج القوات في القتال

٢ ـ المحافظة على الهدف :

لقـــد حرص عمرو بن العاص على تحقيق الهدف المحدد له، وهو احتلال العراق ، فاتبع كافة السبل لتحقيق ذلك ، واجرى دراسة دقيقة لمسرح القتال، كما عمل على اجراء دراسة نفسية السكان .واتخذ من التدابير ما هو ضروري في سبيل اعداد وتهيئة الظروف المناسبة للحرب ، فازال المعاقل ، ودمر الحصون التي قد تستخدم جيوباً جانبية للمقاومة تعيق عليـــه تحركاته ومن الملاحظ ان الفرس لم يستطيعوا اجتذابه او اغراءه للسير في مخططاتهم بل بقي مخلصاً للهدف المحدد له حتى ارغم خصمة على الدخول في المعركة التى حدد هو مكانها .

٣ ـ امن العمليات :

لعـــل ابرز ظاهرة في معركة القادسية هي اتخاذ ترتيبات الأمن بداية من التحرك ونهاية بالمعركة ، والتنظيم للقتال ، وتعتبر التنظيمات والاجراءات التي فرضها عمر بن الخطاب ونفذها سعد بن ابي وقاص نموذجـــاً للفكر الاسلامي العربي ايام الفتوحات العربية ومن اوضح هذه الاجراءات :

ا ـ وضع تنظيم للمسير يكفل مباغتة العدو وعدم الوقوع في كمين قد يضعه العدو اثناء اقتراب المسلمين من هدفهم مع توفر الشروط المناسبة حتى تستطيع

الكتلة الرئيسية من القوات اتخاذ تشكيل القتال والدخول في المعركة ضمن أفضل الظروف .

ب ــ اتخاذ ترتيبات أمن اثناء التوقف بوضع الحراسة وإرسال مفارز الاستطلاع وتحديد الواجبات لهذه المفارز بدراسة الارض ، والعدو ، ووضع السكان .

ج ــ وضع تنظيم للقتال يستطيع مجابهة تنظيمات العدو ، واجراء المناورة اللازمة بالقوات وتوفير شروط الامن .

٤ ــ التوسع في مبدأ تحرك القوات :

يعتبر تحرك خالد بن الوليد من العراق الى الشام نموذجاً رائعاً لتطبيق مبدأ تحرك القوات ، ثم جاء بعد ذلك تحرك القعقاع بن عمرو ، وهاشم بن عتبة ترسيخاً لمفهوم العرب المسلمين في تحريك القوات من جبهة قتال الى جبهة قتال آخر .

لقد كان تحرك القوات الاسلامية على محاور طويلة نموذجاً للمرونة التي يجب ان يتّصف بها التحرك للقتال ، والواقع ان المرونة في التحرك والسرعة في تنظيم المسير وتنفيذه هي من أهم الميزات التي انفرد بها الجيش العربي الاسلامي خلال فتوحاته والذي يشابه الى حد بعيد ، مع الفارق في الوسائل والامكانات ، ملامح الحرب الصاعقة التي طبقتها المانيا النازية في بداية الحرب العالمية الثانية .

٥ ــ استخدام الاسلوب الهجومي في الحرب :

الهجوم هو الوسيلة الحاسمة لانهاء الحرب ، وقد ادرك سعد بن ابي وقاص ذلك ، فصمم على استخدام كل الوسائل لارغام خصمه على الدخول في معركة تصادمية ــ جبهية . ومن المعروف عن سعد بن ابي وقاص انه ضاق ذرعاً بالفرس عندما تجمعوا ومكثوا اربعة اشهر قبل ان يضطروا اخيراً الى الدخول في المعركة .

كمـــا تميزت معارك المسلمين في القادسية ، وقبل ذلك في اليرموك والشام بتطبيقها لمبدأ الهجوم المستمر ، من اجل تدمير العدو ، والافادة من كل فرصة لارغام الخصم على الدخول في معركة حاسمة .

٦ ـ الاقتصاد بالقوى :

كان ميزان القوى في غير صالح المسلمين . ولهذا حرصوا باستمرار على تركيز قواتهم وتجميعها وعدم الدخول في معارك جانبية او ثانوية قد تستنزف جهدهم قبل الدخول في المعركة الرئيسية ويلاحظ في معركة القادسية ان عمرو ابن العاص قرّر اتخاذ الاجراءات التالية :

ا ـ ضم قوات المثنى بن حارثة الشيباني الى قواته .

ب ـ ضم قوة المغيرة بن شعبة وفرسانه الى قومه .

جـ ـ الافادة من العناصر التي أسلمت حديثاً في العراق واشراكها في المعركة.

د ـ عدم ارسال القوات حتى مسافة بعيدة تجعلهـــا معزولة عن القوى الرئيسية .

هـ ـ تصفية كل جيوب المقاومة حتى لا يضطر الى تخصيص قوات لها .

٧ ـ حشد القوى :

لعـــل الظاهرة المميزة لمعركة القادسية هي اسلوب تحرك القوات وتخصيص مناطق للحشد ، ووضع أسلوب لتنظيم القوات في منطقة الحشد .

لقـــد كان التقسيم العشري للجيش في معركة القادسية من ابرز الشواهد على تصميم المسلمين من اجل تطوير جيوشهم وجعلها قادرة على تلبية متطلبات المعركة الحديثة ، وقد سبق العرب المسلمون بهذا الاسلوب غيرهم في هـذا المجال الذي اصبح الاساس في تنظيم الجيوش حتى ايامنا هذه ، وكان من اول نتائج هذا التنظيم ايجاد سلم التسلسل العسكري وما يعقبه من تحديد للواجبات والمسؤوليات .

امـــا في مجال اختيار مناطق الحشد فيمكن اعتبار القادة المسلمين من الرواد الأوائل الذين وضعوا نظام مناطق الحشد، وما يجب ان يتوفر بها من شروط أمنية وحياتية مع ما يجب ان يتخذ فيها من اعمال واجراءات استعداداً للقتال .

٨ ـ المباغتة :

حـــاول الفرس في معركة القادسية مباغتة المسلمين بادخال اسلحة جديدة ، كما حاول المسلمون البحث عن وسيلة للمباغتة ، حتى استطاعوا تحقيق المباغتة المكانية في التسلل الى ما وراء معسكر الفرس وتوجيه ضربة حاسمة ، ومما لا ريب فيه هو ان المباغتة المكانية والصمود في المعركة هما من العوامل الرئيسية التي مكنت جيش سعد بن ابي وقاص من ايقاع الهزيمة بخصومهم .

٩ ـ التمويه العملياتي :

تميزت معركـــة القادسية بظاهرة جديدة في دخول القوات ميدان القتال .

لقـــد اقتحم القعقاع بن عمرو ميدان القتال بعد ان قسم قواته الى مجموعات وكذلك فعل هاشم بن عتبة في اليوم الثالث مما حمل الفرس على الاعتقاد ان هناك جيوشاً جرارة تتقدم لدعم قوات المسلمين ، وانه لا قبل لهم بالوقوف امام هذه الجيوش الكبيرة، وكان لذلك اثره النفسي في تحطيم ارادة القتال عند الفرس وانسحابهم من المعركة .

الروح المعنوية :

كـــانت الروح المعنوية العالية هي العامل الاساسي والحاسم فيما حققه المسلمون من نصر على الفرس .

لقـــد دخل المسلمون المعركة وهم يعرفون انهم قلة في مجابهة عدوهم .

وبوغـــت جيش سعد بهجوم الفيلة الا انه صمد للمباغتة وتلمس الطريق لاحباطها .

ان الــروح المعنوية في الحرب ــ وكل حرب ــ هي الدعامة الاولى للجيش في قتاله ضد اعدائه ، وقد تمثلت هذه الروح بأوضح صورها خلال المفاوضات التي اسبقت المعركة وقد استمدت هذه الروح معينها من :

[الايمان بالقضية ، قضية نشر لواء الاسلام] .

الثقة بالقائد ، وضرورة تنفيذ اوامره .

الثقــة برفاق السلاح وضرورة التضامن وروح الغيرية دونما حدود مما تميز به الانسان العربي .

الكفاءة البدنية :

استمرت معركة القادسية ثلاثة ايام بلياليها .

وتحركــت أرتال المسلمين من الشام الى العراق ، ودخلت المعركة فوراً ، ولا ريب أن مرحلة المسير الطويلة ، والدخول في المعركة ، يتطلب كفاءة بدنية عالية . ولقد كانت القسوة والصلابة وتحمل المشاق هي من الطابع المميز للجندي العربي .

لقــد وصل الجيشان المقتتلان في نهاية المعركة الى مرحلة واحدة مــن الاجهاد وهنا تظهر ميزة الجيش الأكثر ايماناً بقضيته ، والأكثر صلابة في تحمل المشاق وإن الإيمان والصلابة هي التي مكنت جيش المسلمين من الصمود لفترة اكثر فكان لهم النصر .

قال عمرو بن شماس الاسدي في يوم ارماث ، وكانت أسد في هذا اليوم (١) مكلفة « بالردء » الاحتياط والحماية ، فقتل منها ٥٠٠ مقاتل :

جلبنا الخيل من أكناف نيقٍ   الى كسرى فوافقها رعالا (٢)
تركن لهم على الاقسام شجواً   وبالحقوين اياماً طوالا
وداعية بفارس قد تركنـا   تبكّي كلما رأت الهلالا
قتلنا رستماً وبنيه قسراً   تثير الخيل فوقهم الهيالا
تركنا منهم حيث التقينـا   فئاماً ما يريد وان ارتحالا (٣)
وفر البيرزان ولم يحامـي   وكان على كتيبته وبالا
ونجى الهرمزان حذار نفسٍ   وركض الخيل موصله عجالا

وقال القعقاع بن عمرو(٤) :

حضّض قومي مضرحيُ بن يعمري   فلله قومي حين هزوا العواليا
وما خام عنها يوم سارت جموعنا   لأهل قديس يمنعون المواليا
فان كنت قاتلت العدو فللته   فاني لألقى في الحروب الدواهيا
فيولاً أراها كالبيوت مغيرة   أسَمِّلُ اعياناً لها وماقيا .

واصيب علباء بن جحش العجلي يوم ارماث بضربة سيف مزقت بطنه واخرجت احشاءه ، فصرخ من يعينني ؟ واقبل عليه مقاتل وأعانه على اعادة احشاءه فامسك علباء بصفاق بطنه يضغطه بيده واستل سيفه واندفع يقول :

ارجو بها من ربنا ثواباً   قد كنت ممن احسن الضرابا (٥)

---

(١) التاريخ الكامل لابن الأثير ٣٢٧/٢ . تاريخ الطبري ٥٤٢/٣ .
(٢) رعالا : جماعة من الخيل .
(٣) الفئام : الجماعة من القوم .
(٤) التاريخ الكامل لابن الاثير ٣٣٣/٢ . تاريخ الطبري ٥٤٠/٣ .
(٥) التاريخ الكامل لابن الاثير ٣٢٩/٢ . تاريخ الطبري ٥٤٣/٣ .

القسم الثاني

الفصل الثاني

- العمليات على الجبهة الشرقية (فارس)
- المرحلة الأولى -
- من القادسية الى نهاوند -

« كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وعُيون
وَزُرُوع وَمَقَامٍ كَرِيم
وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِين
كَذَلك وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِين »

صدق الله العظيم

- الوضع العام
- يوم بابل ١٤ هـ
- يوم بهرسير ١٤ هـ
- يوم المدائن ١٤ هـ

- يوم جلولاء ١٦ هـ
- يوم تكريت ١٦ هـ
- يوم ماسبذان ١٦ هـ
- يوم قرقيساء ١٦ هـ
- يوم الاهواز ١٦ هـ
- يوم طاووس ١٧ هـ
- يوم تستر ١٧ هـ
- يوم الفرس ١٧ هـ
- معركة نهاوند « فتح الفتوح » ؟



معركة نهاوند «فتح الفتوح»

١٩ هـ — ٦٣٩ م

الوضع العام قبل المعركة

بعــد هزيمة الفرس في القادسية ، اصدر الخليفة عمر بن الخطاب تعليماته بالتوقف عن متابعة العمليات القتالية . ومن المحتمل ان يكون المبرر لذلك ما يلي :

١ — سقوط عدد كبير من قتلى المسلمين في معارك فتوح الشام والعراق ، وخشية الخليفة عمر على العنصر العربي من الانهيار وهو الذي يقع عليه واجب حمل الرسالة ونشر الاسلام .

٢ — ضرورة التوقف . لفترة ، من اجل اعادة تنظيم الاقاليم التي تم فتحها ، وترسيخ جذور الدين الاسلامي فيها ، واعدادها حتى تكون قاعدة امنية للعمليات المقبلة .

٣ — توفير الجهد على جبهة الشمال . من اجل تركيز الجهد على المحور الغربي ، ومتابعة العمليات لفتح مصر .

٤ — انشاء جيل مؤمن في الاقاليم المفتوحة ، وتكليفه بحمل الامانة ونشر الدعوة الاسلامية .

لاحظ الخليفــة عمر خلال الاعوام التالية . ان اقليم العراق في تقلب مستمر بين الولاء للعهد الجديد والتنكر له ، بين دعم العهد الجديد وبين العمل على تقويضه ، بين التسليم له وبين الثورة عليه . وأقلق هذا الوضع المضطرب الخليفة عمر فجلس في يوم الى وفد من اهل البصرة واخذ يتحدث معهم ثم طرح سؤاله بصورة مباغتة :

[لعل المسلمين يغضون الى اهل الذمة بأذى ، وبأمور لها ، فينتقضون بكم]

واجابه أهل البصرة بالاجماع :

[ما نعلم الا وفاء ، وحسن ملكه] .

وتساءل الخليفة :

[فما بالهم ينتقضون] .

جاءت الاجابات متناقضة ، غير مقنعة ، واخيراً ارتفع صوت الاحنف بن قيس :

[يا امير المؤمنين ، اخبرك انك نهيتنا عن الانسياح في البلاد ، وأمرتنا بالاقتصار على ما في ايدينا . وان ملك فارس حي بين اظهرهم ، وهم لا زالوا يساجلوننا ما دام ملكهم فيهم . ولم يجتمع ملكان فاتفقا حتى يخرج احدهما صاحبه ، وقد رأيت انا لم نأخذ شيئاً بعد الا بانبعاثهم وغدرهم ، وان ملكهم هو الذي يبعثهم ، ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا فنسيح في بلادهم ، ونزيل ملكهم ونخرجه من مملكته وعز أمته ، فهنالك ينقطع رجاء اهل فارس] .

لمس الخليفة عمر بن الخطاب في كلمات الاحنف ، الحل الصحيح والوصف الدقيق لعلاج الموقف . واخذ يسترجع الاحداث الماضية ، والايام التي اعقبت القادسية ، وتذكر موقعة الجسر التي هزم فيها المسلمون بسبب تجاوزهم نهر الفرات ، ثم تذكر احداث يوم طاووس ، ومحاولة الفرس القضاء على المسلمين بعد تطويقهم وعزلهم ، وأخذ يوازن الاحتمالات المختلفة.

كان الفرس اصحاب امبراطورية لها تاريخها الطويل ، ولها جيشها القوي ، وكانت هذه الامبراطورية تعامل العرب طوال عهدها ، كمجموعات تتصرف بهم حسبما تشاء وتسخرهم كما تريد ، ولذا اعتبر الفرس ، هزيمتهم في القادسية مجرد خسارة معركة لا اكثر في حرب لا نهاية لها وحتى يتم لهم

فرض ما يريدونه . انهم لم يدركوا حتماً عمق الثورة التي جاء بها العهد الاسلامي ولم يدركوا قوة المجتمع الجديد في ترابطه وتماسكه ، فاستمروا في محاولاتهم لتقويض دعائم العهد الجديد .

عـــرف الفرس قيام العرب بغزوات كثيرة قبل الاسلام ، وتعرضت المدن الفارسية لهجمات واغارات كثيرة من القبائل البدوية ، وكانت بعض هذه الغزوات تحقق انتصارات موضعية ، وظن الفرس ان شأن هذه الغزوة شأن الغزوات التي سبقتها ، وانها لا تستطيع الصمود طويلا في مواجهة دولتهم « العظمى » . ونتيجة لذلك استمروا في ممارسة دورهم التآمري واعمالهـــم التخريبية ضد البلدان التي فتحها المسلمون .

لم تكـــن لدى القبائل العربية التي استوطنت منذ عهد بعيد عند اطراف الرافدين الثقة بقدرة العرب المسلمين على الاستمرار ، وكان عهدهم بالدين جديداً بحيث ان جذور الايمان تترسخ في اعماق نفوسهم ، ونظراً لخبراتهم الطويلة مع الفرس وعمق الروابط التي خلفها الفرس في نفوسهم فانهم اتخذوا موقفاً وسطاً . كانوا يشعرون انهم اقرب الى ابناء عمومتهم من العرب المسلمين ، وكانوا يشعرون باعتزاز لما احرزه المسلمون من انتصارات ، الا انهم لم يتنكروا نهائياً للفرس ، ولم يقطعوا كل اتصال بهم . ومن هنا كانت الثغرة التي نفذ منها الفرس واخذوا يشيعون في البلدان المفتوحة الثورات والاضطرابات ويثيرون المتاعب في وجه الولاة المسلمين .

لم يقف الولاة المسلمـــون — سعد بن ابي وقاص خاصة — موقف المهادنة ، بل كانوا حرباً على كل تآمر ، سدّا في وجه كل تحرك مشبوه ، الا ان ايديهم كانت مقيدة بأمر الخليفة عمر ، ولهذا لم يكن امامهم سوى قمـــع الفتن والاضطرابات مع الاستمرار في ترسيخ دعائم المجتمع الجديد ونشر تعاليم الاسلام ، وكانت بينهم وبين الفرس خلال الفترة ما بين القادسية ونهاوند ايام خالدات .

اتخــذ الخليفة عمر قراره بعد موازنة الموقف ، واصدر تعليماته بمتابعة العمليات وتصفية قاعدة العدوان .

كــانت الفترة ما بين القادسية وبين الاستيلاء على عاصمة الفرس «نهاوند» ستة اعوام ، تخللتها عمليات مهدت السبيل للمعركة النهائية في الاستيلاء على العاصمة . وسنستعرض مسيرة هذه العمليات وما رافقها من احداث خلال الصفحات التالية :

١ – يوم بابل(١) ١٤ هـ :

تحتــل مدينة بابل موقعاً متوسطاً بين القادسية ، ونهاوند(٢) وهي تحتمي وراء نهر الفرات ، وقد اراد الفرس تنظيم المقاومة فيها دفاعاً عن عاصمتهم واستعداداً لهجوم مضاد ، واخذوا ينظمون دفاعهم ، ويستقدمون قوات الدعم من الداخل علاوة على اعادة تنظيم القوات التي فرت من القادسية .

نظــم الفرس مواقع دفاعية متقدمة بهدف توفير الفرصة الكافية لاعادة التنظيم ، فوضعوا النخيرجان على رأس قوة بسيطة للدفاع عن موقع الكوفة .

ثم نظمــوا موقعاً دفاعياً آخر « في برس » اسندوا قيادته الى البصهبري ، ومعه عدد من القادة الذين شهدوا الهزيمة يوم القادسية ومنهم النخيرجان ، ومهران الرازي والنيرزان .

توفــرت المعلومات عند سعد بن ابي وقاص بتجمع قوات الفرس في بابل ومحاولتهم تنظيم هجوم مضاد للثأر من هزيمة القادسية ، ولم ينتظر سعد ، فاصدر تعليماته الى زهرة بن الحوية بالتقدم ومطاردة الفرس حتى موقع الكوفة والبقاء فيها حتى تنضم إليه القوات الرئيسية وتلحق به قوات الدعم .

---

(١) المرجع ، تاريخ الطبري ج ٤ – ص ١٧٩

(٢) معجم البلدان ، ج ١ ص ١٢٩ .

تحـــرك زهرة بن الحوية على رأس قواته حتى وصل الكوفة ، وعندما شهد النخيرجان طلائع قوات المسلمين ، أخلى ميدان المعركة وانسحب دون قتال .

وصلـــت قوات الدعم بسرعة يقودها القادة : عبدالله بن معتم ، وشرحبيل ابن السمط ، ثم لحق بهم خالد بن عرفطة .

نظـــم زهرة بن الحوية قواته للتحرك ، وعين خالد بن عرفطة لحماية المؤخرة ، وانطلق في اتجاه بابل ، وعندما وصلت المقدمة اصطدمت بقوات الفرس ، ووقعت اشتباكات بين الطرفين ثم تطورت الى معركة قصيرة اصيب فيها البصهبري ولم يلبث ان مات . واخذت قواته تتلمس طريق الفرار .

اسرع سعـــد على رأس القوات لاستثمار الظفر ، وانطلق الجيش في اتجاه بابل ، وكان الفرس قد استعدوا للقتال، الا ان هذا الاستعداد لم يكن جيداً نظراً لعدم امهال المسلمين لهم وعدم توفر فرصة كافية امامهم من اجـــل الاستعداد للمعركة والتنظيم لها ...

نظـــم المسلمون هجوماً قوياً ، وانطلقت قواتهم كالعاصفة المدمرة ، فلم يتمكن المدافعون عن بابل من حمايتها ، وتراجعوا عنها كل يبحث عن محور للانسحاب .

- فانسحب الهرمزان الى الاهواز .
- وتراجع الفيرزان الى نهاوند .
- وهرب مهران الرازي الى المدائن ومعه النخيرجان .

دخـــل المسلمون بابل واحرزوا انتصاراً آخر ولما يمض على القادسية سوى شهران .

٢ - يوم بهرسير - ١٤ هـ :

علـــم سعد بن ابي وقاص ان كسرى ملك الفرس ، قد انتقل الى « بهرسير »

واخذ يشرف على تحصين المدينة وتنظيم المقاومة فيها بهدف تحطيم هجوم المسلمين وعدم تمكينهم من متابعة التقدم والوصول الى عاصمته .

اصـــدر سعد بن ابي وقاص اوامره الى زهرة بن الحوية ، لمتابعة التقدم ومطاردة القوات المنسحبة من بابل ، وعدم السماح لها بفرصة لتنظيم مقاومات جديدة .

تقـــدم زهرة حتّى «ساباط» على محور الطريق الى المدائن ، وعندما اقترب جيش زهرة ، خرج أهل «ساباط» وصالحوا سعد بن ابي وقاص على دفع الجزية .

تابـــع زهرة تقدمه حتّى وصل «بهرسير» ، فوجد أن القوات الفارسية قد تحصنت في المدينة . فنظم الحصار حولها ، وعزلها عن كل امكانات لدعمها ثم نصب المسلمون عشرين منجنيقاً ، واخذوا يقصفونها ، واستمر الحصار طوال شهرين ، وعندما شعر كسرى انه لا يستطيع الصمود في هذا الطوق من العزلة ، أفاد من حدوث اشتباك بين قوات المسلمين وقواته ، وهرب من المدينة ، وعندما علم اهل «بهرسير» بفرار ملكهم اسلموا مدينتهم لجيش المسلمين .

٣ ــ يوم المدائن ــ ١٤ هـ :

طــارد جيش سعد زمر المنسحبين من معركة «بهر سير» حتّى وصل نهر دجله ، وظهر القصر الابيض عند الطرف الآخر من النهر ، وبه ايوان كسرى» فارتفعت الروح المعنوية للمسلمين وشعروا بقيمة الانتصارات التي انجزوها .

توقف سعـــد بقواته عند طرف دجلة ، وارسل مفارز الاستطلاع لدراسة النهر وتحديد :

ا ــ عمق النهر ، والاماكن التي يمكن العبور منها وسرعة التيار فيها .

ب ــ طبيعة ارض النهر ، وامكانية مرور المشاة والفرسان .

١

ج ـ اطراف النهر التي يمكن العبور منها .

بعـــد ان توفرت المعلومات ، وتم تحديد محور العبور ، نظم سعد عملية العبور على النحو التالي :

الرائـــدة ، بقيادته ، وتتكون من ستين فارساً ، مهمتها العبور حتى الطرف الآخر والتمركز عنده حتى عبور الجيش بكامله .

قـــوة الحمايـــة بقيادة عاصم بن عمرو ستمائة فارس ، مهمتها التمركز عند طرفي النهر من جهة العبور ، بمهمة حماية عملية اختراق النهر ، واعاقه العدو من مطاردة المسلمين او الهجوم عليهم اثناء العبور .

تقـــدم سعد بن ابي وقاص مع الرائدة وكان معه سلمان الفارسي ، وعندما وصلت الرائـــدة منتصف دجلة قامت مجموعة من فرسان العدو بالهجوم عليه وانطلقت السهام من قوة الحماية تفتك بجنود الفرس ، وطلب سعد من قوة الحماية تركيز السهام على جباه الخصم وعيونهم ، واستطاع بعض جنود الخصم الوصول الى قوة الرائدة ، واشتبكوا معها ، وامكن لقوة الرائدة بالتعاون مع قوة الحماية الحاق الهزيمة بجنود الفرس ، واستمرت عملية العبور .

نظـــم سعد قواته بعد انتهاء عملية العبور ، وسار بهم في اتجاه المدائن بعد ان عين زهرة بن الحوية لقيادة المقدمة .

كـــان مهران الرازي والنخيرجان ، قد كلفا القائد شهريار « دهقان كوثي » بقيادة القوات وتنظيم عملية الدفاع .

عندمـــا اقتربت المقدمة من المدائن تصدى لها شهريار دهقان ، وتحدى ان يخرج له قائد الجيش ، ورفض زهرة التحدي وكلف جندياً من جيش المسلمين هو نائل بن جعشم الاعرجي ، لمبارزة دهقان ، وبعد معركة قصيرة استطاع نائل ان يقتل خصمه وسقط القائد شهريار منذ بداية المعركة .

اشتبكت قوة المقدمـــة مع قوات الفرس ، وبعد معركة قصيرة ، انهار

تنظيم جيش شهريار لا سيما بعد ان قتل قائده ، واخذت زمر الجنود تنسحب من المعركة بعد ان تركت وراءها خسائر كبيرة فوق ارض المعركة .

تابع جيش سعد تقدمه حتّى وصل المدائن ، ونظم الحصار حولها ولم تمض سوى فترة قصيرة حتّى هرب كسرى من المعركة الخاسرة ، وفتح اهل المدائن ابواب مدينتهم لجيش المسلمين . وصالحهم سعد على دفع الجزية ، ثم انطلق بجيشه الى الايوان ، ودعى الناس للصلاة ووقف يقرأ فيهم :

[كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين ، كذلك واورثناها قوماً آخرين] .

٤ - يوم جلولاء - ١٦ هـ (١) :

تقع جلولاء الى شرق دجلة ، على بعد اربعين ميلاً شمال المدائن ، عند مفترق الطرق الى خراسان .

هرب مهران الرازي من المدائن ووصل « جلولاء » ومعه قوة صغيرة ، ثم انضمت اليه زمر من استطاع الفرار ومغادرة المدائن ، واخذ مهران في تنظيم هذه القوة ، وطلب دعماً من كسرى .

عندما علم سعد بن ابي وقاص بأمر هذه القوة ، ارسل الى الخليفة عمر ، فاصدر الخليفة تعليماته بارسال قوة كافية لتدمير هذه المقاومة وتعيين هاشم ابن عتبة قائداً لها .

نظم هاشم قواته المكونة من (١٢,٠٠٠) مقاتل وتحرك في اتجاه جلولاء ، وعندما وصلها كان مهران الرازي قد انهى استعداداته ، ووزع جنوده على الخنادق والتحصينات المحيطة بالمدينة . وكانت القوة الفارسية التي تدافع في جلولاء تقارب (١٥٠,٠٠٠) .

---

(١) معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ج ٣ ص ١٢٩ .

لم يكـــن ميزان القوى بجانب المسلمين ، كما ان طبيعة الارض لم تكن مساعدة لهم ، لا سيما وانهم يجابهون خصماً يتمركز خلف تحصيناته الدفاعية ورغم ذلك صمم هاشم بن عتبة على انتزاع النصر فضرب حصاراً حول مواقـــع العدو ، ونظم مراكز المراقبة ، واخذ ينتظر الفرصة المناسبة للقيام بهجوم حاسم .

طـــالت فترة الحصار ، ووقع خلال هذه الفترة ثمانون اشتباكاً بين قوات الفرس وقوات المسلمين ، الا ان هذه الاشتباكات لم تسفر عن نتائج حاسمة .

اصبحت قـــوة الفرس المحاصرة في حاجة للامداد من قواعدها الخلفية ، فاضطرت الى ردم بعض اجزاء الخندق الذي يفصل بينها وبين المسلمين ووصلت الامدادات التي ارسلها يزدجرد فعلاً .

حـــددت مراكز مراقبة جيش المسلمين نقاط العبور الى هذه الممرات ، وتحرك القعقاع بن عمرو على رأس مفرزة من الفرسان ، وتسلل حتى مرابض خيول الخصم ، ثم انطلق في اغارة مباغتة وهو يصيح :

[يا معشر المسلمين هذا اميركم قد دخل خندق القوم وأخذ به، فاقبلوا إليه ، ولا يمنعكم من بينكم وبينه دخوله] (١)

لقـــد اراد القعقاع بذلك حمل المسلمين على الاعتقاد ان سعد بن ابي وقاص قد دخل الخندق فيثير حماستهم .

وانـــدفعت قوات المسلمين ، فتحطمت امام ثقل هجمتهم ميمنة جيش مهران وميسرته . واخذ جند الفرس يبحثون عن طريق الفرار بعد ان سدت جميع المنافذ في وجوههم ، وبعد ان حجز هاشم بن عتبه عنهم خيولهم .

انتهت المعركـــة بسقوط ما يقارب (١٠٠,٠٠٠) قتيل من قوات الفرس، وكانت خسائر جيش المسلمين محدودة وقليلة بالنسبة لخسائر خصمهم .

---

(١) تاريخ الطبري ، ج ٤ ، ص ١٨١ .

٥ – يوم تكريت – ١٦ هـ :

تقــع تكريت شمال المدائن ما بين بغداد والموصل (١) .

ارســـل يزدجرد عملاءه للاتصال بالقبائل العربية من اياد وتغلب والنمر، وطلب اليهم دعمه من أجل القيام بهجوم مضاد وثورة في الاقاليم التي احتلها المسلمون ، ووافق شيوخ القبائل على دعمه ، فحدد لهم تكريت منطقة للتجمع. كما ارسل الى تكريت بقايا جيوشه المهزومة امام جيوش المسلمين في المعارك السابقة ، وبدأت اعمال تحصين المدينة استعداداً للقتال .

جمع سعد بن ابي وقاص المعلومات الكاملة عن الموقف ، وارسل الى الخليفة عمر يعلمه ويطلب اليه الاجراء الواجب اتخاذه ، فأرسل الخليفة إبن الخطاب تعليماته الى سعد بالقتال ، وتشكيل جيش على النحو التالي :

تعيين عبدالله بن معتم قائداً للجيش المكون من خمسة آلاف مقاتل ، لغزو تكريت .

تعيين ربعي بن الافكل العنزي لقيادة المقدمة .

تعيين الحارث بن حسان الذهلي لقيادة الميمنة .

تعيين فرات بن حيان العجلي لقيادة الميسرة .

تعيين هانيء بن قيس لقيادة المؤخرة « الساقة » .

تعيين عرفجة بن هرثمة لقيادة قوة الفرسان « الخيالة » .

نظم عبدالله بن معتم قواته ، وسار بجيشه حتى تكريت وحاصرها فترة اربعين يوماً حدث خلالها ٢٤ اشتباكاً بين قوات الفرس وقوات المسلمين . وتكبد الطرفان الخسائر الفادحة .

اتصل عبدالله بن معتم خلال فترة الحصار ، بابناء العمومة من العرب ودعاهم للاسلام ، فاجابه شيوخ القبائل على دعوته ،

---

(١) تاريخ الطبري ، ج ٤ ص ١٨١ .

فاتفق معهم على ان يبقوا في صفوف الفرس حتى يبدأ هجومه الكبير ، وعندما يسمع هؤلاء تكبير المسلمين ، صيحة الحرب ، يفتحون ابواب بابل للقوات المسلمة .

نظـــم عبد الله جيشه للهجوم ، واعطى شارة الانقضاض ، وارتفع صوت المسلمين بالتكبير وهم يندفعون كالسيل الجارف ، واجابهم افراد قبائل تغلب واياد والنمر من وراء الاسوار وفتحت ابواب « بابل » ووقع الفرس بين سيوف هؤلاء الذين يندفعون من خارج الاسوار ، وبين هؤلاء الذين انضموا الى ابناء عمومتهم واصبحوا في عداد المسلمين وابيدت قوة الفرس بكاملهـــا تقريباً .

اراد عبـــد الله بن معتم الافادة من القوة التي انضمت إليه واختبار ولاء المسلمين الجدد فكلف الافكل العنزي بقيادة قبائل تغلب واياد والنمر والاسراع في مطاردة فلول القوات المنسحبة ، واحتلال الموصل ونينوى . ولما وصل عبدالله الى المدينتين اجريت الاتصالات مع القبائل العربية ، ونجح قادة تغلب واياد والنمر وشيوخها في اقناع ابناء عمومتهم بالانضمام الى العرب المسلمين ، واكتسب المسلمون قوة جديدة ، اضيفت الى قوتهم ، ودخل في الصلح من رفض الدخول في الدين وصالح على الجزية ، وهربت فلول الفرس .

٦ – يوم ماسبذان ١٦ هـ (١) :

كانت « ماسبذان » مدينة تقع الى الشرق من حلوان في الطريق الى همذان تمركز اذين بن الهرمزان في ماسبذان ، واخذ ينظمها للدفاع ، وتجمعت عنده فلول القوات الفارسية التي انسحبت من المعارك السابقة .

علم الخليفة عمر بامر هذا التجمع فارسل تعليماته الى سعد بن ابي وقاص بتصفية هذه المقاومة بسرعة وتشكيل جيش يقوده ضرار بن الخطاب الفهري .

---

(١) تاريخ الطبري ، ج ٤ ص ١٨٧ .

تقـــدم ضرار بعد ان انهى تنظيمه في اتجاه ماسبذان ، واصطدمت مقدمة جيش المسلمين بقوات أذين في سهل « ماسبذان » وبعد اشتباك قصير ، قتل أذينة ، وتمزقت قواته التي لم تتوفر لها الفرصة الكافية من أجل الاستعداد للمعركة والتنظيم للقتال .

تابـــع ضرار مطاردة القوات حتى وصل السيروان ، ومنها الى « ماسبذان » حيث سقطت المدينة في قبضته دون قتال .

٧ – يوم قرقيساء – ١٦ هـ :

قرقيساء مدينـــة تقع عند ملتقى نهر الخابور بنهر الفرات على الحدود ما بين العراق والشام . .

تابـــع يزدجرد دوره التآمري ، فاتصل باهل الجزيرة طالباً اليهم القيام بثورة ضد المسلمين . واجابه اهل الجزيرة بالموافقة ، وتجمع المقاتلون منهم في « هيث » على شاطىء الفرات . وارسل يزدجرد اليهم دعماً من فلول قواته المنهزمة .

علـــم هاشم بن عتبة بذلك ، وارسل معلوماته الى الخليفة عمر ، فارسل الخليفة تعليماته بالهجوم على قرقيساء ، وتمزيق المقاومة .

نظـــم سعد قوة الهجوم بالاستناد الى توجيهات الخليفة على النحو التالي :

عمرو بن مالك قائداً للجيش .

الحارث بن يزيد العامري لقيادة المقدمة .

ربعي بن مالك لقيادة الميمنة .

مالك بن حبيب لقيادة الميسرة .

انطلـــق عمرو بن مالك على رأس جيشه في اتجاه الجزيرة ، ولما وصلها وجد أن اهلها قد نظموا دفاعهم ، وتحصنوا في خنادقهم ، فنظم قواته لحصارهم ولما طال الحصار ترك قسماً من جيشه بقيادة الحارث بن يزيد العامري ، وانطلق

مع نصف القوة الثاني بهدف إحكام طوق الحصار . والإمساك بمحاور الإقتراب وقطع الطريق على الدعم والامدادات التي كان يرسلها يزدجرد الى القوات الواقعة في قبضة الحصار .

وصـــل عمر الى قرقيساء فقاتله اهلها ، واستطاع عمر انتزاع النصر ، وفتح المدينة وفرض الجزية على اهلها .

اضعـــف سقوط قرقيساء من ارادة القتال لدى القوات المحاصرة ، واجرى عمرو بن مالك الاتصالات مع القبائل العربية، ونجح في اقناعها بالتخلي عن الفرس والانضمام لقوته . وبقيت قوة الفرس قليلة لا تستطيع الصمود بعد أن خذلهم العرب ، فانسحبوا من الجزيرة دون قتال ، وزال خطر هذه المقاومة الجانبية التي كانت تهدد المسلمين في قلب البلاد المفتوحة .

٨ ـ يوم الاهواز ـ (١) ١٧ هـ :

كـــانت كلمة « الأهواز » تطلق على الاقليم الممتد في شرق الخليج العربي من شرق البصرة وحتى رأس هرمز ، اما المدينة التي تقع الى الشرق من البصرة فكانت تسمى « سوق الاهواز » .

هـــرب القائد الهرمزان بعد معركة بابل الى الاهواز ، وأخذ ينظم قواته ، ويتصل بيزدجرد طالباً دعمه ، ولما شعر بقوته انطلق في ارسال الاغارات وتنظيم الهجمات ضد البصرة .

ارســـل سعد بن ابي وقاص جيشاً بقيادة عتبة بن غزوان بمهمة التصدي لقوات الهرمزان . ثم نظم جيشين آخرين بقيادة نعيم بن مقرن ونعيم بن مسعود بمهمة دعم عتبة بن غزوان .

وفي الـــوقت ذاته وجه سعد بن ابي وقاص جيشاً بقيادة سلمى بن العين التميمي وحرملة بن عرفطة بمهمة احتلال المرتفعات الجبلية وراء نهر تيري . وعزل المنطقة وقطع الامدادات عنها .

---

(١) تاريخ الطبري ، ج ٤ ص ٢٠٨ .

وصـــل جيش سلمى بن العين وحرملة بن عرفطة الى مواقعهما المحددة لهما ، وتمركزت القوات عند المرتفعات ، وبدأ سلمى اتصالاته مع قبائل «ابن مالك» طالباً منها التخلي عن الفرس ، ودعم ابناء عمومتهم من العرب المسلمين، والدخول في الاسلام .

وعندمـــا استجاب له شيوخ ابن مالك طلب إليهم إشعال نار الثورة في الاهواز على امتداد المنطقة ما بين ، مناذر، ونهر تيري واتفق معهم على البدء بهذه الثورة بتواقت واحد مع هجوم جيش المسلمين .

انتهـــت الاستعدادات للمعركة ، وتقدمت قوات «سلمى وحرملة» من المواقـــع التي يحتلها الفرس بـــين نهر تيري والدلتا ، ودارت رحى معركة شرسة قاتل فيها الهرمزان وجنده بضراوة ، ووقعت خسائر كبيرة بـــين الطرفين .

اشتعلـــت نيران الثورة خلال المرحلة الحاسمة من المعركة ، ووجد الهرمزان وجيشه انهم وقعوا في الكمين الذي أعد لهم بدقة ،فانهارت روحهم المعنوية وتحطمت لديهم ارادة القتال فاخذوا في التراجع والتملص من المعركة ، واسرع جند المسلمين بالمطاردة ، وسقط في ايديهم اعداد كبيرة من القتلى والاسرى ووصلت طلائع المسلمين حتى نهر دجيل .

عـــرف الهرمزان انه لا يستطيع الاستمرار في الصمود ، وان مصير معركته انتهى بالهزيمة فطلب الصلح من قادة جيش المسلمين ، ووافقوه على طلبه ، وتم التوقيع على اتفاقية بقيت بموجبها الاقسام التي احتلت بالقوة في قبضة المسلمين ، وفرضت الجزية على بقية الاهواز كلها . وتولى سلمى بن العين امارة مناذر ، كما تولى حرملة امارة تيري بالاضافة الى ريف البصرة ، واخذت قبائل ابن مالك تنزل البصرة وتلتحق بقوات المسلمين .

اعـــاد الهرمزان تنظيم قواته ، واستعان بالاكراد ، وارسل الى المسلمين يعلمهم نقض الاتفاقية المعقودة بينه وبينهم،فارسل سعد بن أبي وقاص جيشاً

يقوده حرقوص بن زهير السعدي بمهمة تدمير جيش الهرمزان ، وانضم سلمى ابن العين وحرملة بن عرفطة مع قواتهما الى جيش حرقوص

وصل جيش حرقوص الى « سوق الاهواز » ووقعت معركة بين الطرفين ، قاتل فيها الهرمزان بعناد وضراوة ، ووقعت خسائر فادحة في قوات المسلمين الا انهم نجحوا في انتزاع النصر وانتهت المعركة بفرار الهرمزان وبعض قواته من ميدان القتال وانسحابهم الى « رامهرمز » .

٩ – يوم طاووس – ١٧ هـ (١) :

كان العلاء الحضرمي عاملاً على البحرين ، وعندما شهد فتوح العراق على يد سعد بن ابي وقاص ، رغب في منافسته ، فاستنفر اهل البحرين ، ودعاهم لقتال الفرس ، وعبر بهم الخليج ، ونزل عند الطرف الآخر ،وتقدم في اتجاه « اصطخر » دون علم الخليفة عمر بن الخطاب .

كان اول عمل قام به الفرس هو تدمير المراكب التي نقلت قوة العلاء الحضرمي ، وبذلك قطعوا عليه كل محور للانسحاب ، ثم قاموا بضرب حصار حوله .

حاول العلاء الحضرمي التقدم ، واشتبك مع الفرس في معارك طاحنة ، ولم يتمكن من تحقيق نصر على خصومه ، وشعر ان حلقة الحصار محكمة حوله ، فحاول اختراقها والانسحاب في اتجاه البصرة والمواقع المتقدمة للمسلمين . لكن الفرس امسكوا بمحاور الطرق واعاقوه عن الانسحاب .

علم الخليفة عمر بن الخطاب بما فعله العلاء الحضرمي ، فتوعده شراً ، وارسل الى عتبة بن غزوان يأمره بالتحرك لانقاذ قوة العلاء الحضرمي ، والاسراع لنجدة المسلمين قبل ان يتمكن الفرس من ابادتهم .

---

(١) الطبري ، ج ٤ ص ٢١٢ .
معجم البلدان ، ج ٦ ص ١٠ .

تحــرك غزوان بن عتبة على رأس جيش مكون من (١٢,٠٠٠) مقاتل ، ودفع في المقدمة أبو سبرة بن ابي رهم ، وعندما علم الفرس بتقدم جيش المسلمين. زجوا قوات كبيرة لمجابهتها ووصلت قوات دعم للمسلمين من اهل البصرة .

اصطــدمت قوات الطرفين في معركة ضارية ، اظهر فيها اهل البصرة عنادهم وتصميمهم على انتزاع النصر ، ونجح المسلمون في رفع طوق الحصار عن قوة اهل البحرين رغم تفوق قوات الفرس واستعدادهم المسبق للقتال ، وانتصر المسلمون رغم ما أظهره الفرس من شجاعة ، وتمزقت قوات الفرس واخذت في الانسحاب واخلاء ميدان القتال .

١٠ – يوم تُسْتُر – ١٧ هـ (١)

تُسْتُر مــن اعظم مدن خوزستان ، شيدت على اطراف نهر تستر ، وقد بنى الملك سابور الشاذروان – اي السد – لحجز المياه وتنظيم اعمال الري ، واستفاد في ذلك من خبرات الروم وأسراهم عندما وقعوا في قبضته خلال الهجوم الذي قاده الامبراطور ڤاليريان سنة ٦٢٠ م. ويعتبر سد تستر مــن السدود الكبرى في العالم .

امــا اقليم خوزستان فهو الاقليم الذي يحده شرقاً اقليم فارس وغرباً اقليم الاهواز .

تابــع يزدجرد دوره التآمري ضد العرب المسلمين ، فاتصل بالعناصر الموالية له من فارس والاهواز وحدد لهم إقليم خوزستان للحشد بهدف القيام بهجوم مضاد على جيش المسلمين ، واخذ يزدجرد ينظم هذه القوات للدخول في معركة حاسمة مع خصومه .

عــرف ابو موسى الاشعري عن طريق عناصر الاستطلاع بنوايا خصمه ، فكتب الى الخليفة عمر وجاءت تعليمات الخليفة على النحو التالي :

---

(١) تاريخ الطبري ، ج ٤ ص ٢١٤ .

[الى ابي موسى الاشعري ، أمير البصرة ، ابعث الى الاهواز بعثاً كثيفاً ، مع سهل بن عدي ودعمه بقوات أهل البصرة واهل الكوفة جميعاً بقيادة أبي سبرة بن أبي رهم وكل من اتاه . الى عمار بن ياسر ، امير الكوفة ، ابعث الى الاهواز بعثاً كثيفاً مع النعمان بن مقرن وعجل . ابعث سويد بن مقرن وعبد الله بن ذي السهمين ، وجرير بن عبدالله الحميري ، وجرير بن عبد الله البجلي ، فلينزلوا بازاء الهرمزان حتّى يتبينوا امره] (١) .

نظـــم عمار بن ياسر قواته على النحو التالي :

المقدمة ، ويقودها جرير بن عبدالله البجلي .

الميمنة ، ويقودها البراء بن مالك ، اخو انس بن مالك .

الميسرة ، ويقودها مجزأة بن ثور السدوسي .

الفرسان ، ويقودهم انس بن مالك .

كما نظم عمار بن ياسر جيش النعمان على النحو التالي :

كتلة المشاة ، بقيادة النعمان بن مقرن المزني .

الميمنة ويقودها البراء بن عازب الانصاري .

الميسرة بقيادة حذيفة بن اليمان العبسي .

الفرسان او الخيالة ، بقيادة قرظة بن كعب الانصاري .

اما المقدمة فقد تركت قيادتها الى جرير بن عبدالله البجلي .

بـــدأ النعمان مسيرته في اتجاه العدو ، وتجاوز دجلة عند ميسان وتابع تقدمه على محور الاهواز ، نهر تيري ، مناذر ، سوق الاهواز . وعندما وصل سوق الاهواز ترك حرقوصاً بن زهير السعدي وسلمى بن العين وحرملة بن عرفطة بمهمة تنظيم قاعدة خلفية للهجوم ، وتابع تقدمه حتّى وصل برامهرمز ، حيث كانت قوات الهرمزان تتمركز فيها .

---

(١) معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ج ٢ ص ٣٠ .

اصطـــدمت قوات الهرمزان بجيش النعمان ، في أريك ، ووقعت معركة طاحنة ، قاتل كل طرف من الطرفين بعناد وشراسة ، واستطاع النعمان ان ينتزع النصر ، واخذت قوات الهرمزان في تنظيم الانسحاب من المعركة ، الا ان قوات النعمان اسرعت في مطاردتها حتّى وصلت مدينـــة برامهرمز ، واحتلتها في حين تابعت بقايا قوات الهرمزان انسحابها في اتجاه تُسْتُر .

كـــان جيش البصرة في سوق الاهواز عندما وقعت المعركة بين النعمان والهرمزان ، ولما وصلته انباء المعركة اسرع في سيره متوجهاً نحو تستر . وفي الوقت ذاته تحركت قوات حرقوص وسلمى وحرملة باتجـــاه تستر . والتقت القوات كلها ، واحاطت بالمدينة .

وصلـــت المعلومات الى الخليفة عمر ، فارسل الى ابي موسى الاشعري يطلب اليه دعم الهجوم على تستر .

حوصرت تســـتر اشهراً عديدة ، ووقعت خلال فترة الحصار هجمات كثيرة بين الطرفين . الا ان الاشتباكات لم تحقق نتيجة حاسمة ، وكان حجم الخسائر يتزايد يوماً بعد يوم .

بعـــد فترة الحصار الطويلة ، نظم المسلمون هجوماً حاسماً . وصلوا به الى خنادق الفرس وأجلوهم عن مواقعهم ، ثم هاجم البراء بن مالك القوات المنسحبة حتّى وصل احد ابواب المدينة واستطاع ان يقتل في هذا الهجوم تسعمائة من جنود الفرس مع اسر ستمائة جندي . وقتل البراء بن مالك عند ابواب تُسْتُر . واعتصم الهرمزان وجنده في المدينة .

خـــلال استجواب الاسرى ، اعلن احدهم إسلامه ، واظهر استعداده لدعم الهجوم و توجيهه نحو مدخل سري للمدينة .

ارسلت مفرزة استطـــلاع بقيادة أشرس بن عوف ، وكان الفارسي الذي اعلن اسلامه يوجه الفرسان بين الممرات الجبلية الضيقة في الليل . ووصلت القوة

الى نقطة مهيمنة ظهر منها مجرى ماء يصل الى المدينة من الخلف ، وعندما رجعت مفرزة الاستطلاع قال اشرس :

[انهدوا من قبل مخرج الماء فانكم ستفتحونها] .

تعهـــد الفارسي ، دليل الهجوم ، بقيـــادة القوة التي ستتسلل الى المدينة ووضعها في اماكن مخفية ومموهة حتى بداية الهجوم .

ارسلـــت قوة الاغارة الليلية على مجموعتين الاولى وتتألف من اربعين مقاتلا والثانية وتتكون من ٢٠٠ مقاتلا وانطلقت قوة الاغارة مستخدمة الممرات الجبلية .

تسللت المجموعـــة الاولى ، ووجهها الدليل ، الى اماكن مموهة ، ثم عاد الدليل فوجه المجموعة الثانية ، وانتهت الاستعدادات قبل اول ضوء .

انطلقـــت الجيوش المحيطة بالمدينة بهجومها منذ الصباح المبكر ، وارتفعت صيحات الحرب ، فأجابهم أفراد قوات الإغارة من الداخل ، وفتحوا لهم الأبواب . وبدأت اعمال قتال شرسة واخذ جند الفرس يفرون مـــن القتال ، والذعر يتملكهم ، وهرب الهرمزان ولاحقه المسلمون حتى اصبح بعزلة ، وواجهه المسلمون ، فطلب اليهم قبوله أسيراً على ان يتركوا امره للخليفة عمر ، والا فانه سيتابع رمي سهامه حتى يقتل .

وافـــق النعمان على ما طلبه الهرمزان وارسله برفقة حراسه خاصه الى المدينة

تابـــع المسلمون تصفية المقاومات في تُسْتُر وسجل العرب فتحاً جديداً في سجل انتصاراتهم .

وصـــل الهرمزان الى المدينة وبحث الحرس عن الخليفة عمر فلم يجدوه في منزله ، ولم يعثروا عليه في المسجد ، ووجههم الناس الى مكان يجدون فيه الخليفة ، وعندما وصلوا المكان المحدد كان الخليفة عمر ينام بعمق ، تحت ظل شجرة ، ملتحفاً ببردة عتيقة ، دونما حراسة فاطلق كلمته : عدلت ، فأمنت ، فنمت .

اشهـــر الهرمزان اسلامه امام عمر ، الا ان الخليفة اخذ يناقشه في اسباب ارتداده مرات عديدة ، وكان مصمماً على قتله ، الا أنّ الهرمزان استأمنه خلال حديثه . وعندما شعر الهرمزان بتصميم عمر ، قال له انك تريد قتلي لكنك لا تستطيعه لانك أمنتني . وعندما وجد الخليفة عمر انه لا يستطيع النكث بعهده فرض عليه الاقامة الاجبارية في المدينة (١) .

يوم السوس – ١٧ هـ (٢) :

كـــانت السوس بلدة كبيرة في خوزستان .

عندمـــا انسحب الملك « يزدجرد » بعد معركة «جلولاء» انتقل الى اصطخر في اقليم فارس ووجه الهرمزان الى « تستّر » ، كما وجه « سياه » الى السوس في محاولة لانتزاعها من قبضة المسلمين .

كـــان ابو موسى الاشعري يحاصر السوس ، عندما وقعت المعركة في جلولاء .

وصلت انبـــاء هزيمة الفرس في جلولاء ، وانتشرت في كل مكان من ايران ، وعرف أهل جلولاء انهم لا يستطيعون الصمود طويلاً امام جيش المسلمين ، لا سيما بعد ان يئسوا من كل امل في وصول دعم او امدادات تنقذهم من حصارهم . فارسلوا وفداً الى ابي موسى الاشعري يفاوضونه على الصلح ، واستشار ابو موسى الخليفة عمر ، فوافق على الصلح ووقعت اتفاقية على اساس دفع الجزية .

عندمـــا وصل « سياه » الى السوس ، وجد ان الامر قد استقر للمسلمين،

---

(١) تابع الهرمزان اعماله التخريبية ، فاخذ يتصل بالفرس ويغريهم باثارة الفتنة ، ولما يئس من ذلك ، اشترى خنجراً مسموماً اعطاه الى الفارس ، أبي لؤلؤة، ودفعه لقتل الخليفة عمر ، وعندما اجتمع المسلمون عند سماعهم نبأ مقتل الخليفة ، كلفوا ابنه عبدالله، بالثأر لابيه وقتل الهرمزان ، وحملوه حتّى منزل الهرمزان فقتله .

(٢) تاريخ الطبري ، ج ٤ ، ص ٢١٨ .

فارسل وفداً الى ابي موسى يعرض عليه الدخول وجيشه في الاسلام فوافق ابو موسى على ذلك وعلى ان يكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين .

انضمت قوات «سياه» الى قوات أبي موسى ووقفت الى جانبه في حصار تستر . ولاحظ ابو موسى عدم حماسة سياه وجنده للقتال ، فاستدعاه ابو موسى وسأله عن سبب ذلك التهاون وعن مبرر تلك الظاهرة من اللامبالاة . فكان جواب سياه واضحاً وصريحاً وجريئاً :

[لسنا مثلكم في هذا الدين ، ولا بصائرنا كبصائركم، ولم تلحقنا بأشرف العطاء] .

كتب ابو موسى الى الخليفة عمر يستشيره ، ويعرض عليه الحادثة فأجابه الخليفة :

[ألحقهم على قدر البلاء في أفضل العطاء، وأكثر شيء أخذه أحد من العرب] .

عندما علم «سياه» باجابة الخليفة عمر ، صدق إيمانه ، واندفع مع جنده في القتال ، وأظهر حماسة دفعته ان يستخدم الدهاء والمكر حتى فتح أحد الحصون وحده .

مؤتمر التعبئة :

توفــرت المعلومات عند الخليفة عمر بن الخطاب عن تجمع الفرس في نهاوند ، وعرف ان بقاء عاصمتهم وملكهم هو السبب في المؤامرات واعمال التمرد التي تكرر وقوعها في عدد من المناطق ، فقرر عقد مؤتمر لمناقشة الموقف وحضر كبار القادة والصحابة الى المسجد فوقف الخليفة عمر ، وشرح الموقف وطلب الى الحضور تقديم مقترحاتهم . وكان سعد بن ابي وقاص من حضور المؤتمر ، بعد ان استخلف على الكوفة عبدالله بن عبدالله بن عتبان .

اقترح الخليفة عمر في هذا المؤتمر تنظيم جيش يقوده بنفسه ، الا ان الصحابة عارضوه في ذلك . وعندما ظهر التردد في تقديم المقترحات حث عمر الحضور على طرح آرائهم قائلا لهم :

[ان هذا يوم له ما بعد من الايام] .

اقترح طلحة بن عبدالله تشكيل جيش قوي وتكليف من يقوده .

اقترح عثمان بن عفان تسيير اهل الشام واهل اليمن في جيش قوي يقوده الخليفة عمر .

عارض علي بن ابي طالب تسيير اهل الشام واهل اليمن خشية انقضاض الروم على الشام والحبشة على اليمن ، كما عارض في قيادة الخليفة عمر للجيش خشية وقوع هزيمة تدمر الروح المعنوية للمسلمين، وترفع من ارادة القتال لدى الفرس .

ترك الامر الى الخليفة عمر ليقرر ما يراه .

كـــان النعمان بن مقرن عاملاً على كسكر في فارس ، وقد عينه سعد بن ابي وقاص على جباية الخراج ، الا ان هذا العمل لم يعجبه فكتبَ الى الخليفة راجياً اعفاءه من عمله وإرساله الى الجهاد ، فقرر عمر تعيينه قائداً لقوات الهجوم على نهاوند .

شكل الخليفة عمر جيشاً من المدينة فيه كبار الصحابة مثل عبدالله بن عمر ابن الخطاب وجرير بن عبدالله البجلي ، والمغيرة بن شعبة ، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي ، وطليحة بن خويلد الأسدي وقيس بن مكشوح المرادي.

كتب الخليفة عمر رسالة الى حذيفة بن اليمان بتشكيل جيش من اهل الكوفة والانضمام الى النعمان بن مقرن .

كتب الخليفة عمر رسالة الى أبي موسى الاشعري طالباً منه التوجه عـــلى رأس جيش اهل البصرة لدعم النعمان والعمل على قيادته .

وكتب الخليفة عمر بعد ذلك رسالة الى النعمان بن مقرن رسالة جاء فيها :

[انه بلغني ان جموعاً من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند فاذا أتاك كتابي هـــذا فسر بأمر الله وبعون الله وتبصر الله بمن معك مـــن المسلمين ، ولا توطئهم وعراً فتؤذيهم ، ولا تمنعهم حقهم فتكفرهم ولا تدخلنهم غيضة فان رجلا من المسلمين أحب الي من مائة الف دينار] .

وفي الوقت ذاته كتب الخليفة عمر رسالة الى سلمى بن العين وحرملة ابن عرفطة وأمراء الجند الذين كانوا عماله على اقاليم الاهواز رسالة هـــذا نصها :

[أشغلوا فارس عن إخوانكم ، وحوطوا بذلك أمتكم وأرضكم وأقيموا على الحدود ما بين فارس والأهواز حتى يأتيكم أمري] .

كانت هذه الاجراءات كافية لضمان الأمن ريثما تنتهي الاستعدادات للمعركة ، وعندما وصلت القوات وتجمعت عند النعمان ، وانتهت عملية التنظيم

كتب بذلك الى الخليفة عمر الذي أعطاه الامر بالتحرك الى نهاوند ، مع التعليمات التالية :

[اذا حدث بك حدث فعلى الناس حذيفة بن اليمان فان حدث بحذيفة حدث فعلى الناس نعيم بن مقرن] .

طبيعة ارض المعركة ومخططات الطرفين :

تقع نهاوند في منطقة وعرة ، تحيط بها الجبال العالية التي تكسوها الثلوج على امتداد ايام السنة ، وتحيط بها ينابيع المياه والاشجار الباسقة ، والحقول الخصبة ذات التربة السوداء (١) . وتقع محاور الاقتراب الى نهاوند داخل مناطق جبلية ولهذا دفع النعمان بن مقرن عناصر الاستطلاع قائلا :

[قَتَلَتْ أرْضٌ جاهِلَها ، وقَتَلَ أرضاً عالمها] .

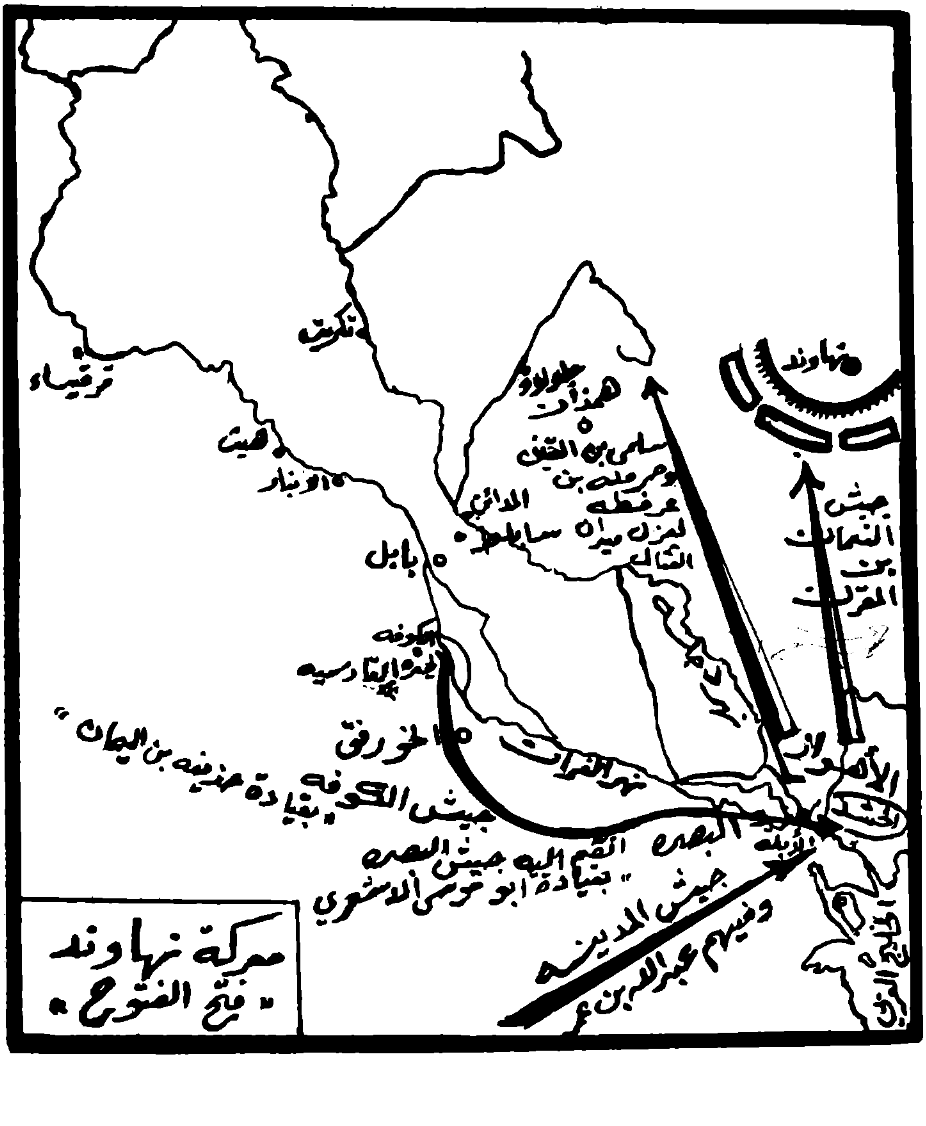
اراد الفرس الافادة من طبيعة الارض ، فنظموا دفاعهم خارج المدينة وحفروا الخنادق ، وتحصنوا بها ، وأخذوا في انتظار جيش المسلمين وذلك لتحطيم هجومهم ثم تدميرهم .

كان المخطط الاساسي للمسلمين يستند إلى عزل نهاوند عن كل امكانات لدعمها ثم إرهاق العدو بالهجمات الموضعية المستمرة ، والافادة من الفرصة المناسبة للقيام بالهجوم العام .

توازن القوى :

قوات الفرس	قوة المسلمين	نسبة التوازن	ملاحظات
١٥٠,٠٠٠	٣٠,٠٠٠	$\frac{1}{5}$ لصالح الفرس	نظراً لطبيعة الارض الجبلية استخدم المسلمون البغال في التحرك ونقل اعتدتهم

(١) معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ج ٤ ، ص ٨٣٧ .



نهاوند
جلولاء
همذان
الدائن
بابل
الأنبار
هيت
تكريت
قرقيساء
الخورنق
نهر الفرات
جيش النعمان بن المقرن
جيش الكوفة بقيادة حذيفة بن اليمان
البصرة
الأبلة
انضم اليه جيش البصرة بقيادة ابو موسى الاشعري
جيش المدينة وفيهم عبد الله بن عمر
الأهواز
معركة نهاوند
" فتح الفتوح "

لم يكـــن ميزان القوى لصالح المسلمين وكانت نسبة التفوق خمسة لواحد، فاذا ما اضفنا الى ذلك صعوبة مسرح العمليات سواء في طبيعته وبرودته ، او في منطقتة الجبلية وهي ما لم يكن سكان الجزيرة قد ألفوه أو اعتادوا عليه ، أدركنا مدى ما تحمله المسلمون في يوم نهاوند ، وقد ادرك الخليفة عمر ذلك فجعل القسط الأكبر من اعباء هذه المعركة على عاتق اهل البصرة نظراً لوجود بعض ملامح التشابه بين الاقليمين .

مسيرة الاعمال القتالية :

تقـــدم جيش المسلمين في مسيرته حتّى أشرف على المواقع الّتي نظمها الفرس وتحصنوا وراءها ، وكان الملك يزدجرد قد عهد قيادة قواته الى القائد الفيرزان .

نظـــم المسلمون طوق الحصار حول مواقع الفرس ، وبدأت معارك فرعية على شكل اغارات مباغتة صمد لها الفرس ، ووقعت خسائر كبيرة في صفوف المسلمين ، واستمر الموقف طوال يومين ، وخشي المسلمون ان يطول بهم الحصار في هذه المناطق الصعبة ، فعقد النعمان مؤتمراً للقادة من أجل دراسة الموقف وحدد له موعداً بعد صلاة الجمعة .

طـــرح الموقف على قادة المسلمين ، واقترحت فيه عدد من المقترحات منها تضييق الحصار والانتظار ، ومنها القيام بهجوم عام وعندما جاء دور طليحة الاسدي وقف يقول :

[ايها الامير ، ارى ان تبعث خيلا مؤذية ، فيحدقوا بها ، يرموهم لينشبوا القتال ويحمشوهم(١) ، فاذا استحمشوا واختلطوا بهم وارادوا الخروج ، ارزوا الينا استطراداً (٢) ، فانا لم نستطرد لهم في طول ما قاتلناهم ،

(١) يغضبونهم ، ويستثيرونهم للقتال .

(٢) ارزوا ، بمعنى رجعوا فرادى في قتال تراجعي الى منطقة ازدلاف تحدد لهم مسبقاً فيجتمعوا فيها .

وانا اذا فعلنا ذلك ، ورأوا ذلك منا ، طمعوا في هزيمتنا ، ولم يشكوا فيها ، فخرجوا ، فجادونا وجاددناهم حتّى يقضي الله فينا وفيهم ما احب] .

وافـق القادة على اقتراح طليحة ، وأقره النعمان ، واتخذ الاجراءات لتنفيذه على النحو التالي :

يقـوم القعقاع بن عمرو قائد المقدمة ومعه قوة من فرسانه بتنظيم اغارة على خنادق الفرس ومواقعهم وبعد ان يشتبك معهم ، يبدأ بالانسحاب في قتال تراجعي حتّى مواقع قوات المسلمين .

تحتـل قوات المشاة مواقع ثابتة مستفيدة من الأرض ، وتبقى في مواقعها حتّى وصول قوات الفرس اليها ثم تشتبك معها في معركة جبهية .

تبقـى الكتلة الضاربة الرئيسية موزعة في مناطق مخفية ومموهة حتّى اعطاء شارة الهجوم .

انطلق النعمـان بعد ذلك لتفقد المواقع التي احتلها المسلمون، ولينظم التعاون مع القادة ، ويستثير حماسة المقاتلين ، ثم حدد لهم شارة الهجوم على النحو التالي :

يقف النعمـان في نقطة تستطيع جميع القوات ان تراه منها . ويهز بعلمه للمرة الأولى فيكبر المسلمون تكبيرة واحدة ويسرعوا الى اسلحتهم وثيابهم استعداداً للمعركة .

عندمـا يهز العلم للمرة الثانية يكبر المسلمون ايضاً ، ويتخذوا تنظيم القتال

وفي المـرة الثالثة يكبر المسلمون وينطلق كل كردوس في الاتجاه المحدد له

وفي صبيحـة اليوم التالي ، انطلق القعقاع على رأس الفرسان ووقعت معركة شرسة استبسل فيها المسلمون ، ثم اخذوا في الانسحاب وفق المخطط المحدد لهم ، وانطلق الفرس في مطاردتهم كما كان متوقعاً ، وغادر جنود الفرس جميعهم المواقع حتّى لم يبق على ابواب المدينة احد منهم .

دارت معركــة طاحنة بين جند الفرس وجند المسلمين وتحول ميدان القتال الى بركة كبيرة تغطيها الدماء وجثث القتلى ، وضاق المسلمون ذرعاً بسبب تأخر النعمان في اعطاء شارة بدء الهجوم ، وارسلوا المراسلين يستحثونه فكانت اجابته ؛ رويداً رويداً .

قــاربت الشمس على الغروب ، وعندئذ اعطى النعمان شارة الهجوم وانطلق المسلمون في هجومهم فتحطمت ميمنة الفرس وميسرتهم وتمزقت صفوفهم ، ونظراً لتقييد كل عشرة جنود من الفرس بسلسلة معدنية واحدة فقد افاد المسلمون بضرب واحد او اثنين من المجموعة فتسقط المجموعة بكاملها

انطلق النعمــان في هجومه ، وبعد فترة انزلقت فرسه بسبب الدماء الغزيرة التي غطت ارض المعركة ، واصيب النعمان بسهم فقتل واسرع أخواه سويد بن مقرن ومعقل بن مقرن يرفعان الراية ، واقبل حذيفةبن اليمان وتقرر كتم خبر مقتل النعمان حتى انتهاء المعركة وذلك حتى لا تتأثر الروح المعنوية للمسلمين .

شعــر الفرس ان نهاية المعركة في غير صالحهم ، وارادوا الافادة من ظلمة الليل للانسحاب ففر يزدجرد ، وحاول الفيرزان الهروب والتملص من القتال الا ان عيون المسلمين اليقظة تابعته فاشار معقل بن مقرن الى القعقاع ، واخذ القعقاع في مطاردة فلول المنسحبين وادرك الفيرزان عند ثنية جبل ، وكانت مجموعة من القرويين تحمل العسل على البغال قد اعترضت طريقه فاعاقته ووقع عليه سيف القعقاع فقتله .

دخــل المسلمون نهاوند ، وقام العامل على الخراج بتوزيع الاسلاب ، وتقدم احد خدم القصر من المسلمين فهداهم الى مخابىء كنوز يزدجرد ، فاستولوا عليها وارسلوها الى المدينة بعد اخذ الفيء منها .

نتائج سقوط نهاوند :

كــانت معركة نهاوند وسقوطها في قبضة المسلمين ذات نتائج حاسمة في المجالات السياسية والاستراتيجية والعسكرية .

١ - من الناحية السياسية :

١ - تغيير خارطة العالم القديم الذي كانت تتنازعه قوتان كبيرتان هما الفرس والروم .

٢ - تعزيز مكانة العرب المسلمين ، واظهارهم بمظهر المصممين على بلوغ اهدافهم وتحقيق تطلعاتهم مهما كان الثمن ، وبأية وسيلة .

٣ - تعريف العالم بالقيم التي جاء بها الاسلام ، وتوفير الظروف الموضوعية الملائمة لنشر الدين الجديد .

٢ - ومن الناحية الاستراتيجية :

ا - وضعت حداً نهائياً لتصفية قاعدة العدوان ، وزال الخطر بالتهديد ، واصبح باستطاعة المسلمين ان يتصرفوا بثقة وطمأنينة لبناء مجتمعهم الجديد .

ب - اصبح بالامكان استخدام ما وراء دجلة من الشرق كقاعدة انطلاق متقدمة لمتابعة الفتوحات .

ج - أسفرت مجموعة العمليات القتالية التي سبقت نهاوند عن احتلال جيوش المسلمين لكافة الاقاليم الواقعة في شرق دجلة والخليج العربي بداية من رأس هرمز في الجنوب ونهاية بالحدود التركية في الشمال .

٣ - من الناحية العسكرية :

١ - تكوين حصالة من التجارب العسكرية وخبرات الحرب ، كان لها الاثر الكبير خلال الفتوحات التالية :

٢ - تكوين كادرات قيادية ، قادرة على تطبيق مبادىء الحرب ، وقيادة مجموعات كبرى الى المعركة ، وحشدها ثم زجها في المعركة وفق خطة مدروسة.

٣ - اكساب الجندي العربي المسلم الثقة بقدرته على تحقيق النصر وانتزاعه مهما كانت الظروف صعبة وشاقة .

٤ - اكساب المقاتل الصلابة اللازمة للعمل في كل الظروف وفي مختلف الاجواء والقتال في مختلف الاراضي .

الدروس المستفادة :

يمكن تلخيص الدروس المستفادة من المعارك التمهيدية التي سبقت نهاوند ومن معركة نهاوند ذاتها بما يلي :

١ ــ في امن القتال :

ا ــ ان اول ظاهرة مشتركة في مجموعة العمليات السابقة هي توفر المعلومات الدقيقة عن تحركات الخصم وتنسيق هذه المعلومات ودراستها ورفعها الى أعلى سلطة مسؤولة ، واتخاذ القرارات المناسبة على ضوئها .

ب ــ تطبيق مبادىء الامن ، سواء في مرحلة التحرك او في مناطق الحشد او في التنظيم للقتال بحيث لم تقع للمسلمين اية حادثة غير متوقعة او يجابهوا بموقف مباغت باستثناء معركة طاووس التي خرج فيها القائد العلاء الحضرمي دون إذن من الخليفة .

٢ ــ في مركزية القيادة :

هنـــاك تعريف عام للعمليات العسكرية تتلخص بكلمة « القرار » والقرار يصدره القائد الاعلى ، وتظهر مركزية القيادة بشكل واضح في كافة العمليات القتالية بحيث كان الخليفة وهو القائد العام للقوات المسلحة يمارس العمليات التالية :

ا ــ جمع المعلومات عن طريق عماله، والوفود، واستجواب الاسرى .

ب ــ اصدار القرارات المناسبة بالتحرك والهجوم وتحديد مناطق التجمع والحشد .

ج ــ تخصيص الامكانات اللازمة ، حسب الواجب ، وحسب طبيعة المعركة وحجم قوات العدو واهمية الهدف .

د ــ تعيين القادة الذين يجد فيهم الخليفة الكفاءة اللازمة لقيادة اعمال القتال.

٣ – في مسيرة العمليات :

تميزت مجموعة اعمال القتال ما بين القادسية ونهاوند بالميزات التالية :

ا – المرونة والسرعة في التحرك ، لقد كان العرب المسلمون حديثوا العهد بتحركات القوات الكبيرة ورغم ذلك فقد تميزت عملياتهم بالسرعة والمرونة ، والتحرك لمباغتة الخصم قبل ان ينهي استعداداته للقتال .

ب – الافادة من ميدان القتال ويظهر بوضوح ان القادة العرب كانوا يظهرون اهتماماً كبيراً في دراسة ميدان المعركة ، ورصد تحركات عدوهم والافادة من كل ثغرة زمانية او مكانية لتوجيه ضربة مباغتة وحاسمة .

ج – استثمار النصر ، دونما تردد ، والاسراع في مطاردة القوات المنسحبة وعدم تمكينها من تنظيم مقاومات جديدة .

د – الاستعداد الدائم للقتال ، ويظهر ذلك من اعمال الحصار الطويلة في بعض المعارك مع المحافظة على تدابير الامن ، والتحرك في كل وقت ، ومجابهة كافة المواقف .

٤ – في الروح المعنوية :

لقد برهنت العمليات المتابعة على روح معنوية عالية ، وظهرت هذه الروح المعنوية في كل معركة فكانت البديل عن عوامل التفوق العددي ، ومساوىء الأرض ، وقسوة العوامل الجوية .

خاض العرب المسلمون معاركهم في مناطق غريبة عنهم ، ومع قوات تفوقهم بحيث لم يكن ميزان القوى في صالحهم ابداً ، كما كانت الاحوال الجوية قاسية بالنسبة لهم ، ورغم ذلك تمكنوا من انتزاع النصر في جميع معاركهم .

للمطالعة

من ادب الحروب

قصيدة القعقاع بن عمرو في يوم نهاوند :

رمي الله من ذمّ العشيرة سادراً بداهية تبيض منها المقادم
فدع عنك لومي ، لا تلمني ، فانني أحوط حريمي والعدو الموائم
فنحن وردنا في « نهاوند » مورداً صددنا به والجمع حران داحم
ونحن حبسنا في نهاوند خيلنا لشر ليال أنتجت للأعاجم
وراكضهن الفيرزان على الصفا فلم ينجه منها انفساح المخارم
ألا أبلغ أسيداً حيث سارت ويممت بما لقيت منا جموع الزمازم
غداة هوَوا في « وادخرد » فأصبحوا تعودهم شهب النسور القشاعم
قتلناهم حتى ملأنا شعابهم وقد أفعم اللهب الذي بالصرائم

القسم الثاني

الفصل الثالث

- من عمليات الجبهة الشرقية -
- (فارس) إيران -
- عمليات المحور الشمالي -
- عمليات المحور الأوسط -
- عمليات المحور الجنوبي -

القطاع الشمالي

١ ــ فارس قبل الفتح الاسلامي
٢ ــ فتح قزوين وزيجان والديلم
٣ ــ فتح اذربيجان ٢٢ هـ .
٤ ــ باب الابواب
٥ ــ فتح جرجان وطبرستان
٦ ــ فتح نيسابور ، طوس ــ مرو ، هراة بادغيش
٧ ــ الصلح مع الجوزجان الفاريات الطالقان

القطاع الأوسط

١ – يوم اصبهان

٢ – يوم همذان

٣ – يوم واج روذ

٤ – فتح الري ومومس

٥ – فتح كرمان

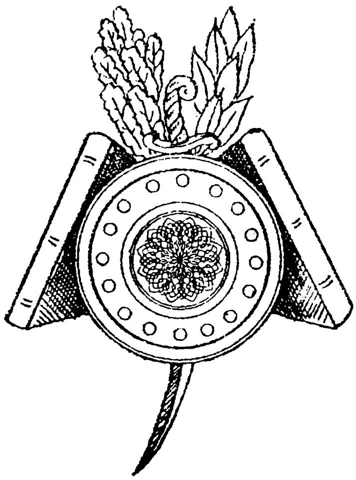
المحور الجنوبي

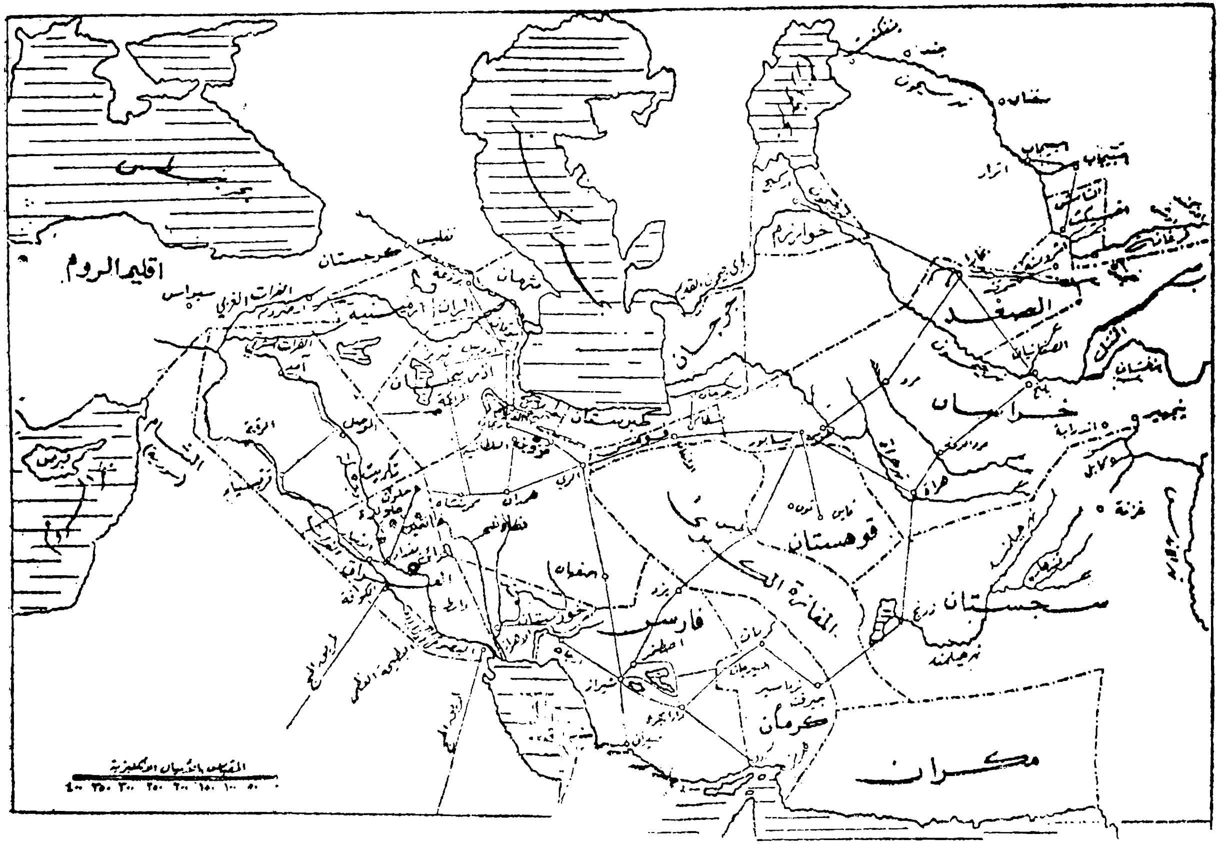
١ – فتح اصطخر

٢ – فتح فسا ودرا بجرد

٣ – فتح توج

٤ – فتح اقليم مكران





اقاليم آسية الجنوبية الغربية

فارس «ايران»

قبل الفتح الاسلامي»

سَجّل يوم نهاوند نهاية المرحلة الأولى من عمليات الجبهة الشرقية ، وأصبح المجال مفتوحاً أمام جيوش المسلمين للتوغل حتى أعماق الهضبة الايرانية والوصول بفتوحاتهم الى حدود الصين .

كانت قيادة الفرس قادرة على اجتذاب الجيوش الإسلامية وفرض المعركة عليها ، حتى يوم نهاوند . فقد كانت هي التي تختار مناطق حشد قواتها ، وهي التي تحدد مواقع القتال ، وكانت القوات العربية الإسلامية ، في المرحلة الأولى مرغمة على مطاردة اعدائها من خندق الى خندق ومن موقع الى موقع ومن مدينة الى مدينة بهدف تدمير المقاومات التي تحشد ضدها ، وعلى الرغم من اختيار القادة الفرس لمسارح عملياتهم ، ورغم تفوقهم العددي ، ورغم خبراتهم بطبيعة الأرض ، فقد نجح المسلمون في انتزاع النصر تلو النصر حتى سيطروا على شرق دجلة ما بين الأهواز وحدود ارمينيا سيطرة تامة.

تغير هذا الوضع بعد معركة نهاوند ، ولم يعد باستطاعة الفرس تنظيم عملياتهم بسبب زوال وحدة القيادة وأصبح بامكان القادة المسلمين اجراء فتوحاتهم وانجاز عملياتهم بعيداً عن ارادة الخصم وتأثير مخططاته .

إن تدمير قوات الفرس في معارك متتابعة بداية من القادسية ونهاية بنهاوند ، قد حطم الكتلة الضاربة الرئيسية لقوات الفرس ، وأسقط كيان الدولة الساسانية . وبذلك زالت هيمنة الوحدة السياسية العسكرية ، وأصبح

الأمر متروكاً للملوك والأمراء في مختلف المقاطعات . وهذا مما يعتبر عاملا مساعداً لضرب كل قوة بمعزل عن القوى الأخرى .

ان سقـــوط الدولة الساسانية والاستيلاء على عاصمتها ، حطّم دونما ريب ارادة القتال عند امراء الأقاليم وملوكها . وهذا لا يعني ، بداهة ، انتهاء كل محاولات لإيقاف زحف الجيوش الاسلامية ، الا انه اصبح من المتوقع أن تكون القوات التي ستتصدى للمسلمين ،أقل عناداً في قتالها وأقل تصميماً في ارادتها ، وأقل حماسة في عملياتها ضد جيوش المسلمين .

أصبــــح باستطاعة الجيوش الإسلامية بعد فرض سيطرتها على المناطق الواقعة الى الشرق من نهر دجلة ، الانطلاق في عملياتها من مناطق متقدمة وقواعد أمامية . وهكذا تحولت البصرة في الجنوب والكوفة في الشمال الى مناطق حشد للجيوش ، يتم فيها الحشد ، وتنظيم القوات ، والاستعداد للحرب قبل التحرك الى ميادين القتال .

لقد تم فتح بلاد فارس على مرحلتين :

ا ــ المرحلة الأولى من العمليات : وهي التي بدأت بازالة الفرس وانتهت بما أحرزه المسلمون من انتصارات خلال مرحلة حكم الخليفة الثالث عثمان بن عفان . وتوقفت بعد ذلك بسبب انصراف المسلمين الى النزاع على السلطة مع ما رافق ذلك من فتن وثورات في جميع المناطق .

ب ــ المرحلة الثانية من العمليات ، وهي التي قام بها ولاة الأمويين بوصول الجيوش العربية الإسلامية حتى حدود الصين .

نفذت عمليات المرحلتين المذكورتين على محورين :

ا ــ المحور الشمالي من همذان الى أصبهان ، واج روذ ، الري ، قومس ، جرجان ، طبرستان ، أذربيجان ، الباب في ارمينيا .

ب ــ المحور الجنوبي ، ويتمثل في عمليات اقاليم الأهواز ، وكرمان ،

وفارس ، وسجستان . إن تقسيم سير العمليات على محاور ، لم يكن عائقاً امام نقل محور ثقل الجيوش الإسلامية وتعديل مسيرة العمليات وفقاً لمتطلبات أعمال القتال . فكثيراً ما كان يتم نقل القوات العاملة من محور الى محور آخر اذا ما تطلبت ضرورة العمليات ذلك ، وكان يتم تنفيذ التحرك بسرعة ومرونة مما أعطى الجبهة الشرقية صفة الوحدة المتكاملة على مخطط العمليات .

لقــد كان لطبيعة الارض ، والتوزيع السكاني ، دور هام في فرض محاور العمليات ، كما هو الامر في كل اعمال القتال ، ولهذا فانه امر حتمي التعرض لبعض ملامح الأقاليم قبل البدء في دراسة الأعمال العسكرية على الجبهة الشرقية .

١ ــ الطبيعة الجغرافية :

١ ــ الجبال : تتكون جبال « فارس » من مجموعتين رئيسيتين :

المجموعة الأولى وهي :

٢ ــ المجموعة المجاورة لحدود العراق وهي تتصل شمالا بجبال آرارات ثم تمتد جنوباً حتى رأس هرمز . وتعرف هذه السلسلة الجبلية باسم جبــال « زاغروس » .

يصــل ارتفاع هذه السلسلة في بعض نقاطها حتى ٤٣٠٠ م. عن سطح البحر وتقسم الى مجموعات تحمل أسماء المدن أو الأقاليم التي أقيمت عند منحدراتها . وهذه السلسلة تنحدر غرباً حتى تتصل بسهول العراق ، كما تنحدر تدريجيــاً لتتصل شرقاً بالمفازة الكبرى « وادي شور ودشتي كفير » المعروفة باسم الصحراء المالحة الكبرى .

يتفرع عــن هذه السلسلة « جبل البرز » الذي يسير بصورة عرضانية موازياً للقاعدة الجنوبية من بحر الخزر « بحر قزوين حالياً » .

ان هــذه السلسلة الجبلية مقطعة وغير متصلة ، وتمر الطرق من هذه الفجوات

لتوفر الاتصال ما بين ايران والعراق ومن اهم هذه الطرق ، الطريق الشمالي عبر الموصل ، حلوان قرميسين « كرمنشاه » ، همذان ، الري . وكان يسمى « طريق خراسان العظيم » .

والمجموعة الثانية هي :

د ــ سلسلة جبال هيمالايا والتيبت ، شرقاً وهي جبال مرتفعة ، يصل الارتفاع في بعض مناطقها حتى تسعة آلاف متر تقريباً في قمة جبال الهيمالايا. وتنحدر عن هذه السلسلة ، مجموعة من الجبال « مرتفعات كشمير حالياً » ٧٠٠٠ م تقريباً ، وجبال افغانستان ٥٢٠٠ م .

جـ ــ المفازة الكبرى « هضبة ايران » وتقع بين سلسلتي الجبال المذكورتين تمتد من بحر قزوين شمالا حتى المحيط الهندي جنوباً ، وهي صحراء قاحلة ، فيها بعض الواحات . ذكرها العرب باسماء واحة جرمق وواحة تايوند وواحة سنيج » وبها بحيرات ملحية .

ب ــ السهول : السهول في ايران ضيقة وممدودة وهي تنحصر بصورة عامة بين سفوح الجبال والبحر ويمكن تقسيم السهول الى ثلاث مجموعات :

١ ــ المجموعة الشمالية ، وهي ما بين سفوح جبل البرز وبحر قزوين في الشمال ، وسهول الترك « تركمنستان السوفييتية حالياً » .

٢ ــ المجموعة الجنوبية ، من الاهواز حتى « بلوخستان » «باكستان حالياً ».

٣ ــ المجموعة الشرقية ، في حوض نهر السند الذي يصب في المحيط الهندي عند ديبل « كراتشي حالياً » .

جـ ــ الانهار ، الانهار في ايران كثيرة نظراً لغزارة الامطار ووفرتها ، الا ان القسم الأكبر من هذه الانهار قصيرة ، ومن اشهر الانهار في زاغروس من الشمال الى الجنوب نهر المراغة ونهر ارس ونهر سفيدروز في اذربيجان ، وانهار الكر والرس في كرجستان « جورجيا » وانهار زندة وقم ونهاوند

في اقليم الجبال وانهار كارون « دجيل » والشاذروان ، والمسرقان والمسوس ، وكرخة وتستر في خوزستان وانهار سكان ، توج ، رتين ، اخشين ، جرستق طاب ، شيرين ، الشاذكان ، الكر وباوار في فارس ، وهناك انهار كثيرة في بقية الأقاليم . اما النهران الرئيسيان فهمـــا « سيحون وجيحون » ، « نهر سيرداريا وأموداريا » اللذان يصبان في بحر آرال « خوارزم قديماً » .

لقد كان نهر السند شرقاً ونهرا سيحون وجيحون شمالا هما حدود «فارس» ايام حكم العرب . أما الأقاليم التي تقع الى شرق السند فكانت تسمى مـــا وراء النهر .

٢ ـ المناخ :

نظـــراً للتفاوت في الإرتفاع بين الجبال المرتفعة والسهول المنخفضة ، ونظراً لامتداد ايران من بحر قزوين شمالا حتى المحيط الهندي جنوباً ، فقد تميز اقليمها بوجود مناطق مختلفة في درجات حرارتها وفي مناخها ، ويغلب على المناطق الشمالية البرودة وكثرة الثلوج في الشتاء في حين تكون الأقاليم الجنوبية معتدلة في الشتاء حارة في الصيف .

أمـــا منطقة « الهضبة الإيرانية » فيغلب عليها مناخ الإقليم الصحراوي نظراً لعدم تأثرها بمناخ الشمال او الجنوب بسبب عزلتها ووقوعها بين سلسلة من الجبال المحيطة بها .

٣ ـ الزراعة والتجارة :

تعتـــبر ايران من الأقاليم الزراعية الخصبة ، فالمياه فيها متوفرة بكثرة ، وتربتها خصبة وان اختلاف المناخ والأحوال الجوية قد ساعدها على انتاج الزراعات المختلفة ، فيكثر في الجبال الجوز والتين والفواكه المختلفة .

وتـــزرع في السهول المنخفضة ، وفي الدلتا ، قصب السكر والرز والقطن ، والحبوب المختلفة .

كما اشتهرت ايران ايام العرب بصناعاتها الجلدية وصناعة السيوف والدروع نظراً لتوفر النحاس والفضة والذهب والزئبق في فرغانة .

وكانت فارس سوقاً لتصدير المواد الغذائية والاسماك المجففة والشمع والعنبر والعسل واللحوم والماشية والملح وأصناف الجبن المتنوعة .

وكانت فارس ايضاً تستفيد من موقعها ووجود طريق باب الحديد ، المعبر الوحيد الذي يصل بين سمرقند والهند ، لاستيراد التوابل والمواشي وغيرها من الهند لنقلها الى الشرق والعكس .

وكانت فرغانة وسمرقند السوق الرئيسية لتصدير الفراء الفاخر ، من الدلق والسمور والثعالب والسنجاب .

وقد اشتهرت فارس بصناعات البسط ، والديباج ، والأنسجة الحريرية ، والصباغ وعرف عنها في تلك الفترة صباغ اللون اللازوردي الذي اخذه الغرب باسم Azur .

٤ ـ المدن والتوزع السكاني :

تنتشر المدن في ايران على محورين رئيسيين محور شمالي ، ومحور جنوبي ويعود السبب في ذلك الى وجود ينابيع المياه وتوفر سبل الحياة والاستيطان .

تميزت مدن فارس القديمة بتنظيمها الدفاعي فقد كانت مواقع المدن حصينة تستند الى العوارض الطبيعية والجبال ، ويراعى في بنائها حمايتها بالحصون المنيعة والأقبية وإحاطتها بالخنادق بحيث تشكل كل مدينة موقعاً دفاعياً منعزلاً ومستقلا يحقق الاكتفاء الذاتي ، والسبب في ذلك هو كثرة تعرض المدن الايرانية لغزوات التتار الوافدين من أواسط آسيا .

٥ ـ المعطيات البشرية :

١ ـ تعرضت ايران في تاريخها لغزوات التتار ومن أشهر هذه الغزوات التي يذكرها التاريخ الغزوات التالية :

ا ــ غارات الرحل ، وهي همجية انطلقت من آسيا الوسطى ، عبر الشمال الغربي للصين ، وقد إستطاعت فريتا « بريتا » ان تصد هذه الهجمة مما ساعد على اقامة السلالة الايرانية الحاكمة التي عرفت باسم « الفرتيون » .

ب ــ البرابرة الكاستيين ، ١٥٢٠ ــ ١١٤٠ ق.م. وهي التي دمرت دولة حمورابي ، العموريين .

ج ــ قبائل الهون ، في القرن الخامس الميلادي ، قاد هذه القبائل « اتيلا » .

د ــ زحف التتار ، في القرن الثالث عشر الميلادي ، وقاد هذا الزحف جنكيزخان ، وخليفته اوكتاي وهولاكو .

هـ ــ زحف التتار وقبائل التركستان ، في القرن الرابع عشر الميلادي ، وقاد هذا الزحف تيمورلنك .

لقد كانت هذه القبائل هي التي نزحت الى اوربا ، وشكلت العرق الآري « الأوربي ، الهندي » ونظراً لتأثير هذه القبائل الكبير على فارس ، فقد صنف علماء الاجناس « الأنتربولوجيا » شعب ايران ضمن الشعوب الآرية ، وليس من بين الشعوب السامية .

٢ ــ لقد قامت على ضفاف الرافدين حضارات سامية ، حمل لواءها العرب الذين نزحوا من الجزيرة العربية ، ونظراً لاتصال فارس بالعرب ، ونزوح بغض القبائل من طرف الى الطرف الآخر ، فقد كانت هناك تفاعلات متبادلة ، عرقياً وحضارياً ، استطاع اليونان احتلال ايران وحكموها فترة قرنين ، وحاولوا الاختلاط بالسكان عن طريق التزاوج . ومن المؤكد حدوث تفاعلات حضارية وعرقية بين اليونان الحاكمين والفرس المحكومين . وهذا هو العنصر الثالث في التكوين البشري لسكان فارس .

ــ ثم جاءت الفتوحات الاسلامية ، فزالت الحدود ، ونزحت كثير من القبائل العربية فاستوطنت ايران وحدث العكس ايضاً اذ هاجرت مجموعات كبيرة من سكان ايران فاستوطنت العراق وسوريا ومصر ، وان ذكر هذا

العنصر الاخير ما هو الا لإيضاح فكرة زوال العرق النقي اللذي يطرحه البعض حالياً ولإثبات وجود التمازج العرقي في ايران عبر التاريخ .

تكونت ايران ، مثـــل كل دول العالم القديم ، فكان البدو الرحل فـــي البداية ثم الاستيطان القبلي عند الانهار وينابيع المياه ثم المدن المستقلة، ثم الدولة الموحدة .

وشهدت فارس حكم ثلاث سلالات وحدتهـــا ، وكانت الاسرة الساسانية ثالث هذه الاسر . وفي نهاية حكم هذه الاسرة كان الوضع الاجتماعي في حالة من التمزق على نحو ما شهدناه في الفصول السابقة .

زالت الاسرة الساسانية ، واصبح حكم ايران في يد حاكم كل ولاية او اقليم « كورة » او ناحية . وقد بلغ عدد الاقاليم المنفصلة ما يقارب الثلاثين اقليماً .

يقول الكاتب والمؤرخ « ل. لوكهارت » في وصف ايران عشية الفتح الاسلامي ما يلي(١) :

[كانت فارس في عصر الساسانيين تنزف دماً منذ عهد طويل ، تموت به موتاً بطيئاً ، وذلك نتيجة كفاحها المتواصل مع روما ، وبيزنطه ، ولهذا لم تكن في حال تستطيع معها رد الهجوم الهائل الذي شنه عليها الاسلام والذي لم يكن مادياً خالصاً . هذا من ناحية ومن ناحية اخرى ، كان العرب قبل الاسلام فريسة الانقسام ، ووحدهم بعد ذلك الشعور الديني الجارف على نحو لم يكن لهم] .

ويقول كتاب آخرون :

[ومن مراحل هذه الفترة الاحتضارية نجد ايضاً ان الفرس انفسهم لم يكونوا

---

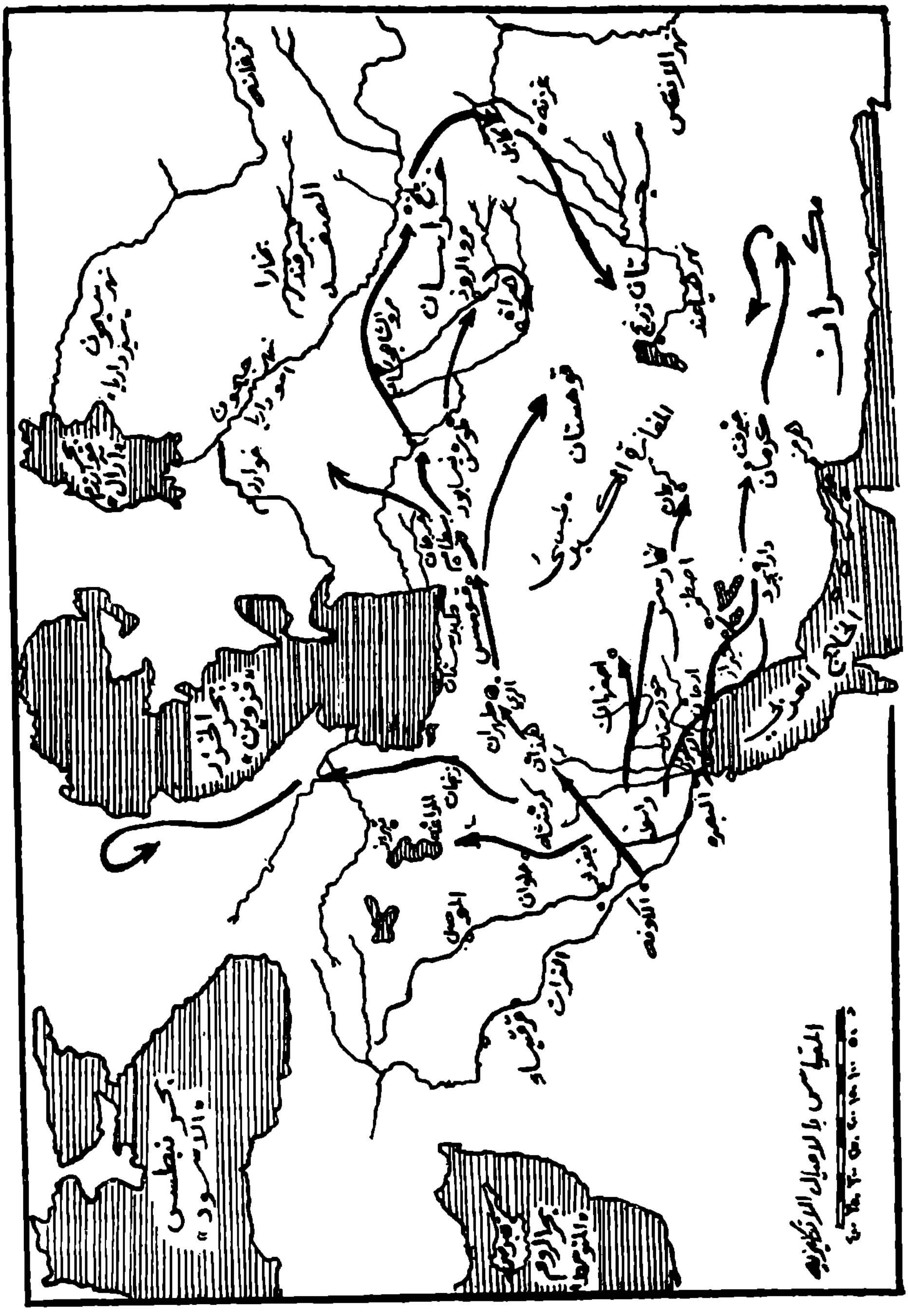
(١) ايران والعرب ، سليم واكيم ، ص ٨٨ و ٩٠ . —

متحمسين للدفاع عن عرش الملك ضد الغزو العربي ، بسبب احوالهم الاجتماعية السيئة اولاً ، وبالتالي بسبب ما شاع عن استبداد الملوك الآخرين والفوضى الرهيبة التي سادت بلادهم ، فكان ذلك عاملا فعالاً في نصرة جنود المسلمين العرب لا يمكن نفيه] .



عمليات المحور الشمالى

- فتح قزوين وزنجان والديلم ٢٢ هـ.
- يوم ازربيجان ٢٢ هـ.
- يوم باب الابواب ٢٣ هـ.
- فتح جرجان وقبرستان ٢٩ هـ.
- فتح نيسابور - طوس - مرو الروذ - مرو الشاهجان - فتح هراة وبادغش ٢٥ هـ.


الخليج العربي
بحر قزوين
البصرة
الكوفة
بغداد
الموصل
الفرات
خراسان
سجستان
كرمان
مكران
بخارا
نهر جيحون

فتح قزوين وزيجان والديلم ٢٢ هـ (١)

لقد كان هذا المحور ، هو محور الجهد الرئيسي بالنسبة لعمليات فتح ايران ، وعلى الرغم من أهميته ، فقد تأخرت اعمال القتال بسبب رغبة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عدم زج المسلمين ضمن اقليم لا زالت المعلومات عنه منقوصة غير كاملة .

الموقع والطبيعة الجغرافية :

قزوين ، واسمها بالفارسية ، كشوين ، ومعناها « الحد المحفوظ » .

تقع في الشمال من اقليم فارس ، وهي تحتل موقعاً منيعاً على محـــاور الطرق الذاهبة الى الشمال في اتجاه ارمينيا ، والى الشرق حيث اقاليم قومس، وطبرستان .

تتوفر في قزوين الينابيع والميـــاه نظراً لوقوعها في سفح جبل البرز الذي تغطيه الثلوج طوال ايام السنة .

اشتهر اهل قزوين بفروسيتهم وعنادهم في القتال ، وصمودهم في وجه غزوات القتال .

اما زنجان فتقع الى الغرب من قزوين .

وتقع الديلم عند الطرف الآخر من جبل البرز ، بحيث يقف الجبل حداً فاصلا بين مدينتي قزوين والديلم .

المسيرة والفتوح :

عين الخليفـــة عمر بن الخطاب المغيرة بن شعبة والياً على الكوفة في عام ٢٢ هـ . وكلفه بتسيير جيش لفتح قزوين وزيجان والديلم بقيـــادة البراء بن عازب . فنظّـم المغيرة جيشاً من خمسة آلاف مقاتل .

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٢١ ، معجم البلدان ، ياقوت الحموي .

تحرك البراء بن عازب من الكوفة في اتجـــاه الديلم ، على محور اعلم ،اوه، خرقان حتّى وصل « ابهر » وتوقف بها وعرض على اهلها الصلح ، ففضل سكان المدينة الدخول في الاسلام .

تابع البراء بن عازب مسيرته حتّى وصل « قزوين » . وبعـــد حصارها عرض عليهم البراء الصلح ، فوافقوا وانضموا الى جيش المسلمين .

انطلق البراء بن عازب شمالا حتّى وصل الديلم ، فتقدم اهلهـــا وطلبوا الصلح وفضلوا الدخول في الاسلام ، وذهبت قواتهم ومقاتلوهم الى الكوفة حيث انضموا الى جيش « زهرة بن حوية » وأصبحوا يعرفون باسم « حمراء الديلم»

اما زيجان فانها لم تستسلم فقاتل البراء اهلها ، وضرب حصاراً حولها حتّى ارغم اهلها على الاستسلام ، وفرض عليهم الجزية .

تابع البراء فتوحاته ، فصالحه اهل « جيلان والبير والطيلسان » على اساس دفع الجزية .

قال جندي في جيش فتح قزوين وزيجان والديلم :

قد علم الديلم اذ تحـــارب حين اتى في جيشه ابن عازب
بان ظـن المشركين كـاذب فكم قطعنا في دجى الغياهب
من جبلٍ وعر ومن سباسب

يوم اذربيجان — ٢٢ هـ

الموقع والطبيعة الجغرافية :

اصل كلمة اذربيجان باللغة الفهلوية مكون من قسمين : اذر ، ومعناها النار ، بايكان ، ومعناها الحافظ او الخازن فيكون اصل الكلمة «بيت النار » او« خازن جهنم » . وقد حرف العرب كلمة اذر-بايكان الى اذربيجان.

يحد اذربيجان من الشرق بحر الخزر «قزوين» ومن الشرق العراق ، ومن الشمال ارمينيا ، ومن الجنوب اقليم الجبال .

من اهم مدن اذربيجان «تبريز» ، والمراغة ، واردبيل ، وكانت «المراغة» هي العاصمة القديمة للاقليم .

يقع القسم الأكبر من اقليم اذربيجان في مناطق جبلية، وبساتين الاقليم خصبة ، المياه فيه وفيرة ، يعتمد في زراعته على الأشجار المثمرة المتنوعة ، وتزرع فيه الخضار والحبوب المختلفة .

مسيرة الاعمال القتالية :

كان عتبة بن فرقد يتقدم في اقاليم اذربيجان ، وعلم ان اسفنذياذ بن الفرخذاذ ملك اقليم اذربيجان يحشد قوات كبيرة لقتال المسلمين ، فكتب رسالة الى الخليفة عمر ، يشرح فيها الموقف ويطلب دعمه .

ارسل الخليفة الى نعيم بن مقرن بتوجيه قوات لدعم عتبة بن فرقد وتعيين سماك بن خرشة على رأس هذه القوات ، وانتظر نعيم بن مقرن ريثما انتهت معركة واج روذ بانتصار المسلمين فأصدر تعليماته الى سماك بالتوجه الى اذربيجان ودعم عتبة بن فرقد .

في الوقت ذاته كان بكير بن عبدالله يتقدم بقواته متوجهاً الى الباب في ارمينيا .

اثناء مرحلة المسير ، اصطدمت قوات بكير بن عبدالله الليثي بقوات «اسفنذياذ بن الفرخذاذ» خلال انسحابها بعد هزيمتها في معركة واج روذ ، ووقعت معركة كبيرة بين الطرفين ، انتهت بهزيمة اسفندياذ على مقربة من مدينة «جرميذان» ووقوع الملك اسيراً في قبضة بكير .

وعد الملك بكير اسفندياذ بتوقيع اتفاقية الصلح مع جيش المسلمين ولكنه طلب ترك الحرية له في تحديد موعد اعتماد هذه الاتفاقية ، كما طلب الاحتفاظ

به اسيراً حتى يحين هذا الموعد وذلك لاحباط روح المقاومة عند قومه، وعدم اعطائهم فرصة الهروب الى الجبال، لتشكيل مقاومات جديدة في وجه جيش المسلمين.

التقت جيوش بكير بن عبدالله وسماك بن خرشة ، وعتبة بن فرقد ، فقام بكير بتسليم الملك اسفنذياذ الى عتبة بن فرقد ، وتابع مسيرته كمقدمة للقوات .

كان بهرام بن الفرخذاذ ، اخو الملك اسفندياذ يتوقع المحور الذي ستتحرك عليه قوات المسلمين فنصب كميناً بجيشه ، واصطدمت قوات بكير بقوات الكمين ، ووقعت معركة طاحنة ، انتهت بانتصار جيش بكير ، وهروب بهرام . وعندئذ صرح الملك «اسفندياذ» برغبته في توقيع اتفاقية الصلح مع المسلمين قائلا : الآن تم الصلح .

وقام عتبة بن فرقد وسماك بن خرشة بالتوقيع نيابة عن المسلمين ووقعها الملك اسفندياذ نيابة عن اهالي اقليم « اذربيجان » .

يوم باب الابواب — ٢٢ هـ (١)

باب الابواب ، مدينة كانت تحتل موقعاً متوسطاً ما بين باكو وكروزني على الساحل الغربي من بحر قزوين ، وهي تقع في سفح جبال القوقاز الممتدة ما بين بحر القزوين والبحر الاسود .

اوامر التحرك :

اصدر الخليفة عمر تعليماته الى والي البصرة ، ابي موسى الاشعري ، بتوجيه سراقة بن عمرو ذو النور لفتح الباب وتعيين عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي لقيادة المقدمة ، وتعيين حذيفة بن أسيد الغفاري لقيادة المجنبة ، وتعيين بكير بن عبد الله الليثي لقيادة المجنبة الاخرى .

---

(١) تاريخ الطبري ، ج ٤ ص ١٥٢ — معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ج ١ .

كان بكير بن عبدالله ، يخوض معركته مــع قوات عتبه بن فرقد لفتح اقليم اذربيجان ، ولم ينتظر سراقة بن عمرو وصول بكير ، فكتب له ان يلحق به الى « باب الابواب » .

وفي الوقت ذاته ،صدر الخليفة عمر تعليماته لتوجيــه حبيب بن مسلمة على رأس جيش « أهل الجزيرة » بهدف دعم سراقة .

التقى جيش حبيب بن مسلمــة وبكير بن عبدالله بجيش سراقة قريباً من منطقة الباب واعاد المسلمون تنظيم جيشهم واندفع عبد الرحمن بن ربيعة على رأس المقدمة .

شعر شهربراز ، قريب ملك اقليم ارمينيا ، انــه لا يستطيع ايقاف زحف جيش المسلمين فخرج بنفسه يطلب الصلح من عبد الرحمن بن ربيعة ، فاعلمه عبد الرحمن انه لا يستطيع عقد الصلح لانه غير مكلف بذلك من قائد الجيش ، وارسل معه قوة رافقته حتّى مقر قيادة سراقة بن عمرو ووافق سراقة على عقد الصلح ، ووقع وثيقة الصلح سراقة بن عمرو نيابة عن المسملين وشهربراز نيابة عن اهل ارمينيا .

عين سراقة بعد ذلك عبد الرحمن بن ربيعــة لولاية الاقليم ووجه قواته على النحو التالي :

١ ــ بكير بن عبد الله على رأس قوة لفتح اقليم « موقان » الواقع عــلى بحر قزوين .

---

(١) المرجع ، تاريخ الطبري ، ج ٤ ص ١٥٥ – معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ج ١ ص ٢٤٥ .

٢ ــ حبيب بن مسلمة لفتح محور « تفليس » في وسط جبال القوزاق « اللان » (١) .

٣ ــ حذيفة بن أسيد الى المنطقة الجبلية من « القوازق » « جبال اللان » .

٤ ــ سليمان بن ربيعة لفتح السهول الشمالية من القوزاق « أراضي الاتحاد السوفييتي » .

لم تمض سوى فترة قصيرة حتى توفي سراقة بن عمرو ، واقر الخليفة تعيين عبد الرحمن بن ربيعة وكلفه بمتابعة فتح « بلاد الترك » .

فتح جرجان وطبرستان ٢٢ هـ

يوم جرجان (٢)

يحتل اقليم جرجان قسماً من الجهة الشرقية لبحر قزوين « الخزر » . اما مدينة جرجان فهي عاصمة الاقليم ويمر بها النهر الذي يحمل اسمها . وتقع المدينة في سفح جبل بحيث تضم مناظرها السهل والجبل والبحر في وقت واحد . « مدينة كراسنوفودسك السوفييتية حالياً » .

يحد اقليم جرجان شرقاً اقليم خراسان . اما من الشمال فسهول وجبال « الأورال » .

يتميز اقليم جرجان بمياهه الغزيرة ، وبثروته الزراعية وتربية المواشي .

المسيرة الى جرجان :

عين الخليفة عثمان ، والياً على البصرة هو عبدالله بن عامر بن كريز بن

---

(١) كان جبل القوزاق يعرف عند العرب باسم جبل « القبق » اما السهول الشمالية فكانت تسمى سهول اللان ، وكان اهل ارمينيا قد اقاموا مجموعة من القلاع لحماية بلادهم من غزوات التتار ومن اشهر هذه القلاع القلعة القريبة من « تفليس » وهي من اشهر الروائع العالمية ، لانها مبنية في الصخور الصماء فوق المرتفعات وهي اشبه « بعش نسر » معلق في السماء . تشرف على جميع الاودية ومحاور الاقتراب ، ولا يمكن الوصول اليها ارضاً إلا فوق الجسر القائم فوق نهر « تفليس » . وفي القلعة ينبوع ماء عذب ، فتحها مسلمة بن عبد الملك واقام بها حامية عربية .
« المؤلف »

(٢) المراجع تاريخ الطبري ج ٤ ، ص ١٥١ والواقدي تاريخ البلاذري ص ٤٦٧ ، معجم البلدان لياقوت الحموي ص ١١٩ .

ربيعة بن حبيب بن عبد شمس . وطلب اليه متابعة الفتوحات الاسلامية في فارس .

وصلت رسالة من مرزبان طوس الى عبدالله بن عامر يطلب فيها تحرك الجيوش الاسلامية لبلاده من اجل عقد صلح معها .

ارسل عبدالله بن عامر جيشاً الى فارس يقوده سويد بن مقرن . وعندما وصل الجيش بسطام ، ارسل وفداً الى رزبان صول ملك جرجان يعرض عليه الصلح فبادره رزبان صول بقبول الصلح .

يوم طبرستان :

يحتل اقليم طبرستان الحدود الجنوبية من بحر قزوين ويقع القسم الأكبر من الاقليم في المناطق الجبلية وفي سفوح جبال البرز .

ان اصل كلمة « طبر » باللغة الفهلوية » هي الفأس ، وزنان تعني النساء، وهكذا فان اسم الاقليم هو الفؤوس والنساء .

كانت السهول الساحلية اكثرها مرزغية تكثر فيها الحميات وامراض الملاريا بسبب وفرة المستنقعات .

الصلح مع طبرستان :

أرسل سويد بن مقرن وفداً الى طبرستان « الأصبهبيذ » عارضاً عليه الصلح على الأسس المعروفة :

١ ـ الدخول في الاسلام ٢ ـ دفع الجزية ٣ ـ الحرب .

فصالح ملك طبرستان على دفع الجزية .

انتقضت طبرستان مرات وصالحت بعد كل نقض ، وكانت آخر مرة هي تلك التي أرسل فيها معاوية جيشاً من عشرة آلاف مقاتل يقوده مصقلة ابن هبيرة بن شل ، ونصب أهل طبرستان كميناً في الجبال ، واستخدموا

الصخور لسد محاور الطرق وإبادة جيش مصقلة ، فقتل قسم كبير من الجيش وذهب هذا الجيش مثلا حيث يقال (حتى يعود مصقلة من طبرستان) . وفي النهاية استقر أمر الاسلام في اقليم طبرستان .

فتح نيسابور — ٢٩ هـ
فتح طوس — ٢٩ هـ
مرو الروذ — ٢٩ هـ
فتح هراة وبادغيش وبادغيش ٢٩ هـ

الموقع والطبيعة الجغرافية لنيسابور :

تقـــع نيسابور في اقليم خراسان ، في الطريق الى طوس ومرو . تشتهر بمياهها الجوفية الغزيرة ، وتكثر فيها الينابيع ، تربتها خصبة وثروتها الزراعية كبيرة ومتنوعة .

بعـــد توقف عبدالله بن عامر بن كريز في « بسطام » وتوقيـع الصلح مع جرجان وطبرستان توجه الى نيسابور ، ودفع الاحنف بن قيس على رأس المقدمة ، وعندما وصل جيش عبدالله بن عامر الى نيسابور وجد أن اهلها قد تحصنوا ، فنظم الحصار حول المدينة وأقام على اسوارها فترة طويلة ، ولما عرف « الأسوار » ملك نيسابور أن طول الحصار لم يضعف من إرادة القتـال لدى المسلمين ، اتصل بعبدالله وعرض عليه الصلح ووافق عبدالله .

من نيسابور الى طوس ٢٩ هـ :

تضم طـــوس قسمين « الطابران ونوقان » تبعد مسافة ٥٠ ميلا تقريباً الى الشرق من نيسابور ، وفيها قبر هارون الرشيد وقبر علي بن موسى الرضى .

عندما شعر « كنـــازا » ملك طوس ، انه لا يستطيع ايقاف زحف جيش المسلمين . عرض على عبدالله بن عامر الصلح ، ووافق عليه .

من طوس الى مرو – ٢٨ هـ(١) :

هناك بلـــدان يحملان اسم مرو ، الأولى في الشمال عند منتصف المسافة ما بين نيسابور وبخاري وتعرف بمرو الشاهجان والثانية تسمى مرو الروذ لتمييزها وتقع الى الجنوب من الأولى والروذ معناها « بلغة خراسان » النهر . ومرو ، حجارة بيضاء ، ويصبح معنى مرو الروذ نهر الحجارة البيضاء .

اما مرو الشاهجان ، فمعنى الشاه « الملك » وجان الروح او النفس، فيصبح الاسم « روح السلطان » .

عند ما علم اهل مرو بسقوط نيسابور وطوس في يد المسلمين ارسلـــوا وفداً الى عبدالله بن عامر ، وصالحوه على الجزية .

فرض الجزية على هراة ويوغيش وبادغيش ٢٩ هـ(٢) :

هراة من اكبر مدن خراسان ، تقع عـــلى نهر هراة الى الجنوب الغربي من مرو الروذ تشتهر بحقولها الخصبة ومياهها العذبة ، دمرها التتار أثناء غزواتهم

كان كثير مرد ملكاً عـــلى هراة ويوغيش وبادغيش ، وعندما علم بقدوم لمسلمين أرسل يعرض عليهم الصلح ، ووافق عبدالله بن عامر على عقد اتفاقية صلح معهم على اساس دفع الجزية .

عقد الصلح مع الجوزجان – ٢٩ هـ :

كانت الجوزجان او « الجوزجـــانان » مدينة تحتل موقعاً متوسطاً بين مرو الروذ وبلخ . ويقال لمركزها « اليهودية » ومن اهم مدنها الأنبار ، وفاريات وكلار .

عندما علم سرخس ، ملك الغـــاريات والطالقان ، باقتراب جيش المسلمين

---

(١) معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ج ٥ – ص ١١٢ .

(٢) معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ج ٥ ، ص ٣٩٦ .

تحصن في الجوزجان ، ولما اقترب عبد السائب بن الأقرع على رأس مقدمة جيش المسلمين بقوة ألف فارس تصدت له قوات الملك ، وأبادت القوة بكاملها تقريباً . عندئذ وجه عبدالله بن عامر جيشاً كبيراً بقيادة الأحنف بن قيس ، فاستسلمت له المدينة وعقد صلحاً مع اهلها .

لم تلبث مدينـــة الجوزجان أن أعلنت تمردها ، وكان عبدالله قد ذهب الى المدينة لقضاء العمرة فقاد الأحنف قوات الجيش والتقى بالمتمردين في منتصف المسافة بين مرو والزرود ودارت معركة عنيفة بين الطرفين انتهت بانتصار المسلمين . وتابع الأحنف بن قيس زحفه حتّى وصل باخ . فخرج ملك بلخ « نوان » وعقد صلحاً مع الأحنف على دفع الجزية .

الصلح مع الغاريات والطالقان

الغاريات والطالقان مـــن المدن التابعة لخراسان .

عندما علم سرخس ملك الغاريات والطالقان باقتراب جيش المسلمين خرج اليهم وصالح عبدالله بن عامر ، وأقر له بدفع الجزية .

فتح زرنج وكابل :

كابل من المدن الرئيسية في اقليم سجستان (افغانستان حالياً) ينبع منهـــا احد روافد نهر « الاندس – السند » وهي متاخمة لحدود الهند ، اشتهرت بالزراعة والتوابل .

أما زرنج فتقع عند مصب نهر هيلمند قريباً من البحيرة التي تحمل اسمها .

وجـــه عبد الله بن عامر قائده عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس لفتح اقايم سجستان واصطدم عبد الرحمن بمقاومة عنيدة قرب زرنج. وبعد معركة شرسة انتصر عبد الرحمن ودخل المدينة وفرض على أهلها الجزية.

---

(١) فتوح البلدان ، البلاذري ، ص ٣١٠ .

تابع عبد الرحمن زحفه حتى كابل ، وحاصرها سنة كاملة ، ثم استسلمت له المدينة ، ففرض الصلح على أهلها .

وبانتهاء هذه العمليات يكون عبدالله بن عامر قد حقق انجازاً كبيراً في الاستيلاء على كامل اقاليم فارس وكرمان وسجستان وخراسان .

القطاع الاوسط

- عمليات إقليم الجبال -

- فتح اصبهان . كرمان . واج . روذ . الري

تقع همذان والري الى الشمال من نهاوند .

وتقع كرمان الى الغرب من نهاوند .

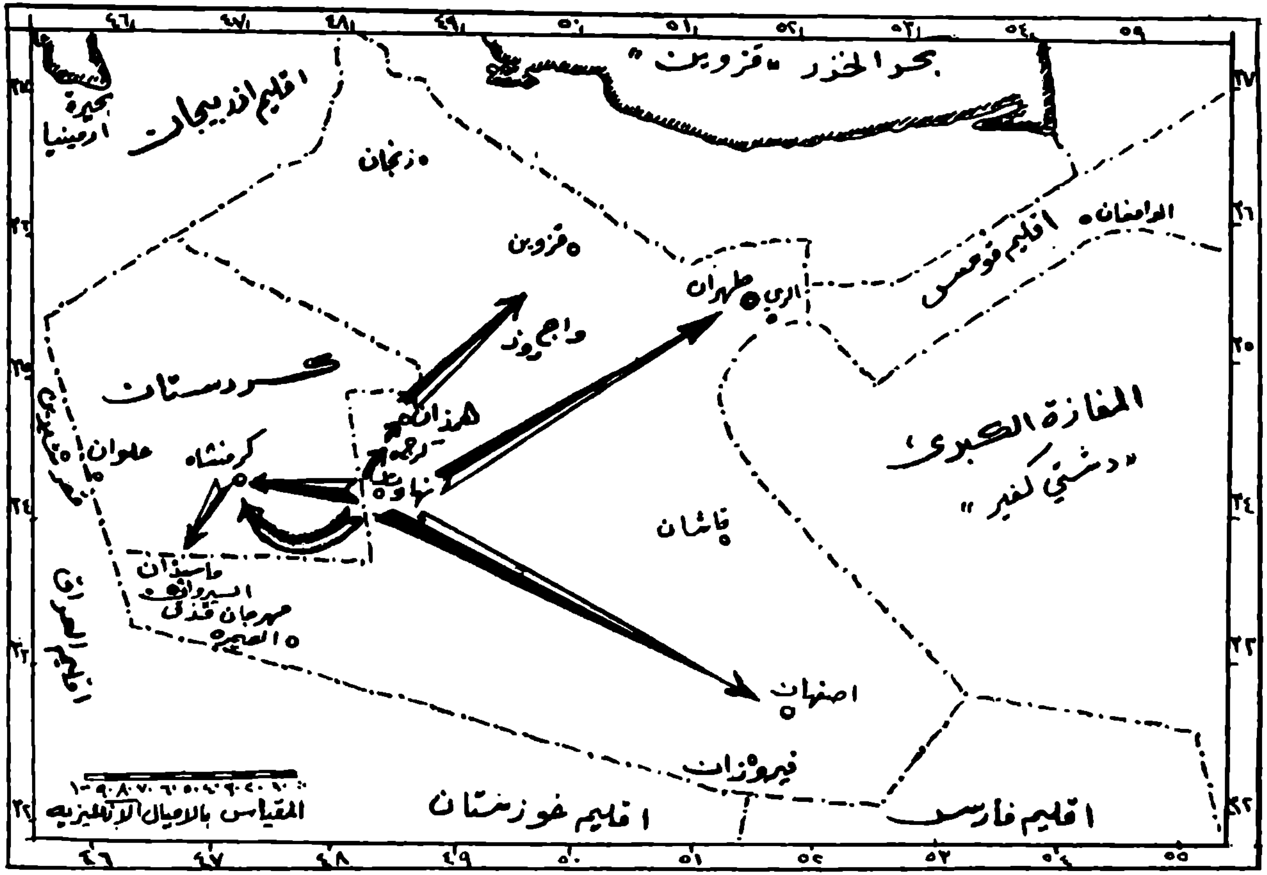
وتقع اصبهان الى الجنوب .

هذا الاقليم ، اقليم الجبال كما كانوا يسمونه لوقوع القسم الاكبر منه على جبال زاغروس هو اقرب اقاليم «ايران» الى العراق وهو يماثله طبيعة وتكويناً ومناخاً .

يحد هذا الإقليم من الشرق المفازة الكبرى ويحده غرباً ريف العراق ويحده شمالاً اقليم طبرستان واذربيجان . اما من الجنوب فاقليمي فارس وخوزستان .

مياه اقليم الجبال وفيرة وتربته خصبة ، اشتهر منذ القدم بصناعة الصوف والأصبغة وصناعة البسط السجاد وتربية المواشي .

ونظراً لقرب هذا الاقليم من العراق ، فقد كان بدهياً ان يستهدفه المسلمون بالدرجة الأولى حتى يصبح قاعدة للانطلاق في عمليات التوغل حتى آخر خراسان .



عمليات الإقليم الجبلي

يوم اصبهان – ٢١ هـ (١)

انتهت معركة نهـاوند ، وأفاد أبوموسى الأشعري من الروح المعنوية العالية التي اكتسبها المسلمون فأسرع بجيشه ، وتوغل في اقليم فارس متوجهاً الى «اصبهان»(*) . ولما وصل «قم» ضرب حصاراً حولها ، وبعد أيام قليلة فتحها وصالح أهلها على الجزية . ثم دفع الأحنف بن قيس « الضحاك بن قيس التميمي » الى قاشان ، فصالح أهلها بعد أن فتحها عنوة ثم لحق به . ولما وصل اصبهان « خرج ملك فارس القاذوستان » وصالحه على الجزية ، وعاد ابو موسى الأشعري .

لم يلبث القاذوستان فترة ، إلا وأعلن تمرده وخروجه على اتفاقيـة الصلح ، فأرسل ابو موسى يستشير الخليفة عمر . وكانت اجابة الخليفة الثاني تتضمن تسيير جيش الى اصبهان على النحو التالي :

١ – عبدالله بن عبدالله بن عتبان الانصاري ، قائداً للجيش .

٢ – عبدالله بن ورقاء الرياحي ، قائداً للمقدمة .

٣ – عبدالله بن ورقاء الأسدي ، قائداً للمجنبة .

تحرك الجيش بعـد أن أكمل تنظيمه واستعداده ، وبدأ عملياته القتالية بالتوجه الى جي (٢) ففتحها ثم انتقل الى اليهودية ، فخرج اهلها وصالحوا عبدالله على دفع الجزية ، وتابع عبدالله تحركه حتى وصل اصبهان .

---

(١) الاصب بالفارسية « بلد » و« هان » ، الفارس ، فتكون بلد الفرسان ، معجم البلدان ياقوت الحموي ، ج ١ – ص ٢٠٦ .

(*) وجه ابو موسى الاشعري في الوقت ذاته قوة بقيادة عتبة بن فرقد السلمي لفتح حلوان وشهرزور والصامغان ودراباز ، فصالحه أهل هذه المدن على الجزية دون قتال . وحلوان هذه واحدة من ثلاث مدن تحمل الاسم ذاته ، حلوان مصر ، وحلوان العراق ثم هذه واسمها حلوان فارس قريبة من نيسابور . (المؤلف)

(٢) جي – دمرت وقامت على انقاضها « شهرستان » .

كان « القاذوستان » قـد نظم دفاعه ، فحاصره عبدالله وشدد القيود ، ولما عرف القاذوستان أن معركته خاسرة اختار أربعين فارساً ، وخرج بهم على شكل إغارة مباغتة يريد كسر طوق الحصار والفرار في اتجاه كرمان ، إلا أن عبدالله استطاع أن يلحق به ومعه مجموعة من الفرسان المسلمين . فعرض القاذوستان على عبدالله أن يقاتله بنفسه ، وبعد معركة قصيرة تمكن عبدالله من خصمه وقتله وانهارت الروح المعنوية للمقاتلين الفرس ، فاستسلموا ، وعاد أهل « أصبهان » الى سابق عهدهم ، والتزموا بتنفيذ بنود اتفاقية الصلح التي كان قد أبرمها معهم أبو موسى الأشعري .

كان السهيل بن عـدي يقاتل في كرمان ، فجاءت رسالة من الخليفة عمر إلى عبدالله يأمره فيها التوجه الى كرمان وترك عبدالله السائب بن الأقرع لولاية اصبهان ، وسلم عبدالله خلفه وسار الى حيث أمره الخليفة .

قال عبدالله بن عتبان في يوم اصبهان :

الم تسمع وقد أودى ذميمـاً ... بمنعرج السراة من اصبهـان
عميد القوم اذ ساروا الينـا ... بشيخٍ غير مسترخي العنـان

* * *

من مبلغ الاحياء عني فانـي ... نزلت على جي وفيـها تفاقم
حصرناهم حتى سروا ثمت انتزوا ... فصدهم عنـا القنا والصوارم
وصاولها « القاذوسقان » بنفـسه ... وقد دهدهت بين الصفوف الجماجم
فثاورته حتى اذا ما علوتـه ... تفادى وقد صارت اليه الخزائم
وعادت لقوحاً اصبهان باسرهـا ... يدر لنا فيها القوى والدراهـم
واني على عمد قبلت جزاءهـم ... غداة تفادوا والعجـاج فواقـم
ليزكوا لنا عند الحروب جهادنـا ... اذا انتظمت في المأزقين المهاهم

يوم همذان ــ ٢٢ هـ (١)

موقع همذان :

همـــذان عاصمة اقليم « دستبي » وهي من اقاليم الجبال ، وتعتبر همذان وأصبهان توأمان في تاريخهما ، ويعني اسم همذان بالفارسية « المحبوبة » . وكانت أيام الأكاسرة مصيفاً لهم .

تقــع همذان في سفح جبل « أروند » الأخضر ، وبها مياه غازية ، مناخها صحي ، مناظرها رائعة تغطي الثلوج مرتفعات الجبل الشاهقة ، شتاؤها بارد جداً .

أمر القتال :

وصلت انباء النصر في نهاوند الى الخليفـــة عمر بن الخطاب ، فأرسل رسالة الى نعيم بن مقرن هذا نصها :

[سر حتّى تأتي همذان ، وابعث على مقدمتك سويد بن مقرن ، وعلى مجنبتك ربعي بن عامر ومهلهل بن زيد ، هذا طائي وذاك تميمي] .

نظم قواته ، وتحرك في اتجاه همذان ، وعند مروره ببلدة « ماه » تعرضت له بعض القوات المتفرقة ، فهاجمها ، فلجأت هذه القوى إلى قلاعها الجبلية ، فترك عندها النسير بن ثور مع قبائل عجلى * وحنيفة لحصارها ، وتابع تقدمه حتّى ثنية العسل ، حيث قتل الفيرزان على يد القعقاع بن عمرو .

بعد تجاوز ثنيـــة العسل ، انضمت قوات القعقاع بن عمرو ، وتابع حذيفة مسيرته حتّى وصل همذان ، فوجد ان « خسرو شنوم ملك اقليـم دستبي » قد اعتصم وقواته وراء اسوار المدينة .

---

(١) تاريخ الطبري ، ج ٤ ، ص ١٤٦ .

(*) معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ج ٥ ص ٤١ .

مسيرة العمليات :

نظم نعيم بن مقرن قواته للإحاطة بالمدينة وعزلهـا ، وأقام فترة على حصارها . وخاف أن يطول الحصار فتشعر قواتـه باليأس ، فترك حامية تحيط بالمدينة ، وانطلق بقواته عبر الإقليم واستسلمت له كثير من المواقع فصالحها على الجزية .

رأى خسروشنوم ان المعركة لن تكون لصالحه ، وشعر أنـه أصبح في عزلة عن كل الأقاليم وأنه ما من سبيل لوصول إمدادات إليه . فصالح حذيفة على مثل ما صالح به أهل نهاوند . وأصبح إقليم دستبي خاضعاً لسيطرة المسلمين بكامله .

لم يمض سوى أشهر قليلة عـلى توقيع اتفاقية الصلح حتى أعلن اهـل همذان تمردهم ، فأرسل الخليفة عمر أوامره الى المغيرة بن شعبة بتوجيه جرير ابن عبدالله البجلي لإعادة فتح همذان .

وصل جرير في عام٢٣ هـ وحاصر همذان واصابه سهم اقتلع عينه فقال :

[احتسبتها عند الله ، زين بها وجهي ونوّر لي ما شاء ثم سلبنيها في سبيله]

ثم قام جرير وجيشه بهجوم كبير تمكنوا به من فتح همذان ، بعد معركة طاحنة ، وفرض على أهلها الجزية مثلما كانت عليه قبل التمرد .

يوم واج روذ – ٢٢ هـ

موقع واج روذ :

مدينة بادت وكانت تقع في الطريق ما بين همذان وقزوين(١) .

توفرت المعلومات عند نعيم بن مقرن بعد معركة همذان أن هناك تجمـع كبير في واج روذ يضم قوى كثيرة ، وان هذا التجمع يتكون من :

---

(١) تاريخ الطبري ، ج ٤ ص ١٥٠ – ١٥١ .

١ — جيش الديلم ، ويقوده « موتا » ملك الديلم .

٢ — جيش اذربيجان ويقوده اسفندياذ اخو رستم .

٣ — جيش الري ويقوده الفرخان بن الزينبدي « ويسميه العرب الزينبي » .

أرسل حذيفـــة المعلومات الى الخليفة عمر ، فكتب ابن الخطاب رسالة الى عامله على الكوفة عمار بن ياسر ، يطلب توجيه جيش من ثمانية آلاف مقاتل بقيادة عروة بن زيد الخيل الطائي بمهمة فتح الري ودستبي .

وفي الوقت ذاته ارسل حذيفـــة على جيشه سلمة ابن عمرو بن ضرار الضبي ، وهو البراء بن عازب للقاء تجمع قوات العدو .

مسيرة العمليات :

كان جيش نعيم بن مقرن يضم ١٢,٠٠٠ مقـــاتل ، واندفع سلمة الضبي ومعه سويد بن مقرن حتى وصل واج روذ ونزل في موقـــع يجاور قـوات التجمع .

كانت قـــوات الخصم متفوقة عددياً بما يعادل خمسة الى واحد . ولهذا كانت المعركة طاحنة جداً اظهر فيها الطرفان ارادة قوية ، واستطاع جيش المسلمين انتزاع النصر . وتمزقت قوات التجمع ، وانسحبت من المعركة .

فتح الري وقومس — ٢٢ هـ

عنـــدما وصل عروة بن زيد الخيل الطائي ، كانت معركة واج روذ قد انتهت فتوجهت قوات الجيشين الى الري . وفي الطريق طوقت قوات المسلمين حصون « الزينبي » ملك الري وقومس ودستبي الرازي ، فخرج « الزينبي » وعرض على المسلمين الصلح . كما أظهر لهم استعداده لمساعدتهم على فتح الري التي كانت تابعة له بعدما تحصن فيها الملك سياوخش بن مهران بن بهرام شوبين .

كان سبب انضمام الزينبي لجيش المسلمين هو وقوع خلاف بينه وبين سياوخش اثناء معركة واج روذ ، مما دفعه الى الإنضمام لجيش المسلمين ضد عدوه .

نجح « الزينبي » في فصل أهل دنباوند ، وطبرستان وقومس وجرجان عن الملك سياوخش وبذلك ضعفت قوته . إلا أنه لم يقبل الصلح الذي عرضه عليه عروة الطائي .

حدثت معركة شرسة بين قوات سياوخش وبين جيش المسلمين وانتهت المعركة بانتصار جيش المسلمين فتراجع سياوخش الى الري وتحصن فيها .

وجه « الزينبي » جيش نعيم بن مقرن عبر المسالك الجبلية إلى موقع يقع خلف المدينة . وتسللت مجموعة من الفرسان مستفيدة من الليل وقاموا باغارتهم المباغتة مع أول ضوء . وفي الوقت ذاته انطلق المسلمون بهجوم جبهي ، فسقط في المعركة من القتلى ما يعادل خسائر الفرس يوم فتح المدائن. واستطاعت بعض زمر « سياوخش » الفرار بعيداً عن ميدان المعركة .

صالح نعيم أهل الري بموجب الإتفاق المعقود مع « الزينبي » إلا أنه لم تمض سوى فترة حتى عادت فنكثت بالإتفاقية وأعلنت الخروج على سلطة المسلمين فعادوا وأخضعوها ، وتكررت العملية مرات عديدة ، وكان آخر من فتحها قرظة بن كعب الأنصاري .

انتقل نعيم بن مقرن الى الري بعد فتحها وجعلها مقراً له ، كما وجه جيشاً لدعم بكير بن عبدالله عملا برسالة الخليفة عمر التي كان قد ارسلها اليه قبل المعركة وجاء فيها :

[استخلف على همذان ، وأمد بكير بن عبدالله بسماك بن خرشة ، وسر حتى تقدم الري ، فتلقى جمعهم ، ثم أقم بها فانها اواسط تلك البلاد ، واجمعها لما تريد] .

انطلق سماك بن خرشة لدعم بكير بن عبد الله الذي كان يحاصر اذربيجان ويفتح اقاليمها .

وتم تعيين يزيد بن قيس الهمذاني ، خلفاً لحذيفة بن اليمان في نهاوند . واصبحت الري ، مقر الولاية .

قصيدة نعيم بن مقرن في واج روذ :

فلما اتاني ان « موتا » ورهطه　　بني باسل جروا جنود الاعاجم
صدمناهم في « واج روذ » بجمعنا　　غداة رميناهم باحدى العظائم
فما صبروا في حومة الموت ساعة　　بحد الرماح والسيوف الصوارم
اصبنا بها « موتا » ومن لف لفه　　وفيها نهاب قسمها غير غانم
كأنهم في واج روذ وجره　　ضئين اغانتها فروج المخارم

فتح كرمان – ٢٣ هـ :

بعد انتهاء أبو موسى الأشعري من عمليات فتح أصبهان تابع مسيرته للسيطرة على إقليم الجبال . فقرر فتح كرمان لأنها بقيت بمثابة موضع جانبي معزول .

وجه أبو موسى الأشعري جيشاً بقيادة سهيل بن عدي الخزرجي ومعه النسير بن عمرو العجيلي بمهمة التحرك على محور « القرى » والوصول الى جيرفت ثم التوجه الى كرمان .

كما وجه عبدالله بن عبدالله على رأس قوة أخرى بمهمة التحرك على محور مفازة شتيرة وتطويق المدينة ودعم جيش النسير .

وصل جيش سهيل الى المدينة وضرب حصاراً حولها ثم تمكن من اقتحامها وبعد معركة قصيرة استسلمت المقاومة .

فتح الدينور وماسبذان ومهرجا نقذف- ٢٢ هـ :

انطلق حذيفة بن اليمـــان بعد ذلك في اتجاه الجنـوب فوصل الدينور، وضرب حصاراً حولها لفترة أربعة أيام . وفي اليوم الخامس ، وقعت معركة بين جيش أبو موسى وأهل المدينة واستمرت المعركة طوال النهار، وانتهت بانتصار المسلمين واستسلام المدينة .

تقـــدم أبو موسى الأشعري جنوباً حتّى وصل ماسبذان ، فخرج أهلها وصالحوه على الجزية .

ثم تابع تحركه حتّى وصل السيروان ، فصالح أهلها ايضاً .

أراد أبو موسى الأشعري متابعة عملياته والتوجه لفتح خراسان ، لكـن الخليفة عمر رفض دفع المسلمين داخل الأقاليم قبل ان تتوفر معلومات كافية عنها وطلب إلى أبو موسى الأشعري العودة الى البصرة ، فرجع بجيشه عن طريق «سن سميرة»(١) أو القلعة الشرقية .

يوم الاهواز في بروز - ٢٤ هـ :

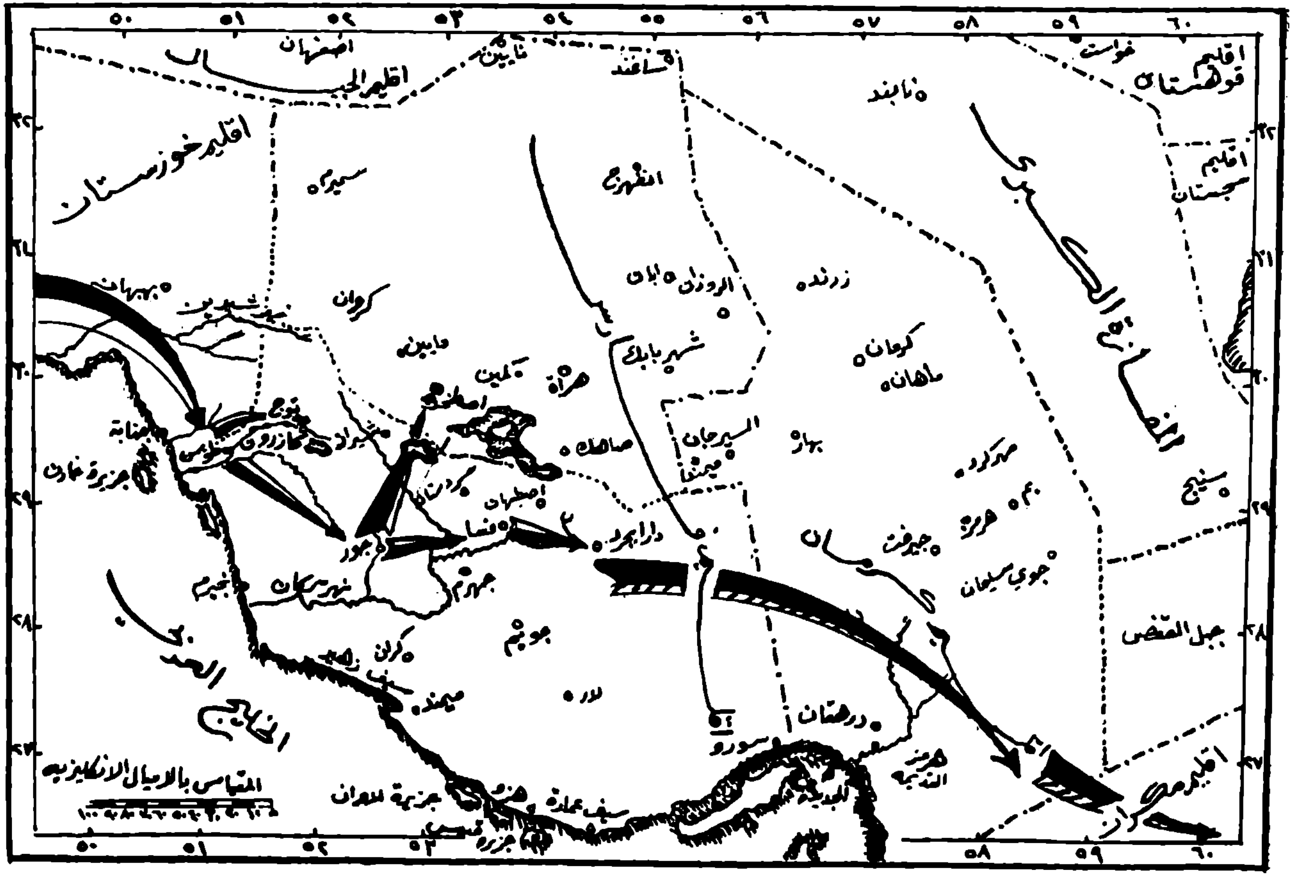
تجمـــع المقاتلون من أهل فارس والأكراد في« بروز » من منطقة الأهواز

عندما علم أبو موسى الأشعري بذلك ، انطلـــق بجيش البصرة حتّى وصل الى المنطقة ما بين مناذر ونهر تيري . ودارت رحى معركة قاتل فيها الطرفان بعناد . وانتهت المعركة بانتصار الأشعري . وترك أبو موسى الأشعري الربيع بن زياد لتصفية بقية المقاومة وتابع تحركه في اتجاه اصبهان بهدف تقديم الدعم الى جيش الكوفة الذي كان يحاصر «جي»(٢) وبعد فتحها عاد الى البصرة .

---

(١) سميره : هي امرأة من ضبة من بني معاوية بن كعب بن ثعلبة بن سعد بن ضبة ، مـــن المهاجرات عندما مر المسلمون للمرة الأولى من العراق الى نهاوند وتجاوزوا المضيق الجبلي ، شبه أحدهم الجبل المرتفع « بسن سميره » وبقي هذا الاسم معروفاً طوال فترة الفتوح .

(٢) جي ، مدينة من نواحي اصبهان ، دمرت وقامت على انقاضها شهرستان .



إقليما فارس وكرمان

عمليات المحور الجنوبي

ـ عمليات إقليم فارس، المحور الجنوبي

الطبيعة الجغرافية والموقع (١) :

اقليم فارس من الأقـــاليم الجنوبية ، يحده شرقاً المفازة الكبرى واقليم كرمان ، ويحده من الغرب « الخليج العربي» كما يحده الخليج العربي من الجنوب ايضاً ، ويحده من الشمال اقليم فارس واقليم الأهواز .

من أشهر المـــدن التي كانت أيام الفتوح : اصطخر ، اردشير خرة ، دارا بجرد ، سابور ، قباذ خرة ، ولكل مدينة ونواحيها الميزات التالية :

١ ــ اصطخر (٢)

اول من بناها اصطخر بن طهموث ملك فارس وهي من أقدم مدن الإقليم وكانت العاصمة قبل ان ينقل الملك اردشير عاصمته الى «جور» ، وبها مسجد سليمان ، تحيط بها الجبال العالية الوعرة ، يتوفر فيها الحديد ، كما يتوفر الزئبق في احدى قراها القريبة من دار أبجرد . من أهلها الإمام عبدالله بن أحمد حنبل وعلي عبد العزيز البغوي .

٢ ــ توج (٣) :

تقع في غور منخفض قريبـــة من كارزون ، شديدة الحرارة في الصيف ، دافئة في الشتاء . اشتهرت بزراعاتها ووفرة مواسمها وثروتها الحيوانية .

---

(١) تاريخ الطبري ــ معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ج ٤ ص ٢٢٦ .
(٢) معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ج ١ ص ٢١١ .
(٣) معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ج ٢ ص ٥٦ .

٣ ـ أردشير خرة :

شيدها اردشير بن مالك الساساني ، وتشتهر بمروجها وسهولها الخصبة وثروتها الحيوانية .

٤ ـ دارا بجرد (١)

تتميز بموقعها الهام والحصين ، وهي من أقدم مدن فارس بعد اصطخر ، تمتد حتى البحر ، شديدة الحرارة ، كثيرة الثمار والخضار .

٥ ـ جور :

معناها بالفارسية النزهة الطيبة ، اسماها عضد الدولة ـ « فيروز آباد » ومعناها « أتم دولته » . وتحيط بها البساتين والحقول . تشتهر بورودها وأزهارها وإليها ينسب الورد الجوري .

٦ ـ فسا :

مدينة قديمة تقــع في ثلث المسافة ما بين كارزون وشيراز . تتميز عن شيراز بهوائها النقي واتساعها . يكثر فيها الجوز والبلح والنارنج .

الموقف العام :

حاول العلاء الحضرمي فتح اقليم فارس ، فتوجه بقوة من اهــل البحرين وعبر بهم الخليج فدمر الفرس زوارق النقل . وتركوا العلاء يتوغل حتى وصل توج . ثم أطبقوا عليه وعندما علم الخليفة عمر أصدر تعليماته بدعم القوة وانقاذها وكانت معركة طوس سنة ١٧ هـ .

---

(٤) معجم البلدان ، ج ١ ص ١٤٦ .
(٥) معجم البلدان ج ٤ ، ص ٢٦٠ .
(٦) معجم البلدان ج ٤ ص ٢٦ .

اخذ الهرمزان ينظم غزواته بعد ذلك على ميسان وحدود العراق فأرسل عتبة بن غزوان الى سعد بن أبي وقاص يشرح له الموقف ويطلب دعمه ، فأرسل سعد قوة بقيادة نعيم بن مقرن ونعيم بن مسعود ، وأمرهما ان يتقدما حتى ميسان لعزل ميدان المعركة وراء نهر تيري .

وجه عتبة بن غزوان جيشاً بقيادة سلمى بن القين وحرملة بن عرفطة فاتصلا بابناء العم ، واستجاب لهما غالب الوائلي وكليب بن وائل الكلبي واتفقا على إشعال نيران الثورة على أن يثير أحدهما الاضطراب في منطقة تيري ، والثاني في منطقة مناذر . وقام سلمى بن القين وحرملة بالهجوم ، وكانت معركة الاهواز في عام ١٧ هـ .

مسيرة اعمال القتال :

أعطى الخليفة عمر أوامره بمتابعة أعمال الفتوح ، وجهز جيشاً بقيادة سارية بن زنيم لفتح اقليم فارس .

تقدم سارية بن زنيم فعبر حدود العراق ، وعندما وصل طوس توفرت لديه المعلومات عن تجمع جيوش امراء فارس في توج ، فوضع خطته على النحو التالي :

١ - توجيه جيش بقيادة مجاشع بن مسعود بمهمة فتح سابور واردشير .

٢ - توجيه جيش بقيادة عثمان بن العاص بمهمة فتح اصطخر .

٣ - توجيه بقية الجيش بقيادته لفتح « فسا ودارا بجرد » .

ولما علم قادة جيوش فارس بتوجه الجيوش الإسلامية إلى أقاليمهم تفرقوا وأسرع كل أمير فارسي في اتجاه مدينته ليدافع عنها وبذلك نجح سارية بن زنيم في تمزيق التكتل ، وضرب كل قوة بصورة منفصلة عن الأخرى .

فتح اصطخر – ٢٣ ﻫ :

تحرك جيش عثمان بن العـــاص الثقفي حتّى وصل « جور » واصطدمت قواته بقوات الملك اصطخر « الهربذ » . وبعد معركة حاسمة ، هزمت قوات اصطخر . وأرادت الانسحاب من المعركة ، لكن عثمان بن العاص لم يمكنها من ذلك وأسرع في مطاردتّها حتّى اصطخر ، وعندئذ تصدى الهربذ لقائد الجيش عثمان ، وعرض عليه الصلح مقابل الجزية .

ارتد أهـــالي اصطخر في بداية خلافة عثمان بن عفان بتأثير من قاضي قضاة الفرس « المزندان » . وكان قد أصبح شهرك بن ماهك الملك الجديد لفارس . أرسل الخليفة عثمان بن عفان دعماً لعثمان بن ابي العاص بقيادة عبدالله بن معمر وشبل بن معبد البجلي . وعندما وصلت قوات الدعم نظم ابن ابي العاص قواته على النحو التالي :

– المقدمة ويقودها ، الحكم بن العاص .

– الميمنة ، ويقودها الجارود العبدي .

– الميسرة ، ويقودها المهلب بن ابي صفرة .

تقـــدم عثمان بن ابي العاص بجيشه حتّى وصل سابور ، فخرج اليه ملكها « آذربيان » وصالحه على الجزية ، ووعده بتقديم الدعم لفتح اصطخر .

كان جيش عثمان يضم ١٧,٠٠٠ مقاتل .

وكان جيش شهرك بن ماهل يضم ١٢٠,٠٠٠ مقاتل .

وهكذا فان نسبة ميزان القوى بين الطرفين هي ستة لواحـــد تقريباً لصالح الفرس .

التقى الجيشان ووقعت معركة ضارية ونجـــح عثمان في انتزاع النصر ، فهرب المرزبان وابنه ، ولحق بهما جنيد بن مسلم الأزدي وقتلهما ، واستقر الامر لعثمان بن أبي العاص .

معركة فسا ، ودارا بجرد — ٢٣ هـ :

عندما كان عثمان بن ابي العـــاص الثقفي يخوض معركته الأولى في جور ، واصطخر كان سارية بن زنيم يتحرك شرقاً حتى وصل مدينة فسا فقام بحصارها.

وصلت نجدات وقــوات دعم كبيرة تفوق قوة جيش فسا . ونتيجة لتقدير الموقف قرر سارية بن زنيم الإنسحاب والاستناد الى الجبل والافادة من نهر فسا كحاجز طبيعي وبذلك أصبح ميدان المعركة محصوراً بالمواجهة.

قـــام الفرس بهجومهم ، فصدمهم رماة المسلمين . وعندما تحطمت حدة الهجوم قام سارية بن زنيم بقيادة الهجوم المضاد . واستطاع تدمير قوات الفرس وتابع مطاردتها ، ففتح فسا ، ودارا بجرد بعد أن أزال منهما كل مقاومة ، وصالح أهلها على أساس دفع الجزية .

فتح توج — ٢٣ هـ :

انطلق مجاشع بن مسعود في اتجـــاه توج ، ولم يلق في سابور أو أردشير مقاومة كبرى ثم تابع مسيرته حتى وصل توج ، ونظم الحصار حولها ، ثم حدثت معركة ضارية واستطاع مجاشع اقتحام المدينة . ثم صالح اهلها على أساس دفع الجزية . وبذلك أصبح الإقليم بكامله في قبضة المسلمين .

فتح اقليم مكران سنة ٢٣ هـ

الموقع :

يقـــع اقليم مكران الى الشرق من اقليم كرمان ويحده من الشمال والشرق اقليم سجستان ، ومن الجنوب المحيط الهندي . ويعتبر هذا الإقليم من اكثر اقاليم فارس فقراً لوقوعه في مناطق جبلية وعرة .

العمليات :

توجه الحكم بن عمرو التغلبي بعـــد فتح اقليم فارس شرقاً حتى وصل

اقليم كرمان . ولحق به شهاب بن المخارق بن شهاب كما تقدم لدعمه طوعاً سهيل بن عدي وعبدالله بن عبد الله بن عتبان .

وصلت قوات المسلمين « دوين النهر » حيث كان أهل مكران قد نظموا صفوفهم وراء النهر واستعدوا للقتال . وبدأت معركة طاحنة بين جيش المسلمين وجيش مكران ، وانتهت بانتصار المسلمين ، وتابع الحكم توغله في أقاليم مكران وجبالها طوال أيام عديدة لمطاردة فلول المنسحبين . وأرسل الى الخليفة عمر يعلمه بالفتح .

وصل المراسل الى المدينة ، ولما اجتمع بالخليفة سأله عن مكران وطبيعتها فأجاب المراسل :

[يا امير المؤمنين ، ارض سهلها جبل ، وماؤها وشل « قليل » وتمرها دقل « رديء » وعدوها بطل ، وخيرها قليل وشرها طويل . والكثير بها قليل والقليل بها ضائع وما وراءها شر منها]

فقال الخليفة :

أسجّاع انت ، ام مخبر .

فقال المراسل :

لا بل مخبر .

فقال الخليفة :

لا والله لا يغزوها جيش لي ما أطعت .

وكتب :

[الى الحكم بن عمرو ، والى سهل بن عدي ، لا تجوزن مكران احد من جنودكما واقتصرا على ما دون النهر] .

وبذلك توقفت الفتوحات ايام الخليفة عمر على المحور الجنوبي عند مكران

ولما بلغ الحكم امر الخليفة قال :

لقد شبع الارامل غير فخـــر   بفيء جاءهم من مكـــران
أتاهم بعد مسغبة وجهـــد   وقد صفر الشتاء من الدخـــان
فاني لا يذم الجيش فعـــلي   ولا سيفي يُذَمّ ُ ولا سنـــاني
غداة أُدَفِّـعُ الاوباش(١) دفعاً   الى السند العريضة والمدانـــي
ومهران لنا فيمـــا اردنـــا   مطيع غير مسترخي العنـــان
فلولا ما نهى عنه أمـــيري   قطعناه الى البدو الزوانـــي

الدروس المستخلصة من المرحلة الأولى
في فتوح ايران

تعتبر الأعمال العسكرية في فتوح ايران صورة واضحة عـــن الإستراتيجية العسكرية العربية في الفتح الإسلامي . ومن أهم ملامح هذه الصورة وأبرزها المعطيات التالية :

١ ـ نجاح اسلوب الهجوم غير المباشر :

اصطدمت باكورة عمليـــات القطاع الأوسط بمقاومة همذان ، فما كان من نعيم بن مقرن إلا أن ترك قوة لحصار المدينة وانطلق بقواته لإزالة المقاومات في بقية الاقليم ، وبذلك أحبطت الروح القتالية عند الحامية المدافعة عن المدينة وشعر الملك « خسروشنوم » بعزلة تامة عن كل امكانات الدعم والإمداد . مما أرغمه على طلب الإستسلام وعقد الصلح مع المسلمين .

وفي فتـــح اقليم فارس ، تكررت الصورة مرة اخرى . لكن بشكل آخر ،

---

(١) الاوباش : الاشواب ، المتفرقون .

فقد تجمع ملوك الإقليم في « توج » ووحدوا صفوفهم ، ونظموا قيادة موحدة للعمليات فما كان من سارية بن زنيم إلا أن وضع خطة مضادة . فقسم جيشه إلى مجموعات قتالية ، ووجه كل مجموعة في اتجاه مملكة ، مِمَّا أشعر خصوم المسلمين بضخامة حجم القوى الزاحفة اليهم من جهة ، ودفعهم الى التفرق والإسراع لحماية قواعدهم من جهة اخرى وبذلك نجح اسلوب الهجوم غير المباشر مرة أخرى ، وسجل المسلمون انتصارات جديدة في سجل فتوحاتهم.

ان تحرك قـــوات المسلمين وجيوشهم على أرتال ومحاور مختلفة ، وتحديد أهداف واضحة لكل قوة من القوى . واختيار « نوعية هذه الأهداف» يعتبر نموذجاً رائعاً لعقلية الإنسان العربي المبدع في المجال الإسْتراتيجي . وكان لهذا الأسلوب دور حاسم وفعال في نجاح اسلوب الهجوم غير المباشر . وتحطيم ارادة القتال لدى خصوم المسلمين .

٢ ـ الحرب النفسية :

قيـــل لعنترة ، بم اشتهرت بالشجاعة بين العرب ، فأجاب : اضرب الضعيف ضربة ينخلع لها قلب الشجاع .

إن هـــذه الكلمة تمثل مبدأ هاماً في القتال وفي الحرب النفسية ، واذا ما طالعنا مسيرة عمليات فارس نجد أن قادة المعارك كانوا يبحثون باستمرار لضرب الخصم في مقتله ، في نقطة ضعفه . وكانوا يستهدفون القادة أو الملوك . ونتيجة لذلك أخذت ارادة القتال لدى الخصوم تضعف بمجرد سماعهم قدوم الجيوش الإسلامية .

اعتمد العرب في حربهم النفسية على :

١ ـ الصدق في التهديد والوعيد ، فكانوا يحرصون على تنفيذ ما هددوا به من اجراءات .

٢ ـ اعتماد الانصار ، الطابور الخامس ، لتحطيم ارادة القتال لدى العدو .

وكان هؤلاء الانصار من العرب المستعربة ، أومن الخصوم أنفسهم .

٣ ـ الإفادة من التناقضات والخصومات الموجودة في صفوف العدو .

٤ ـ الظهور أمام الخصم بالمظهر الذي يدخل الرهبة في نفسه ، ولا ريب أن طبيعة العربي وحياته الخشنة في الصحراء قد ساعدته على الظهور بهذا المظهر .

لقد اعتمد العزب المسلمون سلاح الحرب النفسية وسيلة لهم للتعويض عن التفوق العددي لخصومهم وللتعويض أيضاً عن ميزة معرفة هؤلاء الخصوم للارض ولطبيعة ميدان المعركة واعتيادهم على المناخ والأحوال الجوية السيئة .

٣ ـ تأمين قواعد انطلاق متقدمة :

كانت الجزيرة العربيـــة هي قاعدة الإنطلاق الأساسية في عمليات فتـوح الشام والعراق ، ثم أصبحت البصرة والكوفة من قواعد الإنطلاق المتقدمة لفتح العراق ومنطقة الرافدين وإقليم فارس من العراق . ورغم بقـــاء القاعدتين المذكورتين من القواعد الأساسية في عمليات فتوح ايران ، إلا أن ضرورة العمليات وبعد محاور الاتصال دفع القادة العرب الى اختيار قواعد متقدمة لفتوحاتهم ، فكانوا يسيطرون على الإقليم ، وينظمون أموره الحياتيـــة والإقتصادية والعسكرية ثم ينطلقون من قاعدتهم الأمينة لعمليات متقدمـــة وهكذا أصبحت قواعد الانطلاق تتحرك باستمرار تبعاً لمتطلبات العمليات.

ان الاهتمام بتنظيم قواعـــد القتال المتقدمة يعتبر مفخرة من مفاخر التاريخ العسكري الاسلامي ، وكان للعرب قصب السبق في هذا المجال .

٤ ـ تنظيم العلاقات العامة للمجتمع الجديد :

كان تحقيق السلم ، ونشر رايـــة الإسلام هو الهدف الأول للعمليات العسكرية الإسلامية . ولهذا كان القادة المسلمون يحرصون الحرص كله على اعطاء الشعوب التي يصالحونها بعد الحرب ، فرصة أو أكثر لإقامة علاقات

تقوم على أسس محددة وواضحة ، ونشر قيم عادلة مما كان يدفع أفراد هذه الشعوب على الدخول في الإسلام .

أما الشعوب التي كانت تصالح جيوش المسلمين دون حرب وتتفق معهم على دفع الجزية ، فكانت تترك لهم حرية الإدارة الذاتية ، ولا يتم التدخل في شؤونهم إلا بالقدر الذي يتطلبه تنفيذ الإتفاقيات المعقودة معهم ، كدفع الخراج ومساعدة جيوش المسلمين .

كانت جماهير جند المسلمين في اتصالها بجماهير الشعوب التي فتحت بلادها ، تعطي أطيب الأمثلة . وكان القادة المسلمون أبعد ما يكونون عن التهاون في أمر يمس مصالح أصحاب البلاد أو يسيء لهم . وكانت هذه الأمثولات حافزاً قوياً دفع الناس للدخول في دين الاسلام .

حرمان العدو من موارده الاقتصادية :

من الواضح في مجموعة عمليات فتح ايران ، ان القادة المسلمين كانوا يحرصون باستمرار على حرمان خصومهم من الموارد الاقتصادية وتجريدهم من امكانات الدعم التي تساعدهم على الإستمرار في المقاومة . واتبع اسلوب العزل في اكثر من معركة بهدف ارغام الخصم على الخروج من تحصيناته والوصول في معركة حاسمة تضع حداً نهائياً للمعركة ، وغالباً ما كانت نتيجة هذه المعركة لصالح المسلمين .

لقد عرف العرب المسلمون أهمية الشؤون الإرادية بالنسبة لأعمال القتال . وكان تنظيمهم للقواعد المتقدمة وحرمان عدوهم من موارده الاقتصادية حلقتان متكاملتان تضع جيوش المسلمين في موقف أفضل من موقف خصمهم مما كان يساعدهم على حسم المعركة بالشكل الذي يخططون له .

الاهتمام بحياة جند المسلمين :

كان الاهتمام بحياة جند المسلمين هدفاً أول يحرص الجميع بداية من الخليفة ونهاية بأصغر قائد في الحفاظ عليه .

١ – كانت رسائل الخليفة عمر، وإيقافه مسيرة العمليات اكثر من مرة، حرصاً على حياة المسلمين، وعدم توريطهم في القتال ضمن مناطق مجهولة أو في عمليات غير مدروسة برهاناً على حرص الخليفة على مكانة الجندي المسلم في المجتمع الاسلامي.

٢ – وكان حرص القادة على تجنب المغامرة، ودراسة الموقف باستمرار وتبادل المعلومات من أجل عدم التغرير بالمسلمين من الشواهد التي تدل على مكانة الجندي في جيش الاسلام.

٣ – وكان التركيز في المعاهدات والإتفاقيات المعقودة مع أصحاب البلاد وملوكها على رعاية الجندي المسلم واستضافته ودلالته، من المؤشرات التي تعزز مكانة الجندي المسلم.

لقد كان على الجندي المسلم نقل الرسالة الى أرجـاء المعمورة، وكان العنصر العربي هو دعامة الفتوحات، ولهذا حرص القادة على العنصر العربي المسلم مما أكسبه الثقة بنفسه، ودفعه الى المجازفة بحياته من أجل تحقيق الهدف النبيل الذي ألقته الأمة الإسلامية على عاتقه.

اما في مجال فن الحرب فقد تميزت معارك فارس بالنواحي التالية:

آ – ظهور «كادرات قيادية»:

إن متابعة مسيرة العمليات في فتـح فارس، يظهر وجود طبقة قيادية على درجة عالية من الكفاءة، ولها القدرة على قيادة المجموعات القتالية وتطبيق أسس فن الحرب.

لقد كانت أيـام فارس كثيرة، وكان لكل يوم قائده، وعلى الرغم من اشتراك عدد من القادة في إدارة عدد من المعارك الحاسمة إلا أن هذا لم يكن عائقاً أمام ظهور كفاءات قيادية أثبتت وجودها على مسارح العمليات.

كانت الفتــوحات بمثابة كليات عسكرية ومعاهد لتدريب القادة يتمرسون فيها بأعمال القتال ، ويطبقون فيها مهاراتهم وكفاءاتهم ، ويتعلمون فيها فن ادارة الحرب وقيادة الرجال . وكانت المعارك العسكرية تربة خصبة لإنمــاء الفكر العربي واغنائه بالخبرات الكثيرة .

أظهر العنصر العربي خــلال فتوحات ايران استعداداته الكاملة لممارسة الأدوار القيادية بعدما تفتحت أمامه آفاق رحبة ، ومجالات واسعة وثبت الانسان العربي المؤمن قدرته على الأخذ والعطاء والتعلم والإبداع ، وإظهار فن جديد يحمل ميزاته وطابعه الخاص به .

ب ـ الاهتمام بدراسة الموقف :

كان القادة من العرب المسلمين ، عــلى اختلاف مستوياتهم ، يظهـرون اهتماماً بدراسة الموقف من جميع نواحيه ، وإن أكثر ما كانــوا يركزون اهتمامهم عليه :

١ ـ العدو ، قوته ، تنظيمه ، تسليحه ، قدرته القتالية ، حالته النفسية ، نفسية السكان .

٢ ـ الأرض ، طبيعتها ، العوائق المتوفرة فيها ، صلاحيتها للقتال .

٣ ـ الأحوال الجوية ، وما تشكله من ميزات ومساوىء عــلى مسيرة العمليات .

٤ ـ توازن القوى وكيفية التغلب على عامل التفوق لدى الخصم .

إن هذه القواعد التي تبرز في وضوح خلال أحاديث القادة المسلمين وفي مراسلاتهم . لا زالت الأساس لدراسة كل موقف وقبل اتخاذ كل قرار . ولا ريب أن التطور الحديث في فن الحرب قد أضاف عدداً كبيراً من العوامل المتفرعة عن هذه القواعد . إلا أن العرب وضعوا أسساً سليمة . في دراسة تقدير الموقف وكان لهم قصب السبق في هذا المجال ايضاً .

ج ـ الحرص على تحقيق المباغتة :

حرص القادة المسلمون على تحقيق المباغتة في كل معركة من معاركهم .

حقق نعيم بن مقرن المبـــاغتة ، المكانية والزمانية ، في معركة « الري » وبذلك حطم ارادة القتال لدى عدوه .

استطاع سارية بن زنيم تحقيق المباغتة المكانية في فتـــح فسا ودارا بجرد ، وبذلك انتزع النصر من خصمه .

ان المباغتة من الأسس الثـــابتة في فن الحرب ، ولا زال البحث عن وسيلة لتحقيق المباغتة هو الهدف الأول لكل قائد في الحرب .

ومعارك الحرب العالمية الثانية وما أعقبها من تجارب تبرهن على أن المباغتة لا زالت تحتل مكانتها الأولى في قائمة اسس فن الحرب .

د ـ استثمار النصر :

عندما يشعر الخصم أن نتيجة المعركة لن تكون لصالحه ، فإنـــه يحاول الانسحاب لتشكيل مقاومات جديدة . وتنظيم القوات لوضع خطة هجومية جديدة. وإن مطالعة مسيرة عمليات فتـــح ايران تظهر أن القادة من العرب المسلمين كانوا يصممون باستمرار على استثمار الظفر ومطاردة العدو حتّى أقصى مسافة ممكنة بهدف عدم تمكينه من تشكيل مقاومات جديدة ، وكان استثمار الظفر من العوامل الحاسمة التي ساعدت المسلمين على انجاز عملياتهم العسكرية وفتح الأقاليم بسرعة كبيرة .

ان استثمار الظفر برهن عـــلى ميزات المقاتل العربي وما يتحلى به من خفة ومرونة وسرعة بديهة حتّى أصبح المقاتـــل العربي رمزاً لهذه الصفات القتالية

وقـــد برهن استغلال النصر من ناحية أخرى على قدرة المقاتل العربي على تحمل الصعاب والصبر على المكاره ، والتصميم على القتال حتّى تحقيق الهدف النهائي من الحرب .

هـ – الروح المعنوية العالية :

يعتبر المقـــاتل العربي في الفتوحات الإسلامية نموذجاً رائعاً للروح المعنوية العالية . ولقد اكتسب المقاتل العربي هذه الروح المعنوية من المعطيات التالية :

١ – الايمان بعدالة القضية التي يقاتل من أجلها ، وشعور المسلم أن من واجبه حمل الرسالة ونشرها على الدنيا مهما تحمل في سبيل ذلك من مشاق ومهما لقي من صعاب .

٢ – الثقة بالقيادة ، وبكلمة القائد . ولعل الحادثة التالية تعطي صورة عن الثقة المتبادلة بين الرئيس والمرؤوس في جيش المسلمين .

[قال عاصم بن كليب ، خرجنا مع مجاشع بن مسعود غازين «توج» فحاصرناهم ، وقاتلناهم ما شاء الله ، فلما افتتحناها وحوينا نهبها نهباً كثيراً وقتلنا قتلى عظيمة ، وكان علي قميص قد تخرق ، فأخذت إبرة وسلكاً ، وجعلت أخيط قيمصي بها – ثم إني نظرت إلى رجل في القتلى عليه قميص فنزعته فأتيت به الماء ، فجعلت أضربه بين حجرين حتى ذهب ما فيه ، فلبسته . فلما رجعت . قام مجاشع خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ايها الناس لا تغلّوا ، فانه من غل ، جاء في غل يوم القيامة ، ردوا ولو المخيط .. فلما سمعت ذلك ، نزعت القميص فالقيته في الأخماس].

٣ – الثقة باخوة السلاح ، حتى أن المسلم كان يفتدي أخاه ويحاول حمايته حتى لو كان في ذلك هلاكه ، وإن هذه الروح الغيرية هي التي أظهرت المسلمين كمجموعة واحدة وكتلة متلاحمة لا سبيل الى قهرها .

القسم الثاني

الفصل الرابع

المرحلة الثانية من عمليات الجبهة الشرقية

« إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهـدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، أولئك هم الصادقون ، قل أتُعلِّمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكلِّ شيء عليم . يَمنُّون عليك أن أسلموا، قل لا تمنوا علي إسلامكم ، بـل الله يمنُّ عليكم أن هداكم للإيمـان إن كنتم صادقين » صدق الله العظيم

سورة الحجرات – الآية ١٤ ، ١٥ ، ١٦ –

١ ـ فشل محاولة فتح بلنجر

٢ ـ بواكير التمرد في ارمينيا واذربيجان ٢٤ هـ

٣ ـ عمليات خراسان

٤ ـ التمرد في فارس كرمان بعد خراسان ٣٩ هـ

٥ – زرنج بعد فارس وكرمان

٦ – سجستان بعد زرنج

٧ – معاودة التمرد في سجستان

٨ – الموقف عندما تولى الحجاج بن يوسف حكم العراق

٩ – عمليات عبد الرحمن بن الاشعث

١٠ – عمليات المهلب بن ابي صفره في خراسان

١١ – عمليات قتيبة بن مسلم الباهلي ٨٨ هـ

– غزو نومشكت ٨٨ هـ

– فتح رامثينه ٨٩ هـ

– فتح بخارا وغدرنيزك ٩٠ هـ

– غزو شومان وكش ونسف ٩١ هـ

– الصلح مع ساجستان والزابل ٩٢ هـ

– الصلح مع ملك خوارزم وفتح خام جرد سنة ٩٣ هـ

– يوم سمرقند ٩٣ هـ

– غزو الشاش وفرغانه ٩٤ و ٩٥ هـ

– غزو كاشغر والصلح مع ملك الصين ٩٦ هـ

المرحلة الثانية من عمليات الجبهة الشرقية

الوضع العام

إنتهت عمليات المرحلة الأولى من الجبهة الشرقية بتطويق الهضبة الإيرانية واحتلال أقاليمها . وعندما توفي الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، كان المحور الجنوبي لهذه الجبهة قد وصل كرمان في حين وصل المحور الشمالي حتى جرجان ثم استدار جنوباً في اقليم خراسان حتى وصل مرو وهراة وزرنج ، وأصبحت الأقاليم التالية تحت حكم العرب المسلمين :

إقليم أذربيجان ، إقليم الجبال ، إقليم خوزستان ، إقليم فارس ، إقليم كرمان ، إقليم قومس ، إقليم طبرستان ، إقليم خراسان ، إقليم قوهستان ، إقليم سجستان . وبذلك زال خطر تهديد الجبهة الشرقية باقتلاع جذور الأسرة الساسانية الفارسية وزوال ملكها .

عندما تولى الخليفة الثالث عثمان بن عفان أمور المسلمين ، كان الروم ، بيزنطة ، يتهددون باستمرار الجبهة الشمالية ، وكانت سيطرتهم على البحر الأبيض المتوسط تشكل مصدر خطر دائم على عمليات الفتوح الإسلامية ، ولهذا نقل عثمان بن عفان ثقل جهد العمليات من الجبهة الشرقية الى الجبهتين الشمالية ، الشام ، والغربية ، مصر . كما ركز جهده على بناء الأسطول وأعمال القتال البحرية بهدف ردع بيزنطة وعدم تمكينها من إعاقة الفتوح الإسلامية .

نتيجة لذلك توقفت أعمال الفتوح الحاسمة على الجبهة الشرقية ، وانصرف ولاة المسلمين الى ترسيخ جذور الاسلام ونشر الدعوة في ربوع الأقاليم الشرقية . وشهدت حدود الجبهة الشرقية جموداً طوال الفترة التي اعقبت المرحلة الأولى باستثناء بعض العمليات الثانوية .

عندما قتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، وتولى علي بن أبي طالب أمور المسلمين ، ظهر انشقاق خطير في صفوف الأمة الإسلامية كاد يعصف بالعرب المسلمين وبكل الجهود التي بذلوها في عمليات الفتح ، وانعكس التمزق بين العرب على كافة الأقاليم التي فتحها المسلمون ، وأفاد أولئك الملوك الذين هادنوا العرب على كره منهم ، وظنوا أن الفرصة أصبحت سانحة للاستقلال بأمورهم والأنفصال عن الدولة العربية الإسلامية ، فأعلنوا تمردهم ، وبدأت مرحلة جديدة من توطيد دعائم الحكم العربي الإسلامي في إيران . وتأديب المتمردين ، وهكذا تركز الجهد على « إعادة فتح الأقاليم من جديد » عوضاً عن التحول إلى فتح أقاليم جديدة .

لقد استنزفت عمليات إعادة فتح الأقاليم المتمردة ، جهداً كبيراً من قوة العرب المسلمين وسقط في سهول ايران وجبالها رجال من أفضل سيوف صحابة النبي ، وخيرة رجالات العرب بحيث يمكن اعتبار عملية الاستنزاف هذه عاملا من العوامل التي أضعفت القوة العربية ، ونقلت السيطرة من أيديهم إلى أيدي غيرهم ، وأبعدتهم عن مركز القيادة والريادة . ونظراً لما كانت عليه بعض العمليات من الأهمية ، قد يكون من المناسب المرور ببعض هذه الأعمال واستعراضها .

١ ـ محاولة فتح بلنجر ـ المحور الشمالي سنة ٣٢ ـ ٣٦ هـ :

بعد فتح العرب المسلمين « باب الأبواب » وتولي عبد الرحمن بن أبي ربيعة ولاية أذربيجان ، أراد الإستمرار في متابعة الفتوح وأخذ اذناً بذلك من الخليفة عثمان بن عفان فأجابه الخليفة :

[إن الرعية قد أبطر كثيراً فيهم البسطة ، فقصر ، ولا تقتحم بالمسلمين في فيافي « خاش » ان يبتلوا]

بمعنى أخاف ان تصيبهم كارثة .

جهز عبـــد الرحمن بن أبي ربيعة جيشه ، وتقدم شمالاً على المحور الغربي لبحر الخزر ، قزوين ، وانسحبت القوات بحيث لم يجد عبد الرحمن مقاومة كبيرة . وتابع توغله في السهول الشمالية لجبال القوقاز حتّى وصل « بلنجر بين استراخان وكوريف على الضفاف الشمالية لبحر قزوين .

تحصن القوقازيون والترك في « بلنجر » ونظموا مقـــاومة ضارية ، واشتبكوا مع المسلمين بمعارك طاحنة ، وخشي عبد الرحمن الهزيمة فكتب الى الخليفة عثمان يشرح له الموقف ، فوجه الخليفة عثمان ثلاثة جيوش لدعم عبد الرحمن ابن أبي ربيعة .

- جيش بقيادة سلمان بن أبي ربيعة ، وكان يعمل في قطاع جبال القوقاز
- جيش الكوفة بقيادة حذيفة بن اليمان .
- جيش الشام بقيادة حبيب بن مسلمة .

وصلت الجيوش الثلاثـــة وأحكمت الحصار حول بلنجر ، وتعاون برد الشتاء وسوء الأحوال الجوية مع المقاومة العنيدة للقوقازيين ، فأحبطت من القدرة القتالية لجيوش المسلمين .

استخدم المسلمـــون المجانيق والعرادات التي ترمي الحجارة الثقيلة حتّى مسافات بعيدة ، بهدف تحطيم أسوار « بلنجر » . وطال أمد الحصار وجاء فصل الشتاء وسقطت أعداد كبيرة من قوات المسلمين تقرر القادة رفع الحصار والإنسحاب ، بعد أن قتل عبد الرحمن بن أبي ربيعة في احدى المعارك اثناء الحصار ووصل في الوقت ذاته نبأ مقتل الخليفة عثمان بن عفان .

تم تكليف سلمان بن أبي ربيعـــة بحماية الإنسحاب . ونظمت عملية الإنسحاب بحيث تم على محورين .

المحور شرق بحر قزوين ، حتّى جيـــلان وجرجان ويتبعه جيش الشام وجيش الكوفة وفيهم سلمان الفارسي وأبو هريرة .

المحور الغربي غرب بحـــر قزوين ، ويتبعه سلمان بن أبي ربيعة ، وجيش عبد الرحمن بن أبي ربيعة .

أمكن تنفيذ عمليـــة الانسحاب بنجاح على الرغم من كل العوامل المضادة وعلى الرغم من محاولات الانقصاض على مؤخرات المسلمين وتدميرها ويعود الفضل في ذلك إلى تنظيم عملية الإنسحاب بصورة جيدة وتنفيذها بدقة .

٢ – بواكير التمرد في أرمينيا وأذربيجان سنة ٢٤ هـ :

كان إقليم أذربيجان وإقليم أرمينيا من أول الأقاليم التي أعلنت تمردهـــا ، وامتنعت عن دفع الجزية .

أصدر الخليفـــة عثمان بن عفان أوامره بإعادة فتح الأقاليم المتمردة ، وتوجه الوليد بن عقبة بعد أن نظم جيش الكوفة وهو الجيش الذي كـــان يتمركز ٤٠٠٠ منه في الري و ٦٠٠٠ في أذربيجان ذاتها . وعين سلمان بن ربيعة الباهلي لقيادة المقدمة .

وجه للوليد بن عقبة عندما وصل حدود أذربيجان قوة مكونة من أربعة آلاف مقاتل يقودها شبل بن عوف الأحمسي بهدف فتح موقان والبير والطيلسان وعندما أنجزت المهمة تجمعت القوة ثانية ووصلت أذربيجان ، فصالح أهلها على مثل صلحهم القديم .

٣ – عمليات « خراسان » (١) :

تشابه حدود اقليم خراسان ، حدود افغانستان الحاليـــة ، مع قسم من الحدود الجنوبية لإقليمي ازبكستان وتركستان .

اصدر الخليفة عثمان بن عفان في بداية عهده التعيينات التالية .

خراسان عمير بن عثمان بن سعد ، فوصل حتى « فرغانة » .

---

(١) تاريخ الطبري ، ج ٥ ص ١٧٠ – ١٧٥ و ٦٣ .

سجستان ، جنوب خراسان ، وعين عليهـــا عبد الله بن عمير الليثي فوصل حتى كابل ، ثم عين عبدالله بن عامر لمدة سنة ، وخلفه عاصم بن عمرو .

مكران ، في جنوب سجستان ، وعـــين عليها عبدالله بن معمر التيمي فوصل حتى نهر السند .

في عام ٣١ هـ كان عبدالله بن عامر قد احتل « أبهر شهر » وطوس ، وبيورد ، وون ، وسرخس ، وأعاد فتح مرو ، وكان زياد بن أبيه قد ولي البصرة فتوجه على رأس جيش حتى وصل كرمان ، فعين عليها مجاشع بن مسعود السلمي . وتابع طريقه حتى أبهر شهر « نيسابور » وكان على مقدمته الأحنف بن قيس .

اصطدمت قـــوات زياد بالهياطلة « أهل هراة » واستطاع الأحنف بن قيس هزيمة الهياطلة وفتحت قوات الأحنف « نيسابور » عام ٣٧ هـ .

عندما تولى الخليفة علي بن ابي طالب أمور المسلمين ، وحـــدث الإنشقاق بين العرب ، أعلن أهل خراسان تمردهم . وبقيت أعمال التمرد حتى انتهت معركة صفين ، وعندها أعلن الخليفة عن تنظيم قوة لأعادة فتح خراسان ، وقال للمسلمين :

[من لم يرغب في قتال معاوية ، فليأخذ عطاءه وليتوجه الى خراسان] .

أرسل الخليفـــة علي بن ابي طالب « جعدة بن هبيرة المخزومي » إلى خراسان ولما وصل جعدة إلى « نيسابور » وجد أن الإقليم في حال ثورة عارمة فرجع الى الخليفة وأخبره بالموقف .

وجـــه الخليفة « علي » خمسة آلاف مقاتل بقيادة « خليد بن قرة اليربوعي » فوصل نيسابور ، وخرج إليه أهلها يطلبون منه الصلح ، فصالحهم ثم تابع تقدمه حتى « مرو الشاهجان » فقاتله أهلها وبعد معركة حاسمة انتصر خليد على أهل مرو ، وفتح المدينة ، وكان من بين الأسرى فتاتان من بنات الملك ، أرسلهما الى الخليفة مع الغنائم ، فعرض عليهما الخليفة علي الإسلام وتكفل بتزويجهما ، فاشترطتا

الزواج من ولدي الخليفة « الحسن والحسين » ورفض الخليفة علي فطلب منه أحد الدهاقين تركهما له قائلا :

[ادفعهما لي ، فإنه كرامة تكرمني بها]

فدفعهما اليه ، فكانتا عنده يفرش لهما الديباج ويطعمهما في آنية من الذهب حتى رجعتا خراسان .

٤ ـ التمرد في فارس وكرمان بعد خراسان (١) سنة ٣٩ هـ :

وصلت المعلومات الى الخليفة علي عن تمرد فارس وكرمان ، وتساءل : من يكفيني هذا الإقليم ، وقيل له « زياد بن أبيه » فعينه بمهمة اخضاع التمرد ، واستطاع زياد بن أبيه أن يخمد الفتن ويسيطر على الموقف بضرب المتمردين بعضهم ببعض واستخدام الدهاء حتى خضع له الإقليم .

قال شيخ من اصطخر :

[قدم فارس على فارس وهي تضرم ناراً فلم يزل بالمداراة حتى عادوا الى ما كانوا عليه من الطاعة والإستقامة لم يقف موقفاً للحرب ، وكان أهل فارس يقولون ، ما رأينا سيرة أشبه بسيرة كسرى أنو شروان من سيرة هذا العربي في اللين والمداراة والعلم بما يأتي ، ثم نزل زياد اصطخر ، وشيد قلعة لا زالت حتى الآن تحمل اسم « قلعة زياد »] .

٥ ـ زرنج بعد فارس وكرمان :

تقع زرنج على نهر الكر « جورجيا » الذي يصب في الجهة الغربية من بحر قزوين . وتبعد عن « باكو » مسافة ١٣٠ كم تقريباً .

طرد أهل « زرنج » واليهم الأمير بن أحمر اليشكري ، وأغلقوا مدينتهم

---

(١) تاريخ الطبري ، ج ٥ ص ١٣٧ ـ ١٣٨ .

وتحصنوا بها فوجه الخليفة علي بعد «يوم الجمل» جيشاً من الصعاليك بقيادة حسكة بن عتاب الحبطي ، وعمران بن الفضيل البرجمي .

تحرك جيش حسكة في اتجاه الشمال ، وعندما وصل زالق حدثت معركة انتصر فيها جيش حسكة ، وتابع الجيش تقدمه بسرعة فوصل زرنج وحاصرها وخرج مرزبانها فصالح الصعاليك الذين وقف شاعرهم يرتجز :

بشر سجستان بجوع وحرب .

بابن الفضيل وصعاليك العرب　　لا فضة تغنيهم ولا ذهب ...

وعاد حسكة بعد أن نفذ واجبه على أفضل وجه وسار نحو الجنوب في اتجاه سجستان المتمردة ولما وصلها قاتله أهلها وقتلوه .

٦ ــ سجستان بعد زرنج :

علم الخليفة علي بن أبي طالب بمقتل حسكة ، فكتب إلى « عبدالله بن العباس » يأمره بتوجيه جيش من أربعة آلاف مقاتل لإخضاع سجستان .

نظم « عبدالله بن العباس » جيشه على النحو التالي :

« ربعي بن الكاس العنبري » قائداً للجيش .

« ثابت بن ذي الحرة الحميري » قائداً للمقدمة .

« الحصين بن أبي الحر » على الفرسان .

ووصل الجيش سجستان ، فأخذت المقاومة تتساقط والمقاتلون يفرون من أمامه حتّى عادت بلاد سجستان إلى عهدها السابق ، وانطلق راجز الجيش يردد :

نحن الذين اقتحموا سجستان

على ابن عتاب وجند الشيطان　　يقدمنا الماجد عبد الرحمن

انا وجدنا في منير الفرقان　　أن لا نوالي شيعة ابن عفان

معاودة التمرد في سجستان :

أعلنت سجستان تمردها من جديد ، وبقي الأمر فيها مثيراً للقلق حتّى جاء معاوية بن أبي سفيان فولى عبد الرحمن بن سمرة لولاية سجستان ، فأتاها ومعه «عباد بن الحصين الحبطي» قائداً للشرطة . وكذلك عدد من القادة امثال «عمر بن عبيد الله بن معمر» التميمي و«عبدالله بن خازم السلمي» و«قطري ابن الفجاءة» و«المهلب بن أبي صفرة» .

وضع عبد الرحمن بن سمرة مخططه على أساس اخضاع الأقاليم المتمردة على التتابع بهدف الإقتصاد في القوى ، والتركيز في العمليات الهجومية ،وكانت كابل هدفه الأول .

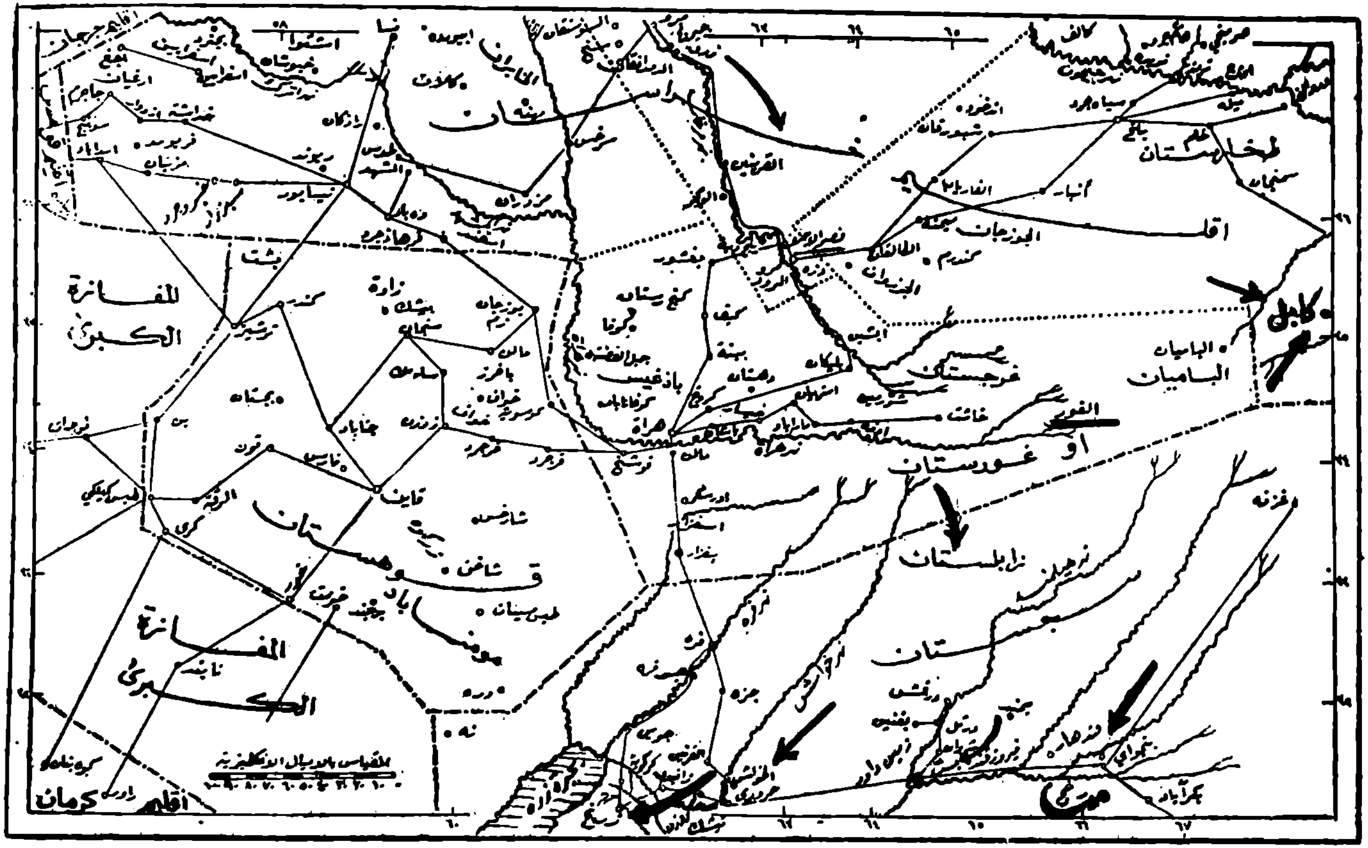
كانت مرو قد تحولت الى قاعدة متقدمة للعمليات ، انطلق منها عبد الرحمن بن سمرة في اتجاه «كابول» فحاصرها أشهراً عديدة ، ونصب المنجنيق وأخذ يرميها إلا أن المدينة صمدت وقاومت بعناد وكان أهل كابل يفتحون الأبواب وينطلقون في هجماتهم ثم يعودون الى المدينة فيمتنعون وراء أسوارها ، ويتحصنون بقلاعها .

وضع عبد الرحمن بن سمرة في النهاية مخططاً لعملية حاسمة فدفع «عباد بن الحصين» على رأس قوة واجبها التسلل ليلا حتّى الوصول الى الباب الرئيسي ومباغتة العدو عندما تفتح الأبواب .

فتحت الأبواب مع أول ضوء ، وخرج «ابن خازم» ، فضرب فيلا كان في المقدمة فسقط الفيل على الباب الذي خرجوا منه ، ولم يقدر العدو على سحب الفيل بسرعة وتدفقت مجموعات الفدائيين من المسلمين . وأظهر «عباد بن الحصين» مهارة في القتال وشجاعة كبيرة حتّى قال عنه الحسن البصري .

[ما ظننت رجلا يقوم مقام ألف حتى رأيت عباد بن الحصين] .

وسقطت كابل بيد المسلمين من جديد ، وعاد أهلها فطلبوا الصلح ، فوافق عبد الرحمن بن سمرة .



اقليما خراسان وقوهستان ، مع قسم من اقليم سجستان

إخضاع حركات التمرد أيام معاوية بن أبي سفيان

وجه ابن سمرة بعـــد العمليات رسالة الى الخليفة معاوية بن ابي سفيان وشكل وفداً لهذه الغاية من « عمر بن عبيد الله بن معمر » و « المهلب بن ابي صفرة » .

تابع عبد الرحمن بن سمرة تقدمـــه ، وتجاوز الغور الذي يمر منه « نهر هراة » . وكان يسمى « وادي النسل » ، ثم وصل جنوباً حتى :

خواشس وقوازن بست ، فافتتحها عنوة .

رزان ، حيث وجـــد ان اهلها قد انسحبوا منها ، فلم يصطدم فيها بمقاومة .

خشك ، وكان أهلها قـــد أوفدوا من يفاوض عنهم للصلح ، فصالحهم عبد الرحمن بن سمرة .

الرجح ، ووصلها وقـــد تحصن أهلها وحاولوا المقاومة فقاتلهم المسلمون وفتحوا المدينة عنوة .

ذابلستان ، وكان أهلهـــا قد نظموا صفوفهم ، فقاتلهم عبد الرحمن وانتصر عليهم .

أعلنت كابل تمردهـــا من جديد ، واستنجدت برتبيل خاقان الترك ، فانجدهم ، وأخرج اهل كابل المسلمين من مدينتهم .

تقـــدم « رتبيل » واستولى على « ذابلستان » و« الرجح » وتابع تقدمه حتى « بست » .

انطلـــق « الربيع بن زياد » في هجوم مضـــاد حتى وصـــل « بست » وتصدت له قوات رتبيل فألحق الهزيمة بها واستمر في مطاردتها حتى استعاد منها الرجح .

استمرت كابل في ثورتهـــا ، وأرسل اليها « يزيد بن معاوية » عندما تولى الخلافة « يزيد بن زياد » واصطدمت قوات يزيد بجيش رتبيل في «جنزة » وقتل في المعركة « يزيد بن زياد » ووقع « أبو عبيدة بن زياد » أسيراً في قبضة

رتبيل ، وهزم جيش المسلمين ، فأرسل « سلم بن زياد » « طلحة بن عبيدالله بن خلف الخزاعـــي » وكان يسمى « طلحة الطلحات » ففدى أبا عبيدة بخمسمائة الف درهم .

عين « سلم بن زيـــاد » « طلحة الطلحات » والياً على سجستان . ولم يكد يصل طلحة الى سجستان حتّى توفي فيها .

في هـــذه الفترة وقع انقسام خطير بين العرب في فارس ، وثارت الجاهلية بين القيسية والمضرية وتحصنت كل قبيلة بالمدينة التي تقيم فيها . وهذا ما أطمع فيهم « رتبيل » الذي استولى على عدد من المواقع .

وبقي الأمر في كابل مضطرباً حتّى جـــاء الحجاج بن يوسف الثقفي والياً على العراق فبدأت مرحلة جديدة .

اهتمام الحجاج بن يوسف بالجبهة الشرقية :

الموقف عام ٧٩ هـ :

شعر الحجاج بخطورة الموقف على الجبهة الشرقية ، لا سيما بعد أن امتنع ملك الترك « رتبيل » عن دفع الخراج ، وأخذ في تحريض الأقاليم ضـــد المسلمين . فأصدر أوامره بتعيين المهلب بن أبي صفرة والياً على خراسان ، « وعبيد الله بن أبي بكرة » والياً على سجستان . وأرسل إلى « عبيد الله بن أبي بكرة » الذي كان على رأس جيش البصرة الأمر التالي :

[الى عبيد الله بن أبي بكرة :

ناجز رتبيل بمن معك من المسلمين ، فلا ترجع حتّى تستبيح أرضه وتهدم قلاعه وتقتل مقاتلته وتسبي ذريته] .

انضم جيش الكوفة بقيادة « شريح بن هـــانيء الحارثي » الى عبيد الله . وانطلق في مسيرته إلى القاعدة المتقدمة في « مرو » ، وأخذ جيش رتبيـــل ينسحب نحو الشمال في اتجاه سمرقند وبخارى ، فأسرع عبيد الله في تقدمه عبر

المناطق الجبلية من « جبال آلاي » ، وكان « رتبيل » قد نظم دفاعه ، وأمسك بمحاور الإقتراب وسيطر على طرق التحرك ، وشعر عبيد الله أنه تهور في تقدمه وأنه أصبح تحت رحمة خصمه « رتبيل » فأرسل الى ابن أبي بكرة يستقدمه ، وكتب له :

[اني مصالح للقوم على ان اعطيهم مالاً ويخلوا بيني وبين الخروج]

وتقدم شريح حتى التقى بعبيد الله بن ابي بكرة ، وقال له :

[انك لا تصالح على شيء إلا حسبه السلطان عليكم في اعطياتكم]

فاجابه عبيدالله :

[لو منعنا العطاء ما حيينا ، كان أهون علينا من هلاكنا] .

وقال شريح عندها :

[والله قد بلغت سناً وقد هلكت لذاتي ، ما تأتي علي ساعة من ليل او نهار فاظنها تمضي حتى أموت ، ولقد كنت اطلب الشهادة منذ زمن ، ولئن فاتتني اليوم ، ما أخالني مدركها حتى أموت] .

ثم نظر إلى من حوله وقال لهم مخاطباً :

[يا أهل الاسلام تعاونوا على عدوكم] .

فخاطبه عبيد الله ، وأراد أن يثنيه عن عزمه :

[إنك شيخ قد خرفت ...] .

وأجابه شريح :

[إنما حسبك أن يقال بستان ابن ابي بكرة وحمام بن أبي بكرة] .

وتوجه شريح مرة اخرى الى من حوله بحديثه فقال لهم :

[يا أهل الاسلام من أراد منكم الشهادة فإلي] .

انضم الى عبيد الله مجموعـــة من المتطوعين والفرسان وانطلق معهم شريح يرتجز :

أصبحت ذا بثٍّ أقاسي الكبرا قد عشت بين المشركين أعصرا
ثمت أدركت النبي المنذرا وبعده صديقه وعمرا
ويوم مهران ويوم تسترا والجمع في صفينهم والنهرا
ويا جميرات مع الشقرا هيهات ما أطول العمرا

ولم تمض سوى فترة قصيرة حتى هلكت هذه المجموعة القتالية بكاملها تقريباً وصلت أنباء الهزيمة سمع الحجاج بن يوسف وتأثر لما أصاب المسلمين فكتب الى الخليفة عبد الملك بن مروان الرسالة التالية :

[أما بعد ، فإن جند أمير المؤمنين الذين بسجستان أصيبوا فلم ينج منهم إلا القليل ، وقد اجترأ العدو بالذي أصابه على أهل الإسلام ، فدخلوا بلادهم وغلبوا على حصونهم وقصورهم وقد أردت أن أوجه اليهم جنداً كثيفاً من أهل المصرين فأحببت أن استطلع رأي امير المؤمنين في ذلك . فإن رأى لي بعث ذلك الجند ، أمضيته ، وإن لم ير ذلك فـإن أمير المؤمنين أولى بجنوده ، مع أني أتخوف إن لم يؤت « رتبيل » ومن معه من المشركين جند كثيف عاجلا ، أن يستولوا على ذلك الفرج كله] .

وجاء جواب الخليفة عبدالملك بن مروان بسرعة :

[أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر فيه مصاب المسلمين بسجستان وأولئك كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وعلى الله ثوابهم ، وأما ما أردت أن يأتيك فيه رأيي من توجيه الجنود وإمضائها الى ذلك الفرج الذي أصيب فيه المسلمون ، أو كفها ، فإن رأيي في ذلك أن تمضي رأيك راشداً موفقاً] .

وهكذا أعطى الخليفـة عبد الملك الصلاحية المطلقة للحجاج بن يوسف في تنفيذ مخططه ، وحشد القوات للقتال فمضى الحجاج في الإستعداد للحرب .
استطـاع الحجاج تجهيز جيش من أربعين الف مقاتل ٢٠،٠٠٠ من أهل الكوفة ومثلهم من أهل البصرة . وبقيت عليه مشكلة اختيار القائد الماهر ،

فكان « عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث » **هو أفضل مرشح لقيادة هذه القوة .**

كان الحجاج يكره « ابن الاشعث » حتّى قال :

[ما رأيته قط إلا أردت قتله] .

إلا أنه كان يقدر فيه رجولته ومهارته في القتال وكفاءته القيادية فبعث إليه وأبلغه اختياره لقيادة الجيش من أجل التوجه لحرب رتبيل . ولما غادر « ابن الاشعث » الحجاج قصده أحدهم وقال له كيف توافق والحجاج قد قال فيك ما قاله ، فاجاب ابن الأشعث :

[وأنا كما قال الحجاج ، إن لم أحاول أن أزيله عن سلطانه ، فاجهد الجهد إذا طال بي وبه بقاء] .

وحذر بعض الناس الحجاج من هذا التعيين فأجابهم الحجاج :

[هو لي أهيب ، وفي أرغب من أن يخالف أمري أو يخرج عن طاعتي] .

ثم أعطى الحجاج المقاتلين كامل أعطياتهم ورواتبهم وجهزهم بالاسلحة الكاملة والأعتدة الضرورية ، وأصبح الجيش يضم خيرة المقاتلين بحيث لم يسمع الحجاج بمقاتل له سمعته وشهرته إلا حشده في جيش « ابن الأشعث » وعندما انتهت الاستعدادات للمعركة توجه الجيش في اتجاه خراسان

عندما علم رتبيل بزحف عبد الرحمن بن الأشعث ، أرسل إليه رسالة يعتذر عما بدر منه ويطلب الصلح ، لكن عبد الرحمن رفض طلبه ، واستمر في تقدمه .

مخطط عمليات عبد الرحمن بن الاشعث :

وضع عبد الرحمن بن الأشعث مخطط عملياته انطلاقاً من المعطيات التالية :

١ ـ عدم التوغل في أرض العدو ، خشية تكرار مأساة جيش « شريح بن هانيء الحارثي » .

٢ ـ اقتطاع قسم من أرض العدو في كل عام وتنظيمها ، وزراعتها ، والإنطلاق منها في العام التالي إلى أرض جديدة .

٣ ـ تنظيم عمليات الإستطلاع ، واتخاذ تدابير الأمن ، ووضع مفارز حماية عند النقاط الخطرة والممرات الإجبارية .

٤ ـ حرمان العدو من موارده الاقتصادية .

زحف عبد الرحمن بن الأشعث حتّى حدود « سجستان » وكان رتبيل قد انسحب بجيشه ، فاستولى ابن الأشعث على عدد من الحصون والمواقع الهامة . وغنم كميات كبيرة من قطعان الماشية والغنائم المختلفة ، وأمر جنده بالتوقف . وسأله القادة عن السبب فاجابهم :

[نكتفي بما أصبناه العام من بلادهم حتّى نجبيها ونعرفها ويجترىء المسلمون على طرقها ثم نتعاطى في العام المقبل ما وراءها ، ثم لم نزل ننتقصهم في كل عام طائفة من أرضهم حتّى نقاتلهم آخر ذلك على كنوزهم وذراريهم وفي أقصى بلادهم وممتنع حصونهم ، ثم لا نزايل بلادهم حتّى يهلكهم الله].

وكتب عبد الرحمن رسالة الى الحجاج ، يشرح فيها الموقف ، ويعرض مخططه فجاءه جواب الحجاج التالي :

[أما بعد ، فان كتابك أتاني ، وفهمت ما ذكرت فيه ، وكتابك كتاب امرىء يحب الهدنة ويستريح إلى الموادعة قد صانع عدواً قليلا ذليلاً قد أصابوا من المسلمين جنداً كان بلاؤهم حسناً ، وعناؤهم في الإسلام عظيماً ، لعمرك يا ابن أم عبد الرحمن ، إنك حيث تكف عن ذلك العدو بجندي وقدي ، لسخي النفس عمن أصيب من المسلمين .

إني لم أعدد رأيك الذي زعمت إنك رأيته رأي مكيدة ولكني رأيت أنه لم يحملك عليه إلا ضعفك ، والتياث رأيك ، فامض لما أمرتك به من الوغول في أرضهم والهدم في حصونهم وقتل مقاتلتهم ، وسبي ذراريهم]

ثم اردفه بكتاب آخر :

[أما بعد ، فمر من قبلك من المسلمين فليحرثوا وليقيموا ، فانها دارهم حتى يفتحها الله عليهم] .

واتبع ذلك بكتاب ثالث :

[أما بعد ، فامض لما أمرتك به من الوغول في أرضهم، وإلا فان اسحاق ابن محمد ، اخاك ، أمير الناس ، فخله وما وليته] .

غضب عبد الرحمن بن الأشعث عندما وصله كتاب الحجاج ، وعوضاً عن التوجه لقتال رتبيل توجه الى البصرة ، وأعلن خلع الحجاج ، ثم أعلن خلع الخليفة ، وانضم اليه كل الناقمين على الحجاج ، وحدثت معارك طاحنة كادت تعصف بملك الأمويين وكانت أشهر هذه المعارك « معركة دير الجماجم » ثم انتصر جيش الشام على المتمردين وألحق الهزائم المتتالية بجيش ابن الأشعث الذي أخذ يهرب من بلد إلى بلد حتى وصل زرنج في سجستان ، حيث ألقى عليه والي سجستان القبض ، وهنا تدخل « رتبيل » ملك الترك ، فقدم بجيشه وضرب حصاراً على سجستان وأنقذ عبد الرحمن . ولما بلغ الحجاج ذلك ارسل الى رتبيل مهدداً متوعداً ، وأغراه بتسليمه فسلمه الى الحجاج الذي قتله .

عمليات المهلب بن ابي صفرة في خراسان :

في الوقت الذي كان فيه عبد الرحمن بن الأشعث يتوجه الى سجستان توجه المهلب بن أبي صفرة إلى « خراسان » بعد أن دفع أمامه مقدمة مكونة من ثلاثة آلاف مقاتل بقيادة « أبو الأدهم » زياد بن عمرو الزمالي .

كان ملك خراسان يسمى « السبل » وعندما اقترب المهلب بجيشه تقدم منه « الختل » وهو ابن عم السبل ، وطلب دعمه لمحاربة ابن عمه وإزاحته عن الملك ، وأقام الختل في معسكر الى جانب معسكر المسلمين .

استطاع « السبل » اختطاف ابن عمه المتآمر ضده ، وأعدمه .

تقدم للمهلب من قلعة « السبل » ونظم حصاراً حولها ، فأرسل اليه الملك وفداً يطلب الصلح ، ووافق المهلب على الطلب

علم المهلب أن ملك بخارى وجـه جيشاً لقتاله ، فأرسل ابنه حبيباً في جيش من أربعين ألف مقاتل ، وبعد معركة قصيرة « في رابنجن » انسحب جيش بخاري ، وبدأت المطاردة ، وحاول أربعة آلاف مقاتل من جند العدو التمركز دفاعياً في قرية قريبة من « رابنجن » فقاتلهم « حبيباً » وأبادهم وأحرق القرية فسميت منذ ذلك الحين باسم « المحترقة » . وعندما استقر الامر في خراسان ، وجه الحجاج كتاباً الى المهلب يطلب فيه توجيه الجيش لحرب « رتبيل » في سجستان ثم لم تلبث المعارك أن تطورت في سجستان بانسحاب جيش ابن الأشعث ، وعاد الضعف والتمزق الى الأقاليم الشرقية .

تلك هي المراحل الرئيسية ، والأحـداث الهامة ، ثورة وثورة مضادة هجوم وهجوم مضاد ، وضاق الحجاج بن يوسف الثقفي ذرعاً بهذا الموقف المتدهور ، فاختار قادة استطاعوا تحويل الموقف اليائس وانتزعوا النصر تلو النصر حتى استقر الأمر للمسلمين على الجبهة الشرقية . وقد برز في هـذه المراحل عدد من القادة .

فكان على المحور الشمالي قتيبة بن مسلم الباهلي ثم يزيد بن المهلب ايام سليمان بن عبد الملك (٩٦ – ٩٩) هـ.

وكان على المحور الجنوبي محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن ابي العقيل الذي غزا السند « باكستان والهند » .

عمليات قتيبه بن مسلم الباهلي ، المحور الشمالي :

١ – فتح بيكند سنة ٨٧ هـ :

بقيت الأقاليم الشرقية في حالة من التمرد والإضطراب فترة خمسة أعـوام تقريباً (٨١ – ٨٦ هـ) بسبب النزاع الداخلي ، والفتنة الهوجاء التي أثارها

عبد الرحمن بن الأشعث . وشعر ملوك سجستان وخراسان والصغد وبخارى وجرجان وفرغانه بالهدوء والطمأنينة ، فانطلقوا يثيرون القلاقل . وفي عام ٨٥ هـ أصدر الحجاج أوامره بتعيين قتيبة بن مسلم الباهلي لولاية خراسان ومحمد ابن محمد لولاية كرمان ومكران .

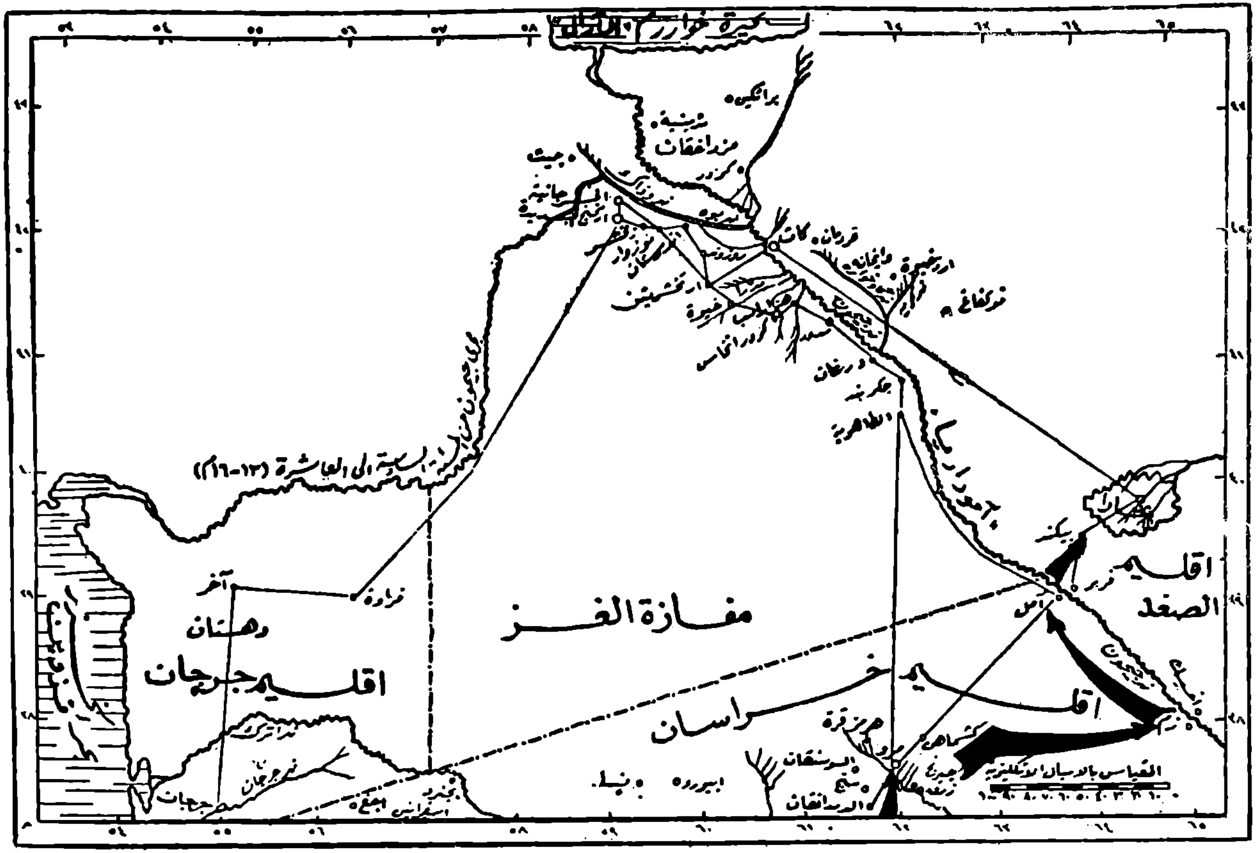
توجه قتيبـــة إلى مرو ومنها إلى مرو الروذ جنوباً ثم وصل « زم » ومنها إلى « آمل » وتجاوز«نهر جيحون» «امو داريا » وأشرف على« بيكند»أول مـــدن « بخارا » .

تحصن أهـــل « بيكند » في مدينتهم ، وطلبوا من الصغد دعمهم ، فأرسل ملك الصغد إليهم قوات كبيرة ، ووقعت بين الطرفين معارك تصادمية استمرت طوال شهرين ، ولما كانت هذه المعركة من أول المعارك التي يخوضها قتيبة في اقليم « خوارزم » فقد أخذ يشعر بالقلق ، وأخيراً صمم على انتزاع النصر مهما بلغت الخسائر ونظم هجوماً كبيراً حشد فيه كل طاقاته ، واستطاع تحطيم جيش « الصغد » .

وأسرع في تنظيم المطاردة واستثمار الظفر حتى وصل « بيكند » قبـــل أن يتمكن العدو من تنظيم دفاعه فيها ، فطلب أهل « بيكند » الصلح ، وصالحهم قتيبة .

وعندما تراجع قتيبة عن المدينة ، أعلنت « بيكند » تمردها من جديد ،وقتل أهل بيكند عمال المسلمين الذين تركهم في المدينة . ومثلوا بجثثهم ، فعاد قتيبة وحاصرها شهراً كاملا ، واستخدم « الفعلة » لهدم الأسوار واقتلاع الجدران. وطلب أهل « بيكند » الصلح إلا أن قتيبة رفض ذلك ، ونجحت قوات المسلمين من تدمير جدار بواسطة « الفعلة » وتدفقوا من الثغرة وقتلوا كل من حمل السلاح واشترك في المقاومة . ونظراً لقدوم فصل الشتاء ، تراجع قتيبة الى « مرو » . من أجل الإستعداد لمتابعة القتال .

نظم قتيبـــة عملياته على أساس الإفادة من فصل الربيع للقيام بهجماته مع



اقاليم خوارزم

عمليات قتيبة سنة ٨٧هـ

التوقف عن العمليات في فصل الشتاء نظراً لبرودة الأقاليم الشمالية وقسوة الطبيعة فيها أيام فصل الشتاء .

اشترى قتيبــة عندما رجع من غزوته اثني عشر فرساً من جياد الخيل ، واثني عشر هجيناً . ودفع ثمن كل راحلة أربعة آلاف درهم ، وتعهدها بالرعاية طوال فصل الشتاء وعندما أخذ في الاستعداد للغزو قيد الخيول واضمرها حتى تذوب شحومها وتصبح أكثر خفة لتجاوز الأنهار وقفز الحواجز والسير في المسالك الوعرة ، ثم عهد بهذه الخيول إلى أفضل الفرسان الذين يدفعهم في الطلائع « المقدمة » . وبعث في المقدمة « أشرف هؤلاء الفرسان » مع الادلاء والمكلفين بالعناية بهذه الخيول من الأعاجم . وكان كلما أراد توجيه دورية استطلاع أو مقدمة يطلب لوحاً من الخشب فيأمر بنقشه ، ثم يشطره نصفين فيسلم النصف إلى قائد مفرزة الاستطلاع أو المقدمة ويطلب اليه دفنه في مخاضة معلومة ، أو تحت شجرة معروفة كنقطة إشارية ، أو مكان مميز ثم يبعث بعده من يستخرج نصف اللوح الخشبي ويحضره له ليتأكد من صدق الدليل وحسن تنفيذ قائد المفرزة لواجبه . وقد اتخذ قتيبة هذا الأسلوب باستمرار في جميع معاركه حتى أصبح من الاجراءات المعروفة عنه .

غزو قتيبة « نومشكت » ٨٨ هـ :

في ربيــع عام ٨٨ هـ غادر قتيبة مرو بجيشه ، وعبر نهر « جيحون » عند مدينة زم متوجهاً الى « نومشكت » وعندما وصلها خرج وفد من أهلها وطلب الصلح ، فوافق قتيبة ، وعقد الصلح بين الطرفين ، وأخذ في الإنسحاب بعد أن نظم قواته للمسير ووضع أخاه عبد الرحمن قائداً للمؤخرة « الساقة » .

أثنــاء الإنسحاب ، اعلمت مفازر المراقبة والاستطلاع أن قوات كبرى من الترك وأهل الصغد وأهل فرغانة تسير بسرعة للانقضاض على المسلمين من الخلف ، فأرسل عبد الرحمن يعلم أخاه قتيبة بالموقف . وجاءه جواب قتيبة أن قاوموا قدر المستطاع وسأكون قريباً منكم .

وصلـــت قوات العدو ، واستعد عبد الرحمن لقتالهم ، وانقضت جيوش العدو على المؤخرة التي كانت قليلة في عددها بالمقارنة مع قوات خصومهم . ودارت رحى معركة ضارية كادت تنتهي بالقضاء على قوة المؤخرة . وفي هذه الفترة الحرجة وصل قتيبة بجيشه ونظم قواته للهجوم المضاد ، وانطلق كالعاصفة المدمرة ، فلم تلبث قوات الخصم أن أخذت في الفرار من ميدان القتال ، وانسحب جيش الترك دون تنظيم وقام جيش قتيبة بالمطاردة حتى مزق جيوش خصمه وأصبح على ثقة من أنهم لن يتمكنوا من تنظيم مقاومة جديدة ، وعاد إلى تنظيم التراجع والإنسحاب في اتجاه قاعدة عملياته « مرو » ، وتجاوز النهر عند « الترمذ » ومنها الى بلخ ، ثم الى مرو .

فتح رامثينة عام ٨٩ هـ :

بدأ قتيبة عملياته مع إطلالة الربيع ، فتوجه الى الغاريات ، وتجاوز نهر جيحون عند زم . واصطدم بتجمع قوات الصغد ، وكش ونسف في بداية « المفازة الصحراوية » . وبعد معركة شرسة ، انتصر جيش قتيبة وتابع تقدمه في اتجاه بخارا ، ولما وصل « خرقانة السفلى » الى الشرق من وردان ، اصطدم بتجمع جديد ووقعت معركة استمرت يومين وليلتين وانتهت بانتصار جيش قتيبة وهزيمة قوات التجمع . فقال نهار بن توسعة :

وباتت لهم منا بخرقان ليلة وليلتنا كانت بخرقان أطولا

وتابع قتيبة زحفه في اتجاه « وردان » من مدن بخارا ، وحدثت معارك تصادمية لم تصل بالمسلمين الى نتائج حاسمة . ولما أقبل الشتاء انسحب قتيبة الى قاعدته في مرو وأرسل الى الحجاج يعلمه بالموقف فأرسل اليه الحجاج رسالة طلب فيها مخطط المدينة . ولما درس الحجاج المخطط أرسل الى قتيبة الرسالة التالية

[إرجع الى مراغتك ، فتب الى الله مما كان منك ، وأتها من مكان كذا... وكذا ...]

فتح بخارا ، وغدر نيزك ٩٠ هـ :

تأثر قتيبـــة من رسالة الحجاج إليه ، وخرج مع أول بواكير الربيع ، في هجومه السنوي وانضم اليه « نيزك » مع جيش من تخارستان وجهه جبغويه ملك تخارستان لدعم المسلمين .

انطلق قتيبة بجيشه حتى وصل « بخـــارا » التي بقيت طوال العمليات السابقة موقعاً جنبياً حصيناً يتهدد تقدم المسلمين في اقليم خوارزم . ونظم قتيبة الحصار فأرسل أهل بخارا يستنجدون باهل « دردان خداه » والصغد والترك . ولمـــا وصلت قوات الدعم الكبرى قال الأزد لقتيبة :

[اجعلونا على حده ، وخلوا بيننا وبين قتالهم] .

وأرادت قبائل الأزد أن يكون لها شرف هزيمة العدو ، فانطلقت فـــي هجومها ، وقاتلت بضراوة وعناد ، إلا أن قوات الصغد والترك حطمت الهجوم وقامت بهجوم مضاد وصلت فيه معسكر المسلمين وتوغلوا حتى وصلوا معسكر النساء ، وارتفعت أصوات النساء بالأهازيج والصراخ تستثير حماسة المسلمين ، فاندفع الفرسان من جديد وأصدر قتيبة أوامره الى الجناحين الأيمن والأيسر بالإنقضاض على القوات المتوغلة في معسكر المسلمين وإبادتها . ولما شعرت قوات العدو أن المعركة تحولت لصالح المسلمين . أخذوا في الإنسحاب إلى مواقع هجومهم الجبلية المنيعة . فقال قتيبة

[من يزيلهم لنا عن هذا الموقع] .

ووقف القادة ، ولم يستجب لقتيبة احد . فتوجه قتيبة الى قبائل بني تميم بحديثه وقال لقادتهم :

[انكم انتم بمنزلة الصدارة ، فيوم كأيامكم ، أبي لكم الفداء] .

عند ذلك اخـــذ وكيع اللواء بيده وقال : يا بني تميم أتسلموني اليوم ؟ فأجابه قومه : لا يا أبا مطرف ، وأسرع بن أبي طحمة المجاشعي على خيـــل بني تميم واندفع وكيع يقود المشاة وهريم يقود الفرسان .

انطلقت قبائـــل بني تميم حتى النهر ، وتجاوزته في حين كان وكيع يربط الأخشاب ليصنع جسراً من أجل عبور جند المشاة . وعبر من المشاة ثمانمائة مقاتل . وترك البقية لحراسة المؤخرات ولحماية الإنسحاب إذا هُزِمَ المسلمون .

قـــام وكيع وهريم باستدارة واسعة بهدف الوصول الى مؤخرة معسكر العدو ، وعندما أشرفوا على معسكر الخصم ، استراحوا من عناء المسيرة الطويلة

قسم هريم قوة الفرسان الى مجموعتين قتاليتين ، وقال وكيـــع لهريم : اشغلهم عنـــا بالخيل ، وانطلق الفرسان ، وتسلل المشاة فلم يشعر العدو إلا بقوات المسلمين وقد باغتتهم بإغارة قوية أرغمتهم على الإنسحاب . ووقف قتيبة ينظر سيطرة قبائل تميم على المرتفع فنظر الى قواته وقال لهم :

[أما ترون هزيمة العدو ؟ من جاء برأس فله مائة درهم] .

وانطلق الجند يعبرون النهر ، وأسرعت قوات الخصم باخلاء ميدان القتال والإنسحاب بسرعة قبل أن تصلهم قوات المسلمين .

نتيجة للهزيمـــة المنكرة التي لقيها جيش الصغد وجيش بخارا ، تقـــدم « طرخون » ملك السند حتى وصل الضفة المقابلة من نهر جيحون ، وعرض على قتيبة الصلح فوافقه قتيبة ووقعا اتفاقية الصلح ، وعندما رجع طرخون الى بلاده ، رفض أهل مملكته قبول الصلح ، وخلعوه عن الملك ونصبوا ابن اخيه مكانه . وشعر « طرخون » بالألم لهذا الموقف المتمرد ، فاتكأ على سيفه وانتحر ، وأرسل الملك الجديد يعلن رفضه لإتفاقية الصلح المعقودة مع عمه .

وفي الوقت ذاته كان قتيبـــة يدخل بخارا ويمضي صلحاً مع اهلها .

غدر نيزك :

نظم قتيبة أمور بخـــارا ، ورجع الى قاعدته ومعه نيزك ، وفي الطريق تحدث نيزك مع قادته ، واقترح عليهم التمرد عـــلى المسلمين والخروج عنهم قبل ان

تقوى قدرتهم القتالية ، ووافقه قادته ، فاستأذن نيزك من قتيبة الرجوع الى تخارستان . ووافق قتيبة على ذلك ، وأسرع « نيزك بجيشه حتى وصل مضيق « خلم » حيث أعلن تمرده وأرسل رسائل الى :

باذام ملك مروروذ .

سهرب ملك الطالقان .

ترسل ملك الغارياب .

الجوزجاني ملك الجوزجان .

وعرض عليهم تنظيم جيش موحد ، والبدء بالهجوم على جيش قتيبة مع بداية الربيع قبل ان يبدأ قتيبة عملياته في الربيع .

وفي الوقت ذاتـــه كتب نيزك الى « كابل شاه » يطلب قبوله لاجئاً في بلاده اذا هزم على أيدي المسلمين على أن يرسل إليه بأمواله وعتاده وأهله فوافق ملك كابل على طلب « نيزك » .

كـــان جبغويه ملك تخارستان « الشذ » ضعيفاً . فأخذه نيزك وقيده بقيود من ذهب ، وفرض عليه الإقامة الجبرية ، وأقام عليه الحراسة المشددة وعزله عن كل اتصال خوفاً من إثارة أهـــل تخارستان ضده . ثم طرد « نيزك » عامل قتيبة . ولما تجمعت المعلومات الكاملة عن الموقف عند قتيبة كان جنده قد تفرقوا ولم يبق معه إلا أهل مرو ، ونظراً لقدوم فصل الشتاء،قرر قتيبة الإنتظار حتى قدوم فصل الربيع .

في نهايـــة فصل الشتاء أرسل قتيبة أخاه عبد الرحمن الى « البروقان »وكتب له :

[اقم في بروقان ، ولا تحدث شيئاً ، فاذا حَسَرَ الشتاء فعسكِر وسر نحو تخارستان ، واعلم اني قريب منك] .

ثم كتب قتيبة الى ملوك « ابرشهر ، وبيورد ، وسرخس ، واهل هراة ، قدومهم على رأس جيوشهم في موعد مبكر. ووصلت هـــذه الجيوش بسرعة .

انطلق قتيبة بجيوشه حتّى الطالقان ففتحها بصورة مباغتة ، ولما علم مرزبان « مرو الروذ » بزحف قتيبة هرب الى بلاد فارس ، ودخل قتيبة مرو روذ فوجد ابني « المرزبان» فقتلهما وصلبهما . وتابع تقدمه حتّى الطالقان ، فصالحه ملكها ، وقبض قتيبة على مجموعة من اللصوص فأعدمهم في الطالقان بهدف ردع كل حركات التمرد . ثم تقدم إلى الغارياب فخرج ملكها وصالح قتيبة ، ولما بلغ ملك الجوزجان سرعة تقدم قتيبة واستسلام الأقاليم له . هرب إلى الجبال ، ووصل قتيبة إلى الجوزجان فخرج أهلها إلى قتيبة وعرضوا عليه الصلح . فقبل قتيبة عرضهم ، ثم تابع زحفه إلى « بلخ » فاستقبله الأصبهبذ معلناً استمراره في الالتزام بنصوص اتفاقية الصلح. فمكث قتيبة يوماً واحداً فيها . وانطلق منها الى شعب « خلم » حيث كان أخوه عبد الرحمن قد سبقه إلى المضيق .

كان « نيزك » قد نظم معسكره « ببغلان » وترك مجموعة من المقاتلين عند مدخل الممر الإجباري في المضيق الجبلي . كما كان قد نظم الدفاع في قلعة حصينة تشرف على مدخل المضيق ولم يكن هناك محور للوصول حتّى قلعة نيزك إلا من محور الطريق الذي يقع في سرير الوادي .

توقفت جيوش قتيبة أمام مدخل المضيق ، وأخذت تقاتل الحامية المدافعة عن محور الطريق أياماً عديدة دونما نتيجة حاسمة ، وانصرف قتيبة الى دراسة الأرض لمعرفة نقطة ضعف يمكن التسلل منها إلى القلعة . وهنا تقدم منه ملك الرؤب وسمنجان ووعده بتقديم العون لفتح القلعة فيما إذا عفا عنه قتيبة لتمرده في السابق فعفا عنه .

نظم قتيبة قوة إغارة ليلية للهجوم على قلعة « خم » وقاد ملك سمنجان المجموعة القتالية في الليل عبر المسالك الجبلية الضيقة ، ولما وصلوا القلعة قام الفرسان بإغارة مباغتة وأبادوا الحامية المدافعة عن القلعة بكاملها تقريباً . ودخل قتيبة بقواته الى القلعة ، ثم انطلق منها عبر الممر الجبلي حتّى وصل سمنجان ودخل مع ملكها الى المدينة .

أقام قتيبة في سمنجان أياماً ، ودفـع أخاه عبد الرحمن لتجاوز صحراء صغيرة تصل إلى « فتح جاه » حيث كان يعسكر فيها « نيزك » .

شعر نيزك بتقدم عبـد الرحمن ، فأرسل أمواله وأعتدته إلى « ملك كابل » ثم تحرك بقواته في اتجاه وادي « فرغانه » حتّى وصل الكرز ، وتمركز فيها ونظم دفاعه عنها .

انتقـل عبد الرحمن حتّى وصل الى مسافة قريبة من الكرز وأرسل القوات لعزل المنطقة والسيطرة على الممرات الإجبارية والمضائق . ثم تحرك قتيبة بجيوشه فنزل في « اسكيمشت » .

كان معسكر نيزك في موقـع حصين لا يمكن الإقتراب منه إلاعن طريق محور واحد ، وهذا المحور لا يصلح لتقدم الفرسان . وأقبل فصل الشتاء ، ورغب قتيبة في انهاء العمليات قبل تزايد شدة البرد ، فأرسل سليماً الناصح لمفاوضة نيزك والإحتيال عليه وقال قتيبة الى سليماً :

[انطلق الى نيزك ، واحتل لأن تأتيني به بغير امان فان اعياك وأبى فآمنه ، واعلم ان عاينتك وليس هو معك صلبتك ، فاعمل لنفسك] .

نجـح سليماً في خداع نيزك ، وأقنعه بتسليم نفسه ، فتقدم نيزك ومعه جبغويه وصول وعثمان إبنـا أخ « نيزك » وصول طرخان خليفـة جبغويه وخنس طرخان « قائد الشرطة » وأسلمهم قتيبة « الى ابن بسام » الذي فرض عليهم حراسة مشددة ريثما يتقرر وضعهم ، واستقدم قتيبة السبل ، والشذ لمشاهدة نيزك مكبلا بالحديد فاعتذر نيزك من مليكه عما بدر منه وكذلك فعل صول طرخان « ولي العهد » . وأعاد قتيبة السبل والشذ الى أقاليمهما لممارسة صلاحيتهما ملوكاً على أقاليمهما . وجاء أمر الحجاج بقتل نيزك وأصحابه فقتلهم قتيبة .

غزو قتيبة شومان وكش ونسف ٩١ هـ :

طرد ملك شومان « قيشبشتان » « قيسلشتان » عمال قتيبـة ومنع الفدية التي

صالح عليها ، فبعث إليه قتيبة وفداً من خراسان وعليه عياش الغنوي وذلك من أجل توجيه النصح . فقتلهم ملك شومان ، فسار إليهم قتيبة بنفسه وانطلق من بلخ. ولما كان شومان صديقاً لصالح بن مسلم فقد أرسل اليه صالح رجلا يدعوه الى الطاعة ويضمن له عفو قتيبة عنه ، ولما وفد الرسول الى شومان ونصحه اجابه هذا بقوله :

[ما تخوفني به من قتيبة ، وأنا أمنع الملوك حصناً ، وأعلاهم بنياناً وأشد الناس قوساً ، وأقواهم رمياً ، فلا تبلغ نشابة نصف حصني فما أخاف قتيبة] .

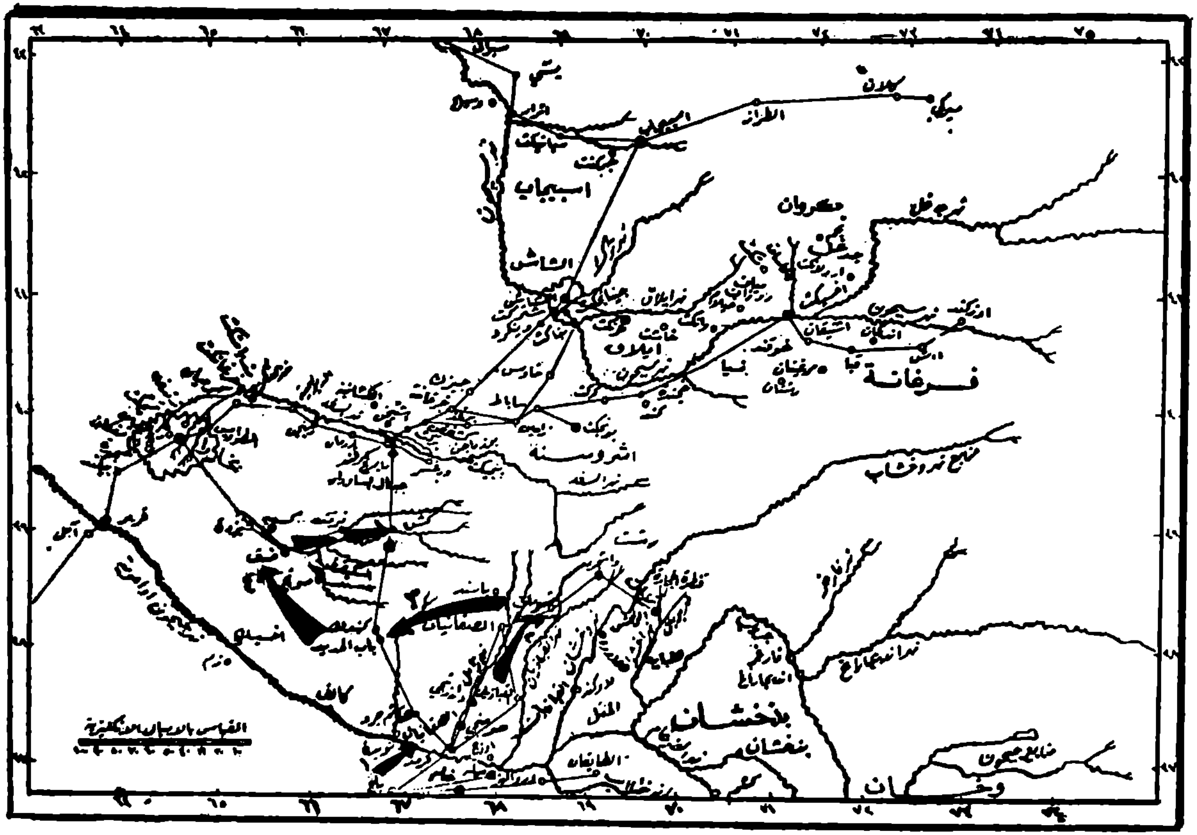
عبر قتيبة بجيشه نهر « الصغد » ، وتقدم حتى وصل شومان ،وحاصرها ثم نصب « المجانيق » ورمى الحصن فدمره ، وشدد قتيبة الحصار فعزل المدينة عن كل موارد الدعم . وعرف « قيشبشتان » أن نتيجة المعركة لن تكون لصالحه ، فجمع أمواله وكنوزه ومجوهراته وألقى بها في بئر عميق وسط القلعة ثم جمع قوته وخرج لقتال قتيبة ، وبعد معركة قصيرة قتل ملك شومان وانهارت المقاومة ودخل قتيبة القلعة ، فقتل المقاومة وسبى المدينة .

انتقل قتيبة من شومان الى « باب الحديد » فاستسلمت المدينة دونما مقاومة ثم سار الى نسف فاستسلمت بدورها ، دونما مقاومة . وتابع زحفه حتى وصل كش ، فاستسلمت بدورها . وبذلك أصبحت المراكز الرئيسية الواقعة شمال نهر جيحون وجنوب نهر الصغد في قبضة المسلمين .

رجع قتيبة بعد ذلك إلى بلخ ووجه أخاه عبد الرحمن الى الصغد فاستقبله ملكها ودفع له الجزية وعاد عبد الرحمن الى بلخ ثم نظم قتيبة التحرك الى مرو معلناً انتهاء عملياته السنوية ، (انظر المخطط المرفق) .

الصلح مع سجستان والزابل سنة ٩٢ هـ :

توجه قتيبة إلى سجستان مع بداية الربيع وقد وضع مخططه على أساس



أقاليم نهري سيحون وجيحون

عمليات قتيبة بن مسلم سنة ٩١ هـ

احتلال الإقليم بكامله ، ولما وصل سجستان ، وفدت اليه مجموعة أرسلها ملك الترك « رتبيل » بهدف عقد الصلح مع المسلمين . فوافق قتيبة على الصلح ، وأرسل « عبد ربه بن عبدالله بن عمير الليثي » عاملا عنه الى الإقليم ورجع الى مرو .

صلح قتيبة مع ملك خوارزم وفتح خام جرد سنة ٩٣ هـ :

كـــان ملك اقليم خوارزم « الآرال » متقدماً في العمر وضعيفاً ، فغلبه أخوه الأصغر « زاد » على أمره .

وكـــان « زاد » مستهـــتراً مجرداً من القيم ، فانطلق يعبث فساداً ، ينهب ويستولي على كل ما كانت تصل اليه يده من أموال الشعب ومواشيه وفاخر متاعه ومجوهراته . وكان لا يسمع بفتاة جميلة إلا سباها سواء كانت بنتاً أو أختاً أو زوجة ، وشكا الناس أمرهم إلى المليك ، فاظهر عجزه وقصوره عن تأديب أخيه .

وتزايد التذمر ، وتألم الملك حتى لم يعد له طاقة على الصبر ، فكتب إلى قتيبة يدعوه لاحتلال بلاده وإعانته على تصريف أمور أهل مملكته وأرسل إليه ثلاثة مفاتيح ذهبية هي مفاتيح مدنه الرئيسية الثلاثة ، واشترط على قتيبة تسليمه أخاه وكل من كان يعارضه في الحكم ، وطلب من قتيبة ابقاء الأمر سراً .

وصـــل وفد الملك الى قتيبة ، وأدرك قتيبة خطورة الموقف الذي يجابهه الملك فكتم الأمر في نفسه ، وأعلم الوفد أنه يهدف في هذا العام الهجوم على الصغد وانه لا يعتزم التقدم في اتجاه خوارزم . وعاد الوفد يحمل الرسالة السرية الى الملك يعلمه بما سيتخذه من خطوات .

انتهـــى فصل الشتاء ، واستخلف قتيبة على مرو « ثابتاً الأعور » وانطلق بجيوشه في اتجاه خوارزم ، ووصلها بصورة مباغتة ، ونزل جيش المسلمين في هزارست.

كان جيش خوارزم منصرف عن القتـال إلى اللهو بعد أن طمأنهم الملك أن قتيبة لن يغزوهم في هذا العام . ولما انتشر جيش المسلمين جمع الملك قادته واستشارهم في الموقف ، فاقترح القادة البدء بأعمال القتال وأجابهم الملك

[إني أرى غـير ذلك ، فقد عجز عن مجابهة هذا الجيش من هو أكثر قوة منا ، واقترح أن نصرفه بجزية ندفعها له في هذا العام ، ثم نرى رأينا] .

ووافق القادة على اقتراح الملك .

تقـدم ملك خوارزم بجيشه حتى وصـل مدينة « فيل » المقابلة لمدينـة هزارسب والتي يفصل نهر بلخ بينهما وعقد ملك خوارزم صلحاً مع قتيبة وطلب دعمه لحرب ملك « خام جرد » .

وجه قتيبة أخـاه عبد الرحمن الى ملك « خام جرد » واستطاع عبـد الرحمن أن يهزم ملك خام جرد وأن يقتله . واستولى على الإقليم واقتاد أربعة آلاف أسير رجع بهم الى قتيبة فأصدر أمره بقتلهم ، كما دفع قتيبة إلى ملك خوارزم أخاه ومن كان يعارض حكمه فقتلهم ملك خوارزم وصادر أموالهم وأملاكهم . ودخل قتيبة وجيشه مدينة « فيل » وتم تنفيذ شروط اتفاقية الصلح ثم رجع قتيبة إلى هزارسب ، وقد غنم أموالا وكنوزاً طائلة .

يوم سمرقند ٩٣ هـ (١) :

كانت سمرقند عاصمة اقليم « الصغد » أزبكستان حاليـاً ، وهي تقع في موقع متوسط من الإقليم ، تستند الى جبال آلاي المتفرعة عن هضبة التيبت ، وقد عني بها ملوك الصغد ، فحصنوها تحصيناً جيداً . ونظراً لوعورة المسالك وصعوبة الوصول اليها ، فانه لم يفكر أحد باحتلالها خلال المراحل السابقة ورضي الولاة وقادة الجيوش بالصلح معها . وكانت سمرقند تصالح وتنتقض باستمرار

(١) تاريخ الطبري ، ج ٦ ص ٤٧٢ .

وبقيت مركزاً رئيسياً من مراكز الثورة المضادة للمسلمين ، ومحوراً هاماً في كل تحالف عسكري ضد الجيوش العربية .

عندما أنهى قتيبة بن مسلم عملياته القتاليـــة في اقليم خوارزم وعقد صلحا مع مليكها ، تقدم منه المجشر بن مزاحم السلمي وقال له :

[إن أردت الصغد يوماً من الدهر ، فالآن ، ذلك لانهم آمنون من أن تأتيهم في عامك هذا ، وبينك وبينهم عشرة ايام] .

واجابه قتيبة على الفور :

[وهل اشار بهذا عليك احد] .

فقال له المجشر :

[لا] .

وسأله قتيبة من جديد :

[وهل اعلمته احداً ؟]

فقال المجشر :

[لا] .

وعندها قال له قتيبة :

[اكتم الامر ، ووالله لئن تكلم به احد لأضربن عنقك] .

١ ــ خطة الخداع :

وضع قتيبة مخططه لخـــداع العدو بهدف تحقيق المباغتة الزمانية والمكانية في موعد الهجوم ومحوره . وفي صبيحة اليوم التالي تسلم عبد الرحمن بن مسلم الرسالة التالية :

[سر في الفرسان والمشاة « المرامية » وقدم الأثقال إلى مرد] .

توجهت القافلة في اتجـــاه مرو ، وقتيبة يتبع بجيشه الأثقال « الغنائم »

طوال النهار . وفي المساء تسلم عبد الرحمن رساله ثانية من أخيه قتيبة وقرأ فيها :

[اذا اصبحت فوجه الأثقال الى مرو ، وسر في الفرسان والمشاة نحو الصغد ، و اكتم الأخبار فإني في الأثر ، بمعنى أتبعكم] .

نفذ عبد الرحمن التعليمات بدقة فدفع الغنائم الى مرو ، وترك معها حراسة كافية ، وقاد بقية الجيش في اتجاه الصغد ، وكان عدد المقاتلين الذين بقيادته (٢٠,٠٠٠) عشرين الفاً . وتابع عبد الرحمن زحفه حتى وصل حدود خوارزم وتوقف حسب الأوامر المعطاة إليه ومكث أربعة ايام قبل أن يلحق به قتيبة .

بعد أن أصدر قتيبة تعليماته إلى أخيه ، انطلق مع جيشه ، وحشد أهل خوارزم وأهل بخارى ثم وقف في جيشه يشرح لهم الموقف ، وهدف العمليات .

[ان الله قد فتح لكم هذه البلدة في وقت الغزو فيه ممكن ، وهذه الصغد شاغرة من رجالها ، قد نقضوا العهد الذي كان بيننا ، منعونا ما كنا صالحنا عليه ملكهم « طرخون » وصنعوا به ما بلغكم ، وقال الله [فمن نكث فانما ينكث على نفسه] (١) . فسيروا على بركة الله ، فإني أرجو أن تكون خوارزم والصغد « كالنضير وقريظة (٢) » وقال الله تعالى « وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها »] (٣) .

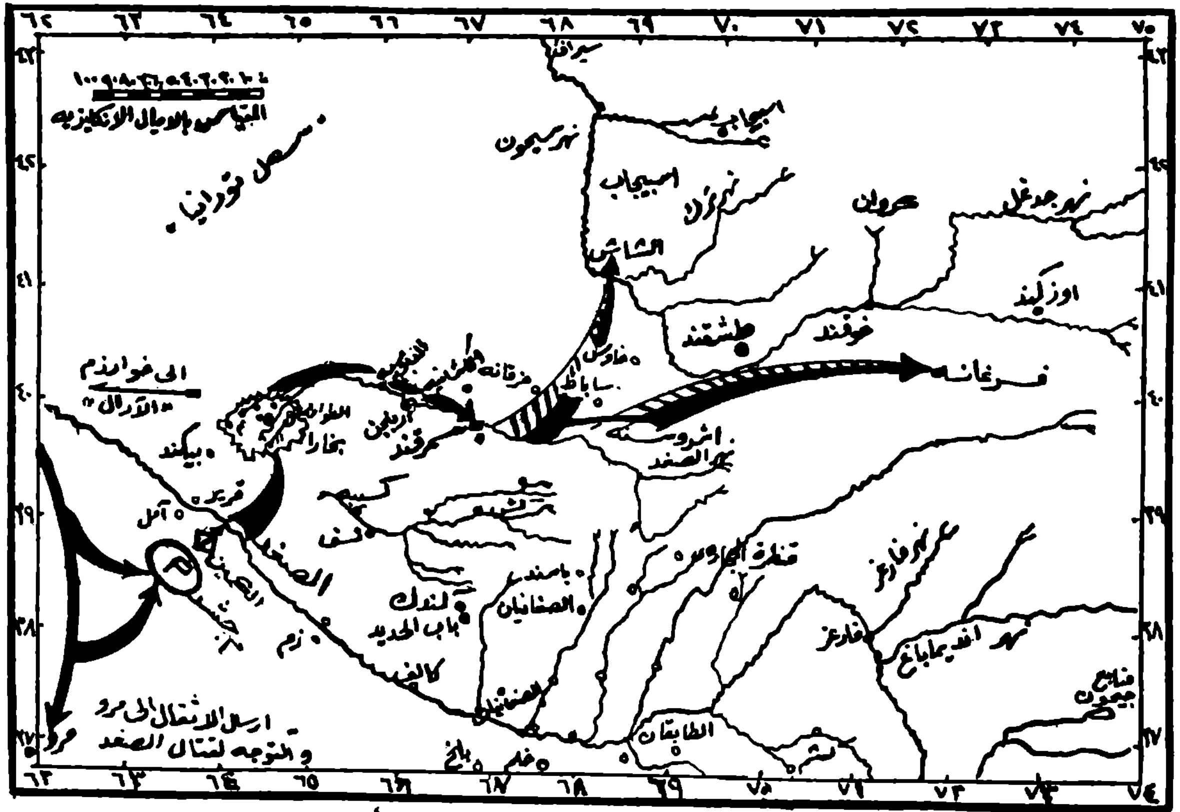
وصل قتيبة بجيشه الى منطقة الحشد التي كان قد سبقه إليها أخوه عبد

---

(١) سورة الفتح ، الآية ١٠ .

(٢) النضير وقريظة ، من القبائل اليهودية التي غدرت بالمسلمين وحاربها المسلمون فانتصروا عليها في غزوة الخندق .

(٣) سورة الفتح ، الآية ٢١ .



أقاليم نهري سيحون وجيحون « سيرداريا - وأموداريا »

- مُخطّط عمليات قتيبة بن مسلم الباهلي في إقليم بين النهرين « أزبكستان من تركستان » -

الرحمن ، وانطلق الجيش الى « الصغد » فوصلها مساء . فقال قتيبة :

[اذا نزلنا بساحة قوم « فساء صباح المنذرين »] (١) .

ضرب قتيبة حصاراً حول « معسكر أهـــل الصغد » وخرج جيش الصغد من اتجاه السهل واشتبك مع المسلمين مرات عديدة ، دونما تحقيق نتائج حاسمة وخاف أهل « الصغد » طول الحصار فكتبوا إلى ملك الشاش ، واخشاذ فرغانة الرسالة التالية :

[إن العرب إن ظفروا بنا عادوا اليكم بمثل ما أتونا به ، فانظروا لأنفسكم]

وأجابهم ملك الشاش واخشاذ فرغانة بالرسالة التالية :

[ارسلوا اليهم من يشغلهم حتى نبيت عسكرهم] .

٢ ـ الكمين :

لم يكن أحـــد يتوقع من المسلمين هذا الهجوم المباغت ، ولهذا لم تكن هناك استعدادات مسبقة لمقاومة زحف المسلمين ، ولما وصلت رسالة ملك الصغد إلى ملكي الشاش وفرغانة ، عمل الملكان بسرعة على توجيه أفضل فرسانهم وخيرة مقاتليهم من أبناء الملوك والارازبة والأساورة « الإقطاعيين والأمراء » . ووجهوا هذه القوة لقتـــال المسلمين ، وأمروهم أن يصلوا ليلا إلى معسكر المسلمين في إغارة مباغتة لتدميرهم .

نجحت عناصر الإستطلاع ، ومفارز المراقبـــة من جمع المعلومات عن تحرك هذه القوة فانتخب قتيبة ستمائة مقاتل ممن عرفوا بعنادهم في القتال وعين صالح بن مسلم أخاه قائداً لهذه القوة ، وأصدر أمره إليه بالتوجه نحو المحور الذي أصبح من المتوقع تقدم العدو منه ونصب كمين في المكان الملائم .

تقـــدم صالح ومعه قوة الكمين حتى اصبح على مسافة ٣٠ كم تقريباً من

---

(١) سورة الصافات ، الآية ١٧٧ .

معسكر المسلمين ... وقسم قوة الفرسان إلى ثلاثة مجموعات قتالية . وضع مجموعة الى اليمين من محور الطريق ووزعها بشكل ملائم وأصدر إليها تعليماته القتالية ، ثم وضع مجموعة ثانية الى اليسار من محور الطريق مقابل المجموعة الأولى وبقي مع المجموعة الثالثة عند محور الطريق .

ودفع صالح عناصر الاستطلاع في اتجاه العدو ، واتفق معهم على الشارات للإنذار باقتراب العدو .

وصل جيش العدو مع منتصف الليل ، وكان تقدمهم صامتاً ، إلا أنهم لم يكونوا يتوقعون وجود قوات متقدمة للمسلمين فلم يشعروا إلا بفرسان قوة صالح بن مسلم وهي تسد عليهم الطريق ، وبدأت معركة طاحنة ، وعندما اشتبكت قوة العدو بكاملها مع القوة التي تمسك بالطريق ، انقضت قوة الكمين من خلف العدو ، وأعملت فيه قتلا ، فلم ينج الا القليل وسقطت القوة بكاملها بين قتيل وأسير. قال رجل من البراجم يصف المعركة الليلية :

[ما رأيت قط قوماً كانوا أشد بأساً من أبناء أولئك الملوك ولا أصبر منهم على القتال ، فقتلناهم بحيث لم ينج منهم إلا نفر يسير وحوينا أسلابهم وسلاحهم واحتززنا رؤوسهم ، وأسرنا منهم أسرى فسألناهم عن قتلاهم ، فقالوا « ما قتلتم إلاّ ابن ملك أو عظيم من العظماء أو بطل من الأبطال ولقد قتلتم رجالاً إن كان الرجل ليعدل مائة رجل ، فكتبنا على آذانهم اسماءهم ، ثم دخلنا المعسكر حين أصبحنا ، وما منا رجل إلا معلق رأساً معروفاً باسمه ، وسلبنا من جيد السلاح وكريم المتاع ومناطق الذهب ، وخيول فرهة فنفلنا « منحنا » قتيبة ذلك كله ، وكسر ذلك أهل الصغد] .

نصب قتيبة « المجانيق » وأخذ يرمي معسكر « الصغد » وتابع حصارهم ووقعت خلال هذه الفترة اشتباكات عديدة ، قاتل فيها جيش بخارى وجيش خوارزم قتالا مشرفاً إلى جانب جيش قتيبة .

تقـــدم قتيبة بعد ذلك مسيرته « شمال نهر سمرقند » حتّى وصل بخارا واستثار اهلها للقتال معه ، فانضمت إليه مجموعات أخرى ، وتابع زحفه حتّى وصل « أربنجن » حيث اصطدمت قواته بقوات غوزك « ملك الصغد » وكان ملك الصغد قد ضم إليه عدد ضخم من مقاتلي جيوش الترك ، وفرغانة والشاش ، وتكررت المعارك التصادمية وكان جيش قتيبة ينتزع الأرض من قبضة خصمه انتزاعاً ، ويدفعه الى الخلف خطوة بعد خطوة واستمر الوضع على هذه الصورة حتّى اقترب جيش الصغد من مدينة « سمرقند » . وعندها حدثت معركة طاحنة حشد فيها ملك الصغد كل امكاناته . واستطاع هجوم العدو تحطيم قلب جيش المسلمين والإندفاع حتّى عمق ترتيب القتال ، وتحركت أجنحة جيش المسلمين .. فأطبقت على قوات العدو ، ثم نظم قتيبة الهجوم المضاد الذي انتهى بتدمير قوات الهجوم وإلحاق الهزيمة بها ومطاردتها حتّى معسكرها ومواقعها القتالية . وسقط في المعركة أعداد كبيرة من جند الطرفين . لما وجد ملك الصغد انه لم يعد قادراً على التصدي لزحف جيش قتيبة أصدر أوامره بالدخول الى « سمرقند » والإعتصام بها .

٣ ـ حصار سمرقند :

عزل قتيبة سمرقند عـــن كل ما حولها ، وشدد الحصار عليها . ونصب « المنجنيق » وأخذ يرمي الأسوار دونما هوادة . وطال أمد الحصار حتّى شعر المسلمون بالضيق ، وكان تذمر عدوهم أكثر . وأخيراً نجحت رمايات المنجنيق بإحداث ثغرة تصلح لتسلل المشاة فأسرع العدو الى المحطومات و« غرائز الدخن » واغصان الأشجار الضخمة .

ـ عندما حدثت الثغرة ارتفع صوت من وراء الأسوار يشتم قتيبة بلغة عربية فصحى وقد وصف عمرو بن أبي زهدم هذا الموقف بالكلمات التالية :

[ثلمت الثلمة في جدار سمرقنده وإذا بمناد ينادي بالعربية الفصحى ويشتم

قتيبة ، وكنا حول قتيبة ، فخرجنا مسرعين ، ومكثنا طويلا وهو ملح بالشتم ، فعدت لرؤية قتيبة ، فوجدته يقول كالمناجي لنفسه ، حتى متى يا سمرقند يعشش فيك الشيطان ؟ أما والله لئن أصبحت لأحاولن من أهلك أقصى غاية] .

فانصرفت الى أصحابي وقلت لهم :

[كم من نفس ابية ستموت غداً منا ومنهم ، وأخبرتهم الخبر] .

استدعى قتيبة عدداً من مهرة الرماة وقال لهم ؛ اختاروا منكم رجلين وعندما تم اختيار اثنين من أفضل مهرة الرماة قال لهم قتيبة :

[ايكم يرمي هذا الرجل ، فان اصابه فله عشرة آلاف درهم وان اخطأه قطعت يداه] .

تردد رام من الإثنين وتقدم الآخر فرمى سهماً أصاب الرجل الذي لا زال يشتم قتيبة ، واقتلع السهم العين وسقط قتيلا ، وتوقف عن السباب .

في صبيحة اليوم التالي، أصدر قتيبة أوامره التالية :

[الى رماة المنجنيق ، ارموا بالثغرة] .

[الى المشاة ، تقدموا حتى تعبروا الثغرة] .

نجح رماة المنجنيق في إعادة فتح الثغرة ، وتقدم المشاة ، وانهالت السهام عليهم فوضعوا تروسهم حتى وصلوا الثغرة ، وانتشر الفزع في المدينة ، وأسرع أهلها يطلبون الصلح مجدداً ، وكانوا قد طلبوه قبلا فرفض قتيبة ذلك وارسل الى ملك الصغد رسالة جاء فيها :

[أنا ثائر بدم طرخون ، كان مولاي ، وكان من أهل ذمتي وإني لن أعقد صلحاً قبل أن أرمي «سمرقند» بالمنجنيق وحتى تصيب سهامي اهلها] .

وافق قتيبة في هذه المرة على الصلح ضمن الشروط التالية

١ ــ دفع الجزية بمليونين ومئتي ألف درهم في كل عام .

٢ – دفع رهن مكون من ثلاثين ألف نسمة ليس فيهم صبي ولا شيخ ، وكلهم من المقاتلين الذين لا عيب فيهم .

٣ – إخلاء المدينة بحيث لا يتواجد فيها ولو مقاتل واحد .

٤ – بناء مسجد حتّى يدخل قتيبة وقوة من المسلمين للصلاة فيه.

٥ – وضع منبر في المسجد للخطابة .

٦ – إعداد وجبة الطعام للمسلمين لتناولها بعد الصلاة .

– وافق ملك الصغد على الشروط ، وأرسل قتيبة عشرة جنود من كل خميس « جيش » لاستلام الجزية والغرامة وعندما وصلت الرهائن والأموال قال قتيبة :

[الآن ذلوا حين صار أخوانهم وأولادهم في أيديكم] .

خرج أهـــل سمرقند من مدينتهم بعد أن شيدوا مسجداً ووضعوا فيه منبراً ودخل قتيبة ومعه أربعة آلاف مقاتل اختارهم من بين أفضل جنده . فصلى وخطب في الجند ثم تناول طعام الغداء ، وأرسل إلى أهل سمرقند من يعلمهم بقرار قتيبة ويقول لهم :

[من أراد منكم أن يأخذ متاعه فليأخذه فاني لست خارجاً منها وإنما صنعت هذا لكم . ولست آخذ منكم اكثر مما صالحتكم عليه . غير أن الجند يقيمون فيه] .

أصدر قتيبة أوامره بجمع الأصنام الموجودة في المدينـــة فجمعت حتّى تشكل منها تَل[٤] مرتفع . وأمر قتيبة بإحراقها . فقال له بعض سكان المدينة إن فيها أصناماً من أحرقها هلك ، فقال قتيبة : أنا أحرقها بنفسي . وتقدم غوزك من قتيبة ، فجثى بين يديه وقال له :

[أيها الامير إن شكرك علي واجب لا تعرض لهذه الاصنام] .

فدعى قتيبة بالنـــار ، واخذ شعلة بيده وخرج فكبر ثم أشعلها وأشعل النّاس

النيران فاضطرمت ، وعندما خمدت النيران كان وزن مسامير الذهب والفضة خمسين الف مثقال .

أخــذ قتيبة يستعد للرجوع الى قاعدة عملياته في مرو ، وعين أخاه عبدالله ابن مسلم عاملا على المدينة ، وترك عنده قوة كبيرة من المقاتلين ، وجهزهم بمختلف أعتدة الحرب وقال لعبدالله مخاطباً وهو يودعه :

[لا تدع مشركاً يدخل باباً من أبواب سمرقند الا مختوم اليد ، وان جفت الطينة قبل أن يخرج فاقتله ، وإن وجدت معه حديدة ـ سكيناً ـ فما سواه فاقتله] .

وكان من بين أسرى قتيبة ابنة من أولاد يزدجرد أرسلها قتيبة الى الحجاج فوجهها الحجاج إلى الوليد الذي تزوجها فولدت له « يزيد بن الوليد » .

وحقق قتيبة في عــام واحد انتصاراً حاسماً على موقعين رئيسيين هما « خوارزم وسمرقند » .

غزو قتيبة الشاش وفرغانه ـ ٩٤ و ٩٥ هـ :

إقليم الشاش هو المنطقة التي تقــع شمال نهر سيحون « نهر سيرداريا » حالياً . وهو اقليم جبلي يعتبر امتــداداً لسلسلة جبال تيان شان ، وتقع طاشقند في مركز الإقليم . أما اقليم فرغانه ، فهو الاقليم الذي يقع إلى الجنوب من نهر سيحون . وهذا الإقليم ايضاً جبلي متفرع عن التيبت ويعرف حالياً باسم جبل « آلاي » . و« فرغاغة » حالياً القسم الشرقي من أزبكستان .

بــدأ قتيبة عمليات فصل الربيع بتجاوز نهر « سمرقند » وجند من سكان بخارى و كش ونسف وخوارزم جيشاً يضم عشرين الف مقاتل .

تحرك قتيبة مــع محور نهر الصغد حتى وصل « خجندر » حيث التقى بجيشها ووقعت معارك بين الطرفين ، وعلى الرغم من الإنتصارات المتتالية التي أحرزها قتيبة ، إلا أنه لم ينجح في احراز نصر حاسم .

وجـــه قتيبة الى الشاش جيشاً بقيادة أخيه عبد الرحمن ، ونجح عبد الرحمن في تحقيق انتصارات متتالية وفتح عدداً من المواقع . ودمر عدداً من التحصينات وأحرق القرى والمراكز التي قاومت زحفه ثم عاد والتحق بجيش قتيبة .

تابـــع قتيبة تقدمه حتى كاشان عاصمة اقليم فرغانة وفتحها بعد معارك عنيدة وأحرق القسم الأكبر منها ثم رجع إلى مرو ، وكتب الى الحجـــاج باستنزاف قوة جيش المسلمين .

وجـــه الحجاج رسالة الى محمد بن القاسم الذي كان يعمل على المحور الجنوبي وطلب اليه بعد أن انتهت العمليات على ذلك المحور بتوجيه جيش العراق لدعم قتيبة على أن يكون جهم بن زحر بن قيس قائداً لجيش العراق.

انطلق قتيبـــة بجيشه وبقوات الدعم التي وصلته فتوجها الى الشاش وعندما وصل الإقليم بلغه خبر وفاة الحجاج ، فرجع الى مرو بعد أن وزع قواته على ثلاثة مدن هي : مرو ، وكش ، ونسف .

لم يكـــد قتيبة يستقر في مرو حتى جاءه كتاب من الخليفة الوليد بن عبد الملك وفيه :

[قد عرف أمير المؤمنين بلاءك ، وجدك في جهاد أعداء المسلمين ، وأمير المؤمنين رافعك وصانع بك كالذي يجب لك . فالمم مغازيك وانتظر ثواب ربك . ولا تغب عن أمير المؤمنين كتبك حتى كأني انظر الى بلادك والثغر الذي أنت به] .

أعـــادت رسالة الوليد الثقة الى قتيبة ، فأخذ يستعد لهجوم الربيع التالي .

غزو قتيبة « كاشغر » والصلح مع ملك الصين – ٩٦ هـ :

بـــدأ قتيبة عملياته بالتوجه الى « فرغانة » ، ثم أرسل قوة « رائـــدة » لاستطلاع محور « شعب عصام » والتقدم حتى « كاشغر » وعندما توفرت لديه المعلومات عن عدم وجود قوات كبيرة وجه قوة الى كاشغر ، فاستولت

القوة على الإقليم ونظمته حتى يصبح قاعدة للانطلاق في غزو الصين ، وقبل أن يغادر قتيبة « فرغانه » وصله إعلام عن وفاة الوليد بن عبدالملك ، وخاف عزله فاتخذ اجراءات الأمن ، وأصدر اوامره بوضع مفارز عن نهر «امو داريا» وزودها بتعليماته التالية :

[لا يجوزنَّ أحدٌ النهر إلا بجواز] .

ثم أصـــدر قتيبة تعليماته بنقل أفراد عائلته وأقربائه إلى سمرقند حتى لا تطالهم يد عمال سليمان بن عبد الملك فيما إذا أرسل من يخلفه . ومضى يتوغل في حدود الصين حتى وصل مدينة « قرب » . حيث وصلته رسالة من ملك الصين يطلب فيها إرسال رجل من أشرف المسلمين لمناقشته حول أخبار المسلمين والإستعلام منه عن دين الاسلام . فانتخب قتيبة اثني عشر رجلا من قادته وعني بانتقائه أن يكون أفراد الوفد من الذين تميزوا برجولتهم وقوة أجسامهم وجمال تكوينهم وفصاحتهم وسرعة بديهتهم وعين رئيساً لهم هو « هبيرة بن المشمرج الكلاهي » . ثم تحدث قتيبة إلى أفراد الوفد ولما وثق من جودة الانتقاء جهزهم بأمضى الأسلحة وأفخر المتاع وألبسهم أفضـــل الثيـــاب وزودهم بأحسن الخيول المطهمـــة ، وعندما انتهت الإستعدادات استدعى هبيرة وقال له :

[يا هبيرة ، كيف انت صانع ؟]

وجابه هبيرة :

[أصلح الله الأمير ، قد كفيت الأدب وقل ما شئت أقله وآخذ به] .

فقال له قتيبة :

[سيروا على بركة الله ، وبالله التوفيق ، لا تضعوا العمائم عنكم حتى تقدموا البلاد ، فاذا دخلتم عليه ، فاعلموه اني قد حلفت الا انصرف حتى اطأ بلادهم واختم ملوكهم وأجبي خراجهم] .

توجه الوفـــد ، فلما اقترب من مقر قيادة ملك الصين ، أرسل إليهم وفداً لاستقبالهم . وأنزلوا في استراحة خاصة ،فاغتسلوا ،ثم خرجوا من الحمامات فلبسوا ثيابهم البيضاء تحتها القمصان الناعمة وتطيبوا بالعطور ولبسوا النعال الرقيقة والأردية الفاخرة ، وتوجهوا في الموعد الذي حدد لهم للمقابلة ، وكان يجلس إلى جانب ملك الصين كبار قادته ومستشاريه ، فجلسوا ، ولم يتحدث الملك أو أحد من حاشيته إلى وفد هبيرة ، ثم نهض الوفد ، وعاد أفراده الى استراحتهم . وسأل الملك لمن حضروا مجلسه : كيف رأيتم هؤلاء ؟ فاجابوه رأينا قوماً ما هم الا نساء .

وفي اليوم التـــالي ، لبس أفراد الوفد الوشي والعمائم ووضعوا الأحزمة ، وتوجهوا لمقابلة الملك وحضور مجلسه . وتكرر مجلس الصمت ، فلم يتحدث أحد الى أفراد الوفد ، ثم رجع هؤلاء الى استراحتهم وسأل ملك الصين حضور مجلسه من جديد :

[كيف رأيتم هؤلاء] ؟

واجابه الحضور :

[هذه الهيئة اشبه بهيئة الرجال من تلك الأولى] .

في اليوم الثالث ، خرج أفراد الوفــد باسلحتهم الكاملة ، وامتطوا خيولهم وانطلقت مجموعتهم «كالعاصفة المدمرة» فلما وصلوا مقر الملك ركــزوا رماحهم ، وترجلوا عن خيولهم . فقيل لهم ارجعوا الى استراحتكم . فركبوا خيولهم وانتزعوا رماحهم ، وانطلقوا بأقصى سرعة لهم . وكأن الخيول تطير بهم عن الارض ، وسأل ملك الصين رجاله :

[كيف ترون هؤلاء] ؟

وأجابه الرجال :

[ما رأينا مثل هؤلاء ابداً] .

في المساء ، استدعى ملك الصين رئيس الوفــد للمقابلة ، وتوجه هبيرة ولما عقد الاجتماع بدأ الملك حديثه بقوله :

[قد رأيتم عظيم ملكي ، وأنه ليس أحد يمنعكم مني وأنتم في بلادي . وإنما أنتم بمنزلة البيضة في كفي ،وأنا سائلك عن أمر فإن لم تصدقني قتلتكم].

وقال له هبيرة

[سل ما تريد] ؟

وأجابه الملك :

[لم صنعتم ما صنعتم من الزي في اليوم الأول والثاني والثالث] ؟ .

واجابه هبيرة :

[أمَّا زيُّنا الأول،فلباسنا في اهلنا ومع أقاربنا . أما ثياب اليوم الثاني فهي لمقابلة أمرائنا ، وأما ثياب اليوم الثالث فهي لعدوِّنا اذا ما هاجنا هيج أو فزع] .

وقال له ملك الصين عندها :

[ما أحسن ما دبرتم دهركم ، فانصرفوا الى صاحبكم، فقولوا له «ينصرف»، فاني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه ، وإلا بعثت عليكم من يهلككـــم ويهلكه] .

وأجابه هبيرة :

[كيف يكون قليل الأصحاب من كانت أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون . ثم كيف يكون حريصاً من خلف الدنيا قادراً عليها وغزاك أما تخويفك إيانا بالقتل فان لنا آجالاً اذا حضرت فاكرمها القتل فلسنا نكرهه ولا نخافه] .

وسأل الملك هبيرة :

[فما الذي يرضي صاحبك ؟] .

واجابه هبيرة :

[إنه حلف الا ينصرف حتى يطأ أرضكم ، ويختم ملوككم ويعطى الجزية] .

فقال الملك :

[انا نخرجه من يمينه نبعث اليه بتراب من تراب أرضنا فيطؤه . ونبعث ببعض أبنائنا فيختمهم ، ونبعث اليه بجزية يرضاها] .

في اليوم التالي ، جهز ملك الصين الوفد بصحاف ذهبية بها تراب من الصين . كما دفع الى الوفد أربعة من أبناء الملوك ، ودفع لهم مبلغاً من المال . كما اهدى افراد الوفد هدايا ثمينة ، وسار الوفد حتى وصل مقر قيادة قتيبة فقبل الجزية ، وختم ابناء الملوك . وداس بنعليه التراب في جو من الحماسة فانطلق لسان « سوادة بن عبد الله السلولي » يصف الموقف :

لا عيب في الوفد الذين بعثتهم : للصين أن سلكوا طريق المنهجِ
كسروا الجفون على القذى خوف الردى : حاشا الكريمُ هبيرة بن مشمرجِ
لم يرض غير الختم في أعناقهم : ورهائن دفعت بحمل سمرجِ
أدى رسالتك التي استرعيته : وأتاك من حنث اليمين بمخرجِ

وأوفد قتيبة إلى الخليفة وفداً برئاسة هبيرة يعلمه فيها بأنباء الصلح إلا أن المنية عاجلت هبيرة فمات في قرية من خراسان ودفن فيها .

نهاية قتيبة بن مسلم ومقتله :

كان الوليد بن عبد الملك يريد خلع أخيه سليمان وتعيين ابنه عبد العزيز ولياً للعهد ووافقه الحجاج وقتيبة بن مسلم ومحمد بن محمد الثقفي . فنقم سليمان ابن عبد الملك على هؤلاء ، ثم توفي الوليد ، وتولى سليمان بن عبد الملك . وكان الحجاج قد مات قبل الوليد . وخاف قتيبة أن يعزله سليمان فأرسل مندوباً عنه لمقابلة سليمان من أجل تعزيته بوفاة أخيه وتهنئته . وحمّل قتيبة مندوبه ثلاثة رسائل : الرسالة الأولى وبها ذكر ما قام به من فتوح وطلب دعمه حتى لا

تنتقض الأقاليم التي فتحها مع ذم يزيد بن المهلب وذكر غدره وكفره . وفي الرسالة الثانية ، تحذير من خلعه والرسالة الثالثة ينذر فيها بخلع سليمان اذا خلعه من قيادته ، وكان نصها :

[ان لم تقرّني على ما كنت عليه وتؤمني لأخلعنّك خلع النعل ولأملأنّها عليك خيلا ورجالا] .

وعلى الرغم من قسوة التهديد ، فقد تجاوز سليمان الأساءة وأرسل مراسلا يعلم قتيبة موافقته على بقائه لقيادة الجيوش على الجبهة الشرقية . لكن قتيبة أسرع في إعلان التمرد ، وخلع سليمان قبل أن يصله مراسل سليمان .

كانت القوات العربية ، والحاميات المدافعة عن أقاليم خراسان وفارس موزعة كالتالي :

– جيش البصرة ، قوته ٩٠٠٠ ، مركزه خراسان .

– جيش قبائل « بكر » قوته ٧٠٠٠ مقاتل ، قائده الحصين بن المنذر .

– جيش قبائل « تميم » قوته ١٠,٠٠٠ مقاتل قائده ضرار بن حصين الضبي وقائده الثاني « وكيع بن الأسود » .

– جيش « عبد قيس » قوته ٤٠٠٠ مقاتل ، قائده « عبدالله بن علوان عودي » .

– جيش « الأزد » قوته ١٠,٠٠٠ مقاتل ، قائده « عبدالله بن حوذان » .

– جيش « الكوفة » قوته ٧٠٠٠ مقاتل ، قائده « عبدالله بن علي » وقائده الثاني « جهم بن زخر » .

– جيش الموالي ٧٠٠٠ مقاتل ، وقائده « حيان » .

– اجتمع قادة القوات المذكورة ، ورفضوا دعم قتيبة في موقفه من الخليفة سليمان وأيدوا تعيين « وكيع بن الأسود » ريثما يتخذ الخليفة قراره . وقد تم انتقاء وكيع نظراً لما عرفه عنه العرب من التهور واللامبالاة ، والعناد في القتال .

حاول حيان قائد الموالي الإفادة من الموقف فاتصل بوكيع وقال له :

[أرأيت ان كففت عنك ، وأعنتك ، فهل تجعل لي جانب نهر بلخ وخراجه ما دمت حياً] .

فأجابه وكيع بالموافقة ، واتفق معه سراً على دعمه ، ثم عاد حيان الى قومه وقال لهم :

[هؤلاء يقاتلون على غير دين ، فدعوهم يقتل بعضهم بعضاً ، ونحن نؤيد وكيع سراً] .

فوافق قادته على ذلك :

اتصل « ضرار بن حصين الضبي » ، بقتيبة ، ونصحه بتجنب المقاومة ، وأعلمه باتفاق القبائل سراً على تأييد وكيع ، فظن قتيبة أن ضرار يستثيره ضد وكيع نظراً لما بين وكيع وضرار من منافسة على زعامة قبائل تميم . ثم دفع قتيبة ببعض العناصر الموالية له للتأكد من أخبار ضرار . ولما استوثق صحتها أرسل الى وكيع يطلب منه الحضور إليه ، فتظاهر وكيع بالمرض ، فأرسل قتيبة قائد شرطته وقوة من الحرس لإعتقاله ، وعلم وكيع بالأمر ، فخرج الى معسكره ، واستنفر قواته وزحف للقاء قتيبة .

أرسل قتيبة أخاه صالحاً للإتصال بالجماهير ، فقتله المتمردون ضد قتيبة.

ثم أرسل أخاه عبد الرحمن ، فوجد أن جنود « حيان » يعيثون فساداً وتدميراً . ولما شاهده جند حيان قتلوه .

وخرج قتيبة للقاء وكيع ومعه نفر قليل من أصحابه ، فبادره الهيثم بن المنخل ورماه بسهم . وكان قتيبة يحب الهيثم ويوليه عنايته فقال قتيبة :

أعلّمه الرماية كل يوم : فلما اشتد ساعده رماني

وقتل في المعركة سبعة من إخوة قتيبة وأربعة من ابنائهم . ولما ألقي رأس قتيبة مع « رؤوس من قتلوا أمام الخليفة سليمان ظهر الألم على وجهه وقال :

[ما أردت هذا كله] .

قراءة

من أدب الحروب

تركت عملية احتلال خوارزم وسمرقند أصداء بعيدة نظراً لكثره ما أصاب المسلمين في هذه الأقاليم ، فانطلقت المشاعر ، تصف هذا الحدث الذي قال فيه كعب الاشعري :

رمتك فيلٌ بما فيها وما ظَلَمتْ ورامها قبلك الغجقاجة الصلف (١)
لا يجرىء الثغر خُوار القناة ولا هش المكاسر والقلب الذي يجف (٢)
هل تذكرون ليالي الترك نَقتلهم ما دون كازة والفجفاج ملتحف
لم يركبوا الخيل إلاّ بعد ما كبروا فهل ثقال على اكتافها عنف
انتم شباسٌ ، ومردازان محتقرٌ وبسخراء قبور حشوها القلف.
اني رأيت ابا حفص تفضله ايامه ومساعي الناس تختلف .
قيس ، صريح وبعض الناس يجمعهم قرى وريف فمنسوب ومقترف.
لو كنت طاوعت اهل العجز ما اقتسموا سبعين الفاً وعِزُ الصغد مؤتنف
وفي سمرقند اخرى انت قاسمها لئن تأخر عن حوبائك القنف.
ما قدم الناس من خيرٍ سبقت به ولا يفوتك مما خلفوا شرف .

وقال الكميت يذكر يوم خوارزم ويوم الصغد (٣) :

وبعدُ في غزوة كانت مباركة تردِي زراعة أقوام وتحتصد
نالت غمامتها فيلاً بوابلها والصغد حين دنا شؤبوبها البرد

---

(١) الغجقاجة : كثير الكلام .
(٢) خوار القناة : ضعيف الارادة هش الكاسر : ضعيف البنية .
(٣) المرجع : تاريخ الطبري ، ج ٦ ص ٥٠٤ .

إذ لا يزال له نهب ينفّلــــــه   من المقاسم لا وحش ولا نكــد .
تلك الفتوح التي تدلي بحجتهـــا   على الخليفة انا معشر حشد .
لم تثن وجهك عن قوم غزوتهـــم   حتى يقال لهم بعداً وقــد بعـدوا.
لم ترض من حصنهم ان كان ممتنعاً   حتى يكبر فيه الواحد الصمد .



القسم الثاني

الفصل الخامس

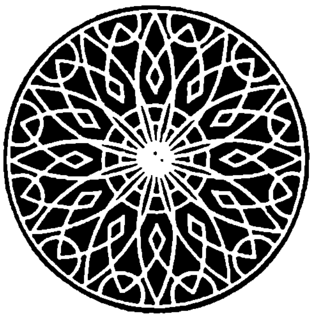
تابع المرحلة الثانية عن عمليات الجبهة الشرقية

١ - يزيد بن المهلب وعمليات المحور الشمالي

٢ - محمد بن القاسم وعمليات المحور الجنوبي - فتح السند والهند

٣ - التفاعل الحضاري العربي - الايراني

٤ - شرعية الحرب - وعدالة الحروب الإسلامية



المحور الشمالي

يزيد بن المهلب يتابع عمليات قتيبة بن مسلم الباهلي (١)

الموقف العام

توقفت عمليات الفتح على أثر ثورة قتيبة ، وقد تولى « وكيع بن الأسود » ولاية سجستان « جنوب خراسان وشمال مكران » لفترة أحد عشر شهراً ، وكانت لا تزال بعض قواعد الثورة المضادّة للفتوح الإسلامية تعمل بنشاط مما أقلق الخليفة سليمان بن عبد الملك ، وبحث الخليفة سليمان عن قائد يستطيع اخضاع الأقاليم المتمردة وله خبرة في الأقاليم الشرقية ، فوقع اختياره على « يزيد بن المهلب » . وتسلم يزيد الأمر بولاية سجستان وقيادة العمليات على المحور الشمالي من الجبهة الشرقية فمضى الى سجستان وكله حماسة لإنجاز ما عجز أسلافه عن تحقيقه .

كان يزيد بن المهلب يحقد على قتيبة بن مسلم الباهلي ، وكان قتيبة بدوره يعرف ذلك . فكانت إحدى رسائله إلى سليمان في بداية عهده تحريضاً على « آل المهلب » إلا أن هذه الرسائل لم تتمكن من ايقاع الفرقة بين الخليفة « سليمان ابن عبدالملك » وبين « يزيد بن المهلب » فكانت الروابط بينهما أعمق من أن تنالها رسالة خصم أو حديث حاقد . وقد عزز من هذه العلاقات قيام « قتيبة » بثورته ضد سليمان وتحريض قادة الجيوش على خلعه .

وكان « يزيد بن المهلب » يطمح لولاية الأقاليم الشرقية ، فكانت إذا

---

(١) المرجع ، تاريخ الطبري ، الجزء السادس .
تاريخ البلاذري ، ص ٣٣٦ وما بعدها .

وصلت الرسائل من قتيبة إلى الخليفة تحمل بشائر النصر ويدفعها الخليفة الى يزيد وهو يقول :

[أما ترى ما يصنع الله على أيدي قتيبة] .

فيجيبه يزيد بقوله :

[ما فعلت جرجان التي حالت بين الناس و الطريق الأعظم] .

[ويقصد الطريق الى المحور الشمالي والمحور الشرقي والطريق الىالجنوب].

ويتابع يزيد حديثه بقوله :

[لقد أفسدت جرجان أقاليم قومس وأبرشهر، وهذه الفتوحات ليست بشيء ، الشأن في جرجان] .

لقـــد برهن هذا الحديث وأمثاله عن قدرة « يزيد بن المهلب » على تحليل الموقف وتقديره بشكل جيد . بالإستناد إلى معرفة طبيعة الإقليم الجغرافية وأهمية المواقع الإستراتيجية فيه ، وطبيعة السكان ودراسة ميادين القتال بشكل منهاجي ، واقعي . وكانت جرجان في الحقيقة تمسك بمحاور الإقتراب الى الشمال حيث خوارزم «آرال» والخزر « قزوين » والسهول الجنوبية الخصبة من روسيا حالياً . كما كانت تمسك أيضاً بمحاور الاقتراب الى المحور الشرقي في اتجاه خراسان ، والتيبت والطريق الى الهند والصين . وهي بذلك تمسك أيضاً بمحاور الإقتراب نحو الجنوب حيث الجهة الشرقية من المفازة الكبرى واقاليم خراسان وقوهستان وسجستان « افغانستان ، وباكستان الغربية حالياً» .

وحـــانت الفرصة المناسبة التي أرادها يزيد لتحقيق مطامحه في الفتوح والأعمال القتالية فأمسك بها ، ومضى الى تحقيق ما يريد .

التحضير للمعركة :

وصـــل يزيد الى سجستان على رأس جيش من اهل الشام يضم سبعين الف مقاتل . ثم جمع الجيوش العربية الموزعة في اقاليم الجبهة الشرقية فتكون لديه جيش من (١٢٠,٠٠٠) مقاتل بالاضافة الى جيوش الموالي والمماليك والمتطوعين

نظراً لما تتطلبه مرحلة التحضير والاستعداد للمعركة من تفرغ وتركيز للجهد وضع يزيد مخططاً لأشغال خصومه . فدفع بعضاً من قواته الجاهزة للقتال الى سجستان لأخصاع بعض القبائل التركية المتمردة ، كما دفع مفارز الاستطلاع في اتجاه محور عملياته المقبل « جرجان » واتخذ ترتيبات الأمن حتى لا يباغته خصومه بهجوم غير متوقع . وقد وقعت خلال هذه الفترة بعض العمليات القتالية الكبرى منها احتلال سجستان ذاتها . وحقق المسلمون انتصارات موضعية واخضعوا الاقاليم الثائرة . وقد برز خلال هذه الفترة اسماء بعض المقاتلين الاشداء امثال محمد بن ابي سبرة الجعفي وجهم وجمال ابنا زحر .

كان محمد بن ابي سبرة فارساً متهوراً ، عرف بلا مبالاته وعنـــاده ، وكان يختار باستمرار من المواقع امنعها ومن المواقف اخطرها فيزج نفسه فيها دون اهتمام بالنتائج . وكان شديد الشراب مما ابعده عن مجالس القادة . الا انه لم يكن يسمع بنداء الحرب :

[يا خيل الله اركبي وابشري] .

حتى يكون قد امتطى جواده ووقف في امنع موضع ، وقد ابلى في إحدى المعارك بلاء رائعاً ولما سأل يزيد عن هذا المقاتل الذي لم يسبقه احد ابداً ، الى ميادين القتال قيل له :

[انه ابن ابي سبرة] .

فقال يزيد :

[لولا اسرافه على نفسه] .

الاستطلاع الشخصي :

عــلى الرغم من ثقة يزيد بقادة مفارز استطلاعه ، الا انه لم يكن يهمل دوره كقائد وواجبه في ممارسة الاستطلاع الشخصي لدراسة الارض والتعرف الى ميدان القتال .

خرج يزيـــد في يوم ومعه اربعمائة مقاتل اختارهم من بين افضل فرسانه وقادته . وتوجه شمالا نحو محاور التقدم الى جرجان . وتوغل يزيد في تقدمه ، واذا به يصطدم بكمين تبلغ قوته اربعة آلاف مقاتل ، وشعر القادة بخطورة الموقف والتفوق الكبـــير لخصومهم في ميزان القوى بمعدل واحد الى عشرة فطلبوا الى يزيد الانصراف خشية اصابته وقالوا له :

[ايها الامير ، إنصرف ، ونحن نقاتل عنك] .

ورفض يزيد طلبهم ، وصمم على واجب القائد في ان يكون دائماً في مكان الريادة من جنده ، ومضى يقاتل باصرار وعناد واظهر افراد القوة المرافقة ليزيد بطولات في قتالهم ولا سيما محمد بن ابي سمرة ، وابنا زحر ، والحجاج ابن جارية الخثعمي . واستطاع المقاتلون شق طريقهم من وسط قوة الكمين وكلف يزيد الحجاج بقيـــادة الساقة « المؤخرة » والعمل عـــلى تنظيم حماية انسحاب بقية القوة . ونظم الحجاج عملية الحماية فقسم قوته الى مجموعات صغيرة تتناوب القتال والانسحاب . ووصل يزيد الى موارد الماء فشرب افراد القوة ، وكان الحجاج قد انضم الى القوة بعد أن بعدت المسافة بينه وبين قوة الكمين وتوقفت مطاردة العدو لقوة المسلمين فوقف سفيان بن صفوان الخثعمي يمتدح الحجاج بقوله :

لولا ابن جارية الاغرِ جَبينُهُ : لسقيت كأساً مرة المتجرع
وحماك في فرســانه وخيوله : حتّى وردت الماء غير متعتع

معركة دهستان

الانطلاق من قاعدة هجوم « امينة » :

« دهستان » كانت مدينة من مدن خراسان تقع الى الجنوب من « مرو الروذ » والى الشرق من « هراة » . وقد استعصت هذه المدينة على جيش يزيد واعتصم اهلها وراء الأسوار ، ووقفت حامية المدينة تدافع بعناد وضراوة عن المواقع التي تحتلها .

لم يكن يزيد راغبـاً في التوجه نحو الشمال لفتح « جرجان » قبل تصفية كل مقاومة في الاقاليم الجنوبية ولهذا صمم على فتح « دهستان » واخضاع الثورة قبل البدء بعملياته الرئيسية بحيث يستطيع الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة .

توجه يزيـد بقوة كبيرة من جيشه ، وحاصر المدينة ، واشتبك جيش المدينة مع جيش المسلمين في معارك عديدة . وكان النصر الى جانب المسلمين في المعارك جميعاً . واحكم يزيد قبضة الحصار على « دهستان » ثم قطع عنها مواردها الحياتية . ولما اشتد الامر على « صول دهقان » ملك المدينة طلب عقد صلح مع يزيد ونظراً لارتداد «صول دهقان» مرات عديدة . فقد رفض يزيد الصلح ودخل جيش المسلمين المدينة عنوة ، فصادر اموالها وثرواتها وسبي اهلها وقتل اربعة عشر الف تركي من حامية المدينة ، وارسل الى الخليفة سليمان بن عبدالملك يخبره بالنصر ويشرح له الموقف .

اقليم جرجان « الهدف» :

كان سعيد بن العاص قـد صالح أهل جرجان اثناء المرحلة الاولى من عمليات الجبهة الشرقية ، ثم نكث اهل جرجان ، وجعلوا من اقليمهم قاعدة للثورة المضادة وافادوا من موقع اقليمهم الحصين لردع كل محاولة تقوم بها الجيوش الاسلامية ضد بلادهم

حاول مصقلة بن هبـيرة ايام معاوية غزو جرجان فجهز جيشاً من عشرة آلاف مقاتل وانطلق عبر الحدود الفاصلة ما بين طبرستان وجرجان . وعندما توغل مصقلة بجيشه احكم جيش جرجان الحصار على مصقلة ، وامسك بمحاور الطرق . وانتهى جيش مصقلة الى فناء تام واصبح مصقلة مضرب الامثـال ونموذجاً للفشل العسكري .

عندما بـدأ قتيبة بن مسلم عملياته تجنب الاصطدام بجرجان وطبرستان فنقل محور العمليات الى الجنوب بحيث اصبح محور المسير الى خراسان يمر من

فارس وكرمان عوضاً عن المرور من قومس على حدود طبرستان وجرجان في الشمال .

كان صول التركي ملك جرجـــان ينتظر كل فرصة من ضعف العرب المسلمين للاغارة على حدود الاقاليم التي فتحها القادة المسلمون او صالحوها. وكان يهبط باستمرار في اتجاه الجنوب لغزو اقاليم دهستان ثم يستمر جنوباً حتى « بحيرة زرة » القريبة من زرنج والتي يصب فيها نهر « هلمند » .

كان فيروز بن قول قد صالح القـــادة المسلمين ، وكان يتعاون مع ابن عمه « المرزبان » لمقاومة زحوف صول التركي ورد اغاراته ، وحدث خلاف بين فيروز بن قول وابن عمه ، وشعر انه لن يستطيع الوقوف في وجه زحف صول ملك جرجان فقدم الى يزيد بن المهلب . ولما سأله يزيد عن سبب قدومه اجابه :

[لقد خفت صولاً فهربت منه] .

وسأله يزيد :

[هل من حيلة لقتاله] ؟

واجابه فيروز :

[شيء واحد ، ان ظفرت به قتلته وان افضل طريقة للظفر به هي الهجوم في الوقت الذي ينزل فيه الى البحيرة] .

عرف يزيد بن المهلب مقـــدار التعاطف بين ملك جرجان وبين الاصبهبذ ملك طبرستان ، واراد الافادة من هذا التعاطف لتنفيذ خطته الخداعية ، فكتب الى الاصبهبذ الرسالة التالية :

[اني اريد غزو ، صولاً ، وهو بجرجان ، فخفت ان بلغه ما اريد ان يتحول الى البحيرة فينزلها بحيث لا استطيع تحقيق النصر عليه ، وانا اعرف انه يستمع لنصحك ، فاذا استطعت اغراءه هذا العام البقاء في جرجان وعلم

التحرك الى البحيرة ، جعلت لك خمسين الف مثقال ، فاحتل له حيلة تحبسه بجرجان ، فانه ان اقام بها ظفرت به] .

سارت الخطة كما وضعها يزيـــد ، فارسل الاصبهبذ رسالة يزيد الى صول التركي . فاسرع هذا بحشد قواته والتوجه الى ساحل بحر قزوين .

تحرك يزيد عـــلى رأس جيش مكون من مئة وعشرين الف مقاتل ، ونظم الاقاليم على النحو التالي :

مخلد بن يزيد ، لولاية امور خراسان خلال مرحلة العمليات .

معاوية بن يزيد ، لولاية سمرقند وكش ونسف ، وبخارى .

حاتم بن قتيبة بن المهلب ، لولاية طخارستان .

مسيرة الاعمال القتالية :

لم تكد قوات صول التركي تستقر عنـــد ساحل بحر قزوين حتى أطبقت عليها قوات يزيد ، وحاصرتها وكان جيش يزيد يضم قوات اهل البصرة وقوات اهل الكوفة ، واعتصم صول بالقلاع والتحصينات ، وحدثت بين قوات يزيد وقوات صول اشتباكات كثيرة لم تنته إلى نتيجة حاسمة . وطال امد الحصار ستة اشهر ، واحكم يزيد الحصار ، وقطع كل محاور الاتصال . وانتشرت الاوبئة ، واخذ المرض يفتك بقـــوات الجيش التركي . وتناقصت المواد الغذائية مما ارغم صول التركي على طلب الصلح . وخرج صول مع مجموعة قليلة من اهله وقادته لا تزيد عن ثلاثين شخصاً . وفتح يزيد الحصون والقلاع التي كان يحتلها الترك .

خلال مرحلة الحصار في الجنوب وجـــه يزيد قوة مكونة من جيشي الكوفة والبصرة بقيادة أخيه أبي عيينة بن المهلب لحصار جرجان في الشمال ، وتوغل أبو عيينة دون ان يلقى مقاومة كبيرة ، ثم اصطدم بجيش اهل الديلم وبعد معركة قصيرة نجح أبو عيينة في إلحاق الهزيمة بجيش الديلم ، واستطاع ابن ابي سبرة

قتل ملك الديلم . وبدأت مطاردة فلول الجيش الديلمي ، وتوغل المسلمون وتكررت المأساة مرة اخرى عندما استند ما بقى من جيش الديلم الى المرتفعات الحصينة ، وسيطر على محاور المرور فهُزم جيش أبي عيينة، وابيد قسم كبير من قواته ، وتراجع بقية الجيش الى معسكر يزيد بن المهلب .

طبرستان بعد جرجان

الموقف العام :

كان اقليم طبرستان يحتل المناطق الجنوبية من بحر الخزر « قزوين » في حين كان اقليم جرجان يحتل الجهة الشرقية من بحر الخزر « وكان التعاون وثيقاً بين ملكي الاقليمين » وبعد أن نجح يزيد في تصفية جيش صول التركي ، واحتلال الاقليم ، بقي عليه تصفية القاعدة الثانية وهي طبرستان . فنظم الاقاليم قبل التحرك للهجوم على النحو التالي :

تعيين عبدالله بن معمر اليشكري عـــلى رأس قوة مكونة من اربعة آلاف مقاتل بمهمة المحافظة على البياسان ودهستان .

تعيين اسد بن عمر بن عبدالله بن الربعـــة على رأس قوة مكونة من اربعة آلاف مقاتل بمهمة المحافظة على اندرستان .

التنظيم للقتال :

نظم يزيد جيشه فقسمه الى ثلاث مجموعات قتالية على النحو التالى :

١ ــ المجموعة الاولى بقيادة اخيه ابي عيينة .

٢ ــ المجموعة الثانية بقيادة ابنه خالد بن يزيد .

٣ ــ المجموعة الثالثة بقيادة ابي جهد الكلبي .

وامرهم بالتحرك على محاور مختلفة حتّى الالتقاء في آمل على ان تكون القيادة العامة عند الالتقاء لأخيه ابي عيينة .

اصطدم جيش ابي عيينة اثنـــاء تحركه بجيش الاصبهيذ ، ونجح في التغلب عليه . وتراجع الاصبهيذ نحو الداخل . واقام الكمائن على المحاور الجبليـة وسيطر على الطرق .

كتب الأصبهند الى ملك البياسان ، انه سيتمكن من ابادة جيش المسلمين وطلب اليه ابادة القوات المتواجدة في اقليمه فقام المرزبان بتنظيم اغارة مباغتة ونجح في ابادة جيش عبدالله بن معمر اليشكري ابادة تامة . ولما بلغ يزيد ذلك ووصلته اخبار تمرد جرجان وغدر اهلهـــا بالمسلمين غضب ، وقال ما يلي :

[اقسم : لئن ظفرت بهم ألاّ أقلع عنهم ، ولا ارفع السيف حتّى أطحن بدمائهم واعجن الدقيق وآكل منه] .

ثم تابع يزيد تحركه حتّى وصل معسكر الاصبهند ، وعرض الاصبهند على يزيد الصلح ، ونظراً لرغبة يزيد في تركيز الجهد والاقتصاد بالقوى من اجل معاودة فتح جرجان فقد قبل بالصلح وصالح الاصبهند وعاود التحرك في اتجاه جرجان .

معركة « جاه » :

عندما علم المرزبان بعقـــد الصلح ما بين يزيد والاصبهند عرف ان يزيد لن يتركه دون انتقام ، فجمع جيشه وتحصن في « جاه » بعد أن زودها بكميات كبيرة من الاطعمة والمواد التموينية .

تقدم يزيد بجيشه حتّى وصل « جاه » ونظم حصارها ، واستمر الحصار سبعة اشهر حدثت خلالها معارك كثيرة لم ينجح فيها المسلمون في اخضاع المدينة المتمردة .

وفي ذات يوم وبينما كان « الهيـــاج بن عبد الرحمن الازدي » من جند المسلمين يمارس هواية الصيد مع مجموعة من رفاقه شاهد وعلا ، فرغب في مطاردته وطلب من رفاقه البقاء في اماكنهم وانطلق عبر الممرات الجبلية والغابات

في مطاردة الوعل . فلم يشعر الا باقترابه من معسكر « المرزبان » فرجع بعد ان حدد الطريق بواسطة مزق من ثيابه اقتطعها وربط بها جذوع الاشجار . ولما عاد الى المعسكر طلب مقابلة القائد يزيد . ولما مثل امامه ، شرح له ما حدث معه فكافأه يزيد . ووضع خطة الهجوم على النحو التالي :

١ ـ القيام باغارة مباغتة بقوة الف واربعمائة مقاتل اختارهم من بين افضل الفرسان ، على ان تتبع هذه الاغارة الطريق الذي حدده الهياج بن عبد الرحمن الازدي .

٢ ـ القيام بهجوم جبهي في الوقت الذي تبدأ فيه قوة الاغارة هجومها .

ولما انتهى التنظيم للمعركة طلب يزيد الى الدليل « وهو الهياج بن عبد الرحمن » مرافقة قوة الاغارة . فقال الهياج « ان الطريق صعب ووعر وضيق بحيث لا يحتمل هذه القوة واقترح انقاصها حتى ثلاثمائة مقاتل فقط . ووافق يزيد على اقتراح الدليل وكلف خالد بن يزيد بقيادة قوة الاغارة ، وضم اليه اليه جهم بن زحر ، واوصى يزيد قائده بقوله :

[ان غلبت على الحياة فلا تغلبنّ على الموت واياك ان اراك منهزماً] .

عرف يزيد من الدليل ان تجاوز المسافة حتى الوصول الى خلف معسكر « المرزبان » يستغرق يوماً أو ليلة، بحيث يصلون اذا تحركوا في الليل مع فترة الظهيرة من اليوم التالي .

ودع يزيد قوة الاغارة بقوله :

[امضوا على بركة الله ، وسأجهد على مناهضتهم غداً عند صلاة الظهر] .

وانطلقت قوة الاغارة في مسيرتها الليلية في حين اصدر يزيد اوامرة بجمع الاخشاب والمحطومات وجعله ركاماً ضخماً قريباً من اسوار المدينة . وعندما اقترب موعد الظهيرة ، اضرمت النيران ، في الاخشاب والمحطومات فتصاعدت النيران من كل جانب ، ولما شهد قائدجيش المرزبان النيران اصدر اوامره بالهجوم على جيش المسلمين ، وزحف يزيد بجيشه فتصدى لزحف جيش المرزبان . وحدثت

معركة طاحنة ، وفي هذه الفترة ارتفعت صيحة حرب المسلمين « وتعالى صوت التكبير » من وراء جيش المرزبان ووقع الجيش بين قوات المسلمين التي احاطت به من كل جانب وبعد معركة رهيبة استسلم جيش الترك الذي يقوده المرزبان فقاد يزيد اثني عشر الفاً الى نهر الاندرهز « وادي جرجان » فقتلهم وسالت دماؤهم . فادارت الطواحين التي تطحن الدقيق ثم عجن بدمائهم الخبز ، وطعم منه ووفى بقسمه .

تابـــع يزيد عملية الابادة انتقاماً من غدر اهل جرجان بجيش المسلمين وإبادتهم اربعة آلاف منهم بصورة مباغتة . فقتل اربعين الفاً من جيش العدو وصلبهم على جذوع الأشجار حتى مسافة اميال من الغابات المحيطة بجاه . وعندما عرف يزيد انه لن تتصدّى بعد اليوم مقاومة لجيش المسلمين عاد الى قاعدة عملياته في مرو بعد ان خلف جهم بن زحر الجعفي والياً على جرجان .

وعندما توفى سليمان بن عبـــد الملك وخلفه عمر بن عبد العزيز اصدر اوامره بالقاء القبض على يزيد بن المهلب بسبب ما بلغه عنه من اثرائه غير المشروع . والقى بيزيد في السجن . وبعد وفاة عمر بن عبد العزيز هرب يزيد من السجن في عام ١٠١ هـ . ووصل البصرة حيث اعلن تمرده على يزيد بن عبد الملك . ووجه الخليفة قوة استطاعت القضاء على التمرد وقتل يزيد في عام ١٠٢ هـ .

عمليات المحور الجنوبي

فتح اقليم السند ، واقاليم الهند الغربية

الموقع والطبيعة الجغرافية :

يقـع اقليم مكران جنوب الهضبة الايرانية ويحده من الشرق اقليـم بلوخستان . ومن الشمال اقليم سجستان ومن الغرب اقليم كرمان ومن الجنوب بحر عُمان .

اما اقليم بلوخستان فيقـع الى الشرق من اقليم مكران ويحدد شمالاً نهر الهلمند ومن الشرق نهر السند . ومن الجنوب المحيط الهندي .

ويقـع القسم الأكبر من اقليم بلوخستان وحوض السند « في اقليم باكستان حالياً » في حين بقي اقليم مكران وقسماً من اقليم بلوخستان في حدود اقليم « ايران » .

تغطي الجبـال القسم الأكبر من مساحة اقليمي مكران وبلوخستان ، وتعتبر هذه الجبال « جبال مكران » امتداداً لسلسلة الجبال التي تحد غرب الهضبة الإيرانية . ويمتد شريط ساحلي مع امتداد سواحل المحيط الهندي وبحر عمان وفيه تنتشر الزراعة التي كانت موطن بداية الحضارة .

١ ـ الموقف العام :

في عـام ٢٣ هـ ٦٤٢ م . تقدم الحكم بن عمرو التغلبي ، ففتح اقليم مكران واراد التوغل في اتجاه الشرق حتى وادي السند ، الا ان الخليفة عمر بن الخطاب اصدر تعليماته بايقاف العمليات على المحور الجنوبي نظراً لطبيعة الاقليم الوعرة وخشية الخليفة عمر من وقوع جنود المسلمين في المسالك الوعرة والمفازة المهلكة.

في عام ٤٤ هـ – ٦٦٢ م . تقدم جيش من اهـــل السند بهدف ايقاف تقدم المسلمين فتصدى لهم المهلب بن ابي صفرة ووقعت معركة بين الملتان وكابل « في افغانستان حالياً » ونجح المهلب في ابادة جيش العدو .

قام عبد الله بن سوار العبدي في غزو اقليم السند والاقاليم الغربيـــة من الهند ايام معاوية بن ابي سفيان . وتصدى له جيش من جيوش الهند فهزم عبدالله العبدي وقتل في المعركة وتوقف التقدم في اقاليم الهند من المحور الشمالي .

جـــاء راشد بن عمرو الجديري ، من الازد ، والياً على مكران ، المحور الجنوبي . وحاول من جديد غزو السند ، وفشل في محاولته ولقي مصرعه وتولى مكانه سنان بن سلمه وتوقفت عمليات التقدم من الجنوب .

تولى عبـــاد بن زياد بعد ذلك ولاية سجستان ، فانطلق في محاولة جديدة للتوغل في اقاليم الهند ، وقام باستدارة كبيرة حتى وصل « كش » جنوب شرق « الديبل » وفتحها .

تولى بعد ذلك المنذر بن جارود العبـــدي ، ابو الاشعث ، ولاية « ثغر الهند» فغزا حوض السند ، وسيطر على مناطق واسعة ، ثم قامت ثورة ضده وقتل هناك .

تولى زياد بن سنان بن سلمة حكم « ثغر الهنـــد » فتقدم عبر المحور الشمالي في اقاليم الهند ولكنه لم يتمكن من احتلال بلوخستان .

عندما تولى الحجاج بن يوسف الثقفي حكم العراق ارسل مجاعة بن سعر التميمي ففتح مجاعة قندابيل « شمال الديبل او كراتشي » وتوقف عن متابعة العمليات ثم مات مجاعة وعين الحجاج ، محمد بن هرون بن ذراع والياً مكان مجاعة التميمي .

السبب المباشر لفتح السند :

كان من غير الطبيعي ابقـــاء اقليم السند موقعاً جانبياً والاستمرار في

التوغل عبر اقاليم الهند . ولهذا تركزت الانظار على هذا الاقليم ، الا ان فشل المحاولات المتكررة جعل الولاة يتجنبون اقتحام مخاطرة فتح اقليم السند عن طريق المحور الجنوبي .

ولما جـاء الحجاج بن يوسف الثقفي ودرس موقف الاقليم عين محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن ابي عقيل لقيادة عمليات المحور الجنوبي في الوقت الذي عين فيه قتيبة بن مسلم الباهلي لعمليات المحور الشمالي وذلك ايام الوليد بن عبدالملك .

وقبـل تعيين محمد بن القاسم جرت حادثة حفزت الحجاج على تركيز جهده لفتح اقليم السند وكانت الحادثة هي التالية :

اهدى ملك احـد الجزر الواقعة في المحيط الهندي « جزيرة الياقوت » الى الحجاج بن يوسف عائلة مسلمة توفي رجلها وترك زوجته واولاده وبناته في الجزيرة دون معيل وذلك كبداية لاقامة علاقات ودية بين ملك الجزيرة وبين العرب المسلمين .. وكان رب هذه العائلة يعمل في التجارة ، غادر الاقاليم الاسلامية واستقرّ في الجزيرة ، وتوفي فيها .

اثنـاء رحلة السفينة التي تحمل العائلة المسلمة ، تعرض قرصان من أهل الديبل الى السفينة ، واستولوا عليها ، وصرخت امرأة من المسلمات من بني يربوع :

يا حجاج .

وعندما وصلت انباء الحادثة الى الحجاج اجاب :

يا لبيك .

وارسل الحجاج رسالة الى داهر ملك الديبل « كراتشي » طالباً اطلاق سراح النسوة وارسالهن الى العراق ، واجاب ملك الديبل ، ان الذين خطفوا العائلة هم من القرصان ، وانه لا يستطيع التدخل بشؤونهم فارسل الحجاج عبيدالله بن نبهان الى الديبل في محاولة لاخضاعها . الا ان هذه المحاولة أنتهت

بقتل عبيد الله بن نبهان . فكتب الحجاج الى بديل بن طهفة واليه في عمان يطلب اليه التحرك الى ديبل لاخضاعها . وانتهت هذه المحاولة بقتل بديل ايضاً . عندها قرر الحجاج توجيه قوات كبيرة واجراء عملية برية ارضية مشتركة لاخضاع الاقليم المتمرد .

الاستعداد للمعركة :

اختار الحجاج بن يوسف الثقفي مدينــة شيراز حتّى تكون منطقة حشد للقوات التي سيتّم زجها في عمليات اقليمي مكران والسند ، وطلب الى محمد بن القاسم التوجه الى منطقة الحشد والاشراف على تنظيم القوات ، وارسل اليه جيشاً من اهل الشام عدده ستة آلاف مقاتل ، علاوة على وحدات مقاتلة من اقاليم مختلفة .

جهز الحجاج جيش محمد بن القاسم بكل المتطلبات القتالية والادارية وسلحه بالمنجنيق « العروس » وخصص منجنيقاً لكل كردوس « خمسمائة رجل »

نظراً لقلة المواد التموينية في الاقاليم التي سيعمل بهـا جيش محمد بن القاسم ارسل الحجاج كميات كبيرة من المواد الغذائية ، كما اتبع اسلوب التجفيف لبعض المواد الغذائية . اما السوائل ، كالخل ، فقد اصدر الحجاج تعليماته لنقع القطن النظيف في الخل ثم تجفيفه وارساله في عبوات خاصة الى المقاتلين بحيث يتّم اعادة نقع القطن بالماء النظيف للحصول على الخل من اجل الاطعمة .

ارسل الحجاج بن يوسف تعليماته لتوجيــه قوة بحرية من عمان وذلك لاحكام الحصار حول ديبل .

عندما انتهت الاستعدادات للمعركة اصدر الحجاج تعليماته ببدء العمليات وطلب الى محمد بن القاسم ارسال تقرير عن مسيرة العمليات في كل ثلاثة ايام واتخذ الحجاج الاجراءات المناسبة بحيث يصل بريده الى محمد بن القاسم في كل ثلاثة ايام ايضاً .

مسيرة العمليات :

تقـدم محمد بن القاسم حتى وصل اقليم مكران حيث انضم اليه محمد بن هرون بن ذراع . وبعد التوقف اياماً قليلة . دفع محمد بن القاسم المقدمة بقيادة ابي الاسود ، جهم بن زحر الجعفي ، وتحرك في اتجاه قنزبور . ولما وصلها حاصرها ولم تلبث المدينة ان سقطت في يده . وتابع محمد تحركه حتى وصل ارمابيل فحاصرها وفتحها ايضاً ثم تابع تحركه مع ساحل البحر وعندما وصل قمبلي، توفي محمد بن هرون فدفنه فيها وتابع مسيرته حتى وصل الديبل ، ومع وصول القوات الارضية وصلت القوات البحرية وتوقفت السفن الحاملة للرجال والاعتدة والتجهيزات وتم احكام الحصار حول « ديبل » .

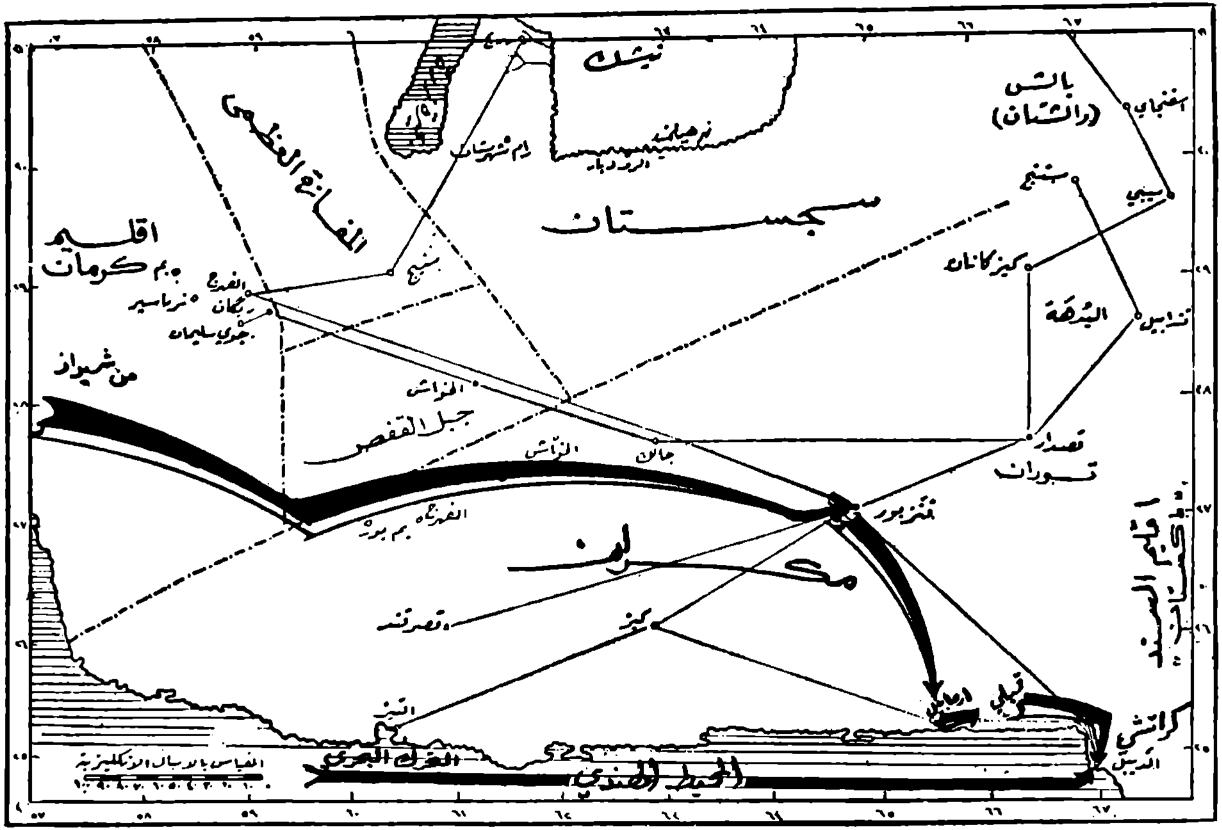
شاهد محمد بن القاسم منارة عظيمة « بـد » تحمل علماً كبيراً . كما شاهد مجموعات من القباب المماثلة للمنارة . وسأل عنها فعلم انها تضم « اصناماً » يضرع اليها سكان المدينة ويعبدونها ، واستخدم محمد بن القاسم المنجنيق لتدميرها الا ان الرمايات لم تكن دقيقة ولا مؤثرة . فارسل الى الحجاج يشرح له الموقف فاجابه الحجاج :

[أنصب العروس ، واقصر منها قائمة ، ولتكن مما يلي المشرق . ثم ادع صاحبه فمره ان يقصد برميته الدقل الذي وصفت لي] .

نفـذ محمد بن القاسم تعليمات الحجاج ، ونجح الرماة في تدمير منارة الميناء وابراج المعابد مما احبط الروح القتالية لدى جيش الديبل .

شعر حاكم الديبـل ان الحصار لن يكون من مصلحته فخرج من وراء اسوار المدينة وقاتل جيش المسلمين في معركة جبهية ونجح محمد بن القاسم بإلحاق الهزيمة به مما دفعه الى العودة حتى وراء الخنادق والاسوار والاعتصام بها .

انهى محمد بن القاسم استعداداته لاقتحام المدينـة ، ونصب السلالم ، واقتحم المسلمون المدينة بصورة مباغتة ونجحوا في الاستيلاء عـلى معاقلها وتحصيناتها وأعملوا في جيش الديبل قتلا لمدة ثلاثة ايام بحيث قضي على قوات



اقليم مكران ، مع قسم من اقليم سجستان

مخطط عمليات محمد بن القاسم

المقاومة بكاملها . ثم اصدر محمد بن القاسم تعليماته بتدمير المعابد جميعها . وتشييد جامع للمسلمين . وترك فيها حامية مكونة من اربعة آلاف مقاتل وغادرها لمتابعة عملياته وتدمير جيش داهر ، ملك الاقليم .

وصل محمد بن القاسم البيرون فصالحه اهلها .

ثم وصل ابن القاسم « سدوسان » فصالحه اهلها ايضاً .

لم يكن داهر يتوقع تقـدم محمد بن القاسم بمثل السرعة التي سار بها ، ونجح محمد في اختيار موقع لعبور نهر السند بحيث يحقق المباغتة المكانية . وهكذا حقق محمد بن القاسم المباغتة الزمانية والمكانية ، واصطدم مع داهر ملك السند في موقعة حاسمة استمرت يوماً كاملا ، ونجح القاسم بن ثعلبة بن عبدالله بن حصن الطائي من الوصول الى داهر وقتله ووقف رجل من بني كلاب يقول :

الخيل تشهد يوم داهر والقنا : ومحمد بن القاسم بن محمد
اني مزجت الجمع غير معرد : حتى علوت عظيمهم بمهند
فتركته تحت العجاج مجندلا : متعفر الخدين غير موسد

وكان لمقتل داهر دور كبير في انهيار المقاومة ، وحقق جيش المسلمين نصراً على الاقليم الذي بقي طويلا معقلا للمقاومة ، واصبح باستطاعة المسلمين متابعة عملية التقدم الى الهند من المحورين الشمالي والجنوبي .

استثمار الظفر :

انطلق محمد بن القاسم في مسيرته عبر اقاليم الهنـد فوصل « برهمنا باذ » القيقة وعرض على ملكها اختيار واحد من ثلاثة مواقف :

١ ــ اما الدخول في الاسلام ٢ ــ او دفع الجزية ٣ ــ او الحرب

الا ان اهل « برهمنا باذ » رفضوا كل الحلول، واختاروا الحرب ونظموا مقاومتهم . واستطاع محمد بن القاسم تحقيق النصر، وفتح المدينة عنوة وأباد فيها ٢٦,٠٠٠ من جند العدو .

تابــع محمد بن القاسم تحركه حتى وصل « ساوندري » فاستسلم اهلها دون قتال وعقدوا صلحاً مع ابن القاسم . ووصل ابن القاسم الى « بسمد » فصالحه اهلها على مثل صلح « ساوندري » . ثم وصل « السكة » وقد اعتصم اهلها وحاولوا مقاومة الزحف الاسلامي فاقتحمها محمد بن القاسم ودمرها .

وصل محمد بن القاسم في مسيرته الى « الملتـــان » وحاصر اهلها . ولما طال الحصار ، وامتنعت المدينة على المسلمين ، احكم محمد بن القاسم الحصار وقطع عنها مواردها الحياتية ، وجاءه من يدله على مورد المياه الذي تعيش المدينة عليه ، فقام بتحويل مجرى المياه وحرمان اهل المدينة منه ، ولما اشتدت وطأة الحصار . استسلم اهل المدينة .

ودخل محمد بن القاسم ، فدمر المعابد البوذية ، وجمع الاصنام فاحرقها وجمع الخراج وقسم الغنائم على المسلمين وارسل الخمس الى الحجاج . فلما وصلت هذه الى الحجاج ومعها رسائل محمد تشرح الموقف وما تم تحقيقه من انتصارات قال الحجاج :

[لقد شفينا غيظنا و ادركنا ثأرنا ، وازددنا ستين مليون درهم ورأس داهر . نحن انفقنا على تجهيز جيش محمد بن القاسم ستين مليوناً ، وها قد بلغ الخراج ١٢٠,٠٠٠,٠٠٠ مئةً وعشرين ميلوناً] .

وهو يعادل ضعف ما انفقه الحجاج على تجهيز جيش فتح السند .

توفي الحجاج بن يوسف الثقفي ، ووصل خـــبر موته ، فتراجع محمد بن القاسم ، ورجع من الملتان الى « الرور وبغرور » ووجه الى« البيلمان » قـــوة لفتحها ، ولم يقاوم اهل البيلمان تقدم جيش المسلمين ، وعرضوا الصلح وتم عقد اتفاق معهم ومع اهل « سرست » .

تقدم محمد بن القاسم من « الكيرج » بعـــد ان بلغه تحشد القوات فيها بقيادة « دوهر » ، وبعد معركة قصيرة ، انتصر جيش المسلمين وانهزم دوهر ، ثم لقي مصرعه على يد جندي من مقاتلي المسلمين انطلق يقول :

نحن قتلنا داهراً ودوهراً   والخيل تروي منسراً فمنسراً .

توفي الوليد بن عبد الملك وخلفه سليمان بن عبــد الملك . وكان سليمان بن عبد الملك يحقد على محمد بن القاسم نظراً لتأييده الوليد في موقفه من خلع سليمان وتولية ابنه . فاصدر اوامره بتعيين يزيد بن ابي كبشة السكسكي والياً عــلى السند ، وطلب اليه اعتقال محمد بن القاسم ومعاوية بن المهلب ، وتم اعتقال القائدين وارسلا الى صالح بن عبد الرحمن والي العراق فالقى بهما في السجن.

نهاية محمد بن القاسم :

عندما شهد محمد بن القاسم ، انه اصبح مكبلا بالقيود بعــد ان كان يجول في انحاء البلاد محققاً النصر تلو النصر انشد يقول :

اضاعوني واي فتى اضاعوا : ليوم كريهة وسداد ثغر

واستقر المقام بمحمد بن القاسم في سجن واسط من ارض العراق ، وتذكر ما قدمه لأمته فقال :

فلئــن ثويت بواسط وبارضها : رهن الحديد مكبلاً مغلولاً
فلرب فتية فارس قد رعتها : ولرب قرن قد تركت قتيلا

ومرت الايام على محمد بن القاسم وهو في سجنه بطيئــة متثاقلة . ونظر فيما حوله ، وناقش موقفه من استسلامه لعمال سليمان بن عبد الملك ، فقال :

لو كنت اجمعت الفــرار لوطئت : اناث اعدت للوغى وذكور
وما دخلت خيــل السكاسك ارضنا : ولا كان من علك علي امير
ولا كنت للعبــد المزوني تابعاً : فيا لك دهراً بالكرام عثور

وفي النهاية اقــدم صالح بن عبد الرحمن على قتل محمد بن القاسم ومعه مجموعة من آل ابي عقيل انتقاماً لمقتل اخيه «آدم» على يد الحجاج ، ولما انتشر خبر مقتل ابن القاسم رثاه حمزة بن بيض الحنفي بقوله :

ان المروءة والسماحة والندى : لمحمد بن القاسم بن محمد
ساس الجيوش لسبع غشرة حجة : يا قرب ذلك سؤدداً من مولد

وقال آخر في رثائه :

ساس الرجال لسبع عشرة حجه : ولداته عن ذاك في اشغال

الدروس المستفادة :

١ ـ العمليات البرمائية :

افاد الحجاج بن يوسف من دروس العمليات البحرية ـ البرية التي كان يقوم بها الامويون لغزو البحر والهجوم على القسطنطينية وبلاد الروم فطبقها في الهجوم على « الديبل ـ كراتشي » وكان للتنسيق التام بين جهد القوى البحرية ، وجهد القوى الأرضية دور حاسم في إحباط المقاومة وفتح حوض السند . وتعتبر ظاهرة اشراك قوات مختلفة في المعركة تطوراً كبيراً في فن الحرب عند العرب المسلمين .

٢ ـ الاهتمام بالشؤون الادارية :

ـ افاد القادة المسلمون من تجاربهم السابقة ، فاصبحوا يبذلون قدراً كبيراً من العناية والاهتمام بالشؤون الادارية وتوفير متطلبات المقاتلين حتى ان الحجاج جهز جيش فتح السند بكل ما قد يحتاجه بما في ذلك الخيوط والابر والمسلات والمواد الغذائية المجففة والخل .

لقد خاض المسلمون الاوائل حروبهم دون بذل اهتمام كبير للشؤون الادارية ، وكان الجند هم المسؤولون عن توفير متطلباتهم وكانت هذه المتطلبات بسيطة . ونظراً لاحتكاك جند المسلمين مع جيوش الفرس والروم ، وتطور الحياة الاجتماعية للعرب المسلمين ، اصبحت هذه المتطلبات كثيرة ومتعددة مما حمل القادة على بذل الاهتمام المناسب بالشؤون الادارية والامداد والتموين .

٣ ــ تطور التسليح :

ــ جهز جيش فتح السند بالمنجنيق وبمعدل « عروس » لكل خمسمائة مقاتل وهذا يبرز تطور التنظيم والتسليح في جيوش العرب المسلمين وظهور اسلحة اجماعية وتجهيزات هندسية لخدمـــة الجيش بكامله وتعتبر ظاهرة تزويد الجيش بالمعدات الهندسية لعبور الانهار واقتحام الاسوار وتجاوز التحصينات والخنادق بالاضافة الى تسليح الوحدات بالمنجانيق من الدلائل الحاسمة على تطور فن الحرب عند العرب المسلمين تطوراً كبيراً .

٤ ــ الدور الحاسم لشخصية القائد :

حشد الحجـــاج بن يوسف امكانيات ضخمة لتجهيز جيش السند ، وانفق اموالا طائلة . الا ان هذه الامكانات لم تكن لتحقق ثمارها لو لم يكن قائد العملية شخصاً مثل محمد بن القاسم .

لقـــد برهنت مسيرة العمليات في اقليم السند وفتوح الهند على الدور الحاسم الذي يمارسه القائد في نجاح العملية او فشلها . فالقائد هو الذي يقدر الموقف الصحيح وهو الذي يتخذ القرار المناسب وهو الذي يشرف على التنفيذ ويشارك فيه فيوحي الثقة لمرؤوسيه الذين يعرفون ان جهودهم وتضحياتهم لن تذهب سدى ودونما نتيجة .

٥ ــ الروح المعنوية العالية :

لقد تجـــاوز جيش محمد بن القاسم في مسيرته آلاف الاميال . وعمل في مناطق مختلفة وفي اجواء متنوعة ، وقاتل قوات كبيرة في معارك متتابعة ولم يكن تحقيق ذلك ممكناً لو لم تكن الروح المعنوية لجيش المسلمين على درجة عالية وقد كانت الثقة بالقائد والثقة بالسلاح والايمان قبل كل شيء بعدالة القضية هي من العوامل التي حملت المسلمين على تجاوز كل الصعوبات وتحدي كل العوامل لتحقيق الهدف من الحرب وهو نشر السلام والاسلام .

أهدى العرب المسلمون شعوب البلاد التي فتحوها قلبهم ولسانهم .
أهدوهم القلب عندما عرفوهم بدين الاسلام .
ووهبوهم اللسان عندما حببوا اليهم تلاوة القرآن الكريم بلغة العرب ولسانهم .
وترك العرب المسلمون لأهل البلاد التي فتحوها الحريات السياسية والإدارية والدينية ، وكانت هذه الحريات هي التربة التي نشأت فوقها الحضارة .

ان مقياس كل امة هو ما تقدمه من خير للانسانية جمعاء ، وقد جاء الاسلام ، للناس كافة ، ووقع على العرب واجب حمل هذه الرسالة الى كل انسان في كل مكان فتولدت عن ذلك حضارة هي الأساس فيما يعيشه عالمنا المعاصر من تطور وتقدم .

كان في العالم عند ظهور الاسلام ثلاث حضارات هي : الحضارة الفارسية « شرقية » والحضارة « البيزنطية » « غربية » وريثة اليونانية والرومانية ، وحضارة « متوسطة » هي حضارة الفراعنة في وادي النيل .

واستطاع العرب المسلمون إزالة الامبراطوريتين الفارسية والبيزنطية ونشر الاسلام في ربوع العالم القديم ، من الصين وحتى الاطلسي .

أفسح العرب المسلمون المجال رحباً لنمو العلوم وتطورها ، فبرز عدد من العلماء الذين لا زال ذكرهم سمع الدنيا وبصرها .

واذا كان دعاة التخريب ، يعملون في مناخ الحرب النفسية التي يشهدها

عالمنا المعاصر على تجريد العرب المسلمين من كل قيمة حضارية على اساس ان القسم الأكبر من العلماء هم من غير العرب على حد قول « بول دي لاغار Paul de Laguare » الذي قال :

[ليس بين المسلمين الذين حققوا شيئاً في ميدان العلم سامي واحد]

فانه يمكن القول لمثل هذا :

[يكفي العرب المسلمين فخراً انهم هيأوا المناخ والتربة الصالحة لظهور امثال هؤلاء العلماء] .

لقــد شغل العرب بالحروب واعمال الفتوح ، وهي الواجب الاول الذي القي على العرب المسلمين ، ثم هيأوا المناخ الملائم للعلماء . وعملوا على تفريغهم قبل ان ينطق احد بالتفرغ بمئات السنين . وقد عرف العالم القديم عدداً من الغزوات البربرية ، كغزوات التتار ، ولكن هذه الغزوات لم تترك سوى اسمها العسكري فقط ، بينما انتجت الفتوحات العربية حضارة لا يستطيع احد انكارها الا اذا استطاع ان يطفىء الشمس .

من هنـــا ، يستطيع العرب المسلمون ان يفخروا بما حققته حضارتهم حتى لو عمل فيها ، غير العرب ، وحتى لو كان الذين حققوا الانجازات العلمية جميعاً من غير العرب .

ان الحضارة الامريكية المعاصرة هي القمة في التطور التقني والفني والعلمي ، وهي حضارة من نتاج غير امريكي ، لان العدد الأكبر من العلماء هم ممن تسرقهم أمريكا من العالم أو تغريهم بمختلف الوسائل للعمل في بلادها ، فهل بالامكان انكار دور أمريكا والقول أنها أمة لم تقدم شيئاً للحضارة ؟

ان الاتحـــاد السوفييتي وهو الدولة الثانية في التطور العلمي والتقني حالياً يستعين بخبرات الغرب ، وقد استعان قبلاً عن طريق الجاسوسية بالخبراء والخبرات لصناعة القنبلة الذرية ، فاذا أريد تجريد العرب المسلمين من دورهم

الحضاري فانه يجب بالمقابل تجريد كل حضارة من جميع العوامل المساعدة لها، وهذا أمر يتنافى مع المنطق ومع العلم .

إن الحضارة التي حمل لواءها العرب المسلمون هي حضارة عربية إسلامية ، قبل كل شيء،وإن الفصل بين العرب والمسلمين ما هو الا استمرار للمحاولات القديمة لعزل العرب عن المسلمين وعزل المسلمين عن العرب ، وتدميرهما معاً .

١ ــ المنجزات العلمية الحضارية :

فتح الاسلام مجالاً رحباً للامكانات المختلفة فبرزت في كل قطر قمم شامخة في كل مجال ، ويمكن ذكر بعض من قدمتهم ايران لرفع لواء الحضارة الاسلامية ــ العربية كالتالي :

أ ــ في الطب :

١ ــ الرازي ، ابن عباس المجوسي .

٢ ــ ابن سيناء ، الحسين بن عبدالله بن الحسن بن علي بن سينا ولقبه الشيخ الرئيس .

٣ ــ الجرجاني ، توفي ١١٣٦ .

ب ــ في العلوم :

١ ــ اخوان الصفا ، « اكثرهم من الفرس ، نشرت رسائلهم عام ٩٧٠ م ـ ٣٦٠ هـ عالجت علوم الرياضيات والكيمياء والفلك .

٢ ــ عبدالله محمد الخوارزمي ، الف عام ٩٧٦ م ــ ٣٦٦ هـ كتاب مفاتيح العلوم .

ج ــ الرياضيات :

١ ــ الماهاني ، توفي عام ٨٦٠ م .

٢ ــ ابو الوفاء محمد البوزجاني ٩٤٠ ــ ٩٩٧ م (٣٢٨ ــ ٣٨٧ هـ) .
٣ ــ ابو الريحان البيروني ، الخوارزمي ٩٧٣ ــ ١٠٤٨ م (٣٦٢ ــ ٤٤٨هـ) من كتبه : تحقيق ما للهند ، والآثار الباقية عن القرون الخالية .
٤ ــ فخر الدين الرازي ، توفي عام ١٢٠٩ م .

د ــ تاريخ ، جغرافيا ، فلك :

١ ــ الطبري ، توفي عام ٩٢٣ م اشتهر بتاريخ « الطبري » .
٢ ــ البلاذري ، توفي عام ٨٩٢ م . اشتهر بكتابه فتوح البلدان .
٣ ــ الدنيوري ، توفي عام ٨٩٥ م .
٤ ــ ابن خرداذبة ، توفي عام ٨٤٨ عرف بدراساته الجغرافية .
٥ ــ ابن رستة ، توفي عام ٩٠٣ ، عرف بدراساته الجغرافية .
٦ ــ الصوفي ، ٩٠٣ ــ ٩٨٦ م عالم فلكي .
٧ ــ نصر الدين الطوسي ١٢٠٠ ــ ١٢٧٣ م . عالم فلكي .
٨ ــ الشيرازي ، ١٢٣٦ ــ ١٣١١ م . عالم فلكي اشتهر بدراساته في علوم البصريات والهندسة .
٩ ــ عمر الخيام ١٠٤٠ ــ ١١٢٣ = ٤٣٣ ــ ٥١٧ هـ شاعر ، فلكي ، عالم رياضيات .

هـ ــ الفلسفة والدين :

١ ــ محمد الغزالي ، ١٠٥٨ ــ ١١١١ م . ابا حامد ولقبه حجة الاسلام .
٢ ــ ابو حنيفة ، توفي عام ٧٦٧ م .
٣ ــ البخاري ، توفي عام ٨٧٠ م .
٤ ــ النسغي ، توفي عام ١١٤٢ م .
٥ ــ الشهرستاني ، توفي عام ١١٥٣ م .
٦ ــ العالم الرازي ، ٩٢٣ ، طبيب وفيلسوف .

٧ ـ البيروني ، ٩٧٣ ، طبيب وفيلسوف .
٨ ـ ابن سيناء ، ١٠٣٧ ، طبيب وفيلسوف .

و ـ في اللغة والأدب :

١ ـ ابن المقفع ، توفي ٧٥٧ م ، اشتهر بتراجمه .
٢ ـ بشار بن برد ، توفي ٧٨٣ م شاعر .
٣ ـ سيبوية ، توفي ٧٩٣ م ، لغوي .
٤ ـ الكسائي ، توفي ٨٠٥ م ، فقيه لغوي .
٥ ـ ابو نواس ، توفي ٨١٠ م ، شاعر الغزل .
٦ ـ الفراء ، توفي ٨٢٢ م ، لغوي .
٧ ـ ابن قتيبة ، توفي ٨٨٩ م ، لغوي ، ادب .
٨ ـ الجوهري ، توفي ١٠٠٢ م ، لغوي ، ادب .
٩ ـ إبن فارس ، توفي ١٠٠٥ م ، لغوي ، ادب .
١٠ ـ بديع الزمان الهمذاني ، توفي ١٠٠٧ م ، ادب .
١١ ـ الزمخشري ، توفي ١١٤٣ م ، ادب .
١٢ ـ العطار ، توفي ١٢٣٠ م ، شاعر الغزل .
١٣ ـ جلال الدين الرومي ، توفي ١٢٨٣ م ، شاعر الغزل .
١٤ ـ سعدى ، توفي ١٢٩١ م ، شاعر الغزل .
١٥ ـ حافظ ، توفي ١٣٨٩ م ، شاعر الغزل .
١٦ ـ جامي ، توفي ١٤٩٢ م ، شاعر الغزل .

ز ـ في البناء والهندسة :

سهل نوبخت الفارسي خطط مدينة بغداد ٧٦٢ م (١٤٤ هـ) .

٢ ـ ايران والحكم العربي :

كانت الدولة الأموية امتداداً طبيعياً لحكم الخلفاء الراشدين ، في العقلية والأسلوب ، وهذا مما دفع العناصر غير العربية الى مناوءة الأمويين واعلان الحرب السرية ضدهم ، وكانت ايران هي التي رعت الثورة المضادة للعروبة وخططت لها .

بدأت الدعوة الفارسية في خراسان ، حيث دفع خصوم الدولة الأموية من الفرس المسلمين الأتقياء ممن اعتنقوا مبدأ الشرعية وحفزوهم الى العمل ضد الدولة الأموية ، دون أن يدرك هؤلاء النوايا الحقيقة للفرس . وفي عام ٧٣٦ م استطاع هؤلاء اكتساب محمد بن علي عبد الله بن عباس إلى صفوفهم ، وتم تنظيم الحركة السرية في ايران وأسلمت قيادتها الى اثني عشر نقيباً . وفي عام ٧٤٦ م وجه ابراهيم بن محمد ، مندوباً عنه الى خراسان هو ابو مسلم (عبد الرحمن بن مسلم) الخراساني . ونجح ابو مسلم الخراساني في تطبيق مخططه على النحو التالي :

١ ـ اثارة النعرة القومية وتوحيد الفرس ضد العرب .

٢ ـ اغراء اصحاب الأملاك « الدهاقين » ودفعهم الى الدخول في الاسلام للإفادة من امكاناتهم المادية والمعنوية لدعم الثورة .

٣ ـ الزام جنده بالطاعة العمياء لقادتهم في تنفيذ كل ما يطلب اليهم دونما قيد أو شرط .

وكان أول من لبى هذه الدعوة ، خالد بن برمك ، من مدينة بلخ . حيث أسلم وتشيع لآل عباس ، وأسهم في تمويل حركة أبي مسلم بهدف انشاء دولة ترفع من شأن الفرس ، وتضع من قيمة العرب .

في عام ٧٤٨ م ، بدأت بوادر الثورة عندما اصطدمت قوات الفرس بقيادة « قحطبة بن صالح الطائي » أحد النقباء الإثني عشر ، مع قوات نصر بن سيار عامل الأمويين في خراسان .

في شهر حزيران من السنة ذاتها دخـــل أبو مسلم الخراساني « نيسابور » .

في شهر آب « أغسطس » عـــام ٧٤٩ م احتل الحسن بن قحطبة الطائي مدينة الكوفة حيث كان أبو سلمة الخلال يعمل فيها كوزير لآل محمد منذ وقت طويل بصورة سرية .

في شهر آب عام ٧٥٠ ، التقت قوات مروان بن محمد آخر الخلفـــاء الامويين بقوات خراسان عند الزاب الأكبر وهزم الأمويون . وظهرت عوامل الانتقام العنيف من العرب ، وألقت جميع المدن السورية السلاح دونما مقاومة باستثناء دمشق التي قاومت العباسيين على الرغم من معرفتها الثمن الفادح الذي ستدفعه لقاء مقاومتها . وزالت الدولة الأموية من الشرق وانتقلت الى الغرب حيث استمرت في اسبانيا حتى عام ١٠٣١ م .

يقول المستشرق كارل بروكلمـان ١٨٦٨ – ١٩٥٦ في كتـابه : « تاريخ الشعوب الإسلامية » ما يلي :

[**خسر العرب عموماً ، لا السوريون وحدهم ، السيادة المطلقة في الإسلام بسقوط دولة الأمويين ، فما هي الا فترة وجيزة حتى ارتدت جزيرتهم إلى سابق عهدها من التأخر الكلي**] .

كان أبو العبـــاس عبدالله الذي لقب نفسه بالسفاح أول خليفة عباسي . لكن حكمه لم يستمر طويلاً فخلفه أخوه ابو جعفر المنصور عام ٨٥٤ م وشعر المنصور بخطر الفرس(١) فعرض على أبي مسلم الخراساني ولاية الشام ولما رفضها أبو مسلم استدرجه المنصور الى العراق وقتله . وثار الفرس بقيـادة

---

(١) كان ابو جعفر المنصور يشعر بالنفوذ المتعاظم لابي مسلم الخراساني فنصح أخاه أبـــا العباس بقوله (لست بخليفة ما دام أبو مسلم حياً) . وقد رغب المنصور في عدم الإساءة لأبي مسلم نظراً لما قام به من جهد في انشاء الدولة العباسية ، الا انه رغب في ابعاده عن منطقة نفوذه في خراسان ، فكلفه بولاية الشام . ولما بلغه ذلك قال : (يوليني الشام وخراسان لي) ولما بلغ ذلك المنصور لم يجد مفراً من قتله والتخلص منه .

سنباذ الفارسي فأرسل الخليفة المنصور جيشه الذي التقى بالفرس بين همذان والري ، وخرج المنصور منتصراً .

استمر حكم المنصور عشرين سنة ٧٥٤ – ٧٧٥ م ولم يتمكن المنصور من إبعاد ظل الفرس عن الحكم ، فظهروا بشكل جديد تمثل في البرامكة الذين تزايد نفوذهم حتى وصل ذروته أيام الخليفة هارون الرشيد ، وأصبح «جعفر البرمكي» مطلق الصلاحية في شؤون الوزارة . وأخذ يسير الأمور دون الرجوع الى الخليفة ، وتعاظمت أهمية أسرته ، وتزايدت ثروتها ونفوذها بشكل طغى على ثروة هارون الرشيد ونفوذه . كما ألفوا حزباً سياسياً في فارس من مبادئه تهديم سلطة العرب ، ولم يجد الخليفة هارون الرشيد علاجاً للموقف إلا بإزالة «أسرة البرامكة» فقضى عليهم ولاحق أنصارهم حتى استتب له الأمر .

وقعت اضطرابات بعد ذلك في خراسان واستطاع اهلها الحصول على المزيد من الإمتيازات ، وعندما جاء رافع بن الليث أعلن استقلاله في سمرقند وما وراء النهر عام ٨٠٥ م مما دفع الرشيد الى توجيه جيش قاده بنفسه الا انه لم يحقق ما هدف اليه فقد توفي في خراسان عام ٨٠٩ م .

وحدث انشقاق خطير بعد ذلك بين ولدي الرشيد .

كان محمد الأمين الإبن الأكبر للرشيد ، وكانت أمه زبيدة حفيدة المنصور. في حين كان المأمون الإبن الأصغر . وكانت أمه « مراجل » أمة فارسية ، كما كانت زوجته «بوران» فارسية ايضاً ، وعندما توفي هارون الرشيد أعلن الأمين نفسه خليفة ، فرد المأمون بإعلان نفسه خليفة وأرسل من مرو جيشاً مؤلفاً من الخراسانيين والفرس فحاصر بغداد وقتل الأمين وبقي المأمون خليفة من ٨١٣ – ٨٣٣ م

بقي المأمون في مرو ، خراسان ، فترة ستة اعوام . وفي هذه الفترة نصب العلويون محمد بن ابراهيم بن طباطبا خليفة في اوائل سنة ٨١٥ . فأرسل

المأمون « هرثمة » لمقاتلته . فاستعاد « هرثمة » « واسط والمدائن والكوفة » . ونجح في القضاء على محمد طباطبا .

ثار أهـل بغداد نتيجة لشعورهم بتزايد نفوذ الفرس ، فسار الخليفة المأمون إلى بغداد ، وفي الطريق قتل وزيره الفارسي الفضل بن سهل وصهره عـلي الرضا . وذلك لأنهما أخذا في تشكيل خطر يتهدد سلطانه .

كان قائد القوات الذي فتح بغداد وقتـل الامين هو القائد الفارسي طاهر . ونتيجة لذلك ، استقل طاهر عن الخليفة في بغداد . وهكذا فقدت الدولة العباسية نهائياً ولاية خراسان منذ عام ٨٢٢ واستقلت بها الأسرة الطاهرية.

وفي أواسط القرن التاسع قـام الصفويون على أنقاض الطاهريين واستقلوا بخراسان ، ثم جاء بعدهم السامانيون الذين ضموا اليهم سجستان وبخـارى وسمرقند . وتتابعت الأسر الايرانية في الإستقلال عن الدولة العباسية على النحو التالي :

الطاهريون	٨١٠ – ٨٧٣ م .		
الصفاويون	٨٦٨ – ٩٠٢ م .		
السامانيون	٨٧٤ – ٩٩٩ م.		
آل زياد وآل بويه	٩٣٢ – ١٠٥٦ م .		
آل غزنه السلاجقة	٩٦٢ – ١١٨٦ م.	اصل	تركي
السلاجقة	١٠٣٧ – ١٣٠٠ م.	»	»
– الخوارزميون	١٠٧٧ – ١٢٢٠ م .	»	»
المغول « الايلخانيون»	١٢٥٦ – ١٣٣٦ م	»	»
آل جلاير	١٣٣٦ – ١٤١١ م.	»	»
آل مظفر	١٣١٣ – ١٣٩٣ م.	»	»
الكوت	١٢٤٥ – ١٣٨١ م.	»	»

التيموريون	١٣٦٩ – ١٥٠٠م.	أصل تركي
آل غوينلو	١٣٧٨ – ١٥٠٢م.	« «
– الصفويون	١٥٠٢ – ١٧٢٢م.	اول دولة اسماعيلية
– الافغان	١٧٢٢ – ١٧٢٩م.	رافق ذلك غزو الاتراك
– الافشار «نادرقلي بك»	١٧٣٦ – ١٧٤٧م.	والروس واحتلالهما
– الذنرديون «كريم خان»	١٧٤٧ – ١٧٩٤م.	أجزاء من فارس
– القاجار «آغا محمد خان القاجاي»	١٧٩٤ ١٩٠٦	اتراك

في عهد هذه الاسرة حدثت معركة هراة سنة ١٨٥٦ ، اعترفت فيها ايران؛ باستقلال « الغانستان ، وتسليم دربند وباكو لروسيا .

التفاعلات الاجتماعية العربية – الفارسية :

وصلت ايران قبـــل الفتح الإسلامي إلى مستوى حضاري متطور ،وظهرت فيها حركات اجتماعية وتنظيمات ثورية من أبرزها -حركة « المزدكيين»

وعندما جـــاء الإسلام ، خاف الفرس على حضارتهم من الضياع ، ولم يكن أمامهم سبيل لمقاومة الزحف الإسلامي الجبار . ولهذا دخلوا في الإسلام وحاولوا فلسفته ضمن مفاهيمهم ، كما حاولوا في الوقت ذاته إثارة التناقضات لخلق انقسام في صفوف العرب المسلمين . وقد نجحوا في الواقع بتحقيق جزء من مخططاتهم ، وتعاونت اليهودية المقنعة ، والمجوسية المخادعة أن تذهب بالخلفاء الراشدين ، فمات ابو بكر الصديق مقتولا بالسم عام ١٣ هـ بعد عام من تناوله طعام مسموم دسه له اليهود في « جذيذة » ومات معه في الوقت ذاته رفاقه الذين طعموا معه من الأكل المسموم وهما الحارث بن كلدة وعتاب بن أسيد(١) . كما نجح الهرمزان الفارسي في دفع أبي لؤلؤة ، وأعطاه خنجـــراً

(١) تاريخ الطبري ، ج ٣ ص ٤١٩ .

مسموماً قتل به الخليفة الثاني عمر بن الخطاب عام ٢٣ هـ (١). واستطاع عبدالله ابن سبأ اليهودي تنظيم حركة سرية في العراق ومصر ، وحشد قواته في المدينة عام ٣٦ هـ . ودفع «سودان بن حمران السكونيان» و«نهران الأصبحي» و «كنانة بن بشر بن عناب التجيبي» و«عمرو بن الحمق» لقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان (٢) . وفي عام ٤٠ هـ نظمت المؤامرة الكبرى التي نفذها «ابن ملجم المرادي» لقتل علي بن أبي طالب و«البرك بن عبدالله» لقتل «معاوية ابن ابي سفيان» و«عمرو بن بكر التميمي» لقتل «عمرو بن العاص» ولكن المؤامرة فشلت وذهب ضحيتها الخليفة «علي بن أبي طالب» .

وجد أعـداء العرب المسلمين أن مؤامراتهم لم تحقق أهدافها ، فقد جاء الأمويون وحققوا الفتوحات العربية الإسلامية ، فتحولت أعمال القتل الفردية إلى تنظيمات اجتماعية . سياسية هدفها ازالة الأمويين .

حاول أهـل فارس الإرتداد مرات عديدة ، مستفيدين من التناقضات خلال فترة الخليفة علي بن ابي طالب ، وحكم الأمويين ، إلا أن الفشل كان نصيبهم في كل مرة . وقد استنزفت أعمال الفتوح الجهد العربي الإسلامي ، مما أتاح الفرصة في نهاية الحكم الأموي لظهور «مؤامرة العباسيين» .

أفـاد الفرس من تقربهم إلى العباسيين ، فزوروا على لسانهم الوثائق وعملوا باسمهم لتنظيم الحركة العباسية . ولعل الوثيقة التي كتبها أبو مسلم الخراساني على لسان الإمام ابراهيم افضل برهان على ذلك ، وكان نص الوثيقة كالتالي (٣) :

[يا عبد الرحمن ، انك رجل منا أهل البيت ، فاحتفظ بوصيتي وانظر إلى هذا الحي من اليمن ، فأكرمهم وحل بين أظهرهم ، فان الله لا يتم هذا الامر إلا بهم ، وانظر هذا الحي من ربيعة ، فاتهمهم في أمرهم وانظر

---

(١) تاريخ الطبري ، ج ٤ ص ١٩٠ — ١٩٤ .

(٢) تاريخ الطبري ، ج ٤ ص ٣٦٥ .

(٣) تاريخ الطبري .

هذا الحي من مضر ، فإنهم العدو القريب الدار ، فاقتل من شككت في امره ، ومن كان في أمره شبهة ، ومن وقع في نفسك منه شيء وان استطعت ألا تدع بخراسان لساناً عربياً ، فافعل ، فأي غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه ، فاقتله] .

لا حاجة لتحليل هذه الوثيقة ، إلا أنه يمكن طرح سؤال واحد :

ترى هل يعقل أن يكتب الإمام ابراهيم العربي لإبادة العنصر العربي ؟

ثم ألم يحاول الخلفاء العباسيون الأوائل وضع حد لكل تطرف فارسي ؟

الإجابة تدحض نص الوثيقة وتثبت تزويرها ، إلا أن نص الوثيقة يثبت في الوقت ذاته قدرة أبي مسلم الخراساني على تسخير كل الوسائل لتحقيق أهدافه .

شعر الفرس بزوال الدولة الأموية وقيـــام الدولة العباسية أنهم حققوا أهدافهم ، فأخذوا ينافسون العرب في السلطة والحكم واستطاع العباسيون الأوائل ، وطوال مئتي عام ، كبح جماح الفرس فقضوا على أبي مسلم الخراساني والبرامكة ، والفضل بن سهل ، وغيرهم . وعندما ضعفت دولة العباسيين ، وقامت الدويلات الإيرانية على انقاضها ، ظهرت التنظيمات الدينية والاجتماعية لتمارس دورها في المجتمع العربي – الاسلامي ، وبالإمكان في هذا المجال استعراض أبرز التفاعلات ومنها :

١ – ثورة الزنج :

ظهر في الأهواز ، ثم تنقل في جنوب العراق رجل ادعى النسب العلوي واسمه علي بن محمد ، وقد أفاد علي هذا من التناقضات الإجتماعية التي سادت المجتمع أيام الرخاء في ظل الرشيد والمأمون ، فنظم ثورة الزنج ، العمـــال الفلاحين ، في الأراضي الزراعية ودخل البصرة عام ٢٥٥ هـ . وأعمل فيها حرقاً وتقتيلا . وتدميراً بصورة وحشية وقد بذل الخليفة المعتمد واخوه الموفق

٢٥٦ ـ ٢٧٦ هـ جهداً كبيراً للقضاء على هذه الثورة التي استمرت فترة ١٤ عاماً ، ولم تحقق شيئاً نظراً لعدم وجود منهج اقتصادي ، اجتماعي ، ونظراً لعدم وضع مبادىء واضحة في صلب منهج الثورة ، مثل إلغاء الرق .

٢ ـ ثورة القرامطة :

القرامطة ، فرقة سياسية دينية ، أسسها حمدان قرمط في جنوب العراق ، وقد ظهرت هذه الفرقة في أعقاب فشل ثورة الزنج ، وتبنى هذه الحركة في البحرين أبو سعيـــد الجنابي . وأسس في جنوب العراق والبحرين دولةاستمرت عشرات السنين ، وأفاد القرامطة من التناقضات الاجتماعية والإقتصادية لإعطاء حركتهم تنهيجاً علمياً ، فألزموا أتباعهم بدفع الضرائب لتمويل الثورة ثم استخدموا نظام « الألفة » لجمع الاموال في مكان محدود من كل تجمع سكاني على أن تصرف المبالغ المجمعة لصالح الأفراد كلهم ، وحرموا على كل انسان امتلاك اكثر من سلاحه وحصانه .

بدأت ثورة القرامطة عام ٢٨٤ هـ . فجهز لها الخليفة المعتضد قوات ضخمة ولاحق اتباع هذا التنظيم في كل مكـــان حتى تم القضـــاء عليهـــم . فتفرقوا وحافظوا على تنظيماتهم وكانوا نواة الحركات التالية ـ كالفاطميين .

٣ ـ الاسماعيلية :

حمل هـــذا التنظيم أسماء عديدة ، فاطلق عليه العرب اسم « الحشاشين » وعرفه الصليبيون باسم « القتلة ASSASSIN » .

مؤسس هذا المذهب هو حسن الصباح زميل عمر الخيام ورفيقه .

وفد على نظام الملك سنة ٤٨٥ هـ. وخيره الصباح نظراً للصداقة القديمة التي تربط بينهما في ولاية الري أو همذان ولكنه رفض وطلب اشراكة في الوزارة . إلا أن نظام الملك اكتفى بمنحه مكانة خاصة دون اشراكه في الحكم ، فأخذ

يستميل الحاشية وأصبح صاحب الملك . ولم يلبث أن تنكر لصديقه نظام الملك وأخذ يدس عليه عند ملك السلوقيين متهماً إياه بتبديد أموال الدولة وظهر للملك بطلان الإتهام ، وانكشف أمر حسن الصباح فهرب إلى أذربيجان ومنها الى الشام،ثم هبط مصر سنة ٤٧١ هـ حيث كان باستقباله داعي الدعاة « ابو داوود » وقدمه أبو داوود الى المستنصر بالله الفاطمي ، فقربه منه ، ثم عاد الى فارس ينادي بنزار بن المستنصر خليفة للمسلمين ، وطاف يبث الدعوة في أرجاء كرمان وطبرستان ، وتوجه بعد ذلك الى قلعة « وكر العقاب » في قوهستان .

وتظاهر بالعبادة والتقى ، مما حمل حاكم القلعة « علي بن المهدي » على تقريبه ، فاشترط حسن الصباح منحه حق شراء أرض من القلعة بحجة « انه لا يخضع لإنسان في الوجود» فباعه علي بن المهدى قطعة صغيرة بقيمة رمزية.وانطلق حسن الصباح بإثارة الفتنة وعندما شعر أنه أصبح في موقع القوة طلب من الحاكم مغادرة القلعة قائلا له«هذه القلعة ملكي وقد بعتها لي فاخرج منها» ولم يكن أمام علي بن المهدى سوى الإذعان بعد أن غلب على أمره .

انطلق حسن الصباح ينشر دعوته من هـــذه القلعة ، ووطد أركان الاسماعيلية وأرسل اتباعه يقتلون ويسلبون وينهبون حتى بعثوا الرعب في جميع القلوب . وكان من بين ضحاياه صديق طفولته نظام الملك . وتوفي الصباح سنة ٥١٨ هـ بعد ان وطد أسس مذهبه في العالم الإسلامي .

اتخـــذ اتباع هذا المذهب من القلاع الجبلية المحصنة مقراً لهم . وركزوا جهدهم لقتل القادة وسلاطين البلدان الإسلامية . واستمر العالم الإسلامي يعيش في رعب حتى جاء هولاكو عام ١٢٥٦ م فدمرهم .

استند الإسماعيليون الى الزردشتية وتعاليمها الدينيـــة « فوضعوا كتاب داذستان مينوك ـــ خرد » روح مذهب الحكمة، أو مذهب الحكمة الإلهية ، وجعلوه أساس مذهبهم .

تفرع عن هذا المذهب ، المذهب الدرزي ، وكان قائـــده محمد الدرزي ،

الذي أخذ أول تعاليمه من مدرسة « حسن الصباح » ثم انتقل الى مصر حيث تخرج من « دار الحكمة » التي أسسها الفاطميون . وعاد إلى المناطق الجبلية في سوريا ولبنان لنشر مذهبه .

نقــل الإسماعيليون مقر قيادتهم إلى « سلمية » وأخذوا منها يوجهــون أنصارهم ضد الأتراك وضد السلاجقة في وقت واحد .

وعندما احتــل الأتراك العثمانيون بلاد الشام تضاءل أمر الإسماعيلية ولم يعد لهم دور فعال .

نتائج التفاعلات الحضارية العربية – الايرانية :

ان العرض السابق يظهر الدور الذي مارسه العرب المسلمون في اغنـــــاء الحضارة وتطورها ، فقد انشئت المراصد في نيسابور ومراغة في اذربيجان وبغداد . قبل أن يعرف العالم المراصد الفلكية بمئات السنين .

وشهد العالم الإسلامي التنظيمات العمالية والتكتلات النقابية قبل ان تطرح المفاهيم العلمية الحديثة بأزمنة طويلة .

وعرف العالم العربي المستشفيات « البيمرستانات » والعلاج الوقائي واكتشاف العقاقير وتنظيم الخدمات الصحية قبل أن يعرف العالم التنهيج الصحي بأعوام كثيرة .

وشهد العالم عــلى أيدي العرب المسلمين حضارة عمرانية امتدت مــن الصين حتى اوربا ، مما كان حافزاً لتطوير مدنيتنا الحديثة .

أعطى العرب حضارة ، وهيــأوا مناخاً تفاعلت في أجوائه جميع الحضارات وانصهرت في بوتقته جميع الشعوب . في إطار علمي وفني ، رغم احتفاظ هذه الشعوب بمقوماتها الوطنية والقومية . وهذه من أبرز خصائص الحضارة العربية الاسلامية .

لقــد استطاع العرب المسلمون انجاز ذلك كله عندما استطاعوا ممارسة دور القيادة والريادة ، ولكن الدور الحضاري أخذ في الزوال والأفول عندما

فصل العرب عن الاسلام . وأبعدوا عن دورهم القيادي فشهد العالم الإسلامي تمزقاً بعد وحدة ، ونكوصاً بعد تقدم ، وظلمة بعد نور .

اعطى العرب المسلمون الدنيـــا قلبهم ولسانهم ، ولم يقطفوا من ثمار جهدهم ومن نتاج ما قدموه للحضارة سوى الظلم والتقييم المجحف والإضطهاد الذي لا زالت بذوره تعيش حتى العصر الحديث .

لم تكن الحضارة العربية الاسلامية حضارة عسكرية فقط .

ولم يكن القتال هدفاً من أهداف العرب المسلمين بل كان وسيلة لاغنـــاء الحضارة . وكان شأن العرب مع من حملوا لهم الحضارة قول الشاعر :

اريد حياته ويريد قتلي .

شرعية الحرب

عدالة الحروب الاسلامية

قال الله تعالى في كتابه العزيز :

كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى ان تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون(١)

وقال تعالى :

وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين (٢)

كتب الله القتال على المؤمن لهدفين .

١ ــ لهدف دفاعي ضد الذين « يقاتلونكم » .

٢ ــ من اجل نشر الدين الاسلامي .

وهو في جميع الحالات « كره » إلا أن هذا الكره « حتمي ولابد منه » فيه إرادة الله ، فلهذا أصبح القتال فرضاً على المسلمين ، لا مفر لهم منه ولا نكوص لهم عنه ، ولا تهاون لهم فيه .

وللحروب الإسلامية أهدافها ومبرراتها ، ومن هنا ، فإنها حروب مشروعة وعادلة . وحتى تتوضح كلمة « أهدافها ومبرراتها » قد يكون من المناسب ذكر بعض الاقوال في شرعية الحرب « على سبيل الاستشهاد » وليس على سبيل البرهان ، فكلمة الله في غير حاجة لبرهان .

قام استاذ فرنسي ج بوتول باجراء دراسة عن الحروب وتبين له ان

---

(١) و (٢) الآيتان ٢١٦ و ١٩٠ من سورة البقرة .

هناك ثمانية آلاف اتفاقية سلم ، قد وقعت خلال أربعة آلاف عام من عمر التاريخ ورغم ذلك فإن نيران الحروب لم تخمد ، أي بمعنى اتفاقية سلام كل ستة اشهر ، والحرب قائمة باستمرار . ولنا في شواهد تاريخنا المعاصر خير برهان وافضل دليل (١) .

الحرب من طبيعة الإنسان ، ومن طبيعة التقدم ، ومن طبيعة الحياة . إلا أنه ليس لكل حرب شرعيتها وعدالة مبرراتها .

يعرف ماوتسي تونغ الحرب الشرعية وغير الشرعية بما يلي :

يظهر تاريـــخ الحرب انه بالامكان تصنيف الحروب ضمن طائفتين ، حروب شرعية ، وحروب غير شرعية .

ان كل حرب تقدميـــة حرب شرعية ، وكل حرب تعترض سبيـل التقدم هي حرب غير شرعية (٢) .

و التقدم بمعنـــاه العلمي هو ما فيه خير الإنسان ومجتمعه ، وهو أيضاً السبيل لتطور الإنسانية واغناء الحضارة من أجل تعزيز مكانة الإنسان .

جاء في صحيفة لوموند ٢٣ آذار – مارس – ١٩٦٨ المقطع التالي :

[اننا نعترف بحق كل مسيحي ، وكل رجل ، في الاسهام بالتفاعلات الثورية بما في ذلك النضال المسلح] .

وان الدين الاسلامي هو دين الثورة الدائمة ، على كل أوضاع الظلم وأوضاع التخلف وحرب ضد كل عوائق التطور . ونتيجة لذلك فانه لا حاجة للبرهان. عن عدالة الحروب الإسلامية وشرعيتها ، ضمن إطار أحدث المفاهيم والقيم

وقد نكون في حاجة لبعض الأمثولات ، وان حروب الفتوح وبصورة خاصة فتوح ايران قد اعطت وفرة لا حدود لها من هذه الامثلة ، ربما كان من المفيد مطالعة البعض منها قبل الاستمرار في البحث .

---

(١) G. Bouthol ثمانية آلاف اتفاقية سلام في اربعة آلاف عام ، اصدار دار نشر ، جوليارد ، باريس .

(٢) المرجع Revue Militaire Générale Mai 1972 page 618

وصية الخليفة عمر بن الخطاب إلى قائده « سلمة بن قيس الأشجعي » وقد كلفه التوجه لحرب الأكراد :

سر باسم الله ، قاتل في سبيل الله من كفر بالله ، فاذا لقيتم عدوكم من المشركين فادعوهم الى ثلاث خصال :

١ ــ ادعوهم الى الاسلام ، فان اسلموا فاختاروا دارهم فعليهم في اموالهم الزكاة وليس لهم في فيء المسلمين نصيب وان اختاروا ان يكونوا معكم ، فلهم مثل الذي لكم وعليهم مثل الذي عليكم .

٢ ــ فان أبوا فادعوهم الى الخراج ، فان اقروا بالخراج فقاتلوا عدوهم من ورائهم ، وفرغوهم لخراجهم ولا تكلفوهم فوق طاقتهم .

٣ ــ فان أبوا فقاتلوهم ، فان الله ناصركم عليهم ، فان تحصنوا منكم في حصن فسألوكم ان ينزلوا على حكم الله وحكم رسوله ، فلا تنزلوهم على حكم الله ، فانكم لا تدرون ما حكم الله ورسوله فيهم . وان سألوكم ان ينزلوا على ذمة الله وذمة رسوله ، فاعطوهم ذمم انفسكم . فان قاتلوكم فلا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً .

نص وثيقة الصلح المعقودة بين نعيم بن مقرن ، وبين اهل الري ، تاريخ الطبري ، ج ٤ ــ ص ١٥١ :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما اعطى نعيم بن مقرن الزينبي بن قوله « حاكم الري » .

أعطاه الأمان على أهل الري ، ومن كان معهم من غيرهم على الجزاء ، طاقة كل حالم في سنه، وعلى أن ينصحوا ويدلوا ولا يغلوا ولا يسلوا، وعلى أن يقروا المسلمين يوماً وليلة ، وعلى أن يفخموا المسلم فمن سب مسلماً او استخف به نهك عقوبة ، ومن ضربه قتل ، ومن بدل منهم فلم يسلم برمته فقد غير جماعتكم .

نص وثيقة الصلح بين نعيم بن مقرن وبين مردانشاه مصمغان دنباوند ، الطبري ج ٤ ، ص ١٥١ .

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من نعيم بن مقرن لمردانشاه مصمغان دنباوند واهل دنباوند والخوار واللارز والشرز انك آمن ومن دخل معك على الكف ، ان تكف اهل ارضك وتتقي من ولي الفرج بمائتي الف درهم وزن سبعة في كل سنة، لا يغار عليك ، ولا يدخل عليك الا باذن ، ما اقمت على ذلك ، حتّى تغير ، ومن غير فلا عهد له ، ولا لمن يسلمه .

نص وثيقة الصلح بين عتبة بن فرقد وبين اهل اذربيجان ، تاريخ الطبري ، ج ٤ :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عتبة بن فرقد عامل عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل اذربيجان ، سهلها وجبلها وحواشيها وشفارها وأهل مللها ، كلهم الأمان على انفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم على ان يؤدوا الجزيــة على قدر طاقتهم ، ليس على صبي ولا امرأة ولا زمن « فقير ليس لديه فدية » ولا متعبد ليس في يديه من الدنيا شيء لهم ذلك ولمن سكن معهم ، وعليهم قرى المسلم من جنود المسلمين يوماً وليلة ودلالته ومن حشر منهم في سنة، وضع عنه جزاء تلك السنة ، ومن اقام فله مثل ما لمن اقام من ذلك ومن خرج فله الأمان حتّى يلجأ الى حرزه ، وكتب جندب وشهد بكير بن عبد الله الليثي وسماك بن خرشه الانصاري .

نص وثيقة الصلح بين سراقة بن عمرو واهل الباب ، تاريخ الطبري ، ج٤ :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما اعطى سراقة بن عمرو عامل امير المؤمنين عمر بن الخطاب شهربراز ، وسكان ارمينيا والأرمن من الأمان .
اعطاهم اماناً لانفسهم وأموالهم وملتهم ألا يضاروا ولا ينتقضوا ، وعلى اهل ارمينيا والأبواب الطراء منهم والتناء « بمعنى الخارجين منها والمقيمين فيها » ومن حولهم فدخل معهم ان ينفروا لكل غارة ، وينفذوا لكل امر ناب او لم ينب رآه الوالي صلاحاً ، على ان توضع الجزاء عمن اجاب الى ذلك الا الحشر ، والحشر عوضاً من جزائهم ، ومن استغنى منهم وقعد فعليه مثل ما على اهل اذربيجان من الجزاء والدلالة والنزل يوماً كاملا ، فان حشروا وُضع ذلك عنهم ، وإن تركوا أخذوا به .
شهد عبد الرحمن بن ربيعة ، وسلمان بن ربيعة ، وبكير بن عبد الله ، وكتب قرضي بن مقرن وشهد .

وثيقة صلح طخارستان ، في اقليم خراسان جنوب الصغد

المرجع : فتوح البلدان ، البلاذري ، ص ٣١١

تقدم الأحنف بن قيس عـــلى رأس جيشه ، وحدثت معركة مع ملك طخارستان استمرت يوماً ، وفي اليوم التالي ارسل الملك وفداً ومع الرسالة التالية :

الى امير الجيش ،

انا نحمد الله الذي بيده الدول ، يغير ما شاء من الملك ، ويرفع من شاء بعد الذلة ، ويضع من شاء بعد الرفعة إنه دعاني الى مصالحتك وموادعتك ما كان من اسلام جدي ، وما كان من رأي صاحبكم من الكرامة والمنزلة فمرحباً بكم وابشروا ، وانا ادعوكم الى الصلح فيما بينكم وبيننا على ان أؤدي اليكم خراجاً ستين الف درهم وان تقروا بيدي ما كان ملك الملوك كسرى اقطع جد أبي ، حيث قتل الحية التي اكلت الناس وقطعت السبل من الارضين والقرى بما فيها من الرجال . ولا تأخذوا من أحد من اهل بيتي شيئاً من الخراج ، ولا تخرج المرزبة من اهل بيتي الى غيركم ، فان جعلت ذلك خرجت اليك ، وقد بعثت اليك ابن اخي ماهك ليستوثق منك بما سألت .

واجابه الاحنف بن قيس على رسالته بما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم

من صخر بن قيس امير الجيش الى باذان مرو روذ ، ومن معه من الأساورة والاعاجم .

سلام على من اتبع الهدى وآمن واتقى ، اما بعد .

فان ابن اخيك ماهك قدم علي فنصح لك جهده ، وابلغ عنك ، وقد عرضت ذلك على من معي من المسلمين ، وانا وهم فيما عليك سواء . وقد اجبناك

الى ما سألت وعرضت على ان تؤدي عن اكرتك وفلاحيك والأرض ستين الف درهم الي ّ وإلى الوالي من بعدي من أمراء المسلمين إلا ما كان من الأرض التي ذكرت أن كسرى الظالم لنفسه اقطع جد ابيك لما كان قتله الحية التي افسدت الأرض وقطعت السبل ، والأرض لله ولرسوله يورثها من يشاء من عباده ، وان عليك نصرة المسلمين وقتال عدوهم بمن معك من الاساورة ان احب المسلمون ذلك وارادوه وان لك على ذلك نصرة المسلمين على من يقاتل من ورائك من اهل ملتك جار لك بذلك مني كتاب يكون لك بعـــدي ، ولاخراج عليك ولا على أحد من أهل بيتك من ذوي الارحام ، وان انت اسلمت واتبعت الرسول ، كان لك من المسلمين العطاء والمنزلة والرزق وانت اخوهم ولك بذلك ذمتي وذمة ابي ، وذمم المسلمين وذمم آبائهم ، شهد على ما في هذا الكتاب . جزء بن معاوية
او معاوية بن جزء السعدي ، حمزة بن الهرماس .
حميد بن الخيار المازنيان ، عياض بن ورقاء الاسيدي
وكتب كيسان مولى بني ثعلبة يوم الاحد من شهر الله المحرم .
وختم أمير الجيش الاحنف بن قيس ، ونقش خاتم الاحنف « نعبد الله »

ان مطالعـــة النصوص السابقة توضح بجلاء هدف الحرب ومبرراتها عند قادة المسلمين ففي رسالة الخليفة ابي بكر الصديق، عرض للمراحل التي يجب تنفيذها ، وهي :

١ ـ الدعوة للاسلام ٢ ـ دفع الخراج ٣ ـ الحرب .

وتأتي الحرب في المرحلة الثالثة ، وبعد قصور الوسائل السياسية والديبلوماسية عن تحقيق الهدف الاول وهو نشر راية الاسلام .

اما بالنسبة لدفـــع الخراج ، فهو تعويض ، او بدل ، عن الخدمـــة في جيش المسلمين ، ويظهر ذلك واضحاً من كلمة ابي بكر الصديق ، فان اقروا بالخراج فقاتلوا عدوهم من ورائهم وفرغوهم لخراجهم ولا تكلفوهم

فوق طاقتهم . وهكذا يسهم غير المسلمين بالمجهود الحربي ، لقاء حمايتهم وتفريغهم لشؤونهم الدنيوية والحياتية .

وقد اسقط الخراج ، او البدل ، في كثير من الحالات مثل :

١ ـ الحالم الذي لم يبلغ الرشد .

٢ ـ المرأة ، نظراً لعدم توفر دخل خاص بها في تلك الايام .

٣ ـ الفقير الذي لا يستطيع تقديم شيء من ماله .

٤ ـ المتعبد الذي كرس حياته لهدف امثل ـ بصرف النظر عن مذهبه أو ديانته ـ .

٥ ـ من يشترك في القتال مع المسلمين مع بقائه على مذهبه ودينه .

كما قيد الاسلام المحاربين بقيود أخلاقية صارمة منها :

١ ـ عدم السماح لمقاتلي الخصم ، بانتزاع وعود ، قد يصعب تنفيذها .

« فان سألوكم ان ينزلوا على حكم الله ورسوله فلا تنزلوهم على حكم الله فانكم لا تدرون ما حكم الله ورسوله فيهم ».

٢ ـ الالتزام بالقواعد الاخلاقية ، فلا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً .

٣ ـ التمهيد لإقامة علاقات جديدة وبناء مجتمع جديد .

التزم المسلمون في حروبهم بهـذه الأسس التي تظهر في كل وثيقة وكل معاهدة من المعاهدات التي أبرموها مع حكام الاقاليم .

وإن الخطوط العامة لهذه الاتفاقيات تستند الى النقاط العامة التالية :

١ ـ تحديد قيمة الخراج بدقة . مع استعداد المسلمين لانقاصها في حالات خاصة مثل عدم جودة المواسم الزراعية ، حدوث أوبئة .

٢ ـ تعزيز مكانة المسلم ، ووضع حصانة لحمايته نظراً لأنه يحمل اعباء نشر الرسالة السماوية « على ان يفخموا المسلم فمن سب مسلماً او استخف به نهك عقوبة ومن ضربه قتل » .

٣ ـ تقديم الدعم للمسلمين « على ان ينصحوا ، ويدلوا ولا يغلوا ، ولا يسلوا » . وعليهم قرى المسلم من جنود المسلمين يوماً وليلة ودلالته » .

المصادر

١ – القرآن الكريم .
٢ – القرآن والقتال ، الشيخ محمود شلتوت ، مطبعة دار الكتاب العربي ، مصر ١٩٥١ .
٣ – القرآن ، في ظلال القرآن ، سيد قطب ، الطبعة الثانية ، مصر ، دار احياء الكتب العربية .
٤ – ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، الامام ابي الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الاثير الجزري الملقب بعز الدين المتوفي ٦٣٠ هـ ، اصدار ادارة الطباعة المشيرية ، مصر ١٣٤٩ م .
٥ – ابن الاثير ، اسد الغابة في معرفة الصحابة ، المطبعة الاسلامية ، طهران ١٣٧٧ هـ .
٦ – ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، مطبعة السعادة مصر ١٣٦٧ هـ ، الطبعة الأولى .
٧ – ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، الجزء الاول من كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر ، عبد الرحمن بن خلدون المغربي ، تصحيح نصر الهوريني ١٢٧٤ هـ ١٨٧٥ م .
٨ – ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، اصدار مكتبة المثنى ببغداد ١٩٦٣ م.
٩ – ابن عبدالبر ، الدرر في اختصار المغازي والسير ، الحافظ يوسف بن عبدالبر النمري تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، اصدار المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية لجنة احياء التراث العربي ، القاهرة ١٣٨٦ هـ – ١٩٦٦ م .

١٠ ــ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، المطبعة الازهرية ، مصر ١٣٤٦ هـ .
١١ ــ ابن عساكر ، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين ابن عساكر الشافعي ، التاريخ الكبير ، خمسة اجزاء ، اصدار مطبعة روضة الشام ١٣٢٩ هـ .
١٢ ــ ابي يوسف ، الخراج ، للقاضي يعقوب بن ابراهيم اصدار المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة ١٣٤٦ هـ .
١٣ ــ ابي عبدالله الاندلسي ، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ، الوزير الفقية ابي عبدالله بن عبد العزيز البكري الاندلسي المتوفي سنة ٤٨٧ هـ ، اصدار مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٦١ هـ ــ ١٩٤٧ م .
١٤ ــ البلاذري ، فتوح البلدان ، الامام ابي العباس احمد بن يحيى بن جابر البلاذري حققه عبدالله انيس الطباع وعمر انيس الطباع ، اصدار دار النشر للجامعيين بيروت ١٩٥٧ .
١٥ ــ الطبري ، تاريخ الطبري ، للامام محمد بن جرير ، مطبعة الاستقامة مصر ١٣٤٧ هـ .
١٦ ــ الواقدي ، فتوح الشام ، ابي عبدالله محمد بن عمر الواقدي ، اصدار مطبعة دار العهد الجديد ، مصر ١٣٧٣ هـ .
١٧ ــ الاصطخري ، المسالك والممالك ، اصدار مطبعة دار القلم ، القاهرة ١٣٨١ هـ .
١٨ ــ المبرد «الكامل» ابو العباس محمد بن يزيد المتوفي ٢٨٥ هـ ، اصدار مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٩٥١ م .
١٩ ــ الحافظ الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، مطابع حكومة الكويت ، ١٩٦٠ م .
٢٠ ــ احمد زكي صفوت ، جمهرة رسائل العرب في العصور العربية الزاهرة ، اصدار مكتبة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر ١٣٥٦ هـ ــ ١٩٣٧م .

٢١ ـ ابراهيم رفعت باشا ، مرآة الحرمين الشريفين ، اصدار مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة .
٢٢ ـ ابراهيم احمد العدوي ، الاساطيل العربية في البحر الابيض المتوسط .
٢٣ ـ ابراهيم والبجاوي ، ايام العرب في الاسلام ، محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي .
٢٤ ـ اكرم الديري وهيثم الايوبي ، نحو استراتيجية عربية جديدة ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٦٩ .
٢٥ ـ ادوار بروي ، تاريخ الحضارات العام ، القرون الوسطى نقله الى العربية يوسف اسعد داغر وفريدم داغر ، منشورات عويدات ، بيروت .
٢٦ ـ اندريه بوفر ، مدخل الى الاستراتيجية العسكرية ، ترجمة اكرم ديري وهيثم الايوبي اصدار دار الطليعة بيروت . الطبعة الأولى .
٢٧ ـ بيتر يانغ ، المعارك الحاسمة في الحرب العالمية الثانية ترجمة بسام العسلي اصدار الادارة السياسية في الجيش والقوات المسلحة دمشق ١٩٧٢ .
٢٨ ـ خير الدين زركلي ، الاعلام ، قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين .
٢٩ ـ كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية نقله الى العربية الدكتور نبيه امين فارس ، منير بعلبكي ، اصدار دار العلم للملايين .
٣٠ ـ كارل فون كلوزفيتز ، في الحرب ترجمة اكرم ديري ، هيثم الايوبي .
٣١ ـ كرستنسن ، ايران في عهد الساسانيين ، ترجمة الدكتور يحيى الخشاب اصدار مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٧ م .
٣٢ ـ لسترنج ، بلدان الخلافة الاسلامية ، ترجمة بشير فرنسيس كوركيس عواد ، اصدار مطبوعات المجمع العلمي العراقي .
٣٣ ـ مصطفى طلاس (لواء ركن) ، الرسول العربي وفن الحرب ، اصدار مطابع الادارة السياسية للجيش والقوات المسلحة ، دمشق ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م .

٣٤ ـ مصطفى طلاس،(لواء ركن) ، دراسات عسكرية اقتصادية سياسية ، ادارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي ، دمشق ١٩٦٨ .

٣٥ ـ محمود شيت خطاب (لواء ركن)،قادة فتح بلاد فارس، ايران ، اصدار دار الفكر .

٣٦ ـ محمود شيت خطاب (لواء ركن)، قادة فتح الشام ومصر .

٣٧ ـ محمد بن سعيد بن منيع الزهري ، الطبقات الكبير ، وعرف بكاتب الواقدي ١٦٨ ـ ٢٣٠ هـ = ٧٨٤ ـ ٨٤٥ م .

٣٨ ـ محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة،اصدار دار العلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، القاهرة .

٣٩ ـ ستروكوف «جنرال»، تاريخ فن الحرب ، نقله عن الروسية العميد الركن صباح الدين الاتاسي ، اصدار ادارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي ، دمشق الطبعة الاولى ١٩٦٨ .

٤٠ ـ علي بن ابي طالب ، نهج البلاغة ، شرح الامام محمد عبده ، اصدار دار الالسن .

٤١ ـ هاري و. هازارد ، اطلس التاريخ الاسلامي رسم خرائطه ، كيل وكوك ، ترجمه وحققه زكي خورشيد ، اصدار مكتبة النهضة المصرية، القاهرة الطبعة الثالثة ١٩٥٥ .

٤٢ ـ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، شهاب الدين ابي عبيد الله ياقوت ابن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، اصدار دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت .

٤٣ ـ اطلس القرن العشرين .

٤٤ ـ المجلة العسكرية ، اصدار الادارة السياسية في الجيش العربي السوري ، وبصورة خاصة مقالات امين النفوري في اعداد ٦ ، ٧ ، ٨ ـ ١٩٧٣

٤٥ ـ المجلة العسكرية العامة Revue Militaire Générale

الملحقات

١ – الحكم في الجزيرة العربية منذ الهجرة « الحجاز ، اليمن ، الساحل والخليج » .
٢ – الحكم في بلاد الشام منذ ظهور الاسلام .
٣ – الحكم في العراق منذ الفتوحات الاسلامية .
٤ – الحكم في فارس منذ ظهور الاسلام .
٥ – الحكم في الاناضول منذ ظهور الاسلام .
٦ – الحكم في « ما وراء القوقاز » منذ ظهور الاسلام .
٧ – الحكم في خراسان ، منذ ظهور الاسلام .
٨ – الحكم في افغانسنان ، منذ ظهور الاسلام .
٩ – الحكم في « ما وراء نهر جيحون » منذ ظهور الاسلام .
١٠ – تاريخ الاسلام في تركستان
١١ – الاعمال البحرية للقوات الاسلامية في البحر الابيض المتوسط منذ ظهور الاسلام

قبرص ، سردينيا ، صقليا ، كريت ، رودس ، كورسيكا ، مالطا ، جزر الباليار ، سواحل فرنسا ، بحر ايجه ، ايطاليا .

ملحق رقم ١

الحكم في الجزيرة العربية منذ الهجرة

السنة الهجرية	السنة الميلادية	
١ — ١٠ هـ	٦٢٢ — ٦٣٢ م	وحد الرسول الأعظم الجزيرة العربية .
١٠ — ١٣ هـ	٦٣٢ — ٦٣٤ م	ابو بكر الصديق « عتيق بن ابي قحافة بن بكر ابن تيم بن مرة » .
١٣ — ٢٤ هـ	٦٣٤ — ٦٤٤ م	عمر بن الخطاب .
٢٤ — ٣٦ هـ	٦٤٤ — ٦٥٦ م	عثمان بن عفان .
٣٥ هـ — ٤٠	٦٥٦ — ٦٦١ م	علي بن ابي طالب .
(٣٥ هـ)	« ٦٥٦ » م	حدث خلاف بين الخليفة علي والزبير بن العوام وطلحة بن عبدالله
(٣٥ — ٤٠ هـ)	«٦٥٦ — ٦٦١»م	نازع الامويون الخليفة عليفي حكم الجزيرة .
٥٠ هـ — ١٢٧ هـ	٦٦١ — ٧٤٤ م	حكم الامويين .
٦١ هـ	٦٨٠ م	حاول الحسين بن علي انتزاع الحكم من الامويين
٦١ — ٨١ هـ	٦٨٠ — ٦٩٠ م	حكم عبدالله بن الزبير الجزيرة وفرض سيطرته عليها .
بعد ١٢٧ هـ	بعد ٧٤٤ م	حكم العباسيين .

١ ـ الحجاز

السنة الهجرية	السنة الميلادية	
٢٠٥ ـ ٤٠٩ هـ	٧٢٠ ـ ١٠١٨ م	حكم بنو زياد اليمن ونافسوا العباسيين في حكم الحجاز .
٢٥٤ ـ ٤٦٣ هـ	٨٦٨ ـ ١٠٧٠ م	دخلت الحجاز وعسير في حكم الفاطميين .
٢٨٦ هـ	٨٩٩ م	اخذ القرامطة يوسعون نفوذهم في الحجاز ووصلوا مكة سنة ٩٣٠ م ، ثم اخذ العرب في ازالة القرامطة تدريجياً .
٤٦٣ ـ ٥٦٧ هـ	١٠٧٠ ـ ١١٧١ م	السلاجقة « داخل الجزيرة في حكم القبائل العربية » .
٥٦٧ ـ ٦٥٠ هـ	١١٧١ ـ ١٢٥٢ م	الايوبيين «داخل الجزيرة في حكم القبائل العربية»
٦٥٠ ـ ٧٨٤ هـ	١٢٥٢ ـ ١٣٨٢ م	المماليك البحرية « داخل الجزيرة بقي بيد القبائل»
٧٨٤ ـ ٩٢٣ هـ	١٣٨٢ ـ ١٥١٧ م	المماليك البرجية «حكمت القبائل العربية داخل الجزيرة » .
٩٢٣ ـ ١٣٣٥ هـ	١٥١٧ ـ ١٩١٦ م	العثمانيون « حكمت القبائل العربية داخل الجزيرة»
١١٧١ هـ	١٧٥٧ م	ظهر الوهابيون واخذوا ينشرون سلطتهم في الحجاز .
١٢١٨ ـ ١٢٢٨ هـ	١٨٠٣ ـ ١٨١٣ م	سيطر الوهابيون على الحجاز .
١٢٢٨ ـ ١٢٥٦ هـ	١٨١٣ ـ ١٨٤٠ م	حكم المصريون الحجاز .
١٢٥٥ هـ	١٨٣٩ م	احتل البريطانيون عدن .
١٢٧١ هـ	١٨٥٤ م	احتل البريطانيون جزر خوريان موريان .
١٣٢٨ هـ	١٩١٠ م	قام الملك حسين بالاستيلاء على الحكم من العثمانيين في الحجاز .
١٣٣٥ هـ	١٩١٦ م	قام الملك حسين بتوجيه الجيش العربي في اتجاه دمشق .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	
١٣٣٢ هـ	١٩١٣ م	كان السعوديون قد استولوا على نجد .
١٣٤٠ هـ	١٩٢١ م	انتزع السعوديون الحكم من آل رشيد في حائل.
١٣٤١ هـ	١٩٢٢ م	انتزع السعوديون الجوف من بني شعلان .
١٣٤٤ هـ	١٩٢٥ م	استولى السعوديون على الحجاز .
١٣٤٩ هـ	١٩٣٠ م	استولى السعوديون على عسير .
١٣٥١ هـ	١٩٣٢ م	تكونت المملكة العربية السعودية .

٢ ـ اليمن

٢٠٥ ـ ٤٠٩ هـ	٨٢٠ ـ ١٠١٨ م	بني زياد .
٤١٢ ـ ٥٦٧ هـ	١٠٢١ ـ ١١٧٣ م	بني نجاح .
٤٢٩ ـ ٤٩٢ هـ	١٠٣٧ ـ ١٠٩٨ م	بني صليح .
٤٩٢ ـ ٥٥٤ هـ	١٠٩٨ ـ ١١٥٩ م	الحمدانيين .
٥٥٤ ـ ٥٦٩ هـ	١١٥٩ ـ ١١٧٣ م	المهدية .
٥٦٩ ـ ٦٢٦ هـ	١١٧٣ ـ ١٢٢٨ م	تحت حكم فرع من الأمويين .
٦٢٦ ـ ٨٥٠ هـ	١٢٢٨ ـ ١٤٤٦ م	تحت حكم بني رسول في صنعاء .
٨٥٠ ـ ٨٥٨ هـ	١٤٤٦ ـ ١٤٥٤ م	وسع بني رسول سلطتهم حتى اليمن وحضرموت
٨٥٨ ـ ٩٢٣ هـ	١٤٥٤ ـ ١٥١٧ م	بنو طاهر « تابعين للمماليك » .
٩٢٣ هـ	١٥١٧ م	بدأ العثمانيون يبسطون نفوذهم على اليمن .
٩٤٥ ـ ١٣٣٢ هـ	١٥٣٨ ـ ١٩١٣ م	اصبحت اليمن تحت حكم العثمانيين .
٩٥٤ هـ	١٥٤٧ م	استولى العثمانيون على عدن .
٩١٣ هـ	١٥٠٧ م	قام البرتغاليون بغزو عمان وسقطرى .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	
١٠٣٨ ـ ١٠٤٥ هـ	١٦٢٨ ـ ١٦٣٥ م	ظهور الأئمة الزيدية والنزاع مع العثمانيين من اجل السيطرة على اليمن وعسير واصبحت اليمن تحت حكم الأئمة الزيدية منذ عام ١٦٣٥ بصورة فعلية وتابعة للسلطة العثمانية اسمياً .
١٣٥٣ هـ	١٩٣٤ م	قام ابن السعود بغزو اليمن وتدخلت بريطانيا لحماية الاسرة الزيدية « شيعة » وبقيت هذه الاسرة في الحكم حتى ١٩٦٢ حيث قامت بها ثورة جمهورية اطاحت بالنظام الملكي .

٣ ـ الساحل العربي والخليج

٢٥٤ ـ ٤٠١ هـ	٨٦٨ ـ ١٠١٠ م	حكم البويهيون عُمان .
٤٠١ ـ ٥٤٩ هـ	١٠١٠ ـ ١١٥٤ م	حكم الجلنديون عُمان .
٥٤٩ هـ	١١٥٤ م	بني نبهان الذين بسطوا نفوذهم على الجزء الشرقي من الجزيرة .
٩١٣ ـ ١٠٥٨ هـ	١٥٠٧ ـ ١٦٤٨ م	غزا البرتغاليون سقطرى وعدن ثم انتزعها منهم الصفويون واصبحت عسير واليمن وحضرموت وعمان وسقطرى تحت حكم سلاطين من اهلها .
١٢٥٥ هـ	١٨٣٩ م	احتل البريطانيون عدن .
١٢٧١ هـ	١٨٥٤ م	احتل البريطانيون جزر خوريان موريان .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	
١٢٣٦ هـ	١٨٢٠ م	فرضت بريطانيا حمايتها على ساحل الصلح البحري .
١٣٠٤ هـ	١٨٨٦ م	فرضت بريطانيا حمايتها على سقطرى .
١٣٠٩ هـ	١٨٩١ م	فرضت بريطانيا حكمها على مسقط وعمان ، ثم اصبحت الكويت والبحرين وقطر وساحل الصلح البحري وعدن وحضرموت وسقطرى تحت الحماية البريطانية حتى استقلالها .

ملحق رقم ٢

الحكم في بلاد الشام منذ ظهور الاسلام

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الأحداث
١٢ – ١٩ هـ	٦٣٤ – ٦٤٠ م	الفتوحات الاسلامية بقيادة خالد بن الوليد وعبيدة بن الجراح .
١١ – ٣٦ هـ	٦٤٠ – ٦٥٦ م	الخلفاء الراشدين حتى نهاية حكم عثمان بن عفان
٣٦ – ٤٠ هـ	٦٥٦ – ٦٦١ م	قتل الخليفة علي بن ابي طالب ، وانتهى الحكم الى الامويين .

حكم الامويين

١	٤١ – ٦١ هـ	٦٦١ – ٦٨٠ م	معاوية بن ابي سفيان .
٢	٦١ – ٦٤ هـ	٦٨٠ – ٦٨٣ م	يزيد بن معاوية « يزيد الأول ».
٣	٦٤ – ٦٥ هـ	٦٨٣ – ٦٨٣ م	معاوية بن يزيد « حكم اربعة اشهر فقط » .
٤	٦٥ – ٦٦ هـ	٦٨٤ – ٦٨٥ م	مروان بن الحكم بن معاوية .
٥	٦٦ – ٨٧ هـ	٦٨٥ – ٧٠٥ م	عبدالملك بن مروان بن الحكم .
٦	٨٧ – ٩٧ هـ	٧٠٥ – ٧١٥ م	الوليد بن عبدالملك بن مروان .
٧	٩٧ – ٩٩ هـ	٧١٥ – ٧١٧ م	سليمان بن عبدالملك بن مروان .
٨	٩٩ – ١٠٢هـ	٧١٧ – ٨٢٠ م	عمر بن عبد العزيز حفيد عبدالملك بن مروان .
٩	١٠٢–١٠٥ هـ	٧٢٠ – ٧٢٤ م	يزيد بن عبد الملك بن مروان .
١٠	١٠٥–١٢٥ هـ	٧٢٤ – ٧٤٣ م	هشام بن عبد الملك .
١١	١٢٦–١٢٧هـ	٧٤٣ – ٧٤٤ م	الوليد بن يزيد بن عبد الملك .
١٢	١٢٧ هـ	٧٤٤ م	يزيدالثالث وابراهيم ولدا الوليدبن عبدالملك ابن مروان
١٣	١٢٧–١٣٢ هـ	٧٤٤ – ٧٤٩ م	مروان الثاني بن محمد حفيد مروان بن الحكم .

حكم العباسيين

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الأحداث
١٢٩–٢٦٤ هـ	٧٤٦ – ٨٧٧ م	العباسيون بصورة مباشرة .
٢٦٤–٢٩٣ هـ	٨٧٧ – ٩٠٥ م	الطولونيون .
٢٩٣–٣٣٠ هـ	٩٠٥ – ٩٤١ م	العباسيون .
٣٣٠–٣٣٣ هـ	٩٤١ – ٩٤٤ م	الاخشيديون بالتعاون مع الحمدانيين في حلب
٣٣٣–٣٥٩هـ	٩٤٤ – ٩٦٩ م	الحمدانيون .
٣٥٩–٤٦٣ هـ	٩٦٩ – ١٠٧٠ م	الفاطميون« استعاد البيزنطيون فلسطين وانطاكية وطرطوس » .
حتّى ٣٩٤ هـ	حتّى ١٠٠٣ م	بقي البيزنطيون في انطاكية والحمدانيون في حلب.
٤١٥–٤٢٩هـ	١٠٢٤ – ١٠٣٧ م	حكم بنو مرداس في حلب .
٤٣٤–٤٤٩ هـ	١٠٤٢ – ١٠٥٧ م	حكم بنو مرداس في حلب .
٤٥٢–٤٧٢ هـ	١٠٦٠ – ١٠٧٩ م	حكم بنو مرداس في حلب .
٤٦٣–٤٨٧ هـ	١٠٧٠ – ١٠٩٤ م	تنازع حكم سوريا بنو مرداس والبيزنطيون الذين حكموا انطاكية حتّى ١٠٨٤ م ، كما استمر النزاع بين الفاطميون وبنو مرداس حتّى ١٠٧٩ م .
٤٧٢ – ٤٨٧ هـ	١٠٧٩ – ١٠٩٤ م	العقيليون في حلب .
٤٧٤ هـ	١٠٨١ م	استقلت شيزر وفتحها الصليبيون .
٤٨٢ هـ	١٠٨٩ م	استقلت طرابلس .

الصليبيون

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الأحداث
٤٩٣ – ٥٨٣ هـ	١٠٩٩ – ١١٨٧ م	احتل الصليبيون بيت المقدس واقاموا مملكة اورشليم .
٥٠٣ – ٥٨٧ هـ	١١٠٩ – ١١٩١ م	احتل الصليبيون عكا واقاموا امارة فيها ثم عقدوا هدنة تسمح لهم بالمرور الى بيت المقدس
٤٩٢ – ٦٦٧ هـ	١٠٩٨ – ١٢٦٨ م	احتل الصليبيون انطاكية واقاموا فيها امارة .
٥٠٣ – ٦٨٨ هـ	١١٠٩ – ١٢٨٩ م	احتل الصليبيون طرابلس واقاموا فيها امارة .
٥١٨ هـ	١١٢٤ م	احتل الصليبيون صور .
٥٤٣ هـ	١١٤٨ م	وصل الصليبيون الى دمشق .
٤٨٢ هـ	١٠٨٩ م	بعد عام ١٠٨٩ سيطر الفاطميون على الساحل السوري .
٤٩٧ – ٥٤٩ هـ	١١٠٣ – ١١٥٤ م	بنو بوري في دمشق .
٥١١ – ٥٢١ هـ	١١١٧ – ١١٢٧ م	بنو الارتق .
٥٢١ – ٥٧٩ هـ	١١٢٧ – ١١٨٣ م	اتابكة بني زنكي في حلب .
٥٧٩ – ٦٥٩ هـ	١١٨٣ – ١٢٦٠ م	الايوبيين .
٦٥٩ هـ	١٢٦٠ م	المماليك البحرية وهم الذين هزموا المغول في عين جالوت عام ١٢٦٠ م .
٦٧١ هـ	١٢٧٢ م	قضى الايوبيون على الحشاشين .
٦٩١ هـ	١٢٩١ م	طرد الايوبيون الصليبيين .
٦٦١ – ٦٩٧ هـ	١٢٦٢ – ١٢٩٨ م	اصبحت حمص وحماه تحت حكم فرع من الايوبيين .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحداث
٦٥٩ – ٧٨٤ هـ	١٢٦٠ – ١٣٨٢ م	المماليك البحرية .
٧٩٢ – ٧٩٣ هـ	١٣٨٩ – ١٣٩٠ م	
٧١٠ – ٧٤٩ هـ	١٣١٠ – ١٣٤٨ م	حماه تحت حكم فرع من الايوبيين .
٧٨٤ – ٧٩٢ هـ	١٣٨٢ – ١٣٨٩ م	المماليك البرجية .
٧٩٣ – ٩٢٢ هـ	١٣٩٠ – ١٥١٦ م	
٩٠٤ هـ	١٤٠١ م	غزا المغول بقيادة تيمورلنك بلاد الشام ووصلوا حلب ودمشق .
٩٢٢ – ١٣٣٧ هـ	١٥١٦ – ١٩١٨ م	العثمانيون .
١٠١٢ – ١٠٤٥ هـ	١٦٠٣ – ١٦٣٥ م	انتزع فخر الدين «الدرزي» قسماً من لبنان ، وابعده عن سلطة العثمانيين واسس مملكته في بيت الدين .
١٢١١ – ١٢١٦ هـ	١٧٩٩ – ١٨٠١ م	هاجم نابليون بونابرت ساحل الشام واستولى على يافا وتوقف امام عكا ثم انسحب وعاد الى مصر .
١٢٤٨ – ١٢٥٤ هـ	١٨٣٢ – ١٨٤٠ م	هاجم ابراهيم باشا سوريا وحكمها .
١٢٧٧ هـ	١٨٦٠ م	قامت في لبنان ثورة ضد العثمانيين بدعم من فرنسا واستقل لبنان عن السلطة العثمانية وقامت بها الجامعات الامريكية والفرنسية واخذت على عاتقها نشر المبادىء القومية وبعث الروح القومية .
١٣٣٧ هـ	١٩١٨ م	قامت الثورة العربية وتحرك الشريف حسين من الحجاز ودخلت الجيوش العربية والانكليزية دمشق وانتهى حكم العثمانيين .
١٣٣٩ – ١٣٦٥ هـ	١٩٢٠ – ١٩٤٥ م	الانتداب الفرنسي .
١٣٦٦ هـ	١٩٤٦ م	الاستقلال في لبنان وسوريا .

ملحق رقم ٣

الحكم في العراق « ديار بكر » منذ الفتوحات الاسلامية

التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي	الأحداث
قبل السنة العاشرة للهجرة	قبل ٦٣٢ م	حكم الفرس « الساسانيين » .
في السنة ١٠ هـ	٦٣٢ م	غزا خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة الشيباني ارض العراق .
١٢ ـ ٢٠ هـ	٦٣٤ ـ ٦٤١ م	الفتح الاسلامي بقيادة سعد بن ابي وقاص .
٢٠ ـ ٤٠ هـ	٦٤١ ـ ٦٦١ م	الخلفاء الراشدين .
٣٦ ـ ٤٠ هـ	٦٥٦ ـ ٦٦١ م	حكم الخليفة علي بن ابي طالب من الكوفة وجعلها مقراً له .
٤٠ ـ ١٣٢ هـ	٦٦١ ـ ٧٤٩ م	الامويون .
٦٤ ـ ٧٤ هـ	٦٨٠ ـ ٦٩٠ م	نازع عبد الله بن الزبير الامويين في حكم العراق.

العباسيون

	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي	الأحداث
١	١٣٢ـ١٣٧ هـ	٧٤٩ ـ ٧٥٤ م	عبدالله بن محمد « السفاح » .
٢	١٣٧ـ١٥٨ هـ	٧٥٤ ـ ٧٧٥ م	عبدالله ابو جعفر المنصور « اخو السفاح »
٣	١٥٨ـ١٦٩هـ	٧٧٥ ـ ٧٨٥ م	محمد المهدي « ابن ابو جعفر المنصور » .
٤	١٦٩ـ١٧٠ هـ	٧٨٥ ـ ٧٨٦ م	موسى الهادي بن محمد المهدي .
٥	١٧٠ـ١٩٤ هـ	٧٨٦ ـ ٨٠٩ م	هرون الرشيد بن محمد المهدي .
٦	١٩٤ـ١٩٨ هـ	٨٠٩ ـ ٨١٣ م	محمد الأمين بن هرون الرشيد .
٧	١٩٨ـ٢١٨ هـ	٨١٣ ـ ٨٣٣ م	عبدالله المأمون بن هرون الرشيد .
٨	٢١٨ـ٢٢٨ هـ	٨٣٣ ـ ٨٤٢ م	محمد المعتصم بن هرون الرشيد .
٩	٢٢٨ـ٢٣٣ هـ	٨٤٢ ـ ٨٤٧ م	هرون الواثق بن محمد المعتصم .
١٠	٨٣٣ـ٢٤٧ هـ	٨٤٧ ـ ٨٦١ م	جعفر المتوكل بن محمد المعتصم .

العصر العباسي الثاني

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	الأحداث
١	٢٤٧—٢٤٨ ه	٨٦١ — ٨٦٢ م	محمد المنتصر بن جعفر المتوكل .
	٢٤٨—٢٥٢ ه	٨٦٢ — ٨٦٦ م	احمد المستعين بن محمد حفيد محمد المعتصم .
	٢٥٢—٢٥٦ ه	٨٦٦ — ٨٦٩ م	محمد المعتز بن جعفر المتوكل .
	٢٥٦—٢٥٧ ه	٨٦٩ — ٨٧٠ م	محمد المهتدي بن هرون الواثق .
١	٢٥٧—٢٧٩ ه	٨٧٠ — ٨٩٢ م	احمد المعتمد بن جعفر المتوكل على الله (١٠) فتنة البصرة وثورة الزنج ٢٥٧ — ٢٦٠ ه ٨٧٠ — ٨٨٣ م.
	٢٧٩—٢٩٠ ه	٨٩٢ — ٩٠٢ م	احمد المعتضد بن الموفق حفيد جعفر المتوكل على الله .
	٢٩٥—٣٢٠ ه	٩٠٧ — ٩١٧ م	المقتدر .

ضعفت الدولة العباسية واخذ ينازعها الحكم

الحمدانيون والبويهيون والمروانيون والعقيليون الخ ...

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	الأحداث
	٣١٧—٣٣٤ ه	٩٢٩ — ٩٤٥ م	النزاع على حكم اقليم العراق وتناوب السلطة فيه .
	٣٣٤—٣٨٠ ه	٩٤٥ — ٩٩٠ م	الحمدانيون الذين بسطوا نفوذهم من حلب حتى الموصل .
٢	٣٨٠—٤٤٨ ه	٩٩٠ — ١٠٥٥ م	البويهيون «آل بويه» .
٣	٣٨٠—٤٩٠ ه	٩٩٠ — ١٠٩٦ م	المروانيون في آمد «ديار بكر» .
٤	٣٨٠—٤٩٠ ه	٩٩٠ — ١٠٩٦ م	العقيليون الذين بسطوا نفوذهم حتى الموصل .
٥	٤٠٣—٤٤٧ ه	١٠١٢ — ١٠٥٥ م	بنو مزيد في الحلة .
٦	٤٤٧—٥٨٩ ه	١٠٥٥ — ١١٩٤ م	السلاجقة .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	توقيت الأحداث
٧ ٤٥٠–٤٥٢ هـ	١٠٥٨ – ١٠٦٠ م	الفاطميون .
٨ ٤٩٢–٥٣٩ هـ	١٠٩٨ – ١١٤٤ م	وصل الصليبيون الى الرها .
٩ ٤٩٥–٦٢٩ هـ	١١٠١ – ١٢٣١ م	بنو ارتق في ديار بكر .
١٠ ٥٢١–٦٣٧ هـ	١١٢٧ – ١٢٣٩ م	بنو زنكي في الموصل .
١١ ٥٣٩–٦٣٠ هـ	١١٤٤ – ١٢٣٢ م	بنو بكتكين في اربيل .
١٢ ٥٨١–٦٤٣ هـ	١١٨٥ – ١٢٤٥ م	الايوبيون .
١٣ ٥٤٥–٦٠٤ هـ	١١٥٠ – ١٢٠٧ م	اتابكة خلاط .
		« بقي العباسيون من الخلفاء تحت س مزيد حتى عام ١١٥٠ م » .
١٤ ٥٤٥–٥٩١ هـ	١١٥٠ – ١١٩٤ م	السلاجقة .
١٥ ٥٩١–٦٥٧ هـ	١١٩٤ – ١٢٥٨ م	الخوارز مشاهية .
١٦ ٦٥٧–٧٣٧ هـ	١٢٥٨ – ١٣٣٦ م	المغول الايلخانية وسقوط بغداد .
١٧ ٧٣٧–٧٩٦ هـ	١٣٣٦ – ١٣٩٣ م	النزاع بين الجلائرية والتركمان من والتركمان السود « القرة قيونلو » البيض « آلاق قيونلو » .
١٨ ٧٩٦–٨٠٨ هـ	١٣٩٣ – ١٤٠٥ م	تيمورلنك .
١٩ ٨٠٨–٨١٤ هـ	١٤٠٥ – ١٤١١ م	الجلائرية .
٢٠ ٨١٤–٨٧٤ هـ	١٤١١ – ١٤٦٩ م	تنازع التركمان البيض والسود على حكم العراق.
٢١ ٨٧٤–٩٠٦ هـ	١٤٦٩ – ١٥٠٠ م	حكم التركمان البيض .
٢٢ ٩٠٦–٩٤١ هـ	١٥٠٠ – ١٥٣٤ م	الصفويين .
٢٣ ٩٤١–٩٦٣ هـ	١٥٣٤ – ١٥٥٥ م	النزاع بين الصفويين والعثمانيين .
٢٤ ٩٦٣–١٣٣٩هـ	١٥٥٥ – ١٩٢٠ م	تحت حكم العثمانيين .
٢٥ ١٠١١–١٠٤٨هـ	١٦٠٢ – ١٦٣٨ م	نازع الصفويين العثمانيين في حكم العراق .

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	توقيت الأحداث
	١١٤٦ هـ	١٧٣٣ م	قام الافشار بغزو العراق .
	١١٨٤ هـ	١٧٧٠ م	اقام البريطانيون محطة تجارية لهم في البصرة .
	١٢١٦ هـ	١٨٠١ م	وصل الوهابيون الى كربلاء ثم تراجعوا عنها .
	١٣٣٣ هـ	١٩١٤ م	استولى البريطانيون عل البصرة .
	١٣٣٦ هـ	١٩١٧ م	استولى البريطانيون علىبغداد .
	١٣٣٧ هـ	١٩١٨ م	استولى البريطانيون على الموصل .
٢٠	١٣٣٩-١٣٥١هـ	١٩٢٠ – ١٩٣٢ م	حكم البريطانيون العراق باسم الانتداب .
	١٣٣٩ هـ	١٩٢٠ م	ثورة الشعب في العراق ضد البريطانيين .
	١٣٣٩-١٣٥٢هـ	١٩٢٠ – ١٩٣٣ م	فيصل بن الحسين ملكاً على العراق .
	١٣٤١-١٣٤٣هـ	١٩٢٢ – ١٩٢٤ م	ثورة الاكراد ضد الانكليز .
	١٣٤٩-١٣٥١هـ	١٩٣٠ – ١٩٣٢ م	
	١٣٤٤ هـ	١٩٢٥ م	اعطى الانكليز الموصل للاكراد .
	١٣٥٢ هـ	١٩٣٣ م	وقعت مذبحة المسيحيين السريان .
	١٣٥١ هـ	١٩٣٢ م	استقلت العراق اسمياً .
	١٣٥٢-١٣٥٨هـ	١٩٣٣ – ١٩٣٩ م	غازي بن فيصل .
	١٣٥٨-١٣٧٩هـ	١٩٣٩ – ١٩٥٩ م	فيصل بن غازي .
	١٣٦٠ هـ	١٩٤١ م	ثورة رشيد عالي الكيلاني ضد البريطانيين .
	١٣٦٥ هـ	١٩٤٥ م	ثورة الأكراد .
	١٣٧٩ هـ	١٩٥٩ م	ثورة عبد الكريم قاسم وقيام الجمهورية العراقية.

ملحق رقم ٤

الحكم في فارس منذ ظهور الاسلام

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحداث
قبل ١٦ هـ	قبل ٦٣٧	في حكم الساسانيين
١٦ ــ ٣٠ هـ	٦٣٧ ــ ٦٥٠ م	الفتح الاسلامي بقيادة سعد بن ابي وقاص « ما عدا طبرستان » .
٣٠ ــ ٤١ هـ	٦٥٠ ــ ٦٦١ م	الخلفاء الراشدين .
٤١ ــ ١٣١ هـ	٦٦١ ــ ٧٤٨ م	الامويون .
٦١ ــ ٧١ هـ	٦٨٠ ــ ٦٩٠ م	نازع عبدالله بن الزبير الأمويين على حكم فارس
١٣١ ــ ١٣٢ هـ	٧٤٨ ــ ٧٤٩ م	ظهور العباسيين وانتزاع فارس من حكم الامويين .
١٣٢ ــ ٢٥٠ هـ	٧٤٩ ــ ٨٦٤ م	حكم العباسيين .
١٤٨ هـ	« ٧٦٥ م »	انضمت طبرستان الى فارس .
٢٥٠ ــ ٢٥٣ هـ	٨٦٤ ــ ٨٦٧ م	النزاع بين العباسيين والعلويين « في طبرستان » على الحكم .
٢٥٣ ــ ٢٧٦ هـ	٨٦٧ ــ ٨٨٩ م	النزاع بين العباسين والعلويين والصفاوية « في سجستان » .
٢٥٣ ــ ٣١٨ هـ	٨٦٧ ــ ٩٣٠ م	بنو ساج اصحاب « اذربيجان » .
٢٥٠ ــ ٣١٦ هـ	٨٦٤ ــ ٩٢٨ م	العلويين في طبرستان (١) .
٢٥٣ ــ ٢٩٢ هـ	٨٦٧ ــ ٩٠٣ م	الصفارية في سجستان .
٢٩٢ ــ ٣٣٣ هـ	٩٠٣ ــ ٩٤٤ م	السامانيون في مناطق ما وراء نهر السند .
٣١٦ ــ ٤٣٤ هـ	٩٢٨ ــ ١٠٤٢ م	بنو زياد في طبرستان (١) .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحداث
٣٢٠ ـ ٤٤٧ هـ	٩٣٢ ـ ١٠٥٥ م	آل بويه « في شيراز » .
٣٤٨ ـ ٤٠٦ هـ	٩٥٩ ـ ١٠١٥ م	بنو حسنويه « في كردستان » (٢) .
٣٨٤ ـ ٤٢٩ هـ	٩٩٤ ـ ١٠٣٧ م	الغزنويون « في افغانستان »(٣)
٣٩٨ ـ ٤٤٢ هـ	١٠٠٧ ـ ١٠٥١ م	بنو كاكويه « في كردستان » (٢) .
٤٢٩ ـ ٤٤٧ هـ	١٠٣٧ ـ ١٠٥٥ م	حكم الغزنويون فارس بكاملها عدا الساحل على المحيط الهندي (٣) .
٤٤٧ ـ ٦١٧ هـ	١٠٥٥ ـ ١٢٢٠ م	الحشاشون في ألموت « قضى عليهم المغول » .
(١) ٤٢٩ ـ ٤٥٦ هـ	١٠٣٧ ـ ١٠٦٣ م	طغرل وعاصمته « مرو » .
(٢) ٤٥٦ ـ ٤٦٥ هـ	١٠٦٣ ـ ١٠٧٢ م	ألب ارسلان ابن اخ طغرل وعاصمته «اصفهان»
(٣) ٤٦٥ ـ ٤٨٥ هـ	١٠٧٢ ـ ١٠٩٢ م	ملكشاه ابن الب ارسلان في اصفهان حتّى ١٠٩١ ثم انتقل الى بغداد .
(٤) ٤٨٥ ـ ٤٨٧ م	١٠٩٢ ـ ١٠٩٤ م	محمود ابن ملكشاه .
(٥) ٤٨٧ ـ ٤٩٨ م	١٠٩٤ ـ ١١٠٤ م	بركيارق ابن ملكشاه .
٤٩٨ ـ ٥٩١ هـ	١١٠٤ ـ ١١٩٤ م	النزاع بين اسرة طغرل والسلاجقة والغزنويون.
٥٣١ ـ ٦١٧ هـ	١١٣٦ ـ ١٢٢٠ م	اتابكة اذربيجان .
٥٣٣ ـ ٦١٧ هـ	١١٣٨ ـ ١٢٢٠ م	الخوارزمشاهيه .
٥٤٣ ـ ٦٨٦ هـ	١١٤٨ ـ ١٢٨٧ م	بنو سلفر « حكموا الجنوب الغربي من فارس».
٥٤٣ ـ ٦١٧ هـ	١١٤٨ ـ ١٢٢٠ م	الهزارسبية وعاصمتهم « لرستان » .
٥٤٤ ـ ٦١٧ هـ	١١٤٩ ـ ١٢٢٠ م	آل الغوري .
٦١٧ ـ ٦٢٩ هـ	١٢٢٠ ـ ١٢٣١ م	الفتح المغولي
٦٢٩ ـ ٦٥٢ هـ	١٢٣١ ـ ١٢٥٤ م	مغول «آسيا الوسطى » .
٦٥٢ ـ ٦٦٤ هـ	١٢٥٤ ـ ١٢٦٥ م	هولاكو « المغول الايلخانية » .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحداث
٦٦٤ ـ ٧٠٣ هـ	١٢٦٥ ـ ١٣٠٣ م	النزاع بين المغول «الايلخانية والقتلغ خانية «القرة خطاي» في كرمان والهزارسبية حكاً، لرستان .
٧٠٣ ـ ٧١٣ هـ	١٣٠٣ ـ ١٣١٣ م	الايلخانية والهزارسبية .
٧١٣ ـ ٧٣٧ هـ	١٣١٣ ـ ١٣٣٦ م	الايلخانية والهزارسبية والمظفرية في فارس وكرمان وكردستان .
٧٣٧ ـ ٧٤٠ هـ	١٣٣٦ ـ ١٣٣٩ م	الايلخانية والهزارسبية والمظفرية والجلائرية « في اذربيجان والعراق » .
٧٤٠ ـ ٧٥٠ هـ	١٣٣٩ ـ ١٣٤٩ م	الايلخانية والمظفرية والجلائرية .
٧٥٠ ـ ٧٨٤ هـ	١٣٤٩ ـ ١٣٨٢ م	المظفرية والجلائرية « وبقي جناح المغول بقيادة تيمور في فارس حتى سنة ١٣٨٢ م » .
٧٩٦ هـ	١٣٩٣ م	انتهى حكم المظفرية وبقيت الجلائرية تحكم باسم تيمور .
٨١٤ هـ	١٤١١ م	انتهى حكم المغول التيموريون .
٨٠٨ ـ ٨١٤ هـ	١٤٠٥ ـ ١٤١١ م	الجلائرية .
٨١٤ ـ ٨٥٧ هـ	١٤١١ ـ ١٤٥٣ م	تركمان القبائل « السود » .
٨٥٧ ـ ٨٧٤ هـ	١٤٥٣ ـ ١٤٦٩ م	نزاع التيمورية وتركمان القبائل « السود » وتركمان القبائل « البيض » .
٨٧٤ ـ ٩٠٦ هـ	١٤٦٩ ـ ١٥٠٠ م	التيمورية « والقبائل البيض » .
٩٠٦ ـ ٩٠٨ هـ	١٥٠٠ ـ ١٥٠٢ م	الصفويون والقبائل البيض وراء لرستان .
٩٠٨ ـ ٩٢٠ هـ	١٥٠٢ ـ ١٥١٤ م	الصفويون .
٩٢٠ ـ ٩٩٩ هـ	١٥١٤ ـ ١٥٩٠ م	العثمانيون والصفويون .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحداث
٩٩٩ ــ ١٠١١ هـ	١٥٩٠ ــ ١٦٠٢ م	تقاسم الحكم الصفويون والعثمانيون .
٩١٣ ــ ١٠٣٢ هـ	١٥٠٧ ــ ١٦٢٢ م	احتل البرتغاليون جزيرتا هرمز وقشم ،وطردهم منهما الصفويون .
١٠١١ ــ ١٠٤٠هـ	١٦٠٢ ــ ١٦٣٠ م	الصفويون .
١٠٤٠ ــ ١٠٤٨ هـ	١٦٣٠ ــ ١٦٣٨ م	العثمانيون والصفويون .
١٠٤٨ ــ ١١٣٥ هـ	١٦٣٨ ــ ١٧٢٢ م	تقاسم حكم فارس اهل اذربيجان ولرستان تحت حكم العثمانيين والصفويين .
١١٣٥ ــ ١١٤٢ هـ	١٧٢٢ ــ ١٧٢٩ م	نزاع حول الحكم .
١١٣٥ ــ ١١٤٩ هـ	١٧٢٢ ــ ١٧٣٦ م	الصفويون .
١١٣٥ ــ ١١٤٣ هـ	١٧٢٢ ــ ١٧٣٠ م	الافغان الفلزاني .
١١٤٩ ــ ١١٦٥ هـ	١٧٣٦ ــ ١٧٥١ م	الافشار ، واول من حكم منهم نادر قلي شاه ١٧٣٦ ــ ١٧٤٧ م .
١١٦٤ ــ ١٢٠٩ هـ	١٧٥٠ ــ ١٧٩٤ م	الزندفي شيراز .
١١٣٤ ــ ١١٤٣ هـ	١٧٢١ ــ ١٧٣٠ م	احتل العثمانيون شيراز .
١١٣٧ ــ ١١٤٦ هـ	١٧٢٤ ــ ١٧٣٣ م	احتل العثمانيون همذان وكرمنشاه .
١١٤٩ هـ	١٧٣٦ م	اقام الانكليز محطتين لهما في هرمز وبوشير « بوشهر » .
١٢٠٩ ــ ١٣٤٤ هـ	١٧٩٤ ــ ١٩٢٥ م	القاجار في طهران .
١٢١٢ هـ	١٧٩٧ م	استقلال القاجار بالحكم .
١٢٤٣ هـ	١٨٢٧ م	روسيا تهاجم فارس .
١٢٦٤ هـ	١٨٤٧ م	تنظيم الحدود بين روسيا وتركيا .
١٢٧٤ هـ	١٨٥٧ م	البريطانيون يحتلون فارس .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحداث
١٢٨٩ هـ	١٨٧٢ م	تنظيم الحدود الافغانية .
١٣٠٢ – ١٣٣٤ هـ	١٨٨٤ – ١٩١٥ م	تصاعد المنافسة بين الانكليز والروس على حكم فارس .
١٣٢٧ – ١٣٣٠ هـ	١٩٠٩ – ١٩١١ م	روسيا تهاجم فارس .
١٣٣٤ – ١٣٣٧ هـ	١٩١٥ – ١٩١٨ م	روسيا وبريطانيا وتركيا تهاجم فارس .
١٣٣٩ – ١٣٤٠ هـ	١٩٢٠ – ١٩٢١ م	روسيا تضم « اقليم جيلان » كيلان الى بلادها
١٣٤٠ هـ	١٩٢١ م	رضا خان يسيطر على داخل فارس .
١٣٤٤ هـ	١٩٢٥ م	اسرة بهلوي تسيطر على الحكم .
١٣٤٤ – ١٣٦٠ هـ	١٩٢٥ – ١٩٤١ م	رضا شاه يحكم فارس .
١٣٤٩ – ١٣٦٦ هـ	١٩٣٠ – ١٩٤٦ م	ثورة الاكراد .
١٣٥٤ هـ	١٩٣٥ م	رضا شاه يستبدل اسم فارس باسم « ايران » .
١٣٦٠ هـ	١٩٤١ م	قيام روسيا وبريطانيا بالهجوم على ايران .
١٣٦٠ هـ	١٩٤١ م	تولى محمد رضا بن محمد رضا شاه الحكم في ايران .
١٣٦٦ هـ	١٩٤٦ م	جلاء بريطانيا وروسيا عن « ايران » .
١٣٧١ هـ	١٩٥١ م	تأميم آبار البترول البريطانية ، وفرار الشاه .
١٣٧٣ هـ	١٩٥٣ م	نجاح « شركات البترول العالمية » في طرد مصدق من الحكم .

ملحق رقم ٥

الحكم في الاناضول منذ ظهور الاسلام

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحداث
١٦ هـ	٦٣٧ م	بداية قيام العرب المسلمين بالهجوم على حدود بيزنطه.
١٩١ – ٢٢٤ هـ	٨٠٦ و ٨٣٨ م	فتح العرب المسلمون الاناضول ، الا انها بقيت في حكم بيزنطه وتابع الحمدانيون اغاراتهم على حدود الاناضول .
٤٦٤ – ٤٧٠ هـ	١٠٧١ – ١٠٧٧ م	هزم السلاجقة البيزنطيين في « بلازجرد » ودخلت الاناضول في حكم السلاجقة .
٤٧٠ – ٤٩٣ هـ	١٠٧٧ – ١٠٩٧ م	دخل الاناضول في حكم السلاجقة الروم الذين جعلوا « قونيا » عاصمة لهم .
٤٩٣ – ٥٠٢ هـ	١٠٩٧ – ١١٠٨ م	في حكم الازنيقية « ازنيق » .
٤٩٣	١٠٩٧ م	اعاد الصليبيون الساحل السوري الى بيزنطه ، وقسمت الاناضول كالتالي :
(١) ٤٩٣–٥٢٩ هـ	(١) ١٠٩٧–١١٣٤م	حكم البيزنطيون الساحل السوري وارمن كيليكيا وسلاجقة الروم .
(٢) ٥٠٤ – ٥١١ هـ	(٢) ١١١٠–١١١٧ م	الدانشمندية حكموا الهضاب الشرقية ، وقد اجتاح السلاجقة الجزء البيزنطي ، الا انهم لم يتمكنوا من البقاء فيه .
(٣) ٥٢٩ – ٥٣٢ هـ	(٣) ١١٣٤–١١٣٧م	اخضع البيزنطيون ارمن كيليكيا .
٥٣٢ – ٥٧٦ هـ	١١٣٧ – ١١٨٠ م	عودة النزاع بين البيزنطيين وسلاجقة الروم والدانشمندية .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحداث
٥٧٦ هـ	١١٨٠ م	غزو الروم لقطاع الدانشمندية واخضاعهم.
٥٧٦ ـ ٥٨٥ هـ	١١٨٠ ـ ١١٨٩ م	تقسيم الاناضول بين البيزنطيين وسلاجقةالروم.
٥٨٥ ـ ٥٨٦ هـ	١١٨٩ ـ ١١٩٠ م	الصليبيون يجتاحون الاناضول .
٥٨٦ ـ ٦٠١ هـ	١١٩٠ ـ ١٢٠٤ م	تقسيم الاناضول بين البيزنطيين وسلاجقةالروم.
٦٠١ هـ	١٢٠٤ م	الصليبيون يقومون بغزو القسطنطينية، وتقسيم الاناضول بين اللاتين « بيتونيا » والاغريق ولهم « نيقية وطرابزندة وغيرها » .
٦٠١ ـ ٦٢١ هـ	١٢٠٤ ـ ١٢٢٣ م	النزاع بين السلاجقة المسلمين والروم المسيحيين.
٦٢١ ـ ٦٦٠ هـ	١٢٢٣ ـ ١٢٦١ م	النزاع بين السلاجقة وامراء قره مان قونيه وبين المسيحيين .
٦٢١ ـ ٦٤٢ هـ	١٢٢٣ ـ ١٢٤٤ م	السلاجقة يسيطرون على الاناضول .
٦٤٢ ـ ٦٦٠ هـ	١٢٤٤ ـ ١٢٦١ م	الروم يسيطرون على الاناضول .
٦٦٠ ـ ٦٩٩ هـ	١٢٦١ ـ ١٢٩٩ م	استقلال طرابزندة ، وقد تعاقب على حكمها الاناضول البيزنطيون واهل طرابزنده والسلاجقة وقره مان والمغول .
٦٩١ هـ	١٢٩١ م	استقل القزيل احمدلي في سنوب .
٦٩٩ ـ ٧٢٧ هـ	١٢٩٩ ـ ١٣٢٦ م	انقسمت الاناضول الى امـارات قره سي وعثمانلي « العثمانيون » .
٧٠٠ ـ ٧٢٧ هـ	١٣٠٠ ـ ١٣٢٦ م	كرميان وحميد وتكه .
٧٠٠ ـ ٧٢٧ هـ	١٣٠٠ ـ ١٣٢٦ م	منتشه وآيدين .
٧٠٢ هـ	١٣٠٢ م	المماليك البحرية يهاجمون كيليكيا .
٧١٣ هـ	١٣١٣ م	صاروخان تستقل عن آيدين .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحداث
٧٢٧ ــ ٧٣٨ هـ	١٣٢٦ ــ ١٣٣٧ م	العثمانيون يهاجمون القطاع البيزنطي .
٧٣٧ هـ	١٣٣٦ م	العثمانيون يلحقون قره سي في حكمهم .
٧٤٥ هـ	١٣٤٤ م	العثمانيون ينتزعون آيدين « ازمير » من الروم .
٧٥٠ ــ ٧٩٣ هـ	١٣٤٩ ــ ١٣٩٠ م	استقلال الولايات داخلياً .
٧٨٤ هـ	١٣٨٢ م	العثمانيون يحتلون كرميان وصاروخان وآيدين ومنتشه وتكه .
٧٩٥ هـ	١٣٩٢ م	العثمانيون يحتلون قرمان .
٧٩٦ ــ ٨٠٥ هـ	١٣٩٣ ــ ١٤٠٢ م	العثمانيون يحتلون قزيل احمدلي ، وتقسيم الاناضول .
		(١) المماليك في كيليكيا .
		(٢) والروم في طرابزنده وازمير .
		(٣) والعثمانيون في بقية الاناضول .
		(٤) والتركمان في الهضاب الشرقية .
٨٠٥ هـ	١٤٠٢ م	تيمور يلحق الهزيمة بالعثمانيين في انقره ويستولي على ازمير .
٨٠٨ ــ ٨٣٢ هـ	١٤٠٥ ــ ١٤٢٨ م	العثمانيون يعاودون فرض سيطرتهم تدريجياً على الاناضول .
٨٣٢ ــ ١٣٤٠ هـ	١٤٢٨ ــ ١٩٢١ م	الاناضول تحت حكم العثمانيين .
٨٦٥ هـ	١٤٦٠ م	العثمانيون يعاودون احتلال قزيل احمدلي .
٨٦٦ هـ	١٤٦١ م	العثمانيون يعاودون احتلال طرابزنده .
		« بقيت الهضاب الشرقية في حكم تركمان « ذي قدر » .
٩٢١ هـ	١٥١٥ م	العثمانيون يحتلون الاناضول الشرقي وذي قدر.

السنة الهجرية	السنة الميلادية	توقيت الاحداث
١١٧٧ هـ	١٧٦٣ م	الاناضول « شبه مستقل » يحكمه امراء من ابنائه عرفوا باسم « الدره بكيه » .
١٢٢٣ – ١٢٣٤ هـ	١٨٠٨ – ١٨١٨ م	اخضع العثمانيون بكوات « دره بكيه » .
١٢٤٨ – ١٢٤٩ هـ	١٨٣٢ – ١٨٣٣ م	الجيش المصري يهاجم الاناضول .
١٢٧٢ – ١٢٧٣ هـ	١٨٥٥ – ١٨٥٦ م	روسيا تحتل قارص وتفصلها عن الدولةالعثمانية وتلحقها ببلادها .
١٢٩٥ هـ	١٨٧٨ م	روسيا تنتزع « باطوم » من العثمانيين وتلحقها ببلادها – اعتباراً من هذا التاريخ اصبحت الاساطيل الاوربية تهدد الاستانة باستمرار–
١٣٢٦ هـ	١٩٠٨ م	الثورات في الاناضول وانفصالها عن الدولة العثمانية .
١٣٣٨ – ١٣٤١ هـ	١٩١٩ – ١٩٢٢ م	اليونان تحتل ازمير وتلحقها ببلادها .
١٣٣٨ – ١٣٤٠ هـ	١٩١٩ – ١٩٢١ م	ايطاليا تحتل « انطاكيه » .
١٣٣٧ – ١٣٤٠ هـ	١٩١٨ – ١٩٢١ م	الفرنسيون يحتلون كيلكيا .
١٣٣٩ هـ	١٩٢٠ م	انتزعت قارص من ارمينيا .
١٣٤٠ – ١٣٤٢ هـ	١٩٢١ – ١٩٢٣ م	الاناضول في قبضة الجيش التركي .
١٣٤١ هـ	١٩٢٢ م	الغاء السلطنة العثمانية .
١٣٤٢ هـ	١٩٢٣ م	اعلان الجمهورية التركية .
١٣٤٣ هـ	١٩٢٤ م	الغاء الخلافة .
١٣٤٢ – ١٣٥٧ هـ	١٩٢٣ – ١٩٣٨ م	مصطفى كمال اتاتورك رئيساً لجمهورية تركيا .
١٣٤٤ – ١٣٤٩ هـ	١٩٢٥ – ١٩٣٠ م	ثورة الاكراد .
١٣٤٧ هـ	١٩٢٨ م	اتاتورك يستبدل الاحرف العربية باحرف لاتينية.
١٣٥٨ هـ	١٩٣٩ م	تركيا تتفق مع فرنسا على فصل لواء اسكندرون من سوريا وضمه الى تركيا .

ملحق رقم ٦

الحكم في « ما وراء القوقاز » منذ ظهور الاسلام

السنة الهجرية	السنة الميلادية	توقيت الاحداث
١٩ هـ	٦٤٠ م	هاجم عِياض بن غنم ما وراء القوقاز .
٢٤ ـ ٣٢ هـ	٦٤٤ ـ ٦٥٢ م	فتح حبيب بن مسلمة « دربند » واقليم ما واء القوقاز .
٣٢ ـ ٤٠ هـ	٦٥٢ ـ ٦٦١ م	في حكم الخلفاء الراشدين .
٤٠ ـ ٦١ هـ	٦٦١ ـ ٦٨٠ م	في حكم الامويين .
٦١ ـ ٩٩ هـ	٦٨٠ ـ ٧١٧ م	تقاسم الامويون وملوك ارمينيا حكم اقليم ما وراء القوقاز .
٩٩ ـ ١٣٣ هـ	٧١٧ ـ ٧٥٠ م	في حكم الامويين .
١٣٣ ـ ٢٧٦ هـ	٧٥٠ ـ ٨٨٩ م	في حكم العباسيين .
٢٧٦ ـ ٣١٨ هـ	٨٨٩ ـ ٩٣٠ م	نصف الاقليم الشرقي في حكم بني ساج .
٣١٨ ـ ٤٥٧ هـ	٩٣٠ ـ ١٠٦٤ م	في حكم النصارى .
٤٥٧ ـ ٥٣١ هـ	١٠٦٤ ـ ١١٣٦ م	في حكم السلاجقة ، ثم قسمت بعد ذلك كالتالي
٥٣١ ـ ٦٤٣ هـ	١١٣٦ ـ ١٣٤٥ م	(١) الكرج المسيحيين وجعلوا من تفليس « تلبيس » عاصمة لهم .
٥٣١ ـ ٦٠٤ هـ	١١٣٦ ـ ١٢٠٧ م	(٢) امراء ارمينيا وحكموا اذربيجان .
		(٣) بعض الامراء المسلمين .
		(٤) بعض المناطق الجبلية في القوقاز وبالقرب من باكو ، وحكمها امراء من اهلها .
٦٤٣ ـ ٦٥١ هـ	١٢٤٥ ـ ١٢٥٣ م	حكم المغول الجزء الجنوبي من الكرج .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحداث
٦٥١ هـ	١٢٥٣ م	عاد المسلمون لحكم الكرج وجعلوا تفليس عاصمة لهم .
٦٠٤ — ٦١٨ هـ	١٢٠٧ — ١٢٢٠ م	ارمينيا تحت حكم فرع من الايوبيين .
٦٢٢ — ٦٥٤ هـ	١٢٢٢ — ١٢٥٦ م	ارمينيا تحت حكم مغول آسيا الوسطى .
٦٥٤ — ٧٣٧ هـ	١٢٥٦ — ١٣٣٦ م	ارمينيا تحت حكم الايلخانية .
٧٠٢ هـ	١٣٠٢ م	الايوبيون يهاجمون اقليم ما وراء القوقاز .
٧٣٧ — ٧٨٠ هـ	١٣٣٦ — ١٣٧٨ م	الجزء المغولي في حكم الجلائرية .
٧٨٠ — ٧٩٤ هـ	١٣٧٨ — ١٣٩١ م	في حكم التركمان « الفرع الابيض » .
٧٩٤ هـ	١٣٩١ م	تيمورلنك يقوم بغزو اقليم ما وراء القوقاز ، باستثناء اقصى الشمال الغربي الذي يبقى تحت سيطرة مسيحيي بلاد الكرج .
٧٩٤ — ٨٠٨ هـ	١٣٩١ — ١٤٠٥ م	المغول التيمورية .
٨٠٨ — ٨٧٢ هـ	١٤٠٥ — ١٤٦٧ م	تقسيم القطاع المغولي من الاقليم بين الكرج « في جورجيا » وبين تركمان « الفرع الاسود »
٨٠٨ — ٨٧٢ هـ	١٤٠٥ — ١٤٦٧ م	القطاع التركماني من الاقليم يحكمه تركمان الفرع الابيض .
٨٧٢ — ٩٠٨ هـ	١٤٦٧ — ١٥٠٢ م	تركمان الفرع الابيض يهاجمون بلاد الكرج خمس مرات .
٨٧٢ — ٩٠٨ هـ	١٤٦٧ — ١٥٠٢ م	تقسيم الاقليم بين تركمان الفرع الابيض والكرج المسيحيين .
٩٠٨ — ٩٩٩ هـ	١٥٠٢ — ١٥٩٠ م	تقسيم الكرج بين الكرج والعثمانيين والصفويين
٩٩٩ — ١٠١٢ هـ	١٥٩٠ — ١٦٠٣ م	العثمانيون يسيطرون على ارمينيا ، والقطاع الذي يحكمه الكرج .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	توقيت الاحداث
١٠١٢ — ١٠٢٨ هـ	١٦٠٣ — ١٦١٨ م	التنافس بين العثمانيين والكرج والصفويين على حكم القوقاز .
١٠٢٨ — ١٠٤٥ هـ	١٦١٨ — ١٦٣٥ م	الصفويون .
١٠٤٥ — ١٠٥٥ هـ	١٦٣٥ — ١٦٤٥ م	الصفويون والعثمانيين .
١٠٥٥ هـ	١٦٤٥ م	قسم الاقليم بين الدول التابعة للعثمانيين .
١٠٥٥ — ١١٤٣ هـ	١٦٤٥ — ١٧٣٠ م	اللكز يحكمون الاقليم تحت سيطرة العثمانيين وبالاتفاق مع روسيا ١٧٢٥ .
١١٤٣ — ١١٤٧ هـ	١٧٣٠ — ١٧٣٤ م	الافشار ينافسون العثمانيين على حكم الاقليم .
١١٤٧ — ١٢١٥ هـ	١٧٣٤ — ١٨٠٠ م	قسم الاقليم بين العثمانيين « ٣٠ ٪ » غرباً ، وبين حكام فارس .
١٢١٢ هـ	١٧٩٧ م	فتنة المسيحيين في بلاد الكرج بدعم من روسيا واخمدها القاجار .
١٢١٥ — ١٢١٨ هـ	١٨٠٠ — ١٨٠٣ م	ضمت روسيا الكرج « جورجيا » وتركت القسم الغربي للعثمانيين وبقي القسم الجنوبي والشرقي من الاقليم تحت حكم زعماء محليين يتبعون القاجار .
١٢١٨ — ١٢٤٥ هـ	١٨٠٣ — ١٨٢٩ م	انتزعت روسيا منغوليا من العثمانيين .
١٢١٨ — ١٢٢١ هـ	١٨٠٣ — ١٨٠٦ م	انتزعت روسيا اذربيجان من القاجار .
١٢٤٣ — ١٢٤٤ هـ	١٨٢٧ — ١٨٢٨ م	انتزعت روسيا ارمينيا الشمالية من القاجار . اصبحت هذه الاقاليم كلها تابعة لروسيا بعد عام ١٨٢٩ م

الاحداث	السنة الميلادية	السنة الهجرية
الاقاليم تحت حكم روسيا مباشرة .	١٨٢٩ – ١٩١٤ م	١٢٤٥ – ١٣٣٣ هـ
تنازع على حكم هذه المناطق الاتراك والالمان والروس والانكليز والبولشفيك .	١٩١٤ – ١٩٢١ م	١٣٣٣ – ١٣٤٠ هـ
اعلنت هذه المناطق دولة سوفييتية ودخلت في اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية.	١٩٢١ – ١٩٢٢ م	١٣٤٠ – ١٣٤١ هـ
قسمت مناطق ما وراء القوقاز الى جمهوريات ثلاثة في اتحاد الجمهوريات السوفييتية وهي : ١ – الجمهورية الكرجية . ٢ – الجمهوريات الارمنية . ٣ – جمهورية اذربيجان .	١٩٣٦ م	١٣٥٥ هـ

ملحق رقم ٧

الحكم في خراسان منذ ظهور الاسلام

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحداث
ما قبل ١٦ هـ	ما قبل ٦٣٧ م	خراسان في حكم الملوك الساسانيين .
١٦ – ٣١ هـ	٦٣٧ – ٦٥١ م	قيام امراء من خراسان باداره الحكم
٣١ هـ	٦٥١ م	فتح عبدالله بن عامر خراسان .
٣١ – ٣٦ هـ	٦٥١ – ٦٥٦ م	الخلفاء الراشدين .
٣٦ – ٤٣ هـ	٦٥٦ – ٦٦٣ م	التمرد في خراسان .
٤٣ – ٥١ هـ	٦٦٣ – ٦٧١ م	اعاد الامويون فتح خراسان .
٥١ – ١٣٠ هـ	٦٧١ – ٧٤٧ م	في حكم الامويين .
١٣٠ – ١٣٢ هـ	٧٤٧ – ٧٤٩ م	الثورة في خراسان بقيادة ابي مسلم الخراساني.
١٣٢ – ٢٠٥ هـ	٧٤٩ – ٨٢٠ م	حكم العباسيين في خراسان .
٢٠٥ – ٢٥٩ هـ	٨٢٠ – ٨٧٢ م	الطاهرية تحكم مرو ونيسابور .
٢٥٩ – ٢٨٧ هـ	٨٧٢ – ٩٠٠ م	الصفارية .
٢٨٧ – ٣٨٤ هـ	٩٠٠ – ٩٩٤ م	السامانية « السامانيون » .
٣٨٤ – ٤٢٧ هـ	٩٩٤ – ١٠٣٥ م	الغزنويه « الغزنويون» .
٤٢٧ – ٤٣٢ هـ	١٠٣٥ – ١٠٤٠ م	« اضطراب وتنافس على حكم خراسان » .
٤٣٢ – ٥٣٣ هـ	١٠٤٠ – ١١٣٨ م	السلاجقة ومن ١٠٧٧ ولاة من قبل السلاجقة .
٥٣٣ – ٥٦٩ هـ	١١٣٨ – ١١٧٣ م	الخوارزمشاهيه في «كركانج » .
٥٦٩ – ٦٠٣ هـ	١١٧٣ – ١٢٠٦ م	تقسيم خراسان بين الخوارزمشاهيه وبنو غوري.
٦١٧ – ٦١٨ هـ	١٢٢٠ – ١٢٢١ م	فتح المغول « جنكيزخان » .
٦١٨ – ٦٥٢ هـ	١٢٢١ – ١٢٥٤ م	مغول آسيا الوسطى .
٦٥٢ – ٧٣٨ هـ	١٢٥٤ – ١٣٣٧ م	المغول الايلخانيه .
٧٣٨ – ٧٨٣ هـ	١٣٣٧ – ١٣٨١ م	السر بدارية « في سبرادر » .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحداث
٧٨٣ — ٩٠٠ هـ	١٣٨١ — ١٤٩٤ م	المغول التيموريون « في حكم خراسان وافغانستان » .
٩٠٠ — ٩٠٦ هـ	١٤٩٤ — ١٥٠٠ م	« اضطراب وتنافس على حكم خراسان » .
٩٠٦ — ٩١٦ هـ	١٥٠٠ — ١٥١٠ م	في حكم الاوزبك « الذين جعلوا خيوه عاصمتهم
٩١٦ — ١٠٠٧ هـ	١٥١٠ — ١٥٩٨ م	في حكم الاوزبك والصفويين .
١٠٠٧ — ١١٣٥ هـ	١٥٩٨ — ١٧٢٢ م	الصفويين « اغار عليهم الاوزبك مرات كثيرة دونما نتيجة » .
٩١٠ هـ	١٥٠٤ م	كابل تصبح تحت حكم المغول .
١١٣٥ — ١١٣٩ هـ	١٧٢٢ — ١٧٢٦ م	حكم الافغان الفلذائي .
١١٣٩ — ١١٤٩ هـ	١٧٢٦ — ١٧٣٦ م	الصفويين .
١١٤٩ — ١١٦٤ هـ	١٧٣٦ — ١٧٥٠ م	خراسان تحت حكم الافشار .
١١٦٤ — ١٢١١ هـ	١٧٥٠ — ١٧٩٦ م	الافشار والافغان الدراني .
١٢١١ — ١٢٥١ هـ	١٧٩٦ — ١٨٣٥ م	تقاسم حكمها كالتالي :
		(١) القاجار وقد حكموا ٦٠ ٪ من غرب خراسان .
		(٢) بقيت « قره قوم » في حكم خانات خيوه .
		(٣) حكم الافشار « قره قوم » فترة قصيرة من عام ١٧٤٠ م.
١٢٥١ — ١٢٩٠ هـ	١٨٣٥ — ١٨٧٣ م	القاجار والاوزبك .
١٢٩٠ — ١٣٠٥ هـ	١٨٧٣ — ١٨٨٧ م	غزو روسيا للقسم الاوزبكي .
١٢٩٠ هـ	١٨٧٣ م	روسيا تحتل خيوه .
١٣٠٢ هـ	١٨٨٤ م	روسيا تحتل مرو .
١٣٠٥ هـ	١٨٨٧ م	روسيا والقاجار تقتسمان حكم خراسان ثم قسم اقليم خراسان بين روسيا وايران .

ملحق رقم ٨

الحكم في افغانستان منذ ظهور الاسلام

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحداث
قبل ١٦ هـ	قبل ٦٣٧ م	كان يتنازع الساسانيون والامراء الاتراك من اهلها وزعماء الهون البيض « الهياطله » حكم افغانستان .
١٦ — ٤١ هـ	٦٣٧ — ٦٦١ م	حكم افغانستان أمراء اتراك من اهلها .
٣٢ هـ	٦٥٢ م	أوس بن ثعلبه يقوم بفتح ناحية هراة .
٣٣ هـ	٦٥٣ م	الاحنف بن قيس يفتح ناحية بلخ .
٤١ هـ	٦٦١ م	الامويون في الشام يشاركون ابناء البلاد حكم افغانستان .
٥٠ — ٨١ هـ	٦٦٩ — ٧٠٠ م	« عبد الرحمن بن محمد » يهاجم افغانستان المتمردة .
٨٦ هـ	٧٠٥ م	قتيبة بن مسلم الباهلي يعيد فتح بلخ .
٨١ — ١٣٢ هـ	٧٠٠ — ٧٤٩ م	تناوب السلطة في حكم افغانستان بين الامويين والترك « الهون » .
١٣٢ — ٢٥٦ هـ	٧٤٩ — ٨٦٩ م	في حكم العباسيين .
٢٥٦ — ٢٩٦ هـ	٨٦٩ — ٩٠٨ م	الصفارية .
٢٩٦ — ٣٥١ هـ	٩٠٨ — ٩٦٢ م	السامانيون ، وامراء من الترك الهون .
٣٥١ — ٥٦٩ هـ	٩٦٢ — ١١٧٣ م	الغزنويون في غزنة « قدموا من وراء نهر جيحون — امو داريا » .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحداث
٣٨٩ – ٤٢٢ هـ	٩٩٨ – ١٠٣٠ م	محمود بن سبكتكين «راجع نصر الاول واسماعيل بن احمد في حكم ما وراء النهر.
٥٤٦ هـ	١١٥١ م	بنو غوري يحرقون غزنة .
٥٦٩ – ٦٠٣ هـ	١١٧٣ – ١٢٠٦ م	بنو غوري في «غور» واستقلوا بعد ١١٤٩ ،
٦٠٣ – ٦١٢ هـ	١٢٠٦ – ١٢١٥ م	الخوارزمشاهيه تستولي تدريجياً على افغانستان .
٦١٢ – ٦١٨ هـ	١٢١٥ – ١٢٢١ م	الخوارزمشاهيه .
٦١٨ – ٦٤٣ هـ	١٢٢١ – ١٢٤٥ م	المغول .
٦٤٣ – ٧٩٢ هـ	١٢٤٥ – ١٣٨٩ م	الكرت في هراة حتّى ١٣٨١ «تحت سلطان تيمور من ١٣٨١ – ١٣٨٩» .
٧٩٢ – ١١٢٣ هـ	١٣٨٩ – ١٧١١ م	المغول التيمورية ، والصفويين «انظر الحكم في خراسان خلال هذه الفترة الزمنية» . استقل خانات بلخ بالحكم في ناحيتهم مرات عديدة .
١٠٣٥ هـ	١٦٢٥ م	انتزع الصفويون قندهار من المغول .
١٠٥٩ – ١٠٦٤ هـ	١٦٤٩ – ١٦٥٣ م	فشل المغول في هجومهم على الصفويين ، وتقسيم افغانستان ، بين المغول والصفويين وخانات بلخ .
١١٢٣ – ١١٤٣ هـ	١٧١١ – ١٧٣٠ م	الافغان الفلزائي والمغول وخانات بلخ .
١١٤٣ – ١١٥٠ هـ	١٧٣٠ – ١٧٣٧ م	المغول .
١١٥٠ – ١١٥٣ هـ	١٧٣٧ – ١٧٤٠ م	الافشار «واصبح خانات بلخ خاضعون لهم» .
١١٦٠ – ١٢٥١ هـ	١٧٤٧ – ١٨٣٥ م	بقي الافغان الدراني في قندهار حتّى ١٧٧٣ وفي كابول .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحداث
١٢٣٢ هـ	١٨١٦ م	القاجار يهاجمون افغانستان .
١١٨٧ هـ	١٧٧٣ م	استقلت بلخ .
١٢٤٢ — ١٢٥١ هـ	١٨٢٦ — ١٨٣٥ م	ثورة الافغان الباركزائي واستيلاءهم على الحكم
١٢٥١ — ١٣٤٤ هـ	١٨٣٥ — ١٩٢٥ م	في حكم الافغان الباركزائي .
١٢٥٥ — ١٢٥٨ هـ	١٨٣٩ — ١٨٤٢ م	بريطانيا تهاجم افغانستان .
١٢٩٦ — ١٢٩٧ هـ	١٨٧٨ — ١٨٧٩ م	بريطانيا تعاود هجومها على افغانستان .
١٢٧٢ هـ	١٨٥٥ م	استولى البريطانيون على قندهار .
١٢٨٠ هـ	١٨٦٣ م	استولى البريطانيون على هراة .
١٣٤٧ — ١٣٤٨ هـ	١٩٢٨ — ١٩٢٩ م	حبيب الله غازي يحكم افغانستان .
١٣٤٨ — ١٣٥٢ هـ	١٩٢٩ — ١٩٣٣ م	محمد نادرشاه .
١٣٥٢ هـ	١٩٣٣ م	محمد ظاهر شاه .
١٣٩٣ هـ	١٩٧٣ م	سقوط الملكية وقيام الجمهورية .

ملحق رقم ٩

الحكم في ما وراء نهر جيحون « اموداريا » منذ ظهور الاسلام

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحداث
قبل ٥٥ هـ	قبل ٦٧٤ م	تحت حكم امراء الترك والهون البيض «الهياطلة»
٥٥ هـ	٦٧٤ م	سعيد بن عثمان يهاجم بخارى ويحتلها .
٥٧ هـ	٦٧٦ م	سعيد بن عثمان يحتل سمرقند .
٨٨ — ٩٧ هـ	٧٠٦ — ٧١٥ م	قتيبة بن مسلم الباهلي يحتل ما وراء نهر جيحون « امودار يا » .
٩٧ — ١٢١ هـ	٧١٥ — ٧٣٨ م	في حكم الامويين « باشراف امراء لهم بعض الاستقلال » .
١٢١ — ١٢٣ هـ	٧٣٨ — ٧٤٠ م	نصر بن سيار يحكم الاقليم بقبضة قوية .
١٢٣ — ١٣١ هـ	٧٤٠ — ٧٤٨ م	في حكم الامويين .
١٣١ — ٢٠٤ هـ	٧٤٨ — ٨١٩ م	في حكم العباسيين .
١٢٤ هـ	٧٥١ م	المسلمون يحتلون طاشقند .
(١) ٢٠٤ — ٢٦١ هـ	٨١٩ — ٨٧٤ م	احمد بن اسد يحكم ما وراء الهند باسم العباسيين.
٢٦١ — ٣٩٠ هـ	٨٧٤ — ٩٩٩م	السامانيين « بخارى مستقله » .
(٢) ٢٦١ — ٢٧٩ هـ	٨٧٤ — ٨٩٢ م	نصر الاول « بن احمد بن اسد » .
(٣) ٢٧٩ — ٢٩٥ هـ	٨٩٢ — ٩٠٧ م	اسماعيل بن «احمد بن اسد » .
٣٩٠ — ٤٠٧هـ	٩٩٩ — ١٠١٦ م	في حكم الايلك خانية « القرة خانيه » .
٤٠٧ — ٤٢٩ هـ	١٠١٦ — ١٠٣٧ م	في حكم الغزنويين .
٤٣٠ — ٤٨٢ هـ	١٠٣٨ — ١٠٨٩ م	حكم امراء الاقليم تحت سيطرة السلاجقة .
٤٨٢ — ٥٣٢ هـ	١٠٨٩ — ١١٣٧ م	السلاجقة .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحداث
٥٣٢ ـ ٥٤٥ هـ	١١٣٧ ـ ١١٥٠ م	نزاع بين السلاجقة والقره خطاي على حكم الاقليم .
٥٤٥ ـ ٦١٧ هـ	١١٥٠ ـ ١٢٢٠ م	في حكم القره خطاي .
٦٠٧ هـ	١٢١٠ م	انتزع الخوارزمشاهيه بخارى وسمرقند .
٦١٦ ـ ٦١٧ هـ	١٢١٩ ـ ١٢٢٠ م	غزو جنكيز خان .
٦١٧ ـ ٦٢٥ هـ	١٢٢٠ ـ ١٢٢٧ م	المغول الجغتائية .
٧٤١ هـ	١٣٤٠ م	دخول المغول الجغتائية في الاسلام .
٧٦٠ ـ ٧٧١ هـ	١٣٥٨ ـ ١٣٦٩ م	« ضعف الحكم المغولي . واستقلال الأمراء » .
٧٧١ ـ ٩٠٠ هـ	١٣٦٩ ـ ١٤٩٤ م	التيموريون المسلمون .
٩٠٠ ـ ٩٠٦ هـ	١٤٩٤ ـ ١٥٠٠ م	« عودة الضعف الى الحكم التيموري » .
٩٠٦ ـ ٩٢٤ هـ	١٥٠٠ ـ ١٥١٨ م	تقسيم الاقليم بين الاوزبك المسلمين والقوزاق الوثنيين .
٩٠٦ ـ ١٠٠٨ هـ	١٥٠٠ ـ ١٥٩٩ م	الشيبانية تحكم اقليم ما وراء النهر .
٩٤٧ ـ ٩٩١ هـ	١٥٤٠ ـ ١٥٨٣ م	فرع من الشيبانية يسيطر على بخارى .
٩٦٨ ـ ٩٨٦ هـ	١٥٦٠ ـ ١٥٧٨ م	فرع من الشيبانية يسيطر على سمرقند .
٩٢١ ـ ١١٥٣ هـ	١٥١٥ ـ ١٧٤٠ م	في حكم خانات خيوه .
١٠٠٨ ـ ١١٩٨ هـ	١٥٩٩ ـ ١٧٨٣ م	الخانية في بخارى .
حتى ١١١٢	حتى ١٧٠٠	بقيت امارة خوقند « خواقند » في حكم الاوزبك
١١٥٣ ـ ١١٦٠ هـ	١٧٤٠ ـ ١٧٤٧ م	احتل الافشار اقليم ما وراء النهر .
١٢٨٥ هـ	١٨٦٨ م	روسيا تحتل بخارى وسمرقند .
١٢٩٠ هـ	١٨٧٣ م	روسيا تحتل خيوه .
١٢٩٣ هـ	١٨٧٦ م	روسيا تحتل « خواقند » .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحداث
١٣١٣ هـ	١٨٩٥ م	روسيا تحتل منطقة « اليامير » .
١٣٣٦ – ١٣٤٣ هـ	١٩١٧ – ١٩٢٤ م	النزاع بين روسيا وتركستان القوزاق ، والبلشفيك والقوات الاهلية ، واستقلال هذه الاقاليم واعلانها جمهوريات في اتحاد الجمهوريات السوفييتية .
١٣٤٣ – ١٣٥٥ هـ	١٩٢٤ – ١٩٣٦ م	الاتحاد السوفييتي ينظم هذه الجمهوريات كالتالي ١ – جمهورية القوزاق . ٢ – جمهورية القرغيز . ٣ – جمهورية التاجيك . ٤ – جمهورية التركمان . ٥ – جمهورية الاوزبك . وضمت هذه الجمهوريات الى اتحاد الجمهوريات السوفييتية وكان معظم سكان الجمهوريات من الاتراك المسلمين .

ملحق رقم ١٠

تاريخ الاسلام في تركستان

في القرن الثامن الهجري القرن (١٤) ميلادي	اخذ الاسلام في الانتشار بين الترك ومغول السهول في آسيا الوسطى . وبقيت هناك بعض المقاومات .
في القرن التاسع الهجري القرن (١٥) ميلادي	دخلت القبائل التركستانية في دين الاسلام .
في القرن العاشر الهجري القرن (١٦) ميلادي	حكم القوزاق الوثنيون التركستان مما اعاق انتشار الاسلام .
في القرن الحادي عشر الهجري قرن (١٧) ميلادي	دخل بدو القوزاق والقرغيز الوثنيون في دين الاسلام ودفع « الاوزبك المسلمون » خوقند القزق الوثنيون نحو الشمال .
في القرن الثاني عشر الهجري قرن (١٨) ميلادي	– احتل تركستان بدو القوزاق والقرقيز والاوزبك المسلمون – ضمت روسيا الجزء الشمالي الى حدودهـا بما في ذلك القسم الأكبر من سهول القرقيز .
١٨٤٦ – ١٨٦٤ م	روسيا تهاجم وادي سيحون « سيرداريا » وتحتلها .
١٨٦٥ م	روسيا تحتل طاشقند وتلحقها ببلادها .

ملحق رقم ١١

الاعمال البحرية للقوات الاسلامية في البحر الابيض المتوسط منذ ظهور الاسلام

السنة الهجرية	السنة الميلادية	توقيت الاحداث
٣٤ هـ	٦٥٤ م	معركة ذات الصواري وظهور البحرية العربية الاسلامية .

١ ـ قبرص

٢٨ و ٣٣ هـ	٦٤٨ ـ ٦٥٣ م	هاجم معاوية قبرص وصالح اهلها ثم اعاد الاغارة عليها بسبب اخلال اهلها بشروط الصلح ، وبقيت بعد ذلك تحت سيطرة الامويين .
١٣٣ ـ ٢٦١ هـ	٧٥٠ ـ ٨٧٤ م	النزاع بين امويي الاندلس والعباسيين على حكم قبرص .
٢٦٣ هـ	٨٧٦ م	سيطر البيزنطيون على قبرص .
٢٩٣ ـ ٣٥٣ هـ	٩٠٥ ـ ٩٦٤ م	هاجم الطولونيون قبرص وانتزعوها من البيزنطيين وسيطروا عليها .
٨٢٨ ـ ٨٣٠ هـ	١٤٢٤ ـ ١٤٢٦ م	حكم المماليك الجزيرة .
٨٩٥ ـ ٩٧٩ هـ	١٤٨٩ ـ ١٥٧١ م	حكم اهل البندقية قبرص واصبحت تابعة لهم
٩٧٩ ـ ١٢٩٥ هـ	١٥٧١ ـ ١٨٧٨ م	حكم العثمانيون الجزيرة .
١٢٩٥ ـ ١٣٦٥ هـ	١٨٧٨ ـ ١٩٤٥ م	احتل البريطانيون قبرص وحكموها .

٢ ـ سردينيا

في القرن الثاني الهجري(الثامن الميلادي)قامت البحرية العربية الاسلامية بتنظيم اغارات مستمرة على سواحل ايطاليا وجزيرة كورسيكا وسردينيا وصقليه ومالطا بهدف تحطيم سيطرة البيزنطيين على البحر الابيض المتوسط .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحداث
١٩٤ ـ ٢٩٧ هـ	٨٠٩ ـ ٩٠٩ م	تناوب الاغالبة والبيزنطيين على حكم سردينيا
٢٩٧ ـ ٣٩٤ هـ	٩٠٩ ـ ١٠٠٣ م	استقر حكم الفاطميين في سردينيا .
٣٩٤ ـ ٤٢٣ هـ	١٠٠٣ ـ ١٠٣١ م	حكم امويو الاندلس سردينيا ، ثم اصبحت تحت حكم امرائها .
٤٠٧ ـ ٤٤٢ هـ	١٠١٦ ـ ١٠٥٠ م	قام اهل جنوه واهل بيزا بمحاولات متكررة للاستيلاء على الجزيرة واستولوا عليها ثم احتلها الاسبتاريون .
٩٢٩ هـ	١٥٢٢ م	انتزع العثمانيون الجزيرة من الاسبتاريين « فرسان القديس يوحنا » وبقيت تحت حكمهم ثم فقدوها بعد ١٨٧٨ .

٣ ـ صقليا

٣٢ و٤٨ هـ	٦٥٢ و ٦٦٨ م	هاجمت البحرية العربية الاسلامية صقليا ولكنها لم تستقر بها .
٢١٢ ـ ٢٩٠ هـ	٨٢٧ ـ ٩٠٢ م	نازع الاغالبة البيزنطيين على حكم الجزيرة . وحكموها .
٢٩٧ ـ ٣٠٠ هـ	٩٠٩ ـ ٩١٢ م	اصبحت صقليا في حكم الفاطميين .
٣٠٠ ـ ٣٣٧ هـ	٩١٢ ـ ٩٤٨ م	استقل احمد بن قرهب في حكم صقليا .
٣٣٧ ـ ٤٥٢ هـ	٩٤٨ ـ ١٠٦٠ م	حكم فيها بني كلب « وكانت شبه مستقلة » .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	توقيت الاحداث
٤٣٠ – ٤٣٤ هـ	١٠٣٨ – ١٠٤٢ م	حاول النورمان والبيزنطيين انتزاع صقليا من قبضة المسلمين واحبط المسلمون محاولاتهم.
٤٥٢ – ٤٨٣ هـ	١٠٦٠ – ١٠٩١ م	حاول النورمان السيطرة على الجزيرة، وحصل صدام بينهم وبين الفاطميين وبين الفاطميين والمسلمين من الصقليين للسيطرة على الجزيرة وحكمها .
٤٦٣ هـ	١٠٧٠ م	استولى النورمان على باليرمو واخذوا في توسيع رقعة سيطرتهم على صقليا حتى سيطروا عليها
٩٦٩ هـ	١٥٦١ م	هاجم خير الدين بربروس صقليا ولم يتمكن من احتلالها وطرد النورمان منها .

٤ – كريت

٥٥ هـ	٦٧٤ م	هاجمت البحرية العربية جزيرة كريت وحكمها العرب فترة قصيرة .
١٢٠ – ٣٥٠ هـ	٨٢٥ – ٩٦١ م	هاجم عمر بن عيسى والمهاجرون من الاندلس كريت وحكموها .
٣٥٠ – ١٠٥٥ م	٩٦١ – ١٦٤٥ م	حكم الجزيرة البيزنطيون ثم اصبحت تابعة للبندقية .
١٠٥٥ – ١٣١٦ هـ	١٦٤٥ – ١٨٩٨ م	تحت حكم العثمانيين .
١٢٣٨ – ١٢٥٦ هـ	١٨٢٢ – ١٨٤٠ م	حكم المصريون الجزيرة وانتزعوها من العثمانيين .
١٣١٦ – ١٣٦٥ هـ	١٨٩٨ – ١٩٤٥ م	اصبحت دولية نتيجة لاعمال التمرد التي حدثت في الجزيرة وتقاسمت اليونان وايطاليا حكم الجزر بعد عام ١٩٤٥ كما انفردت اليونان بحكم جزر الدودكانيز .

٥ ـ رودس

السنة الهجرية	السنة الميلادية	توقيت الاحداث
٣٤ هـ	٦٥٤ م	اغار العرب المسلمون على رودس .
٥٣ ـ ٦٠ هـ	٦٧٢ ـ ٦٧٩ م	احتلها العرب المسلمون وحكموها .
٩٩ ـ ١٠٠ هـ	٧١٧ ـ ٧١٨ م	عاود العرب المسلمون احتلال رودس وانتزعوها من بيزنطية .

٦ ـ كورسيكا

١٩٤ ـ ٢٩٧ هـ	٨٠٩ ـ ٩٠٩ م	انتزع الاغالبة جزيرة كورسيكا من الفرنجة وحكموها .
٢٩٧ ـ ٣١٨ هـ	٩٠٩ ـ ٩٣٠ م	حكم الفاطميون الجزيرة .

٧ ـ مالطا « جنوب صقليا »

٢٠٩ ـ ٢٩٧ هـ	٨٢٤ ـ ٩٠٩ م	انتزع الاغالبة جزيرة مالطه تدريجياً من البيزنطيين ثم حكموها .
٢٩٧ ـ ٤٨٣ هـ	٩٠٩ ـ ١٠٩٠ م	حكم الفاطميون مالطا .
٤٨٣ ـ ٩٣٧ هـ	١٠٩٠ ـ ١٥٣٠ م	حكمها النورمان .
٩٣٧ هـ	١٥٣٠ م	حكمها الاسبتارية « فرسان القديس يوحنا » .
٩٥٩ ـ ٩٦٤ هـ	١٥٥١ ـ ١٥٥٦ م	هاجمها العثمانيون ولم يتمكنوا من فرض سيطرتهم عليها .

٨ ـ جزر الباليئار «غرب المتوسط»

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحداث
٨٩ ـ ٩٠ هـ	٧٠٧ ـ ٧٠٨ م	هاجمت البحريةالعربية الاسلامية جزر الباليئار واحتلتها .
١٣٧ ـ ١٨٢ هـ	٧٥٤ ـ ٧٩٨ م	هاجمت بحرية الامويين ـ الاندلسيين جزر «ابو سوس» «واقيزة» جنوب البليار واحتلتهما .
٢٩١ ـ ٥٢٦ هـ	٩٠٣ ـ ١١٣١ م	اغار عصام الخولاني ببحريته على جزائر البليار وادخلها في حكم اموبي الاندلس .
٥٠٧ ـ ٥٠٩ هـ	١١١٣ ـ ١١١٥ م	حكمت جنوه وبيزا جزر البليار .
٥٠٩ ـ ٥٢٦ هـ	١١١٥ ـ ١١٣١ م	انتزعها المرابطون من اهل جنوا وبيزا وحكموها
٥٢٦ ـ ٥٧٧ هـ	١١٣١ ـ ١١٨١ م	حكمها بني غانية .
٥٧٧ ـ ٥٩٨ هـ	١١٨١ ـ ١٢٠١ م	امراء من اهلها .
٥٩٨ ـ ٦٢٧ هـ	١٢٠١ ـ ١٢٢٩ م	حكمها الموحدون .
٦٢٧ ـ ٦٣١ هـ	١٢٢٩ ـ ١٢٣٣ م	انتزع حكم البليار «الارغونيون» .
٦٣١ ـ ٦٨٦ هـ	١٢٣٣ ـ ١٢٨٧ م	حكم منورقة امير مسلم تابع«للارغونيون» .
٩٦٩ هـ	١٥٦١ م	هاجم العثمانيون منورقة .

٩ ـ سواحل فرنسا وبحر ايجه

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحداث
٢٧٧ ـ ٣٦٥ هـ	٨٩٠ ـ ٩٧٥ م	استولت البحرية العربية الاسلامية على «البروڤانس» جنوب فرنسا وحكمته .
٤٢٢ هـ	١٠٣٠ م	اغار اسطول الفاطميين على كوكلاديس في بحر ايجه .
٨٨٥ هـ	١٤٨٠ م	فرض العثمانيون سيطرتهم على الجزر الشمالية من بحر ايجه . وفي المتوسط بينما بقي جنوب البحر تحت سيطرة «الاسبتارية» .
٩٢٩ هـ	١٥٢٢ م	استولى العثمانيون على كافة جزر الارخبيل وطردوا البيزنطيين من الشمال .
١٣٣١ هـ	١٩١٢ م	خرجت جميع الجزر من قبضة العثمانيين .

ايطاليا

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحداث
٢٢٢ هـ	٨٣٦ م	هاجمت البحرية العربية السواحل الايطالية .
٢٢٦ ـ ٢٥٧ هـ	٨٤٠ ـ ٨٧٠ م	حكمت البحرية العربية « بروندیزیوم » .
٢٢٣ هـ	٨٣٧ م	هاجمت البحرية العربية الاسلامية نابولي ولم تحتلها .
٢٢٣ هـ	٨٣٧ م	اغارت البحرية العربية على كالبرما .
٢٢٦ هـ	٨٤٠ م	تهدمت كايوا في ايطاليا بسبب مقاومتها للغزو العربي .
٢٢٦ ـ ٢٦٧ هـ	٨٤٠ ـ ٨٨٠ م	حكم العرب المسلمون تورنتو .
٢٢٧ ـ ٢٥٧ هـ	٨٤١ ـ ٨٧٠ م	هاجمت البحرية الاسلامية باري وحكمها العرب .
٢٢٨ ـ ٢٣٣ هـ	٨٤٢ ـ ٨٤٧ م	هاجمت البحرية العربية الاسلامية بنفنتوم في
٢٣٥ ـ ٢٣٨ هـ	٨٤٩ ـ ٨٥٢ م	ايطاليا وحكمها العرب .
٢٣٢ هـ	٨٤٦ م	قامت البحرية العربية الاسلامية بانزال بحري في ساحل ايطاليا وتقدم العرب حتى روما ولم يستولوا عليها .
٢٦٣ ـ ٢٦٤ هـ	٨٧٦ ـ ٨٧٧ م	اغارت البحرية العربية الاسلامية على كامبانيا ، ودمرت المدينة نتيجة للمقاومة .
٢٧٠ هـ	٨٨٣ م	احرق جنود العرب المسلمين « كاسينو » .
٣٢٣ ـ ٤٢٤ هـ	٩٣٤ ـ ٩٣٥ م	هاجم اسطول الفاطميين جنوا .
٣٩٣ هـ	١٠٠٢ م	هاجمت البحرية الاسلامية « بيزا » شمال ايطاليا .
٤٠٦ هـ	١٠١٥ م	حاصرت البحرية الاسلامية ساليرنو .
٨٨٥ ـ ٨٨٦ هـ	١٤٨٠ ـ ١٤٨١ م	هاجمت البحرية العثمانية تورنتو وحكمها العثمانيون .

الفهارس العامة للجزء الاول من فن الحرب

المحتوى :

١ - فهرس الأعلام

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

* * *

٢ ـ فهرس المواقع والأماكن الجغرافية

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

٣ – فهرس الشعوب والقبائل والفرق والجماعات

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الياء

٤ ـ فهرس الاديان والمذاهب

٥ ـ فهرس الشواهد الشعرية والرجز

الخرائط والمخططات

الجبهة الشمالية :

الجبهة الشرقية

الفهرس

١٣٤ – الدروس المستخلصة من المرحلة الأولى في فتح الشام . ١٣٦ – العوامل التي ساعدت العرب المسلمين في تنفيذ مخططهم . ١٣٧ – نتائج المرحلة الأولى من العمليات (النتائج الاستراتيجية تنظيم قاعدة متقدمة) . ١٣٨ – استنزاف قوة الروم ، تحقيق الهدف من الحرب ، التمهيد لاقامة علاقات اجتماعية جديدة. ١٣٩ النتائج العسكرية (ظهور قيادات عسكرية ، وجود مركزية في القيادة ، الانضباط في القيادة والتنفيذ ، الروح المعنوية العالية) .

القسم الأول

الفصل الثالث (١٤١ – ١٨٩)

١٤٣ – فتح بعلبك وحمص ١٤ هـ . ٦٣٥ م ، ١٤٤ – جولة في افق حمص. ١٤٥ – جبلةبن الأيهم وحربه . ١٤٧ – معاودة فتح البلدان المتمردة (فتح قنسرين ،فتح بعلبك) . ١٥١ – معاودة فتح حمص . ١٥ هـ . معاودة فتح الرستن،محاصرة حمص . ١٥٣ – فتح مدن الساحل الشمالية (انطاكية – اللاذقية – فتح جبلة ، بانياس ، طرطوس ، فتح طرابلس) . ١٥٦ – اتفاقيات صلح مع البلاد الشمالية . ١٥٧ – غزو ما وراء الدروب . ١٥٨ – عمليات المحور الجنوبي (فتح بيسان واجنادين والصلح مع القدس . ١٦٢ – فتح غزة . ١٦٤ – معركة حمص . ١٦٧ – فتح الجزيرة . ١٦٩ – عزل خالد بن الوليد . ١٨٣ – الهجوم والهجوم المضاد . ١٧٤ – الموقف على الجبهات الاخرى سنة ٢٤ هـ . ١٧٥ – تجربة قتالية ناجحة . ١٧٨ – قصة عربسوس . ١٧٩ – قصة الجراجمة ١٨٢ – الدروس المستخلصة من عمليات فتح الشام ، في الاستراتيجية العليا (الانطلاق من قاعدة قوية وأمينة ، وضوح الهدف ، حرمان العدو من موارده الاقتصادية ، ردع العدو عن التفكير في تغذية الثورة المضادة ، الابقاء على العنصر العربي ، تنظيم العلاقات العامة في المجتمع) . ١٨٥ – في تطبيق مبادىء الحرب (المبادأة ، المباغتة ، الأمن ، الاقتصاد بالقوى، المحافظة على الهدف) . في فن القيادة : العامل المعنوي ، العوامل المساعدة الأخرى .

القسم الأول

الفصل الرابع

سيطرة العرب المسلمين على حوض البحر الابيض المتوسط (١٩٣– ٢٢٠)

١٩٣ – ايام البحرية العربية الاسلامية والسيطرة على البحر الابيض المتوسط . ١٩٥ – غزو قبرص . ١٩٧ – يوم ذات الصواري . ١٩٩ – معاوية يحاصر القسطنطينية (الوضع العام ، الغزوات التمهيدية ، الحصار الطويل) . ٢٠٣ – احتلال رودس . ٢٠٤ – سليمان بن عبد الملك وحصار القسطنطينية . (الاستعداد للغزو ، التحرك الأرضي ، التحرك البحري والانزال ، الحصار ، ٢٠٨ – مراحل تطور الاسطول العربي الاسلامي . ٢١٠ – الانجازات البحرية في عهد معاوية . ٢١١ – سلاح البحرية في عهد عبد الملك بن مروان . ٢١٢ – سلاح البحرية في عهد الوليد بن عبد الملك . ٢١٣ – سلاح البحرية في عهد سليمان بن عبد الملك . سلاح البحرية حتى نهاية العهد الأموي. ٢١٦ – فن الحرب البحري في عهد الامويين (المدن الساحلية والدفاع عنها، الركوب والتجمع البحري والانزال ، الاسطول العربي في الميزان الاستراتيجي) .

القسم الأول

الفصل الخامس

الثغور – الصوائف والشواتي (٢٢٣ – ٢٣٤)

القسم الثاني

الفصل الأول

من الفتح الى معركة القادسية (٢٣٥ – ٣٢٦)

القسم الثاني

الفصل الثاني

العمليات على الجبهة الشرقية (فارس) – المرحلة الأولى من القادسية الى نهاوند

(٣٢٧ – ٣٦٠)

القسم الثاني

الفصل الثالث

من عمليات الجبهة الشرقية ، فارس (ايران) ، عمليات المحور الشمالي ، عمليات المحور الأوسط ، عمليات المحور الجنوبي (٣٦١ – ٤١٠)

القسم الثاني

الفصل الرابع

المرحلة الثانية من عمليات الجبهة الشرقية (٤١١ – ٤٦٠)

القسم الثاني

الفصل الخامس

(تابع المرحلة الثانية من عمليات الجبهة الشرقية (٤٦١ – ٥٠٨)

هذا الكتاب

موسوعة تاريخية عسكرية تقدم لك المعرفة بتاريخ الأمة العربية وأعمال الفتوحات العظمى التي عاشتها على امتداد أربعة عشر قرناً من عمر الزمن هو تاريخ الأمة العربية الإسلامية منذ أن أضاءت الدنيا وأشرقت برسالة الإسلام وحتى اليوم.

• تبرز الحنكة العسكرية والإدارية التي تميز بها القائد المسلم بحسه العربي الذي فطر عليه في تطبيق مبادىء الحرب في الاستراتيجية والتنفيذ في ميدان المعركة، وفي فن القيادة وكفاءتها والروح المعنوية العالية للمقاتلين سواء بسواء في الحروب النظامية أو الحروب الثورية الداخلية وقمع الفتن بإيمان راسخ بنصر من الله وتأييده.

• **تشمل :**

- ◻ عهود الخلفاء الراشدين والامويين للأعمال القتالية في الشمال والشرق والغرب والأندلس وجنوب أوروبة والغزوات البحرية.
- ◻ الجهاد على جهة الروم في العهد العباسي وعلى ثغور الهند والحروب البحرية وغزو التتار لبلاد الإسلام وتمزيق قواتهم في معركة عين جالوت
- ◻ الغزو الصليبي لبلاد الإسلام في الحملات الصليبية المتتالية ومعركة حطين وتحرير القدس وطرد الصليبيين الفرنج وتصفية وجودهم في الشرق.
- ◻ ظهور العثمانيين وحملهم راية الجهاد وفتح القسطنطينية والتوغل في اوروبا شمالاً وغرباً والتوسع في آسيا والحروب مع الروسيا

• مرجع هام يحتاج إليه :

- ◻ تلميذ التاريخ وأستاذه
- ◻ العسكري في ممارسته لفنه وعلمه
- ◻ المؤرخ في تقصيه للحقائق التاريخية
- ◻ كل مواطن عربي تواق للاستزاده بمعرفة تاريخ امته